البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد العشرون

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد العشرون

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد العشرون .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٥٤٤ ؛ ١٥،٥ X ٢٣،٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٩-٠٨-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٩-٠٨-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٣٧٠٩٦٦٢ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/٢٥م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد العشرين	٧
• أحداث عام ١٦٣٧م	٩
• أحداث عام ١٦٣٨م	٣٧
• أحداث عام ١٦٣٩م	٥١
• أحداث عام ١٦٤٠م	١١٩
• أحداث عام ١٦٤١م	١٢٧
• أحداث عام ١٦٤٢م	٢١٥
• أحداث عام ١٦٤٣م	٢١٩
• أحداث عام ١٦٤٤م	٢٣٧
• أحداث عام ١٦٤٥م	٢٤٩
• أحداث عام ١٦٤٦م	٢٥٣
• أحداث عام ١٦٤٧م	٢٥٥
• أحداث عام ١٦٤٨م	٢٥٩
• أحداث عام ١٦٤٩م	٣٢١

- أحداث عام ١٦٥٠م ٣٢٧
- أحداث عام ١٦٥١م ٣٣٥
- أحداث عام ١٦٥٢م ٣٦١
- أحداث عام ١٦٥٣م ٣٦٧
- أحداث عام ١٦٧٤م ٤٢٥
- أحداث عام ١٦٨٠م ٤٣١
- أحداث عام ١٦٨٨م ٤٣٩
- أحداث عام ١٦٩٠م ٤٤٣
- أحداث عام ١٦٩١م ٤٥٧
- أحداث عام ١٦٩٣م ٤٧٧
- أحداث عام ١٦٩٥م ٤٨٣
- أحداث عام ١٦٩٦م ٤٩١

دليل الباحثين ٥٢١

هوامش المجلد العشرين ٥٣٩

مقدمة المجلد العشرين

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث ستة وعشرين عاماً ، في مدة استغرقت ستين عاماً ، وهي من العام ١٦٣٧م إلى العام ١٦٩٦م ، وكانت بداية المجلد قيام البرتغاليين بتقوية ميناء مسقط بالتحصينات وبأسطول قوي ، بديلاً عن هرمز ، ويأتي بعدها ذكر وصف القلاع حول بحر عُمان ، وكذلك الجزيرة العربية واليمن .

بعد قيام دولة اليعاربة عام ١٦٢٣م ، قام اليعاربة بشن هجمات على القوات البرتغالية المتواجدة في مدن الساحل الشرقي لعمان ، مما اضطر البرتغاليين إلى توقيع معاهدة سلام مع اليعاربة ، لكن البرتغاليين نكثوا معاهدة السلام مع اليعاربة ، مما دفع باليعاربة إلى القيام بهجوم على مسقط واحتلالها واحتلال جميع القلاع في أرض عُمان بقيادة الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي في عام ١٦٥٠م .

في عام ١٦٥٣م ، جاءت المؤامرة الفاشلة من قبل البرتغاليين

والقواسم على الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي ، الذي خرج منها قوياً ، مما دفع البرتغاليين للتفاوض مع الأئمة العمانيين ، بعد أن أبعدوهم عن بحر عمان ، وملاحقتهم حتى سواحل الهند .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٦٣٧م

صدرت رسالة من نائب الملك إلـى الملك ، بشأن مسقط ، "غوا" "Goa" ، الخامس من شهر فبراير عام ١٦٣٧م ، وذكر فيها إرسال الأسطول البرتغالـي إلـى مسقط : (١)

قدمت لجلالتكم في العام الماضي بياناً بالجرائم التي ارتكبها "فرانسيسكو دا سيلفا" "Francisco da Silva" ، وهو يشغل منصب القائد العام في مضيق هرمز ، وكيفية عزلي له بناءً على نصيحة مجلسي ، وتعيين "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" "Gaspar de Milo de Sampaio" بدلاً عنه ، وفقاً لاختيار المجلس .

في نهاية شهر مارس من العام الماضي غادر "جاسبار دي ميلو" إلى مسقط مع أسطول ضم خمس سفن ، وسافر مع الأسطول أيضاً "مانويل ماسكارينهاس دي ألميدا" "Manuel Mascarinhas de Almeida" كـابتن مـيـجور المـضـيق ، و"أنطـونـيو بـوتيـلهـو دي

---

(١) رقم الوثيقة والهامش.

أزيفـيـــــدو" "Antonio Botelho de Azevido" الذي كان في طريقه لاستلام منصب قائد مسقط ؛ لأن التعيين أصبح من نصيبه .

بعد الإبحار بعدة أيام ، هبت رياحٌ عكسيةٌ قويةٌ ، إلى حد أن بعض السفن التمست الملاذ في أماكن مختلفة ، وقد وصلت السفينة التي كان يستقلها القائد "أنطونيو بوتيلهو" إلى "ديو" "Diu" ، حيث ظلت هناك طوال فصل الشتاء .

أصيب "أنطونيو بوتيلهو" بمرضٍ خطير وتوفي ، وتمكن "جاسبار دي ميلو" و"مانويل ماسكارينهاس" من الوصول إلى مسقط ، ووصلا إلى تلك القلعة في الخامس والعشرين من شهر مايو ، حيث وجدا أن القائد "جوليو مونيز دا سيلفا" "Julio Mones da Silva" كان قد غادر إلى "غوا" بعد أن ســـلم القلعـــة لشقيقه "فرانسيسكـــو مونيز دا سيلفا" "Francisco Mones da Silva" دون أوامر للقيام بذلك .

تعهد "فرانسيسكو مونيز" بتقديم الولاء بعد أن فعل شيئاً لم يتمتع بالحرية في أن يفعله ، ولهذا السبب ، وعندما وصل إلى هذه المدينة ، أمرت بإيداعه السجن من أجل إقامة دعوى ضده .

استمرت جرائم "فرانسيسكو مونيز" وزاد عددها ، وعلاوةً على تلك الجرائم التي ارتكبها بإبرامه سلاماً مع قشم والبحرين و"راكسل" ، ومع الموانئ الفارسية وأعداء الدولة دون أن يتلقى أوامر ليفعل ذلك .

أصدر تصاريح مرورٍ لسفن الفلفل بما يتعارض مع كثيرٍ من تعليمات جلالتكم السابقة والحالية ، وضده كثيرٌ من الجنح الأخرى التي تستند إلى المصلحة الذاتية ، وقد رأى أن سفينتين من سفن عادل خان –التي

تبحر بتصاريح مرور- شكلتا هدفاً ملائماً للهجوم عليها ؛ بذريعة أنهما كانتا تحملان مواد ممنوعة .

إذا كان الأمر كذلك ما كان سيعرف ؛ لأن جميع السفن التي تحمل تصاريح مرورٍ وتتجاوز الشروط وتأسرها الأساطيل ، يجب- وفقاً لمعاهدات السلام- ألا يحاكمها أي شخص خلاف نائب الملك ؛ ولهذا السبب ، فإن القادة ملزمون بإرسالها إلى هذه المدينة دون إلحاق أي ضررٍ بها .

لم يلتزم "فرانسيسكو مونيز" بهذه التعليمات ، ولم يكتف بنهب جميع الأشياء التي كانت على متن السفينتين ، بل عمد -عندما عاد إلى مسقط- إلى قتل الرجال الذين كانوا على متنها بدم بارد ، وأحدثت هذه الجريمة غضباً عارماً بين المسلمين الذين قدموا احتجاجاً شديداً عليها .

قد قدمت لجلالتكم بياناً عن هذا الأمر في رسالةٍ أخرى ، ووضعت الدولة في حالة تأهبٍ بسبب كل هذه الأمور ، ولأن عادل خان كان يطالب بالتعويض عن هاتين السفينتين ، وكانت أطرافٌ أخرى ، استولى "فرانسيسكو مونيز" على بضائعها وأموالها ، تطالب بتعويضٍ أيضاً ، ولهذه الأسباب مجتمعةً ، أمرت بإلقائه في السجن حيث يوجد حالياً ، وسيتم عرض جرائمه على المحكمة العليا ، حتى يصدر عليه أعضاؤها الحكم الذي يستحقه .

تركت وفاة "أنطونيو بوتيلهو"- التي ذكرت أنها حدثت في "ديو"- مسقط دون قائد ، ولذلك عين الجنرال "جاسبار دي ميلو" ، "مانويل

فيو دي ميلو" "Manuel View de Milo" ليتولى ذلك المنصب مؤقتاً ، ولكنه لم يكن أميناً كما ينبغي ، ودفعتني عدة أسباب للتواصل مع مجلسي منها : عدم أمانة "مانويل دي ميلو" .

أهمية القلعة التي يحيط بها كثير من الأعداء ، وحقيقة أنه نظراً إلى أن واجب القائد العام أن يكون في البحر دائماً ، لا يوجد أحدٌ ليدافع عن البر ، وأن الرجال الذين يتم تعيينهم هنا ينشغلون بنزاعاتٍ قانونية لا ينتهون منها بالسرعة اللازمة ، وطلبت من المجلس أن يوضح لي الحل المناسب .

تم الاتفاق تبعاً لذلك بضرورة تعيين الشخص الأكثر خبرةً ، وأن تستمر الدعاوى القانونية بالطريقة المتبعة في كثيرٍ من المناسبات الأخرى ، وكانت النتيجة هي أن "جوميز لوبو دا سيلفا" "Gomez Lopo da Silva" شغل المنصب في مسقط ، وهو شخصٌ كفء ، وقد خدم صاحب الجلالة بشكلٍ جيد في الماضي .

أفادتني الرسائل التي استلمتها في مسقط -خلال موسم الأمطار في شهر أكتوبر- أن القلعة هناك مزودةٌ بمؤنٍ كافية ، وأن الهدوء يسود المدينة ، ولكن التجار والأهالي ساخطون للغاية من حكم "جاسبار دي ميلو" ؛ بسبب الفائدة التي سمح بفرضها على بضائعهم ، والفائدة باهظة إلى حد أن التجار أبلغوا شركاءهم التجاريين بعدم إرسال بضائع أو أي سلعٍ أخرى إلى مسقط ؛ بسبب الخسائر التي تكبدوها .

علاوةً على ذلك ، أعطى تصريحاً لتسليم ضماناتٍ لكثيرٍ من الجنود الذين أرادوا مغادرة المضيق ، واتخذ إجراءاتٍ مربكةً أخرى ، وتسبب

في أضرارٍ أخرى كثيرةٍ لجلالتكم ، الأمر الذي دفعني لاتخاذ قرارٍ بأن أستدعيه ، وبالنظر إلى سنه وصفاته العامة ، وأملاً في أن أتمكن– من خلال إسداء النصح له– من إعادته إلى الخط المستقيم ، أبلغته خطياً بكل الذي رأيت أن عليه معرفته ، ومارست عليه الضغط الذي يتطلبه الموقف .

لكن ، وقبل أن يستلم الرسالة ، شاء الله أن يختاره لجواره ، وقد خلف ابنه "أنطونيو دي ميلو" "Antonio de Melo" في مكانه ، وهي معلومات عرفت بها في السادس عشر من شهر نوفمبر .

نظراً للأهمية البالغة التي يتسم بها المضيق عموماً ، ومدى خطورة الوضع دون وجود قائدٍ هناك ، قمت على الفور بتعيين "دوم مانويل بيريرا" "D . Manuel Perriera" في ذلك المنصب ، وهو رجلٌ نبيلٌ وشجاعٌ وجادٌ للغاية ، وقد تصرف بالشكل اللائق في مناسباتٍ سابقة .

قد غادر هذه المدينة على الفور ليتوجه شمالاً في "almadia" من أجل أن يبحر من هناك إلى مسقط ، وآمل أن يكون وصل بسلام ، ونفذ ما يتوافق تماماً مع خدمة جلالتكم طبقاً للتعليمات التي حملها ، والتي أرسل صورةً عنها مع هذه الرسالة .

هذا هو كل شيءٍ متعلقٍ بمسقط ، والمضيق الذي أقدم لجلالتكم تقريراً عنه ، ومرفقٌ مع هذه الرسالة قوائم الأنواع المختلفة من المعونات التي أرسلتها إلى تلك القلعة التي تقع تحت إشرافي ، وصحيحٌ أنني أرعاها لأهميتها ، وبسبب العدو الذي غزاها بتلك القوة .

في هذه السنة ، وطبقاً لما قاله لي رئيس الإنجليز ، فإن أربع سفنٍ فقط من سفن المتمردين مرت من هناك ، وقد تم إرسال اثنتين منهما ومعهما

أوامر بالتوجه إلى أوروبا مع حمولة حريرٍ من فارس ، وستعود الأخريان إلى "سورات" "Surat" .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم ؛ لحاجة المسيحية لجلالتكم .

من "غوا" في الخامس من شهر فبراير عام ١٦٣٧م .

وفي العام نفسه (١٦٣٧م)
نسخت صورة من التعليمات التي حملها "مارتيم تيكسيرا دي أزيفيدو" "Martim Texiera de Azevido" ، كابتن "ميجور" على ساحل الكناري ، عندما ذهب لقضاء الشتاء في "كانانور" "Cananor" ، "غوا" ، التاسع عشر من شهر مايو عام ١٦٣٧م ، وذكـر أن "أنطونيو كارنيرو ساليما" "Antonio Carneiro Salima" الذي أرسله تسبب في اضطرابات ضد ملك "ممباسا" وفي البحار قبالة مسقط : (٢)

أنا "بيرو دا سيلفا" "Pero da Silva" ، من مجلس دولة صاحب الجلالة ، ونائب الملك والقائد العام للهند ... إلخ ، أحيطك علماً ، "مارتيم تيكسيرا دي ازيفيدو" الـ fidalgo من أسرة صاحب الجلالة ، وكابتن "ميجور" على ساحل الكناري ، وفي "كانانور" خلال فترة الشتاء ، بأنني ، وبالنظر إلى ما تتمتع به من خبرةٍ في أراضي الملك "فيرابادرا

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

نايكة" "Verabadra Naike" ، ومعرفةٍ بالملك ذاته وأتباعه ، وهي الخبرة التي اكتسبتها خلال الوقت الذي قضيته كقائدٍ في "باسرور" .

السنوات التي كنت خلالها مسؤولاً عن الأسطول في الكناري ، وللثقة العظيمة التي أوليها لشخصك . قررت إرسالك كسفيرٍ في مهمةٍ للملك "فيرابادرانايكة" ، لتسليمه رسالة ، ومتى تم تكليفك بخدمة الملك ، فإنك تتصرف بالحماس والحكمة والحذر اللازم .

نرى حتى الآن أنك تصرفت على نحو جيد بصفتك كابتن ميجور على ساحل الكناري ، وخلال الشتاء في "مانجالور" ، ولذلك أكلفك بأمرٍ نرى أنه هامٌ للغاية في الوقت الحاضر لهذه الدولة .

إنك تدرك أن الملك تأخر في إرسال الفلفل الذي كان يتعين عليه إرساله بموجب عقدٍ مبرمٍ مع بلدنا بأمل تغيير السعر ، على الرغم من أنه كتب لي في آخر رسالةٍ منه يقول إن العقد الموقع يتيح فرصة التأخير ، وحتى الآن لم يسلم "سانكارا دا غاما" أي فلفل .

من أجل أن تدرك إدراكاً كاملاً ما تنطوي عليه هذه القضية ، ستحمل صوراً من جميع الرسائل التي كتبها لي هذا الملك عن الأمر ، والردود التي أرسلتها له ، وصور الرسائل التي استلمتها من "سانكارا دي غاما" "Sancara da Gama" .

أرفق أيضاً شروط العقد ذات الصلة ؛ حتى تعرف الكيفية التي ستتصرف من خلالها لتسيير الأمور ، ومن أجل أن تتصرف بتصميمٍ أكبر وعجلةٍ في هذا العمل وغيره ، فعليك بمساعدة "سانكارا" المذكور .

يتمتع هذا الهندوسي بخبرةٍ عظيمةٍ في هذه القضية ، وكان كل شيءٍ يتم دائماً من خلاله ، ولذلك ستكون مساعدته مفيدةً للغاية ، ويتعين عليك أن تنقل أوامري إليه .

أنت تدرك جيداً مدى ضرورة أن تكون في "كانانور" في بداية شهر يوليو ، والبقاء هناك ما دمت بحاجةٍ لإعداد أسطولك ، وذلك حتى لا يتم إغفال أي شيءٍ مما أمرت به ، أو الأشياء الأخرى التي آمر بها في قانون آخر .

لهذا السبب ، وفور وصولك إلى أراضي "فيرابادرانايكة" ، عليك إعداد الأشياء بطريقةٍ بحيث تكون قادراً على اتخاذ القرارات الملائمة في وقت مبكرٍ للغاية ، فيما يتعلق بالفلفل والأمور الأخرى التي تتحمل مسؤوليتها ، وعليك أن تجعل "سانكارا" يكرس نفسه لأي شيء يمكن القيام به في أراضي الملك "فيرابادرانايكة" ، حتى يشكل الباقي من الفلفل الذي يتم التفاوض بشأنه في "كانانور" شحنةً لسفينةٍ تقضي الشتاء هنا ، ولأي سفينةٍ أخرى تصل إلى هنا .

يجب السماح للاثنتين بالحضور إلى هنا في مطلع شهر سبتمبر ؛ لأن السفينة القرقور "ساو جواو دي ديوس" "Sao Joao de Dius" يجب أن تغادر- إن شاء الله- إلى المملكة في شهر أكتوبر ، ولست بحاجةٍ إلى أن أؤكد على مدى ضرورة تناولك هذا الأمر بعناية تامة ، بما أنك ستقدر أهميته .

لكنني أحذرك من مدى الضرر الذي سينتج عن السماح بأي تغييرٍ في سعر هذا البهار عما تم الاتفاق عليه في آخر عقدٍ تم وضعه مع

الملك ، ويعود سبب هذا إلى أن هؤلاء الناس متقلبون للغاية إلى حد أنهم – ومع حدوث سابقة كهذه – سيرغبون دائماً في تغيير العقود .

إذا اضطررت في نهاية الأمر إلى زيادة السعر المدفوع مقابل الفلفل ، يجب أن تتم الزيادة بطريقة بحيث يعطونك كميةً بسعرٍ منخفض ، على أساس بقاء السعر على ما هو عليه الآن بعد تعديل السعرين .

إن "أنطونيو كارنيرو ساليما"- الذي أرسلته من هنا مع السفن- يتسبب في اضطراباتٍ ضد ملك "ممبسا" ، وفي البحار قبالة مسقط ، أسر واحدة من سفن "فيرابادرانايكة" .

طبقاً لمعلوماتي ، تبلغ قيمة السفينة ألفين- وربما- ألفين وخمسمائة "pagodas" كما ستسمع من "سانكارا" ، وقد اشتكى لي ملك "فيرابادرانايكة" بشأن هذا الأمر ، ولذلك أمرت بإرسال ردٍ لسفيره "دي فارسا سيناي" "de Varsa Sinae" ، أبلغه فيه بأنني سأعوضه عن المبلغ .

أولاً : يجب تسليمه كل الخشب الذي جلبه أسطول "دومينجوس فيريرا" "Domingos Ferriera" ، والذي طفا إلى الشاطئ في أرضه ، ورأى الملك أن هذا سيكون تعويضاً ملائماً ، ولذلك ، عليك أن تسعى لضمان الانتهاء من هذا الأمر .

ينبغي تجميع الخشب في المرسى الذي تراه أكثر ملاءمة ، بحيث إنه عندما يتم التسليم ، يمكن دفع قيمة هذه السفينة في المكان ذاته ، وعليك أن تحاول أن تضمن أن المبلغ المدفوع عن الخشب لا يتجاوز ألفي "pagadoes" ، وإذا كان من الضروري دفع المزيد ، يمكن أن

يكون بدفع المبلغ الأدنى ؛ حتى لا تبقى الأمور معلقةً على هذا الحساب ، وإنني أترك كيفية مباشرة هذا الأمر .

إنك تحمل أيضاً صورة الرسالة التي كتبتها للتو إلى الملك بشأن حملتك ، وأتناول فيها التعقيدات التي حاول سفيره "ديفاريسا سيناي" إحداثها بين الملك والدولة ، وكانت السبب في عدم إنجاز أي شيء مع السفير ، ويجب عليك السعي لإبلاغ الملك حتى يفهم .

يعرف الجميع الرعاية التي شملت بها سفن القرقور الإنجليزية الخمس عند الترحيب بها ، وكانت تلك السفن قد وصلت مؤخراً إلى حاجزنا ، ووفرت الحماية للرجال منهم ، وكأنهم من مواطني البرتغال ، ولكنهم كافؤوني بجحودٍ ، وتوجهوا إلى ميناء ملك "فيرابادرانايكة" ، حيث حاولوا تدمير تجارتنا هناك ، وتركوا رجالاً في تلك البلدان ، وحاولوا جاهدين ليجعلوا الأهالي المجاورين يكرهوننا ، وكان طبيعياً أن نضطر لحماية أنفسنا .

رغبتي بصدق أن ألح عليك بشدةٍ ؛ لكي تسعى لتجعل الملك يطرد جميع الإنجليز الموجودين على أراضيه فوراً ، وأن تستخدم جميع الوسائل المتاحة لك ؛ لكي تنجح في جعل الملك يطرد جميع الإنجليز من أراضيه على الفور .

يجب ألا تسمح لهم بالبقاء هناك تحت أي ظروف ، وعليك تذكيره كيف رفض جده الملك السماح لهم بالدخول ، وإذا دعت الضرورة ، عليك الاستعانة باثنين من أتباع الملك ، والسعي لتشويه سمعة الإنجليز حتى يطردهم الملك من جميع أراضيه ، وحتى لا يكون هناك أي اتصالٍ معهم أبداً .

إنني أذكرك بأن هذه ستكون أعظم خدمة يمكن أن تؤديها لجلالته ، وبما أنني أثق بأخلاقك ، وأعرف أنك ستنظم الأمور بطريقة تتحقق من خلالها النتائج التي أرجوها ، فقد اخترت أن أجعلك مسؤولاً عن هاتين المهمتين وتجارة الفلفل .

عليك أن تستفيد من البيزات(أ) التي يتعين على مراقب الخزانة العامة تسليمك إياها ؛ حتى تتمكن من توزيعها بالطريقة التي تراها ملائمة ، ويجب عليك أن تعطي الملك ما يتم إرساله إليه على نحو منفصل ، وأن تقدم له هديةً عظيمة من العجول التي تأخذها إليه .

عليك أيضاً تسليم الحصان الذي أرسله له ؛ لأنه أصدر أوامر لشراء حصان له هنا بصرف النظر عن السعر مهما كان باهظاً ، وقد نفقت جميع الأبقار التي جلبها "دوم فيليب ماسكارينهاس" "D . Philippe Mascarinhas" من موزمبيق ما عدا واحدة وهي حامل ، وسأرسلها مع هذه الرسالة .

حيث إن الملوك في الكناري متقلبوا الرأي ، عليك أن تحصل على تنازلاتٍ فيما يتعلق عليه مع "فيرابادرانايكة" فيما يختص بالإنجليز والفلفل ، وذلك حتى تتم من الآن فصاعدا تسوية كل شيء وتأكيده بالقسم ، وعليك إبلاغي من وقت لآخر بما تقوم به .

قد كتب لي الملك "فيرابادرانايكة" عن هدم القلعة في "كامبوليم" "Campolim" ، وأشار سفيره أيضاً إلى الأمر ، وقيل له إنه أحيل لجلالته ، ودون أمرٍ محددٍ منه لا يمكن اتخاذ قرار هنا ، ولذلك ، وإذا حاول هذا

(أ) بيزة(بيسة) = ستة آلاف وأربعمائة ريس

الملك التعامل معك بشأن القلعة ، عليك أن تجعله يفهم أنك لم تستلم أي أمرٍ مني عن ذلك الموضوع .

لكنه إذا أدرك أهدافك - وهذا أمرٌ تتحمل مسؤوليته أنت - ودمر أولاً القلعة التي شيدها على جزيرة "كامبوليم" ، يجب عليك أن تبلغه أنك ستتوسط لدي نيابة عنه ؛ حتى أصدر أوامر لتدمير قلاعنا ، وعليك أن تقنعه وتطمئنه على أنك في تلك الحال ستنجز الأمر معي ؛ لأنني أصدر الأوامر ليتم الأمر بهذه الطريقة .

عليك أن تنصحه أن هذا يجب أن يكون مفهوماً عندما لا تستطيع جلب كل شيء تكون مسؤولاً عن انتهائه بنجاح ، بالطريقة التي أمرتك بتنفيذها .

يجب منع "فيرابادرانايكة" من تشييد قلعةٍ في يوم من الأيام على هذه الجزيرة ، أو قرب تلك الأماكن التي يمكن أنً تعمل كمراحل إنزال ، ويجب أن يعطي جميع التأكيدات التي توضحها له ، وأن تكون طبقاً لما تراه ملائماً ، وإنني أحذرك من الوثوق بأي أحد في هذا الأمر ، يجب ألا يعرف أحدٌ بأن لديك أمراً كهذا ؛ لأنه من المناسب كثيراً لخدمة جلالته أن يبقى الأمر سراً .

يجب عليك أولاً ، وفي أقرب فرصةٍ ممكنة ، أن تحاول التعهد بأي شيءٍ ضروريٍ للتوصل لاتفاقٍ مع هذا الملك ؛ حتى تبقى قلعتنا في "كامبوليم" صامدة .

كتبها في "غوا" ، "كريستوفاو دي مينيسيس" "Christofao de Meneses" ، في التاسع عشر من شهر مايو عام ١٦٣٧م .

عمل "سيباستياو سواريس بايس" "Sebastiao Soares Bays" على أن تتم كتابتها .

"بيرو دا سيلفا" .

وفي العام نفسه (١٦٣٧م)

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلى الملك ، فيها تقرير عن قلعة مسقط ،"غوا"، الثالث من شهر نوفمبر عام ١٦٣٧م : [٣]

قدمت لجلالتكم تقريراً أرسلته بمركب الصيد القديم في شهر مارس ، والذي أبحر فيه "جواو دا كوستا كربان" "Joao da Costa Qarban" ، وتضمن التقرير كل شيء يتعلق بقلعة مسقط ، والعون الذي أرسلته إلى هناك ، وتعييني "د . مانويل بيريرا" قائداً عاماً لذلك المضيق ، ويجري إرسال صورةٍ من ذلك التقرير ، وسأوضح في هذا التقرير ما حدث منذ ذلك الوقت :

وصل "د . مانويل بيريرا" لإنقاذ مسقط ، مع جميع التعزيزات التي أخذها لتلك القلعة التي تولى قيادتها "جوميز لوبو دا سيلفا" ، حيث إنه كان أحد أفراد السرية التي رافقت جلالتكم ، وقد لقي كلاهما استقبالاً حافلاً .

---

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

كان المكان يعج بالثروة والتجارة النشطة ، ولكن ، وكما هو مألوفٌ في الهند ، لم يكن هناك انسجامٌ بين القادة ، وكان الجنرالات منقسمين إلى حد أن كل واحدٍ منهم كتب لي شكاوى كثيرةً عن الآخر ، وطبقاً للمعلومات التي توفرت لدي ، فإن كل هذا كان بسبب رغبة "جوميز لوبو دا سيلفا" في أن يبيع أرزه خارج مسقط ، ولكن الجنرال منعه ، وإنني أتشاور بشأن حل هذه الشكاوى ، وسيكون الحل ملائماً تماماً لخدمة جلالتكم .

قد أبديت كل عنايةٍ لتزويد مسقط بالمؤن ، وخلال جميع مواسم المطر أرسلت المعونات التي تمكنت من إرسالها ، وكانت كميات المعونات كبيرة ، كما شاهدتم -جلالتكم- من القوائم المرسلة عن العامين الماضيين ، وإنني مرسلٌ مع هذه الرسالة قوائم أخرى تتعلق بمزيد من العون الذي أرسلته منذ ذلك الوقت .

أتلقى طلباتٍ بشأن رجال مقاتلين ، وإنني أدرك أن إرسالهم سيكون أمراً مرغوباً به كثيراً ، ولكن لا يوجد أي عدد منهم ، ومن القلة الموجودة لدي ، سأرسل بعض المقاتلين إلى القلعة وقائدها مع الجنرال والأشخاص الآخرين .

يقول الجميع إن القلعة أصبحت مزدحمةً للغاية ، وفي جميع الرسائل في هذه الإرسالية ، وفي الإرسالية التي تم إرسالها في مركب الصيد ، أقول إنه إذا لم يكن جلالتكم مسروراً بإرسال بعض التعزيزات الجيدة من الرجال المحاربين ، فإن كل شيءٍ هنا سيكون عرضةً لخطرٍ بالغٍ .

هناك أماكن كثيرة تتقدم بطلبات للحصول على المحاربين ؛ بسبب

النقص في الجنود فيها ، وأما المحاربون الموجودون معي فعددهم قليلٌ للغاية ، إلى حدٍ لا يكفي معه للأسطول العادي وسفن "الغليون" ، ولكن ، ونظراً إلى أنني كتبت عن هذا الموضوع مطولاً ، فلا حاجة بي لأتحدث عنه في هذه الرسالة .

توقفت أعمال البناء في قلعة الجبل ؛ لعدم وجود الأموال التي تستمر الأعمال بواسطتها ، ولكن ، ومع الطلبيات التي أرسلتها خلال شهر ديسمبر (طبقاً لما أرسلته لجلالتكم من تقارير بواسطة مركب الصيد) ، ومع ما أستعد لإرساله الآن ، يعتبر هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب عمله ، وآمل أن يستمروا ، وفي العام الماضي أبلغت جلالتكم بما يحدث لي في هذا الصدد .

أدعو الله أن يحفظ ... الخ

"غوا" ، الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م

"بيرو دا سيلفا"

وفي العام نفسه (١٦٣٧م)

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلـى الملك ، بشأن البحث عن متمرد في "ممباسا" بعد أن تسبب في اضطرابات على ساحل شبه الجزيرة العربية وفي مسقط ،"غوا"، الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م : (٤)

لقد أمرت "أنطونيو كارنيرو ساليما" بالبحث عن المتمرد في "ممباسا" ، فبعد أن تسبب في اضطرابات على ساحل شبه جزيرة العرب وفي مسقط ، والتي قدمت تقريراً لجلالتكم عنها من خلال الإرسالية المرسلة في مركب الصيد "بينساو دي ديوس" "Binsao de Dius" ، غادر إلى ساحل "ماليندي" ، وانفصل عن بقية السفن ؛ بسبب عاصفةٍ أثرت عليه ، ووصل إلى جزيرة "أنجوان" "Anjoin"(أ) .

حيث كان المتمرد المذكور آنفاً غير مستعدٍ تماماً لوصوله ، وعلى

(أ) إحدى جزر القمر .

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

الرغم من أن قتله أو أسره كان سهلاً للغاية ، إلا أنه لم يحاول القيام بذلك ، بل توجه إلى الساحل الآخر ، وانتهز فرصته وسرق ما تمكن من سرقته ، ووصل بعد ذلك إلى "ممبسا" ، حيث كانت السفن المرافقة له قد وصلت إلى هناك بالفعل .

أثار المزيد من المتاعب ، وتصرف كمتمرد ، وعند ذلك قيده القائد "فرانسيسكو دي سيكساس كابريرا" "Francisco de Sexas Cabreira"– بعد اتفاقٍ مع المجلس المسؤول هناك– بالأغلال ، وأمره بأن يجري جرداً لبضائعه .

تلقى إفادةً منه وأرسلها– ومعه "أنطونيو كارنيرو" نفسه– إلى هنا ، وهو موجود في سجن المدينة ، ولكنه أحيل إلى محكمة الاستئناف ، حيث تجري مناقشة حول الإفراج عنه ، وفي حال أدين في الوقت المحدد ، فسيتعين عليه تنفيذ الحكم إذا صدر .

حتى يتم إطلاع جلالتكم بشكلٍ أفضل عن كل الذي أشير إليه عن تفاصيل الأمر ، فإنه مرسلٌ مع هذه الرسالة نسخ الرسائل المكتوبة لي عنه بواسطة قائد "ممبسا" المذكور آنفاً ، وتم إرسالها خلال موسم أمطار شهر سبتمبر .

هناك أيضاً تقريرٌ موقعٌ من كبير قضاة الشؤون الجنائية ، بشأن ما هو متضمنٌ في الإفادة ، ويتضح من جميع هذه المستندات أن "أنطونيو كارنيرو" قصد تماماً أن يكون قرصاناً انتهك الشرف الذي تم إسباغه عليه بتكليفه مسؤولية ، مثل ذلك المشروع ، وكان بمقدوره أن ينجزه بسهولة لو أنه رغب في اتباع الأوامر الخطية المعطاة له والالتزام بها .

كان الأمر الذي فاق ذلك سوءاً ، هو أنه لم يحاول ألبتة حرق سفينةٍ خاصةٍ بالمتمرد ، عثر عليها معطوبة في الميناء ومغطاة بالقش ، ولم يكن إشعال النار فيها يتطلب مجهوداً .

قد قيل لي إن المتمرد ظن أنه سيلقى مصرعه أو سيقع في الأسر ، ولكنه عندما رأى أنه لم يتعرض لضغطٍ غادر المكان وشرع بارتكاب سرقاتٍ أخرى ، وتوجه بعد ذلك إلى ساحل شبه جزيرة العرب ، حيث صادفه ملك عدن وراهب "دي مينيكاني" كان سجيناً لدى المتمرد ، وأفرج عنه لينقل لي رسالة .

قد أبلغني أن الإنجليز عرضوا عليه امتيازات وأعطوه بارودًا ومدفعين ، وأن الهولنديين وعدوه أيضاً بتقديم عونٍ له ليستولي على هذه المملكة ، وأن ملك عدن رغب في إعطائه سفينة لهذا الغرض .

تحتوي رسالة المتمرد في "ممبسا" على اعتذارٍ بسبب المتاعب التي تسبب فيها ، ويقول إنه اضطر للقيام بها بسبب القهر الذي مارسه عليه قائد "ممبسا" ومن كانوا في المنصب قبله .

علاوة على ذلك ، يشير إلى أمور أخرى سيطلعني عليها نيابةً عنه الراهب الذي كتب لي معه ، وقد أصغى إليه بشأن الموضوع دون عجلة ، ولكنه لم يقل لي شيئاً هاماً ، كما أنه لم يقل لي أي شيء يمكن كسبه في خدمة جلالتكم .

يجري إرسال صورة من الرسالة ذاتها مع هذه الرسالة التي يمكن- إذا وافق جلالتكم- على إخضاعها للمراجعة .

لا أزال أحاول القبض على هذا المتمرد بكل الوسائل المتاحة لي ، وقد كتبت عن هذا بالتفصيل إلى قائد "ممبسا" .

أدعو الله أن يحفظ ... إلخ .

"غوا" ، الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م .

"بيرو دا سيلفا"

وفي العام نفسه (١٦٣٧م)

صدرت رسالة من سفير "دوق هولشتاين" "Duke of Holestein"[أ] إلـى نائب الملك ، أصفهان ، من السادس عشر إلـى السادس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م ، ويذكر أن تدمير الهولنديين سيجعل التجارة تمر بسلام إلـى البرتغال : [٥]

إن الأفضال الكثيرة والعظيمة التي تلقيتها خلال عملي من ممالك إسبانيا والبرتغال ، والتي لا يمكن أن أنساها مطلقاً ، تجبرني على أن أخدم صاحب الجلالة دائماً بجسدي وروحي كما فعلت في جميع المناسبات .

على الرغم من ذلك ، لن أتلقى أبداً خدمات أعظم من أتباع جلالته المخلصين ، تفوق في عظمتها تلك الخدمات التي قدمها لي ، كسفيرٍ لـ "دوق هولشتاين" الشهير ، الأب "فراي جوزيف" "Frei Joseph"– من

(أ) انظر الرسالة المؤرخة في الرابع من شهر سبتمبر ١٦٣٨م (livro 41 f 33) والمؤلف هو أوتو بروغمان ، أي أنه لا يتحدث البرتغالية وهذا يفسر حقيقة أن النحو لم يكن سليماً في بعض الأحيان .

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

جماعة القديس "أوغسطين" "Augustin" المقدسة- بعطفٍ شديد عندما حضرت إلى هنا ، وكان لا يزال يعيش في هذه الأراضي غير المتمدنة .

قد ترجم جميع شؤوننا إلى هذه اللغة(أ) لجلالة الشاه صفوي ، ومن دونه ما كنا والسفارة لنستطيع الاستمرار في العيش هنا ، وقد أكد إنجاز نتيجةٍ جيدةٍ في جزر الهند الشرقية ، وجعل من الممكن بالنسبة لنا أن نقاتل ضد الأعداء الهولنديين والمتمردين ضد صاحب الجلالة الكاثوليكي ، وكان يفعل كل شيء بشغفٍ عظيم ، كواحدٍ يرغب في زيادة سلطان وطنه في هذه الأراضي .

بسبب التزاماتي بخدمة صاحب الجلالة ، يرى الأب "فراي جوزيف" وأنا أيضاً أنه من الضروري أن نوضح لفخامتكم اختلافاتٍ محددة هنا ، وقراراتٍ اتخذها مثيروا المتاعب الهولنديون .

إنني أجد نفسي في حالة سعادةٍ ؛ لأنني أتمكن من الانحناء لفخامتكم وأقدم لكم خدماتي الشخصية ؛ لأنني أستطيع إبلاغ فخامتكم بأن المتمردين على جلالته يدرسون ليلاً ونهاراً سبل الكشف عن مدى ضلوعهم في الشر ، ولكنني أدعو الله أن يمنع ذلك ، وبفضل رحمة الرب العظمى وصلت لأيدينا بعض الرسائل على نحوٍ إعجازي .

قد كتبها مديرو الشركة الهولندية المتمردة في "باتافيا" "Batavia" ، وتضمنت توجيهاً للربان العام لسفنهم العشر ، ووجدت فيها نقاطاً كثيرةً لم تكن لمصلحة صاحب الجلالة ، وعلى سبيل المثال :

(أ) الفارسية .

إنهم يريدون طريقاً للوصول إلى مناطق محددة في الهند ، ولكن ،

حيث إننا نحذر فخامتكم ، يمكن منع هذا بسهولة ، وإذا نفذوا خطتهم فسيكون لها ثمن باهظ ، وخسائر وسط الجنود ، وأذًى لمدة طويلة الأجل ، وسيؤدي إلى ضررٍ للهند برمتها ، بما لا يمكن ترميمه(أ) :

أولا : قرر المتمردون أن ثماني سفنٍ يجب أن تراقب دائماً سفن "الغليون" التي تصل من البرتغال ، والمحملة في موزمبيق ، وعندما يستطيعون تدميرها - أياً كانت السنة ، وكلما تحقق ذلك سريعاً كلما كان أفضل - سيحاولون وسيرون ما إذا كانوا يستطيعون التوجه إلى الشاطئ لبناء قلعة .

٢) هذا هامٌ للغاية بالنسبة إليهم ؛ لأن سفن "الغليون" القادمة من البرتغال ليتم تدميرها ، بحيث لا يصل جنودٌ برتغاليون إلى الهند على متنها .

٣) إنه من الضروري بالنسبة إليهم بذل كل جهدٍ للتأكد من أن سفن "الغليون" لا تسافر من "غوا" إلى البرتغال ، وحتى في حال لم يدمروا سفن "الغليون" هذه ، فإن تدمير البرتغاليين هذا يخدم مصلحتهم كثيراً .

٤) خلال الوقت الحالي يتمثل الشيء الذي يجب القيام به في منع السفن الهولندية من المغادرة في منتصف شهر يناير .

ترسو هذه السفن قبالة "غوا" عند خمس عشرة إلى عشرين "bracas" ،

(أ) يلي الآن ملخص للرسائل المذكورة أعلاه .

وسيكونون بعيدين عن هذه في القلعة ، ويجب عليهم البقاء هناك حتى منتصف شهر إبريل ؛ لأنهم لن يستطيعوا عندئذ المرور من رأس الرجاء الصالح ؛ بسبب الرياح العاتية التي تهب ، وقد تعلم البرتغاليون عن ذلك بعد دفع ثمنٍ باهظ .

٥) إذا غادرت سفن "الغليون" البرتغالية الميناء لمهاجمتها ، يجب عليهم رفع المرساة ، وأن يفروا إلى "كانانور" ؛ حتى لا تقع خسائر بين الرجال ، ويخشى البرتغاليون من الاحتفاظ بسفن "الغليون" الخاصة بهم داخل الحاجز في "غوا" .

٦) إن ملك "فيزيابور"- وهو عدوٌ للبرتغاليين- يريد أن يبني لي مدينةً حتى تكون لهم قلعة فيها .

سيجعلهم هذا قادرين على مهاجمة "غوا" بسهولة ، وهو ينصح القائد بإجراء تحقيقٍ سريٍ ؛ لأن الـ foists البرتغالية يمكن أن تلحق بهم ضرراً بالغاً .

٧) فيما يتعلق بالسماح للسكان الوطنيين بالذهاب لتلك الأماكن ؛ للاتجار في الفلفل ، وبضرورة بناء قلعة في مكانٍ ما ؛ حتى تستطيع سفنهم أن تتجمع هناك ، فإنهم يوصون بأن يتم القيام بذلك بسريةٍ تامة ؛ حتى لا يتمكن الجواسيس- الذين ربما زرعهم البرتغاليون هنا- من الحضور إلى هنا ليعرفوا بها ، لحين اكتمال كل شيء .

٨) فيما يختص بتجارة الفلفل في "مالابار" ، فهم يوصون بشدةٍ بالقدرة على المشاركة فيها ؛ لأن هذا سيكون مسبباً لضررٍ شديد للبرتغاليين ، ومفيداً للغاية للشركة الهولندية .

هم يرون أنهم لا يستطيعون القضاء على البرتغاليين في الهند بأي طريقةٍ أخرى .

٩) في جميع تعاملاته معنا حتى الآن ، لم يفعل "الساموريم" "Samorim" في "كاليكوت" "Calicut" أي شيءٍ سوى أنه خدعنا ؛ لأنه أكثر وداً مع البرتغاليين منه مع الهولنديين ، ولذلك ، فمن الضروري التعامل معه من خلال الأشياء المفضلة لديه ، أو بطريقةٍ أخرى ؛ حتى نستطيع السيطرة على كل شيء .

١٠) طلب ملك "كاندي" في "سيلان" العون من الهولنديين ضد البرتغاليين ، وهو يريد منح قطعة أرض قرب البحر حتى يتمكنوا من تشييد قلعة .

لا زال الهولنديون غير قادرين على إرسال جنودٍ وسفنٍ إلى هناك لبناء قلعة في مكان مناسب ، حيث توجد غالبية القرفة الخاصة بنا ؛ لأن المساعدة التي طلبوها من هولندا لم تصل بعد .

بما أن البرتغاليين لديهم هناك قوات أكثر مما لديهم في أنحاء أخرى ، فصحيحٌ أنهم (أي الهولنديين) خائفون من مهاجمة "سيلان" بعددٍ قليل كهذا من الجنود ؛ لأنه من المهم للغاية بالنسبة لهم أن تكون لديهم قواتٌ كافيةٌ لغزوها .

قد أبلغوا ملك كاندي أنهم قادرون على مقاومة البرتغاليين أثناء تشييدهم القلعة التي أشاروا إليها في التعليمات ، وإذا كان لدى البرتغاليين إنذارٌ مسبقٌ عن هذا ، فلن يتمكن الهولنديون من عمل أي شيء .

١١) أن الدفاع الوحيد الذي تحمله سفنهم في وقت الحرب يتكون

من بحارة يوجد منهم لدى الربان العام مائة وثلاثين بحاراً ، وهناك آخرون يصل عددهم- بمن فيهم الضباط والجنود والبحارة- إلى مائة وعشرين ومائة وعشرة ومائة ، وهم يضعون من مائتين إلى ثلاثمائة جندي في كل سفينة من أجل إخافة الأعداء ، وبهذه الطريقة ، وبطرقٍ أخرى يتمكنون من إلحاق أذًى كبير .

١٢) لقد نسخت جميع هذه النقاط من قرار التوجيه الأصلي الذي كان بحوزة الأب "فراي جوزيف" ؛ بسبب الاحترام الكبير الذي أكنه لخدمة صاحب الجلالة ، وبسبب رغبتي في أن أخدم فخامتكم .

الآن أعرف الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تدمير المتمردين الهولنديين في الهند ، ومن خلالها حتى تسافر البضائع بسلام من وإلى البرتغال في كل سنة ، ويمكن الآن توفير الجزء الأكبر من النفقات الكثيرة المتكبدة حالياً في لشبونه ، وبذلك تتم زيادة النفقات المتكبدة في جزر الهند الشرقية .

يمكن أن يتحقق هذا في حال قضت جميع سفن "الغليون" ، وأمضى جميع الرجال القادمين إلى الهند سنواتٍ قليلة في خدمة جلالته بحثاً عن العدو .

بهذه الطريقة فقط- بوجود المزيد من الرجال المقاتلين في البر- يمكن زيادة التجارة في الهند ، وبفضلٍ من الرب ستتم زيادة خزانة جلالته بإضافة أراض وعائدات ، وإذا رغبتم فخامتكم يمكنكم الإشارة في البرتغال إلى الوضع في الهند الآن ، وبأننا سنكون مستعدين للمغادرة إلى أوروبا خلال ثلاثة أيام .

لن أتأخر عن تقديم تقريرٍ عن كل شيء إلى "Serene Infante Cardeal" الموجود الآن في دولة "فلاندرز" في خدمة جلالته ، بموجب الواجب الملقى على عاتقي ، ولا شك لدي في أن جلالته سيكون مسروراً عـندما يسمـع عما فعلته بكل حماسٍ ، وسأستمر في فعل ذلك لخدمة جلالته .

إنني أرجو لفخامتكم طول العمر ، وإنني دائماً الخادم المخلص لفخامتكم .

من الشهير "دوق هولشتاين" المستشار والسفير لدى "دوق موسكوفي" "Moscovi" العظيم ولدى ملك فارس .

أصفهان ، السادس عشر إلى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م .

أحداث عام ١٦٣٨م

صدرت رسالة من الملك إلـى نائب الملك ، بشأن القلعة ودار الجمارك في مسقط والأسطول في مضيق فارس ، "لشبونه" ، في الثالث والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م : [٦]

نائب الملك في الهند والصديق ،

أرسل إليك ، أنا الملك بتحياتي .

حيث إن التوجيه – الذي أبلغك به سلفك ، "كونت لينهاريس" "Conde de Linhares" – لم يتم إعداده بعد ، فقد استمر بإعطاء الأوامر المتعلقة بالقلعة

بما أن المعلومات التي طلبها لم تصل بعد ، فقد أبلغك بأن إنجاز التوجيه لم يكن ممكناً .

لذلك ، وفي رسالتك بتاريخ السابع والعشرين من شهر مارس عام

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

١٦٣٥م ، كلفتك بأن تصدر أمراً مفاده أنه عندما يتم جمع المعلومات ؛ يجب إعداد التوجيه على الفور ، ويجب عليك إرسال نسخة ، ومعها الأسباب والمبررات التي أدت إلى تغيير بعض الجوانب ؛ حتى أصدر أوامر لمراجعتها .

يجب أن يتم الانصياع له حتى ذلك الوقت ، حسبما هو موضح في الرسالة التي أمرت بكتابتها للكونت في السادس عشر من شهر يناير عام ١٦٣٣م بشأن هذا الأمر .

في الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٣٥م ، أجبت عن طريق سفينة القرقور "نوسا سينهورا دا ساوود دي بينالونجا" "Nosa Senhora da Sawood de Pinalonga" أنك عرفت أن التوجيه تم إعداده ، وأن الكونت أمر بمراجعتها لوزراء الخزانة في تلك الدولة عند وصولك ، وذلك حتى تتم الموافقة عليه ، وقد تم هذا بحضورك ، وأمرت أنت بالانصياع له إلى أن أصدر أوامر بخلاف ذلك ، وأن ترسل نسخة منه لي .

بما أن هذا لم يرافق رسالتك ، أكلفك - إن لم تكن قد قمت بذلك - بأن ترسله على رحلة عودة سفن القرقور المذكورة ؛ حتى أتمكن من إعطاء أمرٍ لمراجعتها ، واتخاذ القرار المناسب لمصلحة خدمتي .

كتبت في "لشبونه" بتاريخ الثالث والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م

"مارغاريدا" "Margareda"

أوافق

"جيرونيمو رودريغيز" "Jeronimo Roderigues"

إن هذه الرسالة وصورتها قد تم تسجيلهما .

حيث إن التوجيه الذي يتحدث عنه المسؤول المعني موجود في الحسابات ، في دفعتي مراسلات جاهزتين لإرسالهما إلى صاحب الجلالة .

من "غوا" ، الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٣٨م

.... "نونيز" "Nunes"

رد من نائب الملك

إلى "مارغاريدا"

غوا العاشر من شهر ديسمبر ١٦٣٨م

مولاي

تم إعطاء صورةٍ عن رسالة جلالتكم وأوامركم إلى "بالتازار مارتنهو" "Balthasar Martinho" ، كبير قضاة الحسابات ، المرسل إلى مسقط وفقاً للتوجيه المتعلق بدار الجمارك هناك ، ويتوافق رده ونسخة التوجيه مع أوامر جلالتكم .

إنني أدعو الله أن يحفظ جلالتكم لما فيه مصالح المسيحية .

"غوا" العاشر من شهر ديسمبر عام ١٦٣٨م .

وفي العام نفسه (١٦٣٨م)

صدرت رسالة من "مارغاريدا" إلـى نائب الملك ، بشأن التحصينات في مسقط ، "لشبونه" ، في الرابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م : (٧)

نائب الملك في الهند والصديق ، أبعث إليك ، أنا الملك بالتحيات .

تلقيت عبر بارجة الأميرال "نوسا سينهورا دا ساوود دي بينالونجا" رسالتيك المؤرختين في الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٣٥م ، والثامن من شهر مارس عام ١٦٣٦م ، واللتين أشرت فيهما إلى حالة التحصينات في مسقط ، وقد فهمت أنت أنها ستكتمل خلال سنةٍ إذا استمر العمل على النحو العادي .

ذكرت كذلك الأسباب التي جعلتك تعفي "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" من منصبه كجنرالٍ في مضيق فارس ، وتعين "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" - الذي كان الكونت قد عزله - في مكانه ، وفقاً لرأي

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

المجلس الذي يساعدك ، وقلت إنه قبل بالمنصب عن رغبة ، وأنك عينت أيضاً "مانويل ماسكارينهاس دي ألميدا" في منصب الكابتن ميجور في ذلك المضيق .

تم كذلك استلام صورةٍ من القرار الذي اتخذه المجلس ذاته ، وتعلق هذا بما عرضته عليه بعد أوامري بشأن مدى ملاءمة وجود حاكم في مسقط أو - وكما تم القيام به حتى الآن - تعيين كابتن بموجب التقارير العسكرية ، وما إذا كان يجب الاستغناء عن منصب فيلد كابتن ميجور في "دامان" "Daman" ، وعزل واحد من الكتبة في الوكالة في القلعة هناك .

تشير أيضاً إلى رسالةٍ كتبها لي سلفك "كونت لينهاريس" في الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٣٥م ، تتعلق بالأسباب التي دفعته لإصدار أوامر لـ "جاسبار دي ميلو" ليعود من مسقط ، وتعيين "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" بدلاً عنه ، والذي عزلته أنت تماماً وأعدت تعيين "جاسبار دي ميلو" في المنصب .

قد اطلعت الآن على محتويات جميع هذه الرسائل والمستندات التي أقر باستلامها .

الإشارة إلى ما كتبه لي ، وإلى ما فعله الكونت فيما يتعلق بالمخالفات التي ارتكبها "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" و"فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" في مسقط ، والأسباب التي جعلت الكونت يعزلهما من منصب قائد عام المضيق ، أعتقد أنه يتعين علي إبلاغك بأن أي قرارٍ لا يمكن اتخاذه بشأن الأمر ، دون النظر أولاً إلى طبيعة المخالفات ، والاطلاع على الأدلة التفصيلية وكيف أخفقا في واجباتهما .

لم تعط أنت ولا الكونت أي حقائق ، ولذلك ، وبناءً على ما هو مؤكد ، يمكن مدحهما أو معاقبتهما .

لذلك ، فإنني أكلفك بإبلاغي بكل شيء ، وبشكل محدد ، حتى أستطيع أن أصدر أوامر بشأن قرار ملائم ؛ ليتم اتخاذه .

بالإشارة إلى ما إذا كان يجب أن يكون هناك قشتاليون في مسقط ، وفقاً لتقدير أعضاء المجلس الذين يساعدونك ، والذي توافق عليه ، تعيين قائد عبر تقارير عسكرية ، أقرر- لأسباب تعد على أنها أكثر أهمية من أي أسباب مقدمة لدعم قرار ، مخالفا- ألا يجرى أي تغيير .

علاوة على ذلك ، وفي تلك الدولة ، فإن الأمور يجب ألا تتم بحيث تخيب آمال الرجال الذين يخدمون هناك في تلقي مزايا وامتيازات ، إلا إذا كان ذلك ضرورياً حقاً ، ولأسبابٍ أكثر أهمية من الحالة الراهنة .

بالإشارة إلى إيقاف منصب فيلد كابتن ميجور في "دامان" ، فإنني أوافق على رأيك ورأي المجلس ، أي : لا حاجة لإلغائه للأسباب المشار إليها .

في أوقات الحرب ، يصبح ضرورياً السيطرة على خط المواجهة ، وحراسة المواقع والمتاريس ، حتى في حال كانت الأوامر المستلمة في الوقت ذاته محدودة ، وبما أن "دامان" كذلك قريبة من "سورات" ، حيث يوجد أعداؤنا الأوروبيون دائماً ، وإلى جانب المغولي ، فإن عدداً كبيراً من الناس يجب أن يكونوا هناك ، وأن يكتفوا بذلك اللهو .

فيما يتعلق بالاستغناء أو عدم الاستغناء عن واحد من الكتبة في

الوكالة ، فإنني أوافق على ما تمت الإشارة إليه ، وقد قررت أن واحداً ينبغي عزله ، وأن يظل واحد منهما ليؤدي كل الأعمال .

حيث إن تحصينات مسقط هامة للغاية ، فإنني أوصي وأكلفك بشكلٍ عاجل بإصدار أوامر من أجل إكمالها بالسرعة اللازمة .

يجب تعزيز الأسطول الذي في المضيق- وأصر على ذلك- في حالة الحرب ، أو في حال القيام بمحاولة بشأن هرمز .

في حال ظهرت فرصة ملائمة أو تم التوقيع على معاهدة ما ، عليك المضي قدماً بكل الحذر اللازم ، وبالذكاء الذي أعرف أنك تتمتع به ؛ حتى لا تضيع أي فرصة مؤاتية إذا سمحت الأوضاع .

عليك تزويدي بالمعلومات التفصيلية عن كل شيء .

كتبت في "لشبونه" بتاريخ الرابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م .

"مارغاريدا"

"غوا" الأول من شهر ديسمبر عام ١٦٣٨م

رد من نائب الملك

إلى "مارغاريدا"

مولاي

فيما يتعلق بجميع البنود الواردة في هذه الرسالة : وبالإشارة إلى قلعة مسقط ، أفيد جلالتكم يا مولاي أن العمل يستمر بعناية ، وقد عهدت به تحديداً إلى القائد العام في ذلك المضيق ، "دوم مانويل بيريرا" ، الذي عينته للأسباب الموضحة في مجموعة رسائل سابقة .

حيث إن الأقدار شاءت ألا تصل أي مركب (urca) ، فإن جلالتكم افتقر إلى المعلومات الخاصة بجميع الأمور المتعلقة بإدارة هذه الدولة ، وبالعمل في القلعة الذي يجري تنفيذه ولا يزال مستمراً ، وستأتي صور رسائل متعلقة بالأعمال ، وأمور أخرى عديدة مع هذه الإرساليات .

تم عزل "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" من منصبه ، ولذلك ، وعندما يستعرض جلالتكم المواضيع الأخرى ، ستقررون جلالتكم ما يحقق مصالح خدمتكم على نحو أفضل .

بالنسبة للمناصب والتعيينات في القلعة في مسقط ، ومنصب "الفيلد" كابتن "ميجور" في "دامان" ، سنتقيد بأوامر جلالتكم بطريقة مماثلة .

سأقوم بتبليغ "دامان" أيضاً ، وسأعطي الأوامر والأسباب الضرورية ؛ حتى لا يكون هناك أكثر من كاتبٍ واحد في الوكالة .

عندما يتم تعديل الأسطول ، ستوضع في الاعتبار حقيقة أن الأسطول يرابط في مضيق فارس ، وقد أصدرت أوامري بالفعل بأن سفناً جديدة يجب أن تغادر من "باسين" "Bassin" لجمع المعلومات ؛ لأن السفن القديمة تحطمت .

لا أستطيع أن أفعل الشيء ذاته فيما يتعلق بالرجال ؛ لأنه لا يوجد أي رجال في الهند ، ولا يمكن إرسال أي رجال من أي مكان ، وإنني أشعر بهذا النقص الحاد .

من أجل تزويد جميع القلاع التي فتحناها وسلحناها ؛ أؤكد لجلالتكم أن هذا سيتطلب قوةً فوق قدرة البشر لتحقيق معجزات ،

وحيث إنني بعثت بكثير من المذكرات ، ستصدرون أوامر بعد أخذ هذا الموضوع في الاعتبار .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم لما فيه من مصلحة للمسيحية .

"غوا" ، الأول من شهر ديسمبر عام ١٦٣٨م

وفي العام نفسه (١٦٣٨م)

صدرت رسالة للملك من "بيرو دا سيلفا" ، بشأن تحقيق السلام مع البحرين وقشم ، "غوا" ، في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٣٨م : [٨]

مولاي

تلقيت معلومات كثيرة عن سلوك "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" المعيب ، عندما كان قائداً عاماً في مضيق هرمز ، وهو المنصب الذي عينه فيه "كونت لينهاريس" ، وقد تم التحقيق في ذلك برسائل من الكونت ذاته اطلعت عليها هنا .

تشير معلومات أخرى- طلبتها تحديداً- من بين العديد من العيوب ، إلى الأكثر أهمية ، ومن المستحيل ألا نطلب بياناً مشدداً منهم ؛ لأننا حققنا السلام مع قشم والبحرين و"راكسل" ، جميع الموانئ المحتلة بواسطة الفرس أعداء الدولة ، دون أن نتلقى أمراً خاصاً من نائب الملك لنفعل ذلك .

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

إضافة إلى ذلك ، أصدر تصاريح مرور لسفن تجارة الفلفل ؛ وذلك حتى يسمح لها بالإبحار في المضيق ، على الرغم من جميع الموانع والأوامر الحالية الصادرة من جلالتكم .

في رسائل إلى هذه الإدارة ، يكتب بشكل إيجابي للغاية عن سفن تجار الفلفل ، بأنه سبب إزعاجاً كبيراً وتذمرات استياءٍ عامةٍ ؛ لأن من المفهوم أنه فعل ذلك مع تحقيق مكسب مالي ضخم .

إنني أضع كل ما توفر لدي حول الموضوع أمام المجلس ، حسبما سيتضح من صورة الاتفاقية المرفقة بهذه الرسالة ، وقد تم وفقاً لذلك الاتفاق على أن الجرائم بررت عزله من منصبه لكل الأسباب الموضحة .

بسبب ما تم فهمه عموماً عن سلوك "فرانسيسكو مونيز" ، تقرر ضرورة استدعائه إلى هنا ليقدم تقريراً عن نفسه .

من أجل أن يتمكن المجلس من التصويت بحرية أكبر للشخص الذي سيستلم المنصب منه ، فقد أمرتهم بإبلاغي سراً بمن ينبغي عليه القيام بذلك .

كانت جميع أصوات المجلس تؤيد تعيين "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" ؛ لأنه رجلٌ نبيلٌ ولديه خبرة قتالية طويلة ، وقد تقدم على نحو جيد وبنجاح في المجالات التي نالها فيها ، وقد عمل بالفعل في ذلك المعقل ، وجاء إلى هنا بحالةٍ مزرية نسبياً ، وعلى الرغم من هذا ، وبسبب كبر سنه وتعبه ، فقد قبل المنصب ، وسيغادر إلى مسقط خلال الأيام القليلة القادمة .

إن "أنطونيو دي ميلو" – الذي عمل بمنصب كابتن ميجور في المضيق – ، وطبقاً لما قيل لي ، على نحو مرض وبنزاهة ، قد توفي جراء مرض ما ، وقد عينت في مكانه "مانويل ماسكارينهاس دي ألميدا" ، وهو رجلٌ نبيلٌ رفـيع المنزلة ، ويرغب في العمل ، ويؤكدُ أنه سيذهب برفقة "جاسبار دي ميلو" .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم ؛ لحاجة المسيحية لجلالتكم .

"غوا" الثامن من شهر مارس عام ١٦٣٦م .

"بيرو دا سيلفا"

وفي العام نفسه (١٦٣٨م)

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلـى الملك ، بشأن البعثة الدينية في إثيوبيا ، "غوا" ، في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٣٨م ، ويذكر فيها أن العرب يطردون الأتراك : (٩)

في القرار الذي أعطيته لجلالتكم ، التفاصيل المتضمنة في هذه الرسالة ، والطلب أيضاً المقدم من الأب "جيرونيمو لوبو" "Jeronimo Lopo" من جمعية "يسوع" ، والممثل في المحكمة للبطريرك والمسيحية في إثيوبيا ، وهي ذات صلة وثيقة .

لا شك أن أساطيل جلالتكم يمكن أن تخدم هدفاً مفيداً في مضيق مكة ، عندما لا تتعرض للتدمير لعوامل ذات أهمية أكبر ، ومن المؤسف أن الوثنيين الأوروبيين يخصصون أنفسهم باجتهاد ، ليس فقط لكسب "دينوي" بل لنشر عقيدتهم ، وما أقوله يحدث في كل أنحاء اليابان .

هم يفعلون الشيء ذاته في مملكة (Terriquim) وفي جميع الأماكن

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

الخارجية الأخرى ، وفي "الأراخبيل" الجنوبي وفي سيلان مؤخراً ، وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فلن تكون هناك حاجة للأساطيل للدفاع عن ساحل الهند والحاميات والمناطق المفتوحة .

إن ما أشار إليه الأب ، المذكور أعلاه ، مفيدٌ تماماً في وقت ظل العرب - بموافقة منهم وحدهم (ودون أي تشجيع) - يطردون الأتراك الذين كانوا يعيشون بين مداخل مضيق مكة وميناء سواكن ، ولم يبق الآن إلا قليل من الناس على ساحل الحبشة ، أي على جزيرة مصوع ، وتشير الرسالة والطلب إلى هذا ، وإلى حقيقة أن الأحباش يوافقون على دعمنا التعاليم المسيحية ، وأن البرتغاليين سيأتون للاستقرار في هذا المكان .

لا شك في أنهم إذا كان لديهم أي احترام أكثر لأساقفتهم والبطريرك ، أو حتى لأي عضو آخر في الأخوية ، فإن يطردونهم على النحو الذي فعلوه ، وعلى الرغم من ذلك ، إن الوقت غير مواتٍ في هذه الأنحاء للحماسة المسيحية لجلالتكم ، ولذلك يبقى فقط احتمال الاحتفاظ بها لحين فتح طريق للمسيحية ؛ لكي تسود وينتهي الكفر .

أدعو الله أن يطيل عمر جلالتكم لسنوات ؛ لما فيه خير ومصلحة المسيحية .

غوا السادس والعشرون من شهر نوفمبر عام ١٦٣٨م

"بيرو دا سيلفا"

أحداث عام ١٦٣٩م

قدمت قائمة بخرائط وأوصاف جميع القلاع والمدن والقرى الصغيرة المملوكة للبرتغاليين في دولة الهند الشرقية ، عام ١٦٣٩م : [١٠]

وصف قلعة صوفالا :

إن قلعة "صوفالا" هي الأولى التي يحكمها ملوك البرتغال بين رأس الرجاء الصالح على الطريق إلى الهند ، وتقع القلعة عند واحد وعشرين درجة جنوباً ونصف فرسخ أعلى النهر ، ويوجد عند مصب النهر الحيد البحري الرائع ، الذي يبلغ عرضه عشرين فرسخاً ، وطوله مائة فرسخ ، ويتبع الساحل من جزيرة "أنغوش" إلى رأس "بيما" ، ويمتد هذا الساحل إلى الشرق الجنوب الشرقي ويمتد جزء منه إلى الشرق .

تهب على هذه المنطقة ابتداء من شهر إبريل رياح جنوبية وجنوبية غربية ، وتهب عليها من ذلك الوقت فصاعداً رياح شمالية غربية ،

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

وتجري التيارات هنا دائماً عكس الريح ، وتتجه عادة إلى الجنوب ، والقلعة صغيرة ، ويوجد في القرية الصغيرة عدد قليلٌ من السكان .

في الماضي ، تسببت هذه القلعة في بعض النفقات تكبدها صاحب الجلالة ، ولكن هذه النفقات يتم قيدها حالياً على حساب قائد موزمبيق ، الذي يملك الحق في أن يحقق ربحاً منها .

يوجد في الكنيسة قس يتلقى راتباً قدره أربعون ألف "ريس" ، ويوجد على هذا الساحل بشكل أساسي الكهنة الدومينيكانيون .

تتم مزاولة التجارة على مسافة ستين فرسخاً من القلعة ، والسلعة هي العاج الذي يتم تبادله بالقماش ، وتتوفر البضائع بكثرة في وقت السلم .

أما الملك الذي توجد له حدود مع "صوفالا" فهو ملك "كونكاو" "Concao" ويدعى "Quitere Cafre" وهو وثني ، وكان يخضع في السابق لملك "مونوماتابا" ولكنه ثار مع البرتغاليين لصالحه ، وهو حرٌ حالياً ، ولديه حوالي عشرين ألفاً من الرعايا الزنوج ، وهم أقل شجاعة من غيرهم في تلك الأنحاء .

وصف أنهار كواما :

"كويليمين" هو أول ميناء عند الدخول لأنهار كواما ، على مسافة مائة فرسخ بطول الساحل من موزمبيق ، وهذا الميناء لسان البحر الذي يتدفق خلال نهر "زمبيزي" إلى البحر ، وهو الأصغر بين الاثنين اللذين يتدفقان إلى هنا ، ويتدفق الآخر إلى البحر على مسافة ثمانية عشر فرسخاً عند حاجز "لوابو" ، مروراً بجزيرة تحمل الاسم ذاته ؛ لأن النهر

يشكلها ، ويمكن الدخول إلى هذه الأنهار عبر كليهما ، ونقطة الانطلاق بالنسبة إليهما هي موزمبيق .

توجد في شهري أكتوبر ومارس قرارة رملية تشبه حيداً بحرياً في وسط هذا الحاجز ، ولفمه خمسة فروع يصل عمقها الأدنى إلى أربعة عشر باعاً ، وتبحر سفننا عبر القرارة الرملية لمسافة أربعة فراسخ ، إلى أن تصل إلى القلعة التي تسمى في اللغة المحلية "تشوامبو" ، وقد شيدنا هذه في أرض "بورور" ، وتم بناء القلعة من الخشب والأغصان المقطوعة ، وهناك خندق مائي عريض للاستخدام في أوقات المعارك .

هو مغطًى وبه جزر مغاصات (سوافي) مثل "خورفكان" ، وشكل القلعة - طبقاً لما يمكن مشاهدته - هو ستون خطوة مربعة ، وجدرانها من اللبن المحمص ، وتتراوح سماكتها بين أربعة عشر وثمانية عشر باعاً ، وهي منحدرة ، وهناك آبار مياه بالداخل .

تضم حامية القلعة ثلاثين إلى أربعين رجلاً ، ويصل إيراد إدارة الجمارك الواقعة في ساحة بناء السفن إلى مائتي "بارداوس" من "اللارينز" ، وهناك بساتين أشجار نخيل عائدة إلى الملك ، ويتم تقسيم ثمارها بين مائتين وخمسين عسكرياً ورؤسائهم الموجودين معهم في الحامية .

يملك المسلمون المقيمون هنا أيضاً أشجار نخيل ، ويزرعون الشعير والخضروات .

في صحار ، ينتشر صيد الغزلان والأيائل وطيور الحجل والحمام وطيور السماني ، وكانوا يصطادون الغزلان بالصقور ، وذلك بأن

يمسحوا أولاً قطعة لحم بوجه غزالة مروضة ؛ من أجل ضمان إرباكها كلها وإيقافها ، إلى أن يمسك بها الصيادون .

البضائع التي تتم المتاجرة بها هنا هي مماثلة للبضائع التي تتم المتاجرة بها في مسقط ، ويمكن القيام بالملاحة في جميع الأوقات ، ما عدا في شهري يناير وفبراير عندما يكون العبور صعباً ، ولا توجد مياه ضحلة على الساحل ، والأرض غير صحية بالمرة للأجانب .

صحار قريةٌ صغيرة قديمة للغاية ، وقد تم العثور في عام ١٦٠١م على كميةٍ كبيرةٍ من قطع عملات "Tiberivs Caesar" في إطلال الجدران ، وفي جزر المغاصات (سوافي) يوجد نشاط صيد اللائي الصغيرة للغاية .

وصف قلعة كلباء :

تقع قلعة كلباء على مسافة تسعة فراسخ من صحار طبقاً لما يمكن رؤيته ، وهي ليست بعيدة عن الشاطئ ، ويصل طولها إلى ست عشرة "bracas" مربعة ، واستولى على هذه القلعة من المسلمين الكابتن- الجنرال "روي فرير" "Rui Feriere" وكان يحكمها القاسمي ، وهو مسلم معروف للغاية ، وتتألف الحامية من قائد عسكر و"Lazcada" ، وثلاثين جندياً ، يحرسون حاجزاً دفاعياً على الشاطئ .

وصف قلعة خورفكان :

تقع خورفكان على مسافة ثلاثة فراسخ من كلباء ، واثني عشر فرسخاً من صحار ، وقد بنى هذه القلعة "جاسبار ليتي" "Gaspar Lite" في عام ١٦٢٠م ، وهذا هو أول خليج صغير كانت ترسو فيه الأساطيل القادمة من مسقط ؛ لأنه محميٌ من جميع الرياح ، وتتزود

الأساطيل بالمياه من هنا ؛ لأن الماء متوفر للغاية ، وهو أفضل ماءٍ في شبه الجزيرة العربية .

وصف قلعة مدحاء (Mada) :

تقع مدحاء على مسافة فرسخين إلى الوراء من خورفكان ، وقد بنيت- طبقاً لما يمكن مشاهدته- في الداخل لمسافة فرسخين عند سفح جبل قرب جدولٍ عذبٍ للغاية ، وهناك أشجار نخيل وأشجار فواكه بالقرب من قرية صغيرة بها ثلاثمائة مواطن ، يساعدون على الدفاع عن القلعة .

قد بناها "ماتيوس دو سيابرا" "Mathius do Ciabra" في عام ١٦٢٤م ، بناء على أوامر من الكابتن- "جنرال روي فرير" للدفاع عن الممر الذي كان العرب ، يبنونه للهجوم على القلاع التي على الشاطئ ، وتتألف الحامية من كابتن عسكر وثلاثين جندياً .

وصف قلعة البدية :

على بعد فرسخ واحد من شمالي خورفكان تقع قلعة "البدية" ، وكما يظهر ذلك على شطٍ محمي من الجنوب والجنوب الشرقي والشمال الغربي والشرق . سكانها حوالي مائتي مواطن ، وكان أسسها "ماتيوس دي سيابرا" في عام ١٦٢٣م بناءً على تعليمات من القائد "روي فرير" . تتكون القلعة من كابتن على العسكريين وعشرين جندياً .

وصف قلعة دبا :

تقع قلعة دبا على مسافة فرسخين إلى الشمال من بدية ، وهي سبع "bracas" مربعة وأربعة للارتفاع ، وتصل سماكة الجدران إلى أحد عشر

شبراً ، وهي مشيدة من الحجر والحجر الجيري ، وخارج القلعة يمتد سور به بريجات ويلتف حول المدينة ، وقد بني هذا السور من اللبن ، ويصل ارتفاعه إلى خمسة وعشرين شبراً .

في نهاية بستان نخيل قرب القلعة ، توجد قريةٌ صغيرةٌ تدعى "دبا" ، بها حوالي مائتي مواطن ، ويحيط بها أيضاً سور ، وبها قلعةٌ ذات موقعين حصينين .

في الاتجاه الآخر من "دبا" ، توجد "موكومبي" ، وفيها حوالي ثلاثمائة مواطن ، وغالبيتهم من البحارة ، ويحيط بها أيضاً سور به بريج ومواقع حصينة ، ويعيش أولئك القوم على السمك وثمار شجر النخيل ، ويتم صيد اللآلئ الصغيرة للغاية هنا .

كان القائد العام "روي فرير" قد استولى على هذه القرى الصغيرة من خميس- وهو مسلم - ، وقد ثار المسلم في عام ١٦٢٤م ، وبعد أن هدم "روي فرير" التحصينات القديمة ، أمر ببناء التحصينات الحالية بواسطة الكابتن "جاسبار ليتي بيريرا" "Gaspar Lite Perriera" ، وبهذه الطريقة اقترح "روي فرير" جعل الطريق إلى مسقط آمناً للملاحة عبر هذه القلعة .

وصف قلعة هرمز :

تقع قلعة هرمز على جزيرة في بحر الخليج الفارسي ، عند خط العرض سبع وعشرين درجة شمال ، وقد أسس القلعة القائد الذي لا يقهر الكابتن "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" في عام ١٥٠٩م ، وقام صاحب الجلالة بتعيين قائدٍ لها .

توجد بها حامية من الرجال والمدفعية الضرورية للدفاع عنه ، ومسؤولون للعدل والخزانة ، ويخضع الناس لإدارة كمدينة ، ويوجد فيها "house of Misericordia" ومستشفى ، ويوجد في المجال الكنسي كاهن عام في الكنيسة الأم ، ودار للجمعية الاوغسطينية .

على الرغم من أن ملك هرمز يحكم دولته بنفسه ، إلا أنه من رعايا وأتباع ملك البرتغال .

يعتبر الميناء واحداً من موانئ التجارة الكبرى من شبه جزيرة العرب وفارس والبصرة وأرمينيا وتركيا والبندقية من خلال حلب .

وتتردد سفن القرقور التابعة لتلك الدولة على الميناء ، ويعود هذا إلى وجود تجارة هامة في الخيول ، وأنواع فاخرة من الحرير والسجاد ، وسلع كثيرة أخرى .

وصف مدينة البصرة :

تقع مدينة البصرة على مسافة اثني عشر فرسخاً أعلى نهر يحمل الاسم ذاته ، قريباً من قلعةٍ تسمى شط العرب ، ويقيم في المدينة عربٌ مسلمون ، وهي مزدحمة بالسكان .

يعتبر دخول ميناء المدينة صعباً للغاية ، ولذلك فهناك حاجة لمرشدين مهرة لدرجة كبيرة .

هي مدينة ذات تجارة عظيمة ؛ بسبب القوافل التي تأتي إلى هنا من حلب ، وتجيء هذه القوافل بكميات كبيرة إلى حد أنها تنقل البضاعة إلى جميع السفن على الجزيرة .

عرب البصرة ممتلؤو الأجسام وبيض البشرة ، ولكنهم ضعفاء وجبناء ، والأرض هناك خصبة للغاية ، وتوجد هنا جميع فواكه البرتغال ، وتتوفر أنواع كثيرة من النبيذ ، وأرض مخصصة للسفرجل ، وسعر المسك عالٍ للغاية ، وهو باهظ التكلفة إلى حدٍ بعيد .

توجد في النهر ثلاث جزر كبيرة للغاية ، يصل طولها إلى ستة فراسخ وعرضها إلى نصف فرسخ ، وهي شديدة الخضرة ، وبها فواكه كثيرة وحقول عظيمة ، تزرع فيها محاصيل البذور وبساتين نخيل كثيرة .

تعتبر إدارة جمارك البصرة الأفضل في اتخاذ موقف ودي من البرتغاليين ، ولدينا في البصرة كنيستان : إحداهما للكرمليين ، والأخرى للأوغسطينيين ، الذين يمنحون الأسرار المقدسة للبرتغاليين الذين يقيمون هنا .

تتاخم مملكة "بامبارو" "Bambaro" البصرة ، وهي تخضع لفارس ، ولكن جميع السكان مسيحيون ، وهم يعمدون أنفسهم في النهر ، وهم يقولون أنا أعمدك" كما عمد يوحنا المعمدان المسيح ، وهم جميعاً حرفيون وصاغة وحدادون ونجارون وصانعو سيوف .

أما النساء فهن محتشمات ، وأما المتزوجات منهن ، فإنهن يخرجن إلى النهر عندما يتزوجن ، وقد كشفن عن أجسادهن من منطقة الخصر إلى أسفل ، وهناك يضعن أعناقهن مع عنق الزوج ، ويلمسنه بعصا راع صغيرة ، ويبقى الزوجان منفصلين لمدة شهر ومن ثم يلتئم شملهما بحفل مماثل .

يجري فرع من النهر من البصرة إلى مدينة القطيف التي يحصل

على اسمه منها ، وتقع المدينة في شبه جزيرة العرب (Arabia Felix) قرب جزيرة تدعى (تنورة) ، مقابل المياه الضحلة ، وهناك بضائع قليلة ؛ لأن الباشا وأبناءه هم التجار .

أما الأصناف التي يتم استيرادها إلى هناك ، فهي الملابس من السند و"كامباي" "Campay" .

أما الصادرات ، فهي أفضل الخيول في الشرق ، والكثير من اللآلئ الصغيرة ، وبعض التمور .

في الجزء الداخلي ، توجد قلعةٌ تسمى الأحساء ، حيث توجد أفضل الخيول ، وينصاع باشا القطيف للأتراك .

وصف "كنغ" :

يقع ميناء "كنغ" على الساحل المكشوف في فارس ، على مسافة ستة وثمانين فرسخاً من مسقط ، وعلى هذا الشاطئ توجد قرية صغيرة يقيم فيها حوالي مائتي مواطن من الفرس والعرب ، وآخرين يعيشون بطول هذا الشاطئ ، في خيام من قماش القنب .

يوجد لدى البرتغاليين وكيل تجاري هنا .

البضائع المستوردة إلى هنا هي الملابس ، وجلود الحيوانات ، والنيلة ، والسكر ، والقنب .

في مقابل هذه البضاعة ، الفضة والذهب والزبيب الأبيض والخوخ واللوز وماء الورد و(mauna) وعشب الرواند والحرير الخام والحلي الصغيرة الذهبية والفضية والتفتة وقماش وسجاد من وبر الجمال من "ديو" ، وهي مدينة في فارس .

في أصفهان ، وهي بلاط الشاه ، يوجد للبرتغاليين دير كرملي ودير أوغسطيني ، ولا يوجد لإدارة الجمارك دخلٌ ثابت ؛ لأن المسلمين لا يدفعون الرسوم كاملة أبداً ، والآن ، وبسبب قلة الإيرادات ، تركنا جميع أراضي ساحل شبه جزيرة العرب .

وصف الرحلات إلى السند :

تقع السند على مسافة مائة وثلاثين فرسخاً من مسقط ، على ساحل فارس عند مصب "إندوس" "Indus" ، ويحدها هذا النهر من الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وتوجد بينهما قناة يصل عمقها إلى قامتين (اثني عشر قدماً) ، وعند المياه الضحلة يصل عرضها إلى ثمن فرسخ .

تمتد القناة إلى القرارة الرملية في "دوبا" "Doba" ، ويوجد للنهر مصبٌ آخر بين جزيرتين يطلق عليهما اسم "مونيراس" "Moneras" ، على مسافة ثمانية فراسخ إلى الغرب ، يوجد مصب آخر يدعى "دارايا" "Daraia" عند رأس قرارة "دوبا" الرملية ، ولا تستطيع السفن الضخمة أن تدخله ، وليس بالإمكان الإبحار فيه لمسافة الفراسخ الأربعة الأولى ، حيث توجد إدارة الجمارك التابعة لنا ، وتوجد هناك بلدةٌ كبيرة .

من هنا وباتجاه منبع النهر ، تستطيع السفن الإبحار ونقل البضائع إلى مملكة السند التي يوجد بها سكان يعيشون في مائة وخمسين ألف منزل ، ويخضعون حالياً إلى المغولي ، وكل الذي تحتاجه الهند مرفأه الأمامي والإمدادات مثال : الذهب والفضة واللؤلؤ والتمور وجوز الهند والنحاس والقطن .

أما البضائع التي يتم تصديرها فهي النيلة والسكر والأفيون .

البلاد غنيةٌ للغاية بالمواد الغذائية واللحوم ، وهم يصنعون ملابس كثيرة ، إلى حد أن هناك ثلاثين ألف نول في السند ، ويتم تحميل كل ذلك على كثيرٍ من السفن التي تزور ذلك الميناء ، وهناك سفن تحمل بضائع قيمتها أربعمائة ألف "Patacas" .

لدينا كنيسة كرملية في هذه المدينة ، وهي تخدم البرتغاليين فقط ، إذ إن أحداً من هذه البلاد لم يتحول إلى المسيحية ، ولدينا في الميناء دير أوغسطيني يعتمد على الصدقات .

لصاحب الجلالة وكيل تجاري هنا لا يتلقى راتباً ، خلافاً لتلقيه نسبة مئوية محددة من قيمة البضاعة ، وله الحق في أن يصنع النبيذ ، وهو يصنعه من الجكر ولحاء شجرة تسمى "جوتو" "Joto" .

وصف كوتش :

يقع ميناء "كوتش" على مسافة خمسين فرسخاً وراء النهر (دارايا Daraia) ، وهناك أنهارٌ كثيرة وقرى صغيرة يحكمها ملك هندوسي يدعى "راجبوت" ويخضع للمغولي .

يستورد هذا الميناء الشاي والتمور وجوز الهند ولب جوز الهند المجفف وبذرة الفوفل والصدفات الصفراء والفلفل ، ويصدر القطن والحديد والزبدة والزيت والحنطة والـ "moong" والقمح وبضائع السوق والخيول .

وصف (نجفة) :

على مسافة ستين فرسخاً من "كوتش" ، بطول هذا الجون وعند نهايته ، يوجد نهر نجفة الذي يوجد في الشمال ، وتوجد هنا قرية صغيرة تحمل الاسم ذاته .

تصدر من هذا الميناء البضائع ذاتها التي تصدر من "كوتش" ، ولكن بدرجة أكبر بسبب خصائص السكان الوطنيين .

إلى الجنوب من هذا الجون ذاته توجد ثماني جزر يقطنها السانجانيين (Sanganes) والهندوس الذين يعيشون على النهب .

وصف جزيرة البحرين :

تقع جزيرة البحرين على الساحل ذاته الذي يقع فيه ميناء القطيف ، ولكنها تقع إلى الجنوب الغربي ، وهناك مياه ضحلة كثيرة حولها ، ولذلك يمكن للسفن التقدم نحوها نهاراً بوجود مرشدين أكفاء .

هي جزيرة خضراء وخصبة للغاية ، ولكنها غير صحية فيما يتعلق بمياهها التي تمر عبر مناجم كبريت ، وتوجد المياه العذبة على مسافة قامتين (اثني عشر قدماً) أسفل الماء المالح ، ولا يختلط الاثنان أبداً .

تخرج المياه العذبة إلى السطح عبر ينابيع مختلفة كثيرةٍ تدفع الماء إلى السطح بقوة كبيرة ، ويتم جلب الماء داخل أوعية جلدية يتم وضعها بقوة كبيرة ، وبحيث يكون الفم إلى أسفل ، وذلك حتى لا يجرفها الماء المضطرب ، ويدخل فيها الماء المالح .

في الجزيرة قلعتان فيهما حامية من الفرس ، ويتلقى خان شيراز- الذي تتبع الجزيرة له- أرباحاً طائلة من الجزيرة ، ويدفع إلى ملك فارس ثمانين ألف "Patacas" كجزية ، مقابل صيد اللؤلؤ الذي تتجمع ستمائة سفينة من أجله .

صحار :

وصف قلعة صحار : تقع قلعة صحار على ساحل شبه جزيرة العرب ،

عند أربعة وعشرين ونصف درجة شمال خط الاستواء ، وعلى مرمى حجر من طرف البحر ، ويوجد الميناء في وسط جون واسع ، وكأنه في مركز قوس طوله حوالي أربعة وعشرين فرسخاً ، ويجب تخيل نقطةٍ واحدةٍ باعتبارها جزر سواج (Suauj) ، والأخرى في مكان يسمى خورفكم ، ويبعد مسافة اثني عشر فرسخاً أخرى من صحار إلى شمال الشمال الغربي .

شكل الميناء مربع تام ، مع أربعة حصون عند الزوايا الأربع ، ومع ممرات وكوات ، حتى تستطيع حماية بعضها البعض .

تتميز الجدران أيضاً بنوع من الدفاع ، يسميه الفرس "bugios" (كوات إطلاق القذائف) ، وهي دروع من الطوب الطيني المدعوم بالخشب من الخارج ، مع فتحات مواجهة لقاع الجدار ، من أجل الدفاع بهذه الطريقة عنها من أي شيء يحاول الوصول إلى الجدار بالسهام وبنادق المسكيت وقدور النار ، وجميع الأنواع الأخرى من أسلحة الرمي .

هذه الدفاعات قويةٌ للغاية ضد أي شيءٍ خلاف المدفعية الثقيلة ، وعلاوة على ذلك ، توجد فتحاتٌ كثيرةٌ يمكن القتال من ورائها دون أن يرى المهاجمون المدافعين .

يوجد خارج القلعة حصنٌ أماميٌ مربعٌ ملائم للقلعة به حصون ، وتم بناء كنيسة ضخمةٍ بالداخل تكفي لاستيعاب خمسين أو ستين شخصاً ، ويوجد فيها راهب أوغسطيني ، وهناك مخزن أيضاً تحفظ فيه التمور والأرز للعسكريين ؛ حتى يحرسوا أسوار القلعة ، ومن الحصنين المواجهين للبحر ، يمتد السوران حتى الشاطئ ومكان التنزيل ، مع متاريس ، وذلك حتى لا يعوق شيء المساعدة القادمة من البحر .

توجد بهذه القلعة ستة مدافع للحصنين ، وهي صغيرة ، بما في ذلك "camelete" نحاسي ومدفع حديدي يطلق قذائف زنة ثمانية أرطال ، وأما البارود المحفوظ هناك فهو في براميل زنة عشرين إلى اثنين وثلاثين "almud" وأربعة أو خمسة قناطير من الرصاص طبقاً لاحتياجات الحرب عندما تنشب .

(هناك ملفات مفقودة من المجموعة الأولى)

يتراوح عدد المقيمين في الحامية هناك بين ثلاثين وأربعين جندياً برتغالياً ، مع قائدٍ يشار إلى راتبه ، وبدل السكن الذي يتقاضاه في الحسابات أدناه .

تأتي عائدات هذه القلعة فقط من الشهبندرية ، وهي أشبه بإدارة جمارك على الشاطئ ، وهي تحقق عائداً يتراوح بين مائتين إلى ثلاثمائة "بارداوس" "parados de larins" ، ويتم استخدامها لإعادة بناء الأسوار ، وتلك الأعمال المستمرة .

يوجد بها أيضاً بعض بساتين أشجار النخيل المحفوظة باسم صاحب الجلالة ، بعد مصادرتها من سكان صحار ، الذين وقفوا إلى جانب العدو في الحروب السابقة .

يتم توزيع هذه البساتين بين مائة وخمسين عسكرياً ، وقادتهم الذين يعملون أيضاً كحامية ، ويحصلون على الراتب ذاته ، كما هو موضح بالنسبة لمسقط .

عموماً ، فإن الإمام المذكور آنفاً ، بنى قلعةً بالقرب من القلعة

البرتغالية ؛ حتى لا نتمكن من السيطرة على أشجار النخيل ، وبالتالي ، فإن جميع نفقات هذه القلعة تدفعها إدارة جمارك مسقط .

يملك السكان المسلمون الوطنيون في صحار عدداً كبيراً من بساتين النخيل ، ويعتبر التمر طعامهم الاعتيادي ، وتوجد بين هذه البساتين حقول شعير وبعض الخضروات ، ووراء بساتين النخيل توجد مساحة مكشوفة يحولونها إلى حقول أيضاً ، ولكن عددها ليس كبيراً ؛ بسبب خوفهم من الهجمات التي تشنها عليهم عصابات اللصوص .

يوجد في البلاد الكثير من الصيد ، مثل الغزلان والأيائل وطيور الحجل والحمام والسمائي ، وهم يصطادون الغزلان بالصقور ، حيث يضعون اللحم أولاً على كمامة صقر مروض ؛ حتى تعتقد الطيور أنها برمتها تملكها ، ومن ثم يطلقون الطيور ويقيدونها إلى أن يأتي الصيادون .

ثمار البلاد شبيهةٌ بالثمار المتوفرة في مسقط ، إذ إنه امتدادٌ طويلٌ لساحلٍ واحدٍ كما قلنا ، ويمكن ترتيب صيد اللؤلؤ الذي يتم هنا قبالة جزر سواي ، ويكون هذا ناجحاً للغاية في بعض الأحيان ، على الرغم من أن العكس يكون صحيحاً أيضاً .

لا يوجد تيارٌ في هذه المياه ، ولكن هناك رياحاً موسميةً في الصيف والشتاء ، وهناك إبحار في كلا الموسمين ؛ لأن رياح الصين لا تجلب مطراً مستمراً ، وعندما تكون هناك عواصف ، يبحر المرء وفقاً لاتجاه الريح ما دامت الريح غير متعامدة ، حيث يكون الإبحار بطول الساحل خطيراً ، ويحدث هذا عادة في شهري يناير وفبراير .

في بقية الوقت تهب الريح بطول الساحل ، سواء ريح الشمال

"Xamal"- وهي ريح شمالية شرقية- أو ريح الـ "Cauxi"- وهي ريح جنوبية- كما تم إيضاحه ، ولا توجد مياه ضحلة أو سلاسل صخور قرب سطح الماء أو أي شيء تخشاه السفن ، ولكن يتعين عليها فقط أن تنتبه للاتجاه الذي تسلكه .

البر ليس صحياً للأجانب ، وأكثر الأمراض شيوعاً حمى الربع ، وأنواع أخرى من الحمى ، وهذه الأمراض ليست فتاكة للغاية ، على الرغم من أنها كانت كذلك في الماضي ، ويمكن التغلب عليها بأدوية قليلة ؛ ونظراً إلى عدم وجود الأمراض في البلاد ، يتمتع الوطنيون بصحة جيدة للغاية .

تكشف الأطلال الموجودة داخل قلعة صحار أنها كانت في وقت من الأوقات ضخمة وفخمة للغاية ، ويظهر مدى قدم القلعة من خلال العثور في الشرفات في حوالي عام ١٦٠٠م على كمية من القطع النقدية الذهبية من عهد الإمبراطور "تيبيريوس" "Tiberius" .

(Fo 135r) ، ويوضح عددها أنه كانت هناك مستعمرة رومانية هنا ، أو أنهم كانوا هنا لفترة طويلة من الوقت ، ولا شك هناك أيضاً أنه في عهد نبي المسلمين ، جاء كثيرٌ من المحاربين من صحار ، التي كانت واحدةً من أكبر مدن شبه جزيرة العرب بسبب موقعها ، وبسبب البلاد المكشوفة الشاسعة التي تمثل منطقةً تابعة لها .

مصروفات صاحب الجلالة على هذه القلعة هي كالتالي :

يتلقى قائد صحار راتباً قدره أربعون "Oarados" كل ثلاثة شهور ، ويعني هذا ثمانية وأربعين ألف "ريس" في السنة = مائة وستون "أشرفياً" .

يحصل كل واحد من الأربعين جندياً في الحامية البرتغالية على عشرة بارادوس "parados" للسكن ، في كل ثلاثة شهور وتسعة ونصف "لارينز" ونصف "Fordo" من الأرز شهرياً كتموين ، وهذا يساوي مليوناً ومائتين واثنين ألف وأربعمائة "ريس" في السنة : = أربعة آلاف وثمانية "أشرفي" "xerafins" :

يتلقى كل واحد من المائة وخمسين عسكرياً ثمانية ونصف "Larins" شهرياً ، ويعني هذا تسعمائة وثمانية عشر ألف "ريس" في السنة = ثلاثة آلاف وستون "xerafins" :

يصل إجمالي النفقات من خزانة صاحب الجلالة لتغطية مصاريف هذه القلعة في كل سنة ، إلى مليونين ومائة وثمانية وستين ألفاً وأربعمائة "ريس" = سبعة آلاف ومائتين وثمانية وعشرين "xerafins" :

البحرين :

وصف جزيرة البحرين والرحلات التي جرت هناك : تقع جزيرة البحرين هذه أيضاً قبالة ساحل القطيف ، ولكن توجد في الاتجاه الجنوبي الغربي مياهٌ ضحلة كثيرة ، وقبل مسافةٍ من الوصول إليها ، فإن الإبحار إليها يتطلب وجود مرشدين جيدين للغاية للإبحار نهاراً .

الجزيرة ذاتها خضراء وخصبة للغاية ، وحافلةٌ ببساتين النخيل والكروم .

تنتشر الأمراض هناك ؛ لأن المياه كبريتية ، وللحصول على الماء العذبة يحملون أكياس هواء إلى البحر للينابيع ، حيث ترفع "two bracas" من الينابيع التي تنفجر بقوة عظيمة إلى أعلى عبر المياه ، ومن المهم الإمساك بفتحات أكياس الهواء جيداً ؛ حتى لا تتحرك وتمتلئ بالماء

المالح ، ويبعد أبعد ينبوع منها نصف فرسخ عن الجزيرة ، ولكن هناك ينابيع أخرى قريبة للغايةً .

توجد على الجزيرة قلعتان للمسلمين يحميها الفرس ، والقلعتان قويتان ومجهزتان جيداً ؛ لأن خان شيراز- الذي تتبعان له- يهتم بهما كثيراً ، وهو يحتفظ بهما الآن من ملك فارس ، ويدفع له ثمانية آلاف "Patacas" كجزية من صيد اللؤلؤ وحده .

يتم نقل هذا اللؤلؤ في مراكب صغيرة تتجمع معاً بأعداد كبيرة ، تصل في بعض الأحيان إلى ستمائة مركب ، حيث تبدأ البحث عن الـ "Chipo" ، أو محارة اللؤلؤ ، في المياه الضحلة بطول الجزيرة ، وفي كثير من الأحيان يهاجمها أسطولنا ويدمرها ، ويأسر من عليها ويقتلهم .

نحن لا نتعامل تجارياً بشكل مباشر مع الجزيرة ، على الرغم من أن برتغالياً توجه في إحدى المرات ومعه تسعة عشر فردوساً "fardos" من القماش ، حاملاً فرماناً من الشاه ، وآخر من الوكيل التجاري في "كنغ" ، بأن على أساطيلنا ألا تؤذي المراكب "a terrada" التي تخص الـ "Nikils" أبحر فيها من ذلك الميناء .

في كل أنحاء شبه جزيرة العرب ، من رأس الحد وحتى البصرة ، وعبر المضيق داخل فارس ، لا توجد لدى الأعداء الأوروبيين تجارةٌ عن طريق البحر ، ويمارس جميع أنواع التجارة البرتغاليون ، ويعيش العرب في صداقة معهم ، ويلتزمون بالقوانين ؛ لأنهم يتقيدون بتعاليم محمد ، ونادراً ما يتحول أحدٌ عن دينه إلى عقيدة سيدنا المسيح .

وفي العام نفسه (١٦٣٩م)
دوّن وصف المدن (مسقط وهرمز) والقلاع المملوكة لصاحب الجلالة من رأس الرجاء الصالح فصاعداً، وخطوط العرض التي تقع عندها والأهالي على حدودها، عام ١٦٣٩م: [١١]

تقع قلعة مسقط في شبه جزيرة العرب عند ثلاث وعشرين درجة، وكان القائد الأول والمؤسس للقلعة هو "بيلشيور كالاسا" "Belchior Calasa".

هناك كنيستان في القرية الصغيرة وأخرى في القلعة.

تزاول القلعة تجارتها الرئيسة مع جيرانها العرب.

تقع قلعة هرمز في مضيق البصرة، بين شبه جزيرة العرب وفارس عند خط العرض سبع وعشرين درجة، وقد بناها "أفونسو دو البوكيرك" العظيم، وتجارتها مشهورة.

توجد ثلاث كنائس داخل القلعة وثلاث رهبان، والكنائس هي

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

كنائس القديس بطرس والـ "Misericordia" ، وخارج القلعة يوجد لها خمسة ، علاوة على مستشفى الملك ، أي دير السيدة العذراء ، ويوحنا المعمدان ، وسيدة الآلام ، وسيدة الأمل ، والقديس لوقا ، وهناك كمية كبيرة من المدفعية والمؤن .

وفي العام نفسه (١٦٣٩م)

دوّن وصف القلاع حول بحر عمان والطريق إلـى الهند ، بتاريخ ١٦٣٩م : [١٢]

ملاحظة :

النص مأخوذ في كثير من الأحيان من نص "Resende" ولكنه مختصر إلى حد كبير ، والمشاكل التي لم يتم حلها موضوعة بين أقواس مربعة .

****

القياسات المستخدمة في الوثيقة :

Braca = ٢,٢ م .

Palmo = تترجم إلى "شبر" = ٠,٢٢٥ م .

Passo de andar = تترجم إلى "خطوة عسكرية" = ٠,٧٥ م .

Passo geometrieo = تترجم إلى "خطوة هندسية" = ٥ أقدام

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

"أنطونيو دي ماريز كارنيرو"

"Antonio de Maris Carneiro" : "Descripcam da Fortaleza"

خورفكان :

تقع خورفكان على مسافة اثني عشر فرسخاً من صحار ، ويصل طول الأسوار إلى اثني عشر "Bracos" ، ويصل طول السور القائم بطول الشاطئ إلى تسعة أشبار ، وارتفاعها إلى خمسة "bracos" ، وقد شيدها "جاسبار ليت" في ١٦٢٠م ، وهناك اثنا عشر عسكرياً مع "mocadao" ، وهو القائد .

الماء الموجود فيها هو الأفضل في شبه جزيرة العرب برمتها .

كلباء :

توجد قلعة كلباء في الجزء الداخلي على مسافة ثلاثة فراسخ من خورفكان ، ووسط بعض أشجار النخيل ، ويبلغ طول كل سور خمسة عشر أو ستة عشر "bracas" ، وهو مشيدٌ من الطوب الطيني ، ويصل عرضه إلى شبرين ونصف ، ولا توجد به متاريس ، وارتفاعه أربعة "bracas" ، وتتألف الحامية من ثلاثين عسكرياً وقائد ، وقد تم الاستيلاء عليها ؛ لأنها تخص ملك هرمز .

البدية :

تبعد البدية على مسافة فرسخ واحد من خورفكان إلى الشمال بطول الساحل مع خليج من الجنوب والجنوب الغربي والشمال الغربي ، ويصل ارتفاع الأسوار إلى اثنين ونصف "bracas" ، وتم الاستيلاء عليها في ١٦٢٣م ، وبها حاميةٌ تضم عشرين عسكرياً وقائداً .

مدحاء :

تقع مدحاء في الجزء الداخلي على مسافة فرسخين من خورفكان ، على ضفة نهر ماؤه عذب للغاية ، وعلى مسافة طلقة بندقية مسكيت من سفح الجبل ، ويوجد فيها الكثير من بساتين النخيل ، والكثير من الثمار ، وقرية بها ثلاثمائة نسمة ، وتم الاستيلاء عليها في ١٦٢٤م ، وبها حاميةٌ من ثلاثين عسكرياً مع قائد .

دبا :

تبعد دبا مسافة فرسخين عن بدية بطول الساحل إلى الشمال ، ويبلغ طول كل امتداد من السور سبعة Bracas وارتفاعه أربعة bracas وسماكته أحد عشر شبراً ، وهو مشيدٌ من الحجر وبه متاريس .

ويصل طول الأسوار المحيطة خارج القلعة خمسة وعشرين "bracas" ، وارتفاعها اثنين ونصف "bracas" ، وتم بناؤها من الطوب الطيني ، ويصل ارتفاع الجدار الذي يحيط بالمدينة إلى ارتفاع السياج ذاته الذي تم تشييده من الطوب الطيني أيضاً ، ويوجد بها أكثر من ألف ساكن ، وهم جميعاً من العرب المسلمين .

يوجد في القلعة تسعة مدافع صغيرة ، "Falcoes، half- falcoes and bercos" ، وهناك ثلاثون عسكرياً وقرية يقطنها مائتا ساكن ، وتم الاستيلاء عليها في عام ١٦٢٤م .

ديو :

تقع هذه القلعة على جزيرة قبالة البر الرئيس لمملكة "غوجارات" ، ويصل ارتفاع أسوارها إلى ستة أقدام ، وعرضها اثنا عشر ، وسمك المتاريس ستة أشبار ، وكلها مشيدةٌ من الحجر والحجر الجيري .

أما فيما يتعلق بالحجم ، فإن طول امتداد السور على الجنب باتجاه البر الرئيس يبلغ مائة وتسعة وعشرين "bracas" ، دون حساب دائرة الحصون المثلثة الثلاث ، التي تقف بارزةً من الأسوار ، وتوجد في قلعة ديو هـــذه خمـــس وعشـــرون قطعةً مدفعـــية ثقيـــلـــة : "esperas" ، "basiliscos" ، "Camelos" ، والبعض منها من الحديد ، ومن بينها "espalhafato" عند البوابة ، ولكن غالبيتها من البرونز ، وهي موزعة بين الحصون والمتاريس .

يوجد بها صهريج ماءٍ داخل القلعة ، يمكنه أن يحفظ أربعة وعشرين برميلاً كبيراً ، وهناك عدة صهاريج أخرى بالخارج .

يوجد في الحامية ثلاثمائة وخمسون جندياً يتلقون رواتب ثابتة ، وهي نفقاتٌ كبيرةٌ ، حيث يتلقى معظمهم ثلاثةً وخمسين أو أربعة وخمسين "Parados" في السنة ، وبالتالي فإنهم يكلفون أكثر من الإيراد السنوي ، ألفان وأربعمائة "bracas" ، وهناك ستون "casados" برتغالياً في المدينة .

والبحار هنا مضطربة للغاية ، مع تيارات مدٍ وجزرٍ تجيء وتذهب بقوة عظيمة ،

هي (ديو) ، موجودة في أرض المغولي الذي يملك في الوقت الحاضر ستين مملكة ، وتوجد عاصمة في مملكة "أغرا" ، وهي تمتد إلى الشمال مع الفرس والتارتار ، وإلى الجنوب أيضاً ، وعلى المحيط مملكتا مليك وعادل شاه ، ومملكتا "أراكان" و"بيجو" "Pegu" .

إلى الغرب توجد ممالك هندوسية تدعى "سانالاكابرا باتات" ،

وتعني (ألف ومائتا جبل) ، حيث يوجد الهندوس الذين يطلق عليهم اسم "تافوس" (tavus) ، والذين يملكون جميع المعادن التي أوجدتها الطبيعة في أجزاء وأراضٍ عدة .

جميع العقاقير التي تأتي إلينا من "كامباي" ، المنطقة الأخرى ، ما دامت جميع الحصون كلها مختلفةً ، وواحد مرفوع على متراس بواسطة البحر ، ويمتد جدرانٌ إلى خط الماء ، وينتهي كل واحد في حصن دائري عند طرف البحر ، وفعلياً على الشاطئ .

خورفكان :

كانت هذه واحدة من القلاع الصغيرة في النظام الدفاعي لمضيق هرمز ، ولم يكن طول الأسوار يتجاوز اثنتي عشرة "bracas" ، وطبقاً للنص فقد بناها "جاسبار ليت" .

هي ذات تصميم مثلث الشكل ، ولها جانبٌ واحدٌ موازٍ للبحر ، وهناك حصونٌ ذات أضلاعٍ كثيرةٍ حيث تلتقي الجوانب ، وفي الوسط ، كان هناك برج ، وربما كان قديماً ، من طراز عربي ، كان يمكن استخدامه كبرج مراقبةٍ ، مثل الأبراج المحصنة القديمة .

كلباء :

ورد ذكر كلباء بالفعل فيما يتعلق بمسقط ، ولم تكن أكثر من معقلٍ مكمل لتلك القلعة الهامة للغاية ، وتقوم بالقرب من الشاطئ على خليج ، ويكاد يكون تصميمها كله مربعاً عادياً ، وتقوم أسوارها بزوايا قائمة ، أو بموازاة البحر مع الحصون العادية عند الأركان .

هناك سور آخر ، به حصون دائرية أصغر من الحصون كثيرة

الأضلاع ، التي كانت بمثابة خط دفاع أول باتجاه الداخل ، حيث تبدو هناك مجموعات صغيرة من المنازل المحلية ، وتتميز هذه الرسومات دائماً بأنها تخطيطية وتقليدية ، إلى حد أنها بالكاد تشير إلى عددها أو موضعها الفعلي بالنسبة للقلعة ، وفي هذه الحال ، من اللافت الإشارة إلى أن هناك منطقةً واسعة بعيدة عن المنازل والنباتات مقابل السور ؛ لمنع وقوع هجوم مفاجئ .

بدية :

تقع بدية قرب القناة التي تمر خلال مضيق هرمز ، وقد دافعت عن خليج صغير يؤوي سفناً برتغاليةً بالتأكيد .

يوضح المؤلف لنا أنه تم الاستيلاء عليها في عام ١٦٢٣م ، وأن ارتفاع أسوارها لم يزد عن اثنين ونصف bracas ، وكان في أحد حصون الأركان على جهة البحر متراسٌ حصينٌ آخر ، ويبدو من المرجح أن القائد كان يقيم فيه .

توضح الخريطة العامة للقلعة أنها مستطيلةٌ ، وبها حصون عند الأركان ، كما هو مألوف في تحصينات المدفعية هذه ، ولكن كان هناك حصنٌ إضافيٌ على كل جانب من الأسوار الطويلة بزوايا قائمة بمواجهة البحر .

مدحاء :

تتطابق خريطة قلعة مدحاء مع خريطتي قلعتي كلباء وصحار ، بما في ذلك التراس الداخلي ، ويقول لنا المؤلف إنها تقع على مسافة فرسخين في الجزء الداخلي قرب نهر ، كما هو موضح في الرسم ، وقد تم الاستيلاء عليها في عام ١٦٢٤م ، وتقع في وسط منطقة بها مياه جيدة ونباتات كثيرة .

تتميز القلعة ذاتها بخريطة مربعة عادية ، بوجود الحصون العادية عند الأركان ، وجدران عريضة ذات فتحاتٍ لإطلاق النار ، ويمكن من أحد الأطراف رؤية المباني القوية التي ربما شكلت مسكن القائد ، وكالعادة ، فإن الرسم تقليديٌ للغاية ، ولا يمكن التوصل لاستنتاجاتٍ كبيرة منه .

دبا :

تقع دبا على الساحل الشمالي لمضيق هرمز ، وكانت أول قلعةٍ برتغالية في هذه المنطقة ، وكانت تهيمن على الطرق الممتدة من الداخل وتحميها ، وكما يمكن رؤيته من الرسم ، فإن نظام تحصيناتها كان معقداً بشكل استثنائي ، حيث كانت هناك قلعة أو متراس رئيس لا يختلف كثيراً عن تلك المتاريس التي شوهدت من قبل ، وهو مستطيل الشكل ، وبه حصون دائرية عند الأركان .

تم لاحقاً بناء خط دفاعات مواز آخر ، حيث بقيت هناك مساحة واسعة بينها ، جسد الرسام فيها بنيات غريبة لم نتمكن من تحديدها ، ولكنها بدت وكأنها أبراج صغيرة .

أخيراً ، كانت جوانب القلعة محمية بسور محيط غير منتظم ، وتبدو هذه الأسوار أدنى ارتفاعاً ، وتوجد فيها حصون دائرية تتغير لتصبح ذات زوايا تتشكل عند نقاط التقاء اثنين من امتدادات السور ، وهو أمرٌ أقل ما يقال عنه إنه شاذ .

هناك سياج مسور آخر مفتوح باتجاه البحر ، ولكن دون أن يكون له اتصال مباشر مع الأسوار التي تحيط بالقلعة الرئيسة .

كما يوضح لنا المؤلف ، فقد بنيت القلعة من الحجر ، ولكن الأسوار

المحيطة بها مبنية من اللبن ، وكانت للقلعة "دوبو" حاميتها الخاصة بها ، وكان في القرية التي داخل الأسوار حوالي ألف ساكن .

يضيف أن القلعة تم الاستيلاء عليها في عام ١٦٢٤م .

لابد أن البنية كانت عربية الأصل بشكل أساسي ، وربما أعيد بناؤها أو تحسينها بواسطة البرتغاليين .

"بدرو باريتو دي ريسندي" "Pedro Baretto de Resende" : قلاع وحصون الهند الشرقية :

كلباء :

وصف قلعة كلباء : على مسافة تسعة فراسخ من صحار ، وقبل الوصول إلى خورفكان بثلاثة فراسخ ، توجد قلعة كلباء ، وهي جزء داخلي يبعد مسافة مدى قذيفة مدفعٍ وسط بعض أشجار النخيل .

هي مربعة ، يتراوح طول كل جانبٍ بين خمس عشرة وست عشرة "bracas" ، ولها أربعة حصون عند الأركان ، وكان واحد منها يخدم البوابة كفارس .

هناك حصنان آخران حول القرية للدفاع عنها ، وتفصل بينهما مسافة طلقة بندقية مسكيت ، وقد شيد سور القلعة من الطوب الطيني ، وبني وفقاً للأسلوب الإسلامي .

هناك إضافة إلى ذلك ، حصنٌ صغير على الشاطئ ؛ للدفاع عن صيادي السمك .

تتألف حامية القلعة وهذا الحصن من ثلاثين عسكرياً وقائداً ، يتلقون رواتب مماثلة للتي يتلقاها الآخرون في القلاع الأخرى .

لا توجد مدافع هنا أو في خورفكان ، وهناك فقط بنادق المسكيت الخاصة بالعسكريين .

قد استولى "جاسبار ليتي" على هذه القلعة بأمر من القائد العام "روي فرير" في فارس ١٦٢٤م ؛ لأن ملك هرمز كان تابعاً لصاحب الجلالة ، وقد تمردت بزعامة القاسمي .

بالنسبة لنفقات صاحب الجلالة لهذه القلعة ، فهي كما يلي :

يوجد في قلعة كلباء قائد عسكري يحصل على سبعة عشر "Larins" شهرياً .

حامية لحراستها والدفاع عنها ، تتألف من ثلاثين عسكرياً ، يحصل كل واحد منهم على ثمانية ونصف "Larins" شهرياً .

يصل المبلغ الإجمالي إلى مائة وخمسة وتسعين ألفاً وثمانمائة "ريس"في السنة = ستمائة واثنين وخمسين "xerafins" وأربعة "tangas" .

خورفكان :

وصف قلعة خورفكان : كما تم بيانه سابقاً ، تقع خورفكان على مسافة اثني عشر فرسخاً من صحار ، على الطرف الآخر من القوس الممتد من جزر (سوواج) .

هي قلعةٌ بنيت على شكلٍ مثلث ، مع ثلاثة حصون مثلثة الشكل على الأركان الثلاثة ، وحصن على الـ "demi– cavalier" الدائري الذي توجد به بئر ، ويصل طول كل واحد من امتدادي السور باتجاه جانب البر إلى اثنتي عشرة "bracas" ، ويصل طول الجانب الذي يمتد

بطول الشاطئ تسعة bracas ، وتصل سماكة جميع الأسوار إلى تسعة أشبار ، ويبلغ ارتفاعها خمسة bracas .

قد بنى القلعة "جاسبار ليتي" في عام ١٦٢٠م ، وهناك حامية بها خمسة عشر عسكرياً وmocadao وهو بمثابة قائد .

هي أول خليج صغير تسلكه المراكب من اتجاه مسقط ؛ لأنه محميٌ من جميع الرياح ، ومن الممكن أن ترسو المراكب قرب البر ، حتى بالنسبة للـ patachos الضخمة .

يقع المرفأ عند المدخل من اتجاه مسقط .

الماء الموجود فيها هو أفضل ماء في شبه جزيرة العرب برمتها .

عن نفقات صاحب الجلالة على هذه القلعة فهي كما يلي :

يوجد في قلعة خورفكان قائد عسكر ، ومعه خمسة عشر عسكرياً لمراقبة القلعة والدفاع عنها ، ويحصل كل عسكري على ثمانية ونصف Larins شهرياً ، ويحصل القائد على سبعة عشر "لارينز" ، وبهذا يصل المبلغ الإجمالي إلى مائة وأربعة آلاف وأربعمائة "ريس" سنوياً = ثلاثمائة وثمانية وأربعين "أشرفياً" .

بدية :

وصف قلعة بدية : إن بدية قلعة تبعد فرسخاً واحداً عن خورفكان إلى الشمال بطول الساحل ، وتقع على الشاطئ بوجود خليج محميٍ من الجانب والجنوب الغربي والشمال الغربي .

هي قلعة مربعة شيدها المسلمون ، ولها سور واطئ ارتفاعه اثنين

ونصف bracas ، ويوجد حولها سور خارجي ضخم به ستة حصون و cavalier ، يوصل بين أجزاء السور ، وهناك اثنان آخران حول القرية على مسافة مدى طلقة بندقية مسكيت .

كان يقيم في القرية حوالي مائتي شخص في منازل مسقوفة بسعف النخيل ، وهو ما يعادل القش ، وقد استولى عليها "ماتيوس دي سيابرا" في شهر أغسطس عام ١٦٢٣م ، بأوامر من القائد العام "روي فرير" للسبب المذكور أعلاه ، وفيها حامية من عشرين عسكرياً وقائد .

فيما يلي بيان لنفقات صاحب الجلالة على هذه القلعة :

يوجد في قلعة دبا قائد عسكر يتلقى راتباً شهرياً قدره سبعة عشر "لارينز" ، وتوجد حامية من عشرين عسكرياً لمراقبة القلعة وتدافع عنها ، ويتلقى كل واحد منهم ثمانية ونصف "لارينز" شهرياً .

الأمر الذي يجعل المبلغ الإجمالي مائة وأربعة وثلاثين ألفاً وستمائة وأربعين "ريس" سنوياً = أربعمائة وثمانية وأربعين "أشرفياً" وأربعة "tangos" .

مدحاء :

وصف قلعة مدحاء : تقع قلعة مدحاء على مسافة فرسخين داخل البلاد عن خورفكان ، وقد شيدت كمربع ، وبها أربعة حصون على ضفة نهر ماؤه عذب للغاية ، وذلك على مسافة مدى طلقة بندقية مسكيت من سفح جبل ، وهناك أشجار نخيل مثمرة بشكل جيد .

هناك قريةٌ يقطنها ثلاثمائة شخص ، من بينهم كثيرون يستطيعون

حمل السلاح للمساعدة في الدفاع عن القلعة ، وتوجد بها حامية من ثلاثين عسكرياً وقائد .

قد أمـــر القائـــد العـــام "روي فـــرير مـــاتيوس دو ســـيابرا" "Rui Feriere Mathius do Ciabra" بالاستيلاء عليها في عام ١٦٢٣م ؛ بسبب الهجمات الكثيرة التي شنها العرب من هناك على القلاع الأخرى بطول الساحل .

فيما يلي مصاريف صاحب الجلالة على هذه القلعة :

توجد في قلعة مدحاء حاميةٌ تتألف من قائد عسكر وثلاثين عسكرياً ؛ لمراقبة القلعة والدفاع عنها .

يحصل كل عسكري على ثمانية ونصف "لارينز" شهرياً ، ويحصل القائد على سبعة عشر "لارينز" .

بهذا يصل إجمالي المبلغ إلى مائة وخمسة وتسعين ألفاً وأربعمائة وثمانين "ريس" سنوياً = ستمائة واثنان وخمسون "أشرفياً" واثنان "tangas" .

دبا :

وصف قلعة دبا : تقع قلعة دبا على مسافة فرسخين من دبا بطول الساحل إلى الشمال ، وهي مشيدة في مربع بوجود أربعة حصون ، واحد على كل ركن ، و"cavalier" في الوسط مع بئر ماء ، ويصل طول كل امتداد للسور إلى سبعة "bracas" ، وارتفاعه أربعة "bracas" ، وسماكته ثمانية أشبار ، وهناك متاريس .

داخل القلعة يوجد منزلٌ للقائد ، وكنيسة ، ومخزن تحت الأرض للذخيرة والمؤن ، محفوظة داخل الحصون .

يمتد خارج القلعة سور محيط ضخم ، ومربع به خمسة حصون ، واحد عند البوابة ، وأربعة على الأركان ، ويعمل الحصن الذي يقع عند البوابة كنقطة حراسة ، ويبلغ طول كل جانب من هذا الجدار خمسة وعشرين "bracas" ، وارتفاعه اثنين ونصف "bracas" ، وقد بني من الطوب الطيني ، وبه كوات لإطلاق النار من خلالها ؛ لعدم وجود متاريس ، وتوجد داخل هذا السور منازل لجنود .

أما البلدة الواقعة يسار هذه القلعة ، فهي محاطة أيضاً بسور ، ويصل ارتفاعه إلى ارتفاع السياج أيضاً بسور ، ويصل ارتفاعه إلى ارتفاع السياج ، مع وجود أربعة حصون بطول السور .

يوجد في البلدة أكثر من ألف ساكن ، جميعهم من العرب المسلمين ، ولكن قلة قليلة منهم قادرة على حمل السلاح .

يوجـــد فـــي القلعـــة تسعة مدافع صغيرة "Falcoes" ، ونصف "falcoes" و"bracas" .

قرب قلعة دبا- هذه- توجد قلعةٌ يطلقون عليها اسم "دوبو" (Dubo) عند طرف بستان نخيلٍ على الشاطئ ، وهي مشيدة من الطوب الطيني ، وتتألف من حصن دائري ضخم ، به طابق علوي و"cavalier" ،

هناك حصنٌ آخر أصغر متصل به ، وبئر ماء بالداخل ، وهناك ثلاثون عسكرياً ، ومعهم قائد .

بالقرب من هذه القلعة توجد قرية يقطنها مائتا شخص ، وهناك حاميتان أخريان للدفاع عنهم ؛ لأنها ليست مسورةً بعد بسورٍ ، على الرغم من أن العمل بدأ في بنائه .

هناك أيضاً قلعةٌ أخرى في هذا المكان ، عند طرف بستان نخيل آخر يدعى "موكومبيم" ، مماثل للآخر الواقع على مسافة ثلاثة أرباع فرسخ من "دبا" ، حيث توجد قرية بها ثلاثمائة شخص معظمهم بحارة ، وهي محاطة بسور من الطوب الطيني المألوف ، وبها أربعة حصون وجوانبها ، ويعيش هؤلاء الناس على التمر والسمك والكبريت .

لقلعة "دبا" مساحة ستة أو سبعة فراسخ من الأرض ، بها أشجار نخيل وثمار ، وتتبع كلها لصاحب الجلالة ، وقد بنى الإمام- وهو سيد الداخل- بعض القلاع بينها ، وتمكن بواسطتها من عدم جمع الثمار ، ولذلك أصبح من الضروري الآن إنفاق مبلغٍ ضخم من خزانة صاحب الجلالة .

قد بنيت هذه القلاع الثلاث بأمر من "روي فرير" الذي استولى في عام ١٦٢٤م ، ودمر القلعة الرئيسة التي كان يسيطر عليها المتمرد خميس .

بنى القلاع الأخرى القائد "جاسبار ليتي بيريرا" .

أما القصد من الاستيلاء على هذه القلاع والاحتفاظ بها- علاوة على كونها مملوكة لملك هرمز - ، فهو مساندة أسطول السفن ذات المجاذيف التي تطوف باستمرار في المضيق ؛ للقيام بأعمال الدورية ، وبها مؤن وكل شيء ضروري .

لا يستطيع العدو الاستيلاء على أي واحدة منها ، ويمكن إرسال خبر سريع إلى مسقط براً ، وهو ما لا يمكن القيام به في كثير من الأحيان بحراً ؛ بسبب الطقس في أيام كثيرة ، ولدى أساطيلنا خلجان أيضاً تستطيع أن تتخذها ملاذاً .

في السابق لم تكلف هذه القلاع خزانة صاحب الجلالة أي شيء ، ولكن ، ومنذ أن أعلن الإمام الحرب ، ولم يعد يسمح بجني الثمار ، لم يعد الأمر كذلك .

فيما يلي مصاريف صاحب الجلالة على هذه القلعة :

يوجد في قلعة "دبا" قائد عسكر يتلقى سبعة عشر Larins شهرياً .

هناك أيضاً حامية من ثلاثين عسكرياً لحراسة القلعة والدفاع عنها ويحصل كل واحد منهم على ثمانية ونصف Larins شهرياً .

يصل المبلغ الإجمالي إلى مائة وخمسة وتسعين ألفاً وثمانمائة وأربعين "ريس" سنوياً = ستمائة واثنين وخمسين xerafins – وأربعة tangas :

٠٠ ٤ ٠٠٦٥٢

دبا	٠٠٦٥٢-٤-٠٠=٠١٩٥,٨٤٠
تكاليف قلعة مدحاء السنوية	٠٠٦٥٢-٤-٠٠=٠١٩٥,٨٤٠
تكاليف دبا السنوية	٠٠٤٤٨-٤-٠٠=٠١٤٣,٦٤٠
تكاليف خورفكان السنوية	٠٠٣٤٨-٠-٠٠=٠١٠٤,٦٤٠
تكاليف كلباء السنوية	٠٠٦٥٢-٤-٠٠=٠١٩٥,٨٤٠
تكاليف صحار السنوية	٠٧٢٢٨-٠-٠٠=٢١٦٨,٤٠٠
تكاليف بركاء السنوية	٠١٥٧٣-٣-٠٠=٠٤٧٢,٠٨٠
تكاليف السيب السنوية	٠١٥٧٣-٣-٠٠=٠٤٧٢,٠٨٠
تكاليف مطرح السنوية	٠٠٧٧٢-٠-٠٠=٠٢٣١,٦٠٠

تكاليف قريات السنوية	٠٥٣٧,٦٠٠=٠٠-٠-٠١٧٩٢
تكاليف مسقط السنوية	٣١,٥٧٧,٤٢٠=٠٠-٠-١٠٥,٢٥٨

بالتالي ، فإن مصاريف قلعة مسقط ومعها جميع القلاع الأخرى في المضيق- والتي تدفعها تلك الوكالة التجارية والملحقة بها- حسبما يمكن رؤيته من الإجماليات أعلاه وأدناه تصل إلى ستة وثلاثين مليوناً ومائتين وخمسة وثمانين ألفاً وسبعمائة وأربعين "ريس"= مائة وعشرون ألفاً وتسعمائة واثنان وخمسون xerafins – واثنان tangas :

عائدات مسقط :

تدر إدارة جمارك مسقط من سنة لأخرى لخزانة صاحب الجلالة أربعين ألف "بارداوس" pardaos of lar ، ويصل الإيراد السنوي من التبغ إلى ألف وخمسمائة "بارداوس" Pardaos .

الإيراد السنوي من التمور	ألف pardoas
الإيراد السنوي من الخيول	مائتان وخمسون pardoas

وفي العام نفسه (١٦٣٩م)
قدم تقرير عما حدث في الهند الشرقية منذ وفاة نائب الملك "بيرو دا سيلفا" في الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٣٩م إلـى شهر ديسمبر عام ١٦٤٠م : [١٣]

ثار العرب داخلٍ القلاع في مسقط ،وكان من الممكن مشاهدة كاهن فرانسيسكاني وسط الجنود حاملاً عصا وهو يضرب العربٍ ، واعتبر الجميع أنه القديس "أنطوني" "Antony" ؛ لأنهم عادوا إلى المدينة بحثاً عن الكاهن ليشكروه ، ولم يتمكنوا من العثور عليه ؛ ولأن القائد خرج من البوابة وفي يديه صورة القديس .

يأمر الكونت نائب الملك بإجراء تحقيق في الأمر ، إذ إنه في حال كانت خدمة إلهية هي التي أخمدت الثورة ، فمن المؤكد أن الذين تسببوا فيها لم تكن لهم دوافع بشرية .

كان "أنطونيو دي مورا" "Antonio de Mora" كقائد ، هو الذي طرد العدو في القلعة بأوامر من جنرال .

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

قد قيل إنه لم تعد هناك رغبة الآن في جنرال في ذلك المضيق أو في مالاكا ، وإنما قادة فقط من أجل توفير هذه الرواتب .

وفي العام نفسه (١٦٣٩م)
دوّن وصـــف للقــلاع والجــزيرة العربيـــة واليمــن ، بقلم "أنطونيو دي ماريز كارنيرو" "Antonio de Maris Carneiro" : [١٤]

ملاحظات :

* النص في غالبيته منقول من نص "ريزندي" ، لكنه مختصر بصورة كبيرة

* المسائل التي لم تحل موضوعه بين قوسين (....) .

*** إفريقيا :**

سوفالا ، موزمبيق ، ممباسا .

*** الجزيرة العربية واليمن :**

"قريات" ، "مسقط " ، "مطرح" ، "السيب" ، "بركاء" ، "صحار" ، "خورفكان" ، "كلباء" ، "دبا""مدى (مدحاء) ، "ظفار" .

---

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

* **الهند :**

"ديـو" ، "دامــان" ، "ســاوجينز" ، "تــارابور" ، "ماحــم" ، "أجــاشــي" ، "اسبريم" ، "باســين" ، "ثانا" ، "كارانجا" ، "شـــول" ، "اغـــودا" ، "غوا" ، "مارمارجاو" ، "هونافار" ، "باسرور" ، "كامبوليم" ، "مانجالور" ، "كانانور" ، "كرانجانور" ، "كوتشن" ، "كويلون" .

"سوفالا" :

عند القدوم من رأس الرجاء الصالح باتجاه دولة الهند الشرقية ، فإن أول قلعةٍ تعود ملكيتها لجلالته هي قلعة "سوفالا" تلك .

تقع هذه القلعة على خط واحد وعشرين درجة جنوباً ، على نهر مياه مالحةٍ ، على بعد نصف فرسخ عند أعلى النهر من بوابة "سوفالا" المشهورة ، وهذه تمتد عشرين فرسخاً نحو البحر ، وتمتد عرضاً وطولاً لمائة فرسخ بطول الساحل ، من جزر "أنجوس" وحتى موقع رأس (بيما) .

تتصل بنهر "سوفالا" قناتان ، كما يشاهد على المخطط مع وجود أعماقهما مبينة على الخريطة . تستمر لأعلى النهر مع عمق يبلغ قامتين دون وجود مياه ضحلة بعد عبور الحاجز ، بالرغم من أن القباطنة البرتغاليين دائماً يأخذون مرشدين أو معلمين أو ربابنة محليين ، وسفناً ضخمة تحتاج لأعماق طويلة عما هو مبين ، والتي لا تستطيع الدخول إلى النهر .

ساحل قلعة "سوفالا" هذا : من جزر "انجوس" إلى جزيرة "فوجو" ، يمتد إلى الجنوب الشرقي وقليلاً نحو الغرب ، والرياح على هذا الساحل تهب من شهر إبريل وحتى شهر أكتوبر من الجنوب والجنوب

الشرقي ، ومن ثم الرياح الشرقية التي تهب من ناحية الشمال الشرقي حتى شهر إبريل .

هناك رياح أخرى خلاف تلك ، خاصة رياح المونسون والتي تهب في نهاية شهر مارس وحتى شهر أكتوبر . لكن الرياح ليست دائمةً ، ولا أكيدة الحدوث .

التيارات البحرية على هذا الساحل تأتي في معظم أيام السنة من الجنوب ، وهي قوية جداً . كما أنها أحياناً تجري ناحية الشمال بنفس القوة ، أساساً مع الرياح الشرقية ، وعليه ، فإنها عادةً ما تهب عكس الرياح ، وهي الشيء الملاحظ .

قلعة "سوفالا" في حد ذاتها صغيرة ، والخريطة الأرضية واضحة في الرسم . لها أربع بروزات عالية عند الأركان ، بنيت كلها من الحجارة والحجر الجيري ، ويبلغ طول كل جدار عشر (bracas) ، وارتفاعه ثلاثة وعرضه خمسة أشبار . لا يوجد حاجز ؛ لأن ثكنات الجنود التي تلاصق الجدران الداخلية تمثل سداً ومتراساً .

الآن لا يوجد أي منها ، لا جنود أو حامية من أي نوع ، بخلاف الضابط الذي يعيش في بعض المباني الصغيرة ، مع طوابق علياً بالقرب من السور ، تخزن تحتها الذخيرة والعتاد الحربي . يوجد القليل منها ، لكن لا توجد أي مواد أخرى أو مؤن . تتكون المدفعية من ثمانية مدافع كبيرة وصغيرة ومدفع نحاسي ، تم توزيعها كلها بين النتوءات التي بالحائط في الجهات الأربع من الحصن .

(الكاسادوس) المقيم المواطن ذو اللون الأبيض ، وكان هناك اثنا

عشر منهم يسكنون في قرية بجانب القلعة ، كان الآخرون من السود ، وكان عددهم جميعاً يبلغ اثنين وعشرين . كان هناك ألفان من الكفيري من جنوب أفريقيا والأسرى ، والجنود الذين إذا دعت الضرورة كانوا سيدخلون إلى القلعة ، ويمكن رؤية ذلك من الرسم الموجود مع صورة القرية في جزيرة كان محيطها يبلغ حوالي أربعمائة bracas .

عند المد العالي هناك حوالي باع من مياه النهر ، لكن كان بها دائماً القليل من المياه ، وكان القاع يتكون من الطين ، أما في أوقات الجزر المنخفض ، فكان عبارةً عن مستنقع من الطين .

لا توجد منصرفات من خزينة جلالته على هذه القلعة الآن ، في السابق كان الوكيل التجاري لموزمبيق والقائد الكونت "دي لينهاريس" الذي كان مقيماً ومعيناً هناك ، تدفع لهما أربعمائة وعشرة "كروزادوس" كراتبٍ كل سنة .

لذلك ، أمر بأن قائد موزمبيق الذي أخذها من جلالته أن يسددها من ماله الخاص ، طالما أن جلالته كان قد عينه كقائد . كانوا يستخدمون من يرغبون ، لكنهم كانوا ملزمين بناءً على ولائهم للملك عن ذلك ، ومن أجل موزمبيق .

لم يكن هناك مسيحيون سوى قلة في منطقة "سوفالا" لأن معظم الكفيريين من البربر ، وهم بطبعهم قساة ، وليس لهم ميلٌ للعبادة ، فقط أولئك الذين كانوا أسرى عندنا هم الذين تحولوا للمسيحية ، بناءً على الطرق التي كانوا فيها ، وإن مسيحيتهم ستنتهي بنهاية فترة أسرهم معنا .

لم يكن هناك اعتراض قوي على إيماننا وديننا ، ولم يمنع ملك البلاد أي شخص يرغب في أن يتم تعميده ودخوله الدين المسيحي .

بوجود دعاة مخلصين ، فإن هذا المجال يمكن توسعته ؛ لأن حتى الكفيريين كانوا مخلصين فيما بدأه الكهنة الدومينيكان الذين كانوا متواجدين في هذا الساحل . ما زال أحد أساقفة الكنيسة موجوداً في القلعة ، والذي يؤدي له الوكيل التجاري في موزمبيق راتباً قدره أربعون ألف "ريس" من الخزينة الملكية .

هو لا يمل ولا يتعب في محاولة إدخال السكان المحليين في الدين المسيحي ، وينجح أحياناً مع البعض . لكن ، في إقليم بهذا الحجم الكبير ، فمن المرغوب فيه وجود أكبر عددٍ من الدعاة للإنجيل ، طالما أن هناك مجالاً وطرقاً عدة يمكن لهم أن يعظوا فيها .

التجارة في هذه المنطقة تتم على مسافة ستين فرسخاً للداخل من قلعة "سوفالا" ، والبضاعة عامةً عبارةٌ عن العاج ، والذي يستبدل عادةً بملابس وأقمشة سوداء وأقمشة قطنية خفيفة ونايلون . يتم الدفع عن كل شيء بالقماش ، حتى المؤن والمواد الأخرى التي توجد بكثرة ورخيصة الثمن في أوقات السلم ، مثل الأرز والشعير واللحم من كل الأنواع .

الملك من المواطنين المحليين في "سوفالا" ، ممن يعرفون بالكفيريين ، وهو ليس من المسلمين ولا من المسيحيين ، وإن قيل إنه وثنيٌ ، فلا يمكن القول أي الأديان يؤمن هو بها . كان خاضعاً لإمبراطور "مونوموتابا" ، لكن تحت سلطة برتغالية .

كان يرفض إبداء طاعته في معظم الأحيان ، إلى أن أصبح مستقلاً اليوم . له مشاعر صداقة مع البرتغاليين طالما أن البلاد لا تمر بفترة حروب ، ونحن نسافر في أنحائها (سوفالا) في أمان تام ؛ لأنهم كانوا نادراً ما يشنون حرباً ضدنا ، ولم تكن لهم حتى الرغبة في ذلك .

كانت قواته تتراوح بين عشر إلى اثني عشر ألفاً من الكفيريين ، الذين لم يكن يعرف عنهم الشجاعة مثل آخرين يعيشون في تلك الأنحاء . كانت أسلحتهم عبارة عن سهام وأقواس ورماح ، ويخافون على الأخص من البنادق .

لم تكن لهذا الملك أي اتصالات مع أمم أجنبية غير البرتغاليين ، كما لم يسمع عن أي أمة أوروبية أخرى في هذه البلاد .

يوجد الكثير من الكهرمان على طول هذا الساحل ، ويقوم الكفيريون باستبداله وبيعه بثمن بخس . لكنه لا يوجد في أي مكان معين .

الهدف من بناء وصيانة هذه القلعة في "سوفالا" هو دعم التجارة في كل طول الساحل وأنهار الزامبيزي ، من الذهب والعاج والكهرمان ، مع وجود مناجم للفضة .

لأهمية تلك الأشياء كان مطلوباً في هذا الإقليم الشاسع أن تتم سيطرة البرتغاليين على طول هذا الساحل ، والتجارة التي تمتد حتى رأس الرجاء الصالح ، وأن تمنع الدول الأجنبية من الاستيلاء عليه .

يجب أن توفر في قلعة "سوفالا" كل الاحتياجات الضرورية ؛ لأن أراضيها تمتد حتى رأس الرجاء الصالح ، وهي غنيةٌ بالذهب والعاج ، مثل الأراضي البرتغالية في الهند .

قد ترتبط أممٌ أخرى بالتجارة ، وتجني أرباحاً طائلة ، لكن ، بما أن قائد موزمبيق يحتكر هذه التجارة مقابل ما يؤديه لجلالته ، فلا يمكن لأحد غيره أو بأمر منه أن يدخل في هذه التجارة .

*** بيان بعدد الأخويات الدينية في دولة الهند :**

أخوية القديس "فرانسيس" "Francis"

أخوية القديس "أوغسطين"

أخوية القديس "دومينيك" "Dominique"

الجمعية اليسوعية

موزمبيق :

تمتد الجدران لخمسين "bracos" طولاً ، باستثناء المعاقل المحصنة بأعلى سور القلعة ، يمكن أن تستوعب مائة رجل ، طول جدار السيدة العذراء من القديس أنطونيو تبلغ ثلاثين bracos وارتفاعها ثلاثة ونصف "bracos" .

الحامية التي أمر جلالته بصيانتها هنا بها ثلاثمائة رجل مع القائد ، وملازم ، والضابط المعاون للقائد ، شرطي واحد ، وعشرة من جنود المدفعية .

يتلقى كل جندي أربعة "كروزادوس" في الشهر بما يعادل أربعة "patacas" للـ "كروزادوس" الواحد وعشرةً للسكن ، في الشهر الذي يتلقون فيه مبالغ للسكن لن تستوفى لهم الأربعة "كروزادوس" .

القائد والملازم ومعاون القائد يضاعف لهم الأجر . لقائد القلعة راتب قدره أربعمائة وثمانية عشر ألف "ريس" ، وآمر القلعة ستمائة ألف "ريس" .

لاحتكار التجارة يقوم قائد موزمبيق وسوفالا من أجل أن يتاجر فقط في منطقة نهر "زمبيزي" ، فيؤدي لخزينة جلالته ثلاثين ألف "كروزادوس" ذهباً في السنة ، والتي تساوي بالنقد الهندي أربعين ألف "أشرفي" . كما يدفع القائد أيضاً ألفين وخمسمائة "أشرفي" للتجارة مع جزر أنجوس ... بما يعادل واحد بالمائة .

في ثلاث سنوات ، يصل المبلغ إلى خمسة أو ستة آلاف "كروزادوس" ، والتي تنفق على الأعمال في القلعة ، على الإصلاحات وبارود المدافع .

للملك أيضاً هنا ثلاثون برميلاً من الزفت ، وثلاثون من القطران ، التي على قائد "مماسا" الالتزام بتسليمها للوكيل التجاري ؛ حتى تستخدم في السفن ، أو لتباع . كما يتلقى أيضاً بعض الـ fardos من الشعير من جزر "كوبرميا" ، واثنتين وثلاثين قطعة مدفعية ، تشمل أربعة أو خمسة مدافع حديدية ، والأخرى من التي تطلق قذائف زنة اثني عشر إلى ثلاثين رطلاً .

يوجد صهريجان للمياه ، والتي تعادل سعة كلٍ منهما مائة وعشرين برميلاً في الكبير ، وثمانين برميلاً للصغير ، قد يصل مستوى المياه فيها بارتفاع سبعة عشر إلى سبعة وعشرين شبراً .

القرية التي خارج القلعة بها حوالي سبعين برتغالياً من أصحاب العائلات .

يبلغ طول الجزيرة نصف فرسخ ، وعرضها على مدى طلقة بندقية .

الساحل حجري ، كثيراً ما يقطع حبال الرسو .

لا تدفع رسوم للخزينة الملكية عن تصدير الكهرمان والذهب والعاج .

(سينا) مستوطنة برتغالية ، تبعد ستين فرسخاً في الأرض الداخلية على طول نهر "زمبيزي" ، وفيها بعض العائلات من البيض يبلغ عددهم الثلاثين .

للقائد محطة تجارية هناك بها بضائعه ، وعلى بعد ستين فرسخاً بأعلى النهر هناك "تيتي" ، وهي مستوطنة برتغالية أخرى بها ثلاثون من المتزوجين .

ممباسا :

تقع القلعة على ربوة صغيرة ، تم قطعها وبني على رأسها حائط ساتر يبلغ ارتفاعه "braca" واحد مليء بالحصى ، وشيد عليه حاجز من الحجر والجير الحجري بطول رجل ، ويبلغ سمكه بين ثلاثة إلى أربعة أشبار .

بالقلعة ستة عشر مدفعا ، خمسة منها حديدية ، تستخدم قذائف زنة خمسة إلى ستة أرطال ، والأخرى من البرونز ، تستخدم قذائف زنة اثني عشر رطلاً ، ومدفعٌ آخر يستخدم قذائف زنة عشرين رطلاً . بها حامية ، فيها مائة جندي ، منهم خمسة وسبعون داخل القلعة ، ويبحر الخمسة وعشرون الآخرون على طول الساحل مع الأسطول في الصيف .

للجنود قائدٌ خاصٌ بهم ، وملازم ، ومساعدٌ ضابط .

يوجد أيضاً مكتب جمارك ، حيث تستوفى رسوم ملكية قدرها ستة في المائة من كل السفن التي تبحر على طول هذا الساحل ، من رأس "غوردافوي" وحتى رأس "ديلجادو" "Delgado" ، ويوفر هذا مبلغاً قدره تسعة آلاف "أشرفي" في السنة .

يبلغ طول الجزيرة فرسخاً وربع الفرسخ وعرضها نصف فرسخ .

قريات :

تقع على "كوستا برافا" "Costa Brava" ، على اثني عشر فرسخاً قبل مسقط من جمعة رأس الحد ، وفي طرف الشاطئ . لا يوجد مدخل أو نهر ولا أي شيء ، فقط جزيرة ملتصقة وممتدة إلى داخل اليابسة .

في الجزيرة حصن ليس به أي مدفعية . الجداران الممتدان لداخل اليابسة من الشاطئ ، وطولهما خمسون خطوة ، وعرضهما ثلاثون خطوة . بني الجدار من الطوب الطيني ، مثل كل تلك التي بالجزيرة العربية التي شيدها المسلمون ، يبلغ ارتفاعها أربعة ونصف bracas ، وسمكها ثلاثة أشبار . ليست لها حواجز أو فتحات ، وهناك أربعة نتوءات مربعةٍ عليها بعرض عشر خطوات .

هناك قلعة أخرى بنيت على شكل مثلثٍ وسط بعض أشجار النخيل ، يمتد كل جدارٍ حوالي عشر خطوات طولاً ، وثلاثة ونصف bracas ارتفاعاً ، وسمكها اثنين ونصف شبراً ، شيدت من الطوب الطيني .

لا توجد مدفعية هنا باستثناء البنادق ، وتعود ملكية تلك القلعة لملك هرمز .

مسقط :

شيدت القلعة على مدخلٍ صغير للخليج ، مع مساحةٍ لحوالي دستة من السفن الضخمة وسفن (الغاليوت) التجارية .

في الحصون والقلاع يوجد ثلاثةٌ وعشرون مدفعاً من البرونز ، وبنادق ، ومدافع قديمةٌ تزن قذائفها ما بين اثني عشر إلى ستة أرطالٍ ، وتسعة وثلاثون saqres من البرونز ، وتسعة وعشرون falcoes من البرونز ، وأحد عشر من

أنصاف الـ falcoes من البرونز ، واثنتان من falcoes المصنوعة من الحديد ، وأربعمائة وخمسون من أسلحةٍ نارية قديمة وبنادق .

تنتج البلاد التمور والزبيب ، والكثير من الخيول ، وملابس مصنوعة من وبر الجمال ، والتي يسمونها "كامبولين" ، والكثير أيضاً من سكر القصب .

يوجد بالجزيرة العربية كمياتٌ كبيرةٌ من البخور وخشب الصبر (الألوه) ، الجمال ، بعض القطن ، الشعير وبعض الخضروات ، وهم يأكلون لحم الماعز والضأن .

البضائع التي تذهب إلى هناك هي القطن ، والجلود ؛ لعمل الصنادل التي يلبسونها ، والزيت المصنوع من بذور السمسم .

مطرح :

تقع على نصف فرسخ خلف مسقط ، حيث ميناءٌ صغيرٌ محميٌ من الرياح من ناحية الشمال الشرقي ، ولا شيء بعد سوى الخليج .

هنا أمر القائد العام "روي فرير" ببناء قلعة ؛ من أجل ثلاثين من جنود المدفعية ، وضابط برتغالي ؛ حتى يمنع فقدان البضائع التي تأتي من أراضي الداخل وتضيع .

يبلغ طول الأسوار خمسين خطوة ، بخلاف المعاقل التي بأعلى السور ، والتي يبلغ عرض كل منها خمسة وعشرين خطوة ، ارتفاع الأسوار خمسة وعشرون شبراً ، وسمك الحاجز يبلغ خمسة أشبار .

السيب :

على بعد أربعة فراسخ من مسقط ، وعلى طول الساحل ناحية

الشمال الغربي ، بالقرب من بستان لأشجار النخيل على "كوستا برافا" ، شيدت قلعة السيب من قبل العرب ، من زمنٍ بعيد .

استولى عليها "روي فرير" ، وهي إحدى الطرق التي تمر عبرها البضائع التي تؤخذ إلى مسقط . كلٌ من الجدران تبلغ أطوالها ما بين عشر أو اثنتي عشرة خطوة ، مع مدفعية خفيفة .

بها قائدٌ برتغاليٌ ، مع ثمانية من البرتغاليين ، وثلاثين من جنود المدفعية .

بركاء :

تقع على بعد اثني عشر فرسخاً من مسقط ، وعليها قائدٌ برتغاليٌ مع ثمانية برتغاليين ، مثلما في سيب ، ومعهم ثلاثون جندياً من المدفعية .

شيدت القلعة من الطوب الطيني ، مثل كل التعزيزات الأخرى التي تشيد في الجزيرة العربية .

استولى عليها "روي فرير" من حاكمها ؛ لأنها كانت ملجأً كبيراً للصوص الذين يجوبون البر والبحر ، وحتى لا تضيع بضائع وتجارة مسقط .

صحار :

تقع صحار على مسافةٍ أبعد ، وعند طول ساحل الجزيرة العربية ، على خط أربعة وعشرين ونصف درجة شمالاً ، وهي على مدى رمية حجرٍ من طرق البحر . كل سور شيد ساتراً بطول سبعين خطوة ، دون اعتبار مساحة الموقع المحصن في نهاية الجدار من أعلى ، والتي تبلغ عشر خطوات ، شيدت من طوب الطين المحروق ، يبلغ عرضها أربعة عشر شبراً في الأسفل ، وخمسة ونصف عند القمة ، واثنين ونصف للحاجز .

لهذه القلعة ستة مدافع صغيرة ، تشمل مدفعاً من النحاس ، وآخر من الحديد ، يعمل بقذائف زنة ثمانية أرطال .

بها حوالي ثلاثين أو أربعين جندياً برتغالياً ، ومعهم قائدهم ، ولهم مكتبٌ للجمارك ، يجني ما بين مائتين إلى ثلاثمائة "بارداوس" .

يوجد الكثير من أشجار النخيل التي توفر لهم طعامهم العادي ، ويزرع بينها الشعير والخضروات . يصطادون الغزلان والظباء وطائر الحجل القمري والكويل .

البضائع التي بها ، هي نفس التي في مسقط ، كما يوجد بها صيادو اللؤلؤ في جزر سواني . الملاحة متيسرةٌ بها دائماً ، باستثناء شهري يناير وفبراير ، والساحل منبسط ورائع .

خورفكان :

تقع قلعة خورفكان على بعد اثني عشر فرسخاً من صحار . طول أسوارها اثنا عشر bracos ، والجدار الذي على طول الشاطئ يبلغ طوله تسعة فراسخ ، وتبلغ سماكة تلك الجدران تسعة أشبار ، وارتفاعها خمسة bracos .

قام ببنائها "جاسبار ليتي" في العام ١٦٢٠م .

يوجد بها اثنا عشر من جنود المدفعية ، ومعهم mocadao له نفس صفة الضابط .

بها أفضل مياه في كل الجزيرة العربية .

كلباء :

على بعد ثلاثة فراسخ من خورفكان ، تقع قلعة كلباء في داخل

اليابسة ، على مرمى مدفع وسط حقل من أشجار النخيل . كل جدار فيها يبلغ طوله ما بين خمس عشرة أو ست عشرة bracas ، شيدت من الطوب الطيني ، ويبلغ سمكها شبران ونصف وبلا حواجز ، وارتفاعها أربعة bracas .

تتألف الحامية من ثلاثين من جنود المدفعية وضابط .

تم الاستيلاء عليها في العام ١٦٢٤م ؛ لأنها كانت تخص ملك هرمز .

البدية :

تقع قلعة البدية على بعد فرسخ واحدٍ من خورفكان لناحية الشمال على طول الساحل ، في خليجٍ محميٍ من الجنوب والجنوب الغربي والشمال الغربي .

يبلغ ارتفاع أسوارها اثنين ونصف bracas .

تم الاستيلاء عليها في العام ١٦٢٣م .

بها حامية تتألف من عشرين جندي للمدفعية وضابط .

مدحاء :

تقع قلعة مدحاء على بعد فرسخين للداخل من خورفكان ، على ضفة نهر لمياه عذبة جداً ، وعلى مرمى طلقة بندقية من أسفل الجبل ، مع الكثير من أشجار النخيل ، والعديد من أنواع الفاكهة ، وقرية يسكنها ثلاثمائة من السكان .

استولي عليها في العام ١٦٢٤م ، وبها حامية تتكون من ثلاثين جنديا ، ومدفعية ، مع ضابط .

دبا :

تقع قلعة دبا على بعد فرسخين من البدية على طول الساحل لناحية الشمال . يبلغ امتداد كل جدار سبع bracas طولاً وأربعة ارتفاعاً ، وتبلغ سماكة الجدار أحد عشر شبراً ، شيدت من الحجارة حواجز الأسوار المحيطة خارج القلعة يبلغ طولها خمسة وعشرين bracas ، وارتفاعها اثنين ونصف ، شيدت من الطوب الطيني .

السور الذي يحيط بالمدينة له نفس ارتفاع الجدار الدائري ، ومبنيٌ أيضاً من الطوب الطيني . بها أكثر من ألفٍ من السكان ، جميعهم من العرب المسلمين .

بالقلعة تسعة مدافع صغيرة ، half falcoes ، falcoes وbercos ، وبها حوالي ثلاثين من جنود المدفعية ، وقرية يبلغ تعداد سكانها مائتين .

تم الاستيلاء عليها في العام ١٦٢٤م .

ديو :

تقع هذه القلعة على جزيرةٍ بعيداً عن البر الرئيس لمملكة "غوجارات" ، ولها أسوارٌ يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً ، عرضها اثني عشر قدماً ، وحواجز يبلغ سمكها ستة أشبار ، كلها شيدت من الحجارة والحجر الجيري .

أما بالنسبة لحجمها ، فإن امتداد السور في الجانب باتجاه البر الرئيس يبلغ طوله مائةً وتسعة وعشرين bracas ، دون ذكر المعاقل الدائرية التي بأعلى ، وهي ثلاثية الشكل ، والتي تبرز من عند الجدران .

في قلعة ديو هذه خمس وعشرون قطعةً من المدفعية الثقيلة :

comelos ، basiliscos ، esperas بعضها مصنوعٌ من الحديد ، ومن بينها الـ espalhafato الموضوع عند البوابة ، لكن معظمها مصنوع من البرونز ، وموزعة بين المعاقل العليا المحصنة وصدر القلعة . بها صهريجٌ للمياه داخل القلعة ، يسع الأربعة وعشرين برميلاً . توجد صهاريج أخرى منفصلة خارج القلعة .

يوجد في الحامية ثلاثمائة وخمسون جندياً ، لهم رواتب ثابتة وتكلف كثيراً ، يحصل معظمهم على ثلاثة وخمسين أو أربعة وخمسين "بارداوساً" في السنة ، وعليه ، فإنهم يكلفون أكثر من العائد المالي السنوي ، ألفين وأربعمائة "بارداوس" .

يوجد بالمدينة ستون من البرتغاليين أصحاب العائلات .

البحار هنا هائجة مع تيارات من المد والجزر التي تأتي وتذهب بقوة اندفاع شديد .

إنها على حدود مناطق القائد المغولي العظيم ، الذي يملك حالياً ستين مملكةً ، وعاصمته في مملكة "أجرا" ، وهي تحاذي من الشمال الفرس والتتر ، وإلى الجنوب حيث المحيط هناك ممالك "ميليك" وعادل شاه ، وأولئك الذين من الأراكان والبيجو .

تقع للغرب ممالك الهندوس التي تعرف بـ "سانال كابرا باتات" ، والتي تعني (الألف ومائتي جبل) ، حيث يعيش هندوس يعرفون بـ "تافوس" ، الذين معهم كل المعادن التي أوجدتها الطبيعة في أنحاء مختلفة من البلاد ، وأيضاً كل الأدوية الطبية التي تأتي إلينا من

كامباي ، والأشياء الأخرى تأتي من بنجال ؛ لأن الأراضي خصبة جداً ، وينبت فيها كل شيء .

في أراضي المغول تلك ، توجد ثلاث أعشاب يصنع منها (anfiam) والنيلة والقطن ، هناك أيضاً المادة التي تفرزها الحشرات ، وأيضاً مادة الورنيش ، وملابس قطنية ، وحرير ، ومحاصيل من الخضروات ، السكر ، الحديد ، والعطرون ، والفلفلية الطويلة .

هناك أيضاً قساوسة من الجيزوت الذين يقيمون الصلوات والمناسبات الدينية التي يتم الاحتفال بها .

"دامان"

تقع مدينة دامان على البر الرئيس في مملكة "غوجارات" ، وتتعرض لتيارات المد والجزر ، وعند الجزر يصبح البحر بعيداً على بعد مائتي خطوة ، لكن البحر يرتفع وينخفض هنا ، وكما في "كامباي" ، فإن مياه النهر مالحةٌ لمسافةٍ بعيدة .

تحيط بالمدينة أسوارٌ يبلغ علوها ثلاثين قدماً ، وعرضها عشرين قدماً ، مع حواز بطول الرجل . يبلغ حجم المدينة تسعمائة خطوة ، بها أربعمائة من الرجال المتزوجين ، من برتغاليين ومسيحيين ، مع تسعين حصان مدفوعة الثمن .

قلعة "ساوجينز" :

تقع على بعد خمسة ونصف فرسخ جنوب "دامان" . السفر إليها يمر دائماً عبر قرى تخص البرتغاليين ، ونهر "نارجول" الذي يمكن الدخول

إليه عند المد العالي ، عن طريق سفينة بمجاديف مهما كان حجمها ، وفي الجزر المنخفض ، فإن السفينة تترك في مكانٍ عالٍ وجاف .

عند أعلى النهر ، وعلى بعد فرسخٍ داخل البر الداخلي ، تقع قلعة ساوجينز ، والتي تؤول ملكيتها لجلالته ، وهي دائريةٌ بطول ثلاثين bracas ، وارتفاعها ثلاثة ، وعرضها خمسة أشبارٍ مع حاجز .

توجد ستة مدافع من معاقل الحصن العليا ، وتضم الحامية ضابطًا برتغالياً ، مع عشرة من الجنود السود الذين يعرفون بالـ pioes ، وضابط أسود يعرف بـ naique ، وتسعة من الجنود البيض .

"تارابور وساريا" (Cirgao) :

على بعد فرسخين ونصف أسفل الساحل من "داهانو" ، يوجد نهرٌ مياهه مالحة ، تقع القلعة على الجانب الأيمن عند المدخل منه ، وبها ضابط عينه جلالته ، كما يوجد بالقرية خمسون من البرتغاليين وعائلاتهم ، ومائتان من المسيحيين السود .

على بعد فرسخ نحو البر الرئيس من "تاربور" ، يوجد مبنًى أسود يسمى "ساريا" ... ويقع نهر ساريا على بعد فرسخ ونصف جنوب ذلك المكان .

"ماهيم" (Maim) :

على بعد فرسخين على طول الشاطئ جنوب نهر ساريا ، تقع مستوطنة وقلعة ماهيم ، والقلعة على يمين النهر عند دخولك ، بها أربعة مدافع من البرونز ، وضابط برتغالي .

"أجاشي" (Agacaim) :

تقع هذه القلعة على نهر دانتورا ، وتوجد جزيرة يبلغ طولها ثلاثمائة خطوة وعرضها مائتين عند سد نهر "دانتورا" ، وتسمى جزيرة "داس فاكاس" ، وعلى بعد ربع فرسخ عند أعلى النهر تقع القرية التي توجد بها ثلاثون من العائلات البرتغالية .

على أقل من ثلاثة فراسخ عند أعلى النهر ينقسم النهر إلى قسمين ، يسمى أحدهما "مازافانا" الذي يأتي بالأخشاب من جبال "اسيريم" ، ويسمى الآخر "مانورا" الذي يقود إلى القلعة البرتغالية ، ويستمر حتى مكانٍ يسمى "كيو" ، حيث يوضع طافياً عليه الخشب المعروف باسم "سولي" ، أي الذي يأتي من "كولي" إلى باسين .

تقع القلعة البرتغالية على بعد خمسة فراسخ من سد هذا النهر ، وعلى بعد رمية حجر .

"السييرا" سلسلة جبال "اسيريم" :

تقع سلسلة جبال "اسيريم" شرق "تارابور" ، وبها مستوطنةٌ برتغالية على بعد سبعة فراسخ وفرسخين من "مانورا" . تمثل سلسلة الجبال- تلك- الأمن والسلامة لمدن باسين ودامات وتكلف سبعة آلاف وستمائة وعشرين "بارداوساً" في السنة .

"باسين" (Basaim) :

تقع هذه القلعة في البر الرئيس في مملكة "ديكان" ، حيث ترتفع المعاقل الحصينة على الأركان على نحو ثلاثة أو ثلاثة ونصف bracas ، مع حاجزٍ عرضه من خمسة إلى ستة أشبار . توجد آثار رسوم من المدن

وممتلكات أخرى ، وأيضاً الـ mandovi ، وما يحصل من التبغ يبلغ مائة وثلاثة آلاف وأربعمائة "بارداوساً" في السنة .

الرواتب والمبالغ المتفق عليها في المحطة التجارية تصل إلى اثنين وخمسين ألف وخمسمائة وخمسين "بارداوساً" في السنة ، وما يتبقى يصرف في شراء السفن للأساطيل ، ومؤنٍ وموادٍ للمستودعات في "غوا" .

"ثانا" (Tana) :

تقع هذه القلعة على جزيرة "سالسيت" ، التي تبعد أربعة فراسخ عن "باسين" . لا توجد أسوار أو معاقل أخرى غير هذا الحصن ، الذي يقع في الناحية المقابلة في وسط النهر .

يوجد ثمانون من العائلات ، ومائة من السود . هناك الكثير من المغازل هنا ، التي تنتج بواسطتها ما يعرف بأطوال الخيوط والحبال من الـ (juboes) والـ (gimgoes) وأيضاً toficiras ، مصنوعة من النايلون والحرير . تصنع هنا أيضاً مكاتب مزودةٌ بأرففٍ للكتب بطريقة ممتازة ، خزائن بأدراجٍ وطاولاتٍ من خشب الأبنوس مبطن بالعاج .

على بعدٍ ثمانية فراسخ من "باسين" ، وأربعة فراسخ شمال "شول" ، يجري أعرض وأعمق نهرٍ في هذه الدولة ، ويخص جلالته ، وهو نهر "المومبايم" الذي له مياهٌ مالحة .

تسكن إحدى عشرة أسرةً برتغاليةً في القرية ، مع ستين أسرة من السكان المحليين .

جزيرة "كارانجا" (Carania) :

"كارانجا" عبارةٌ عن جزيرةٍ تكونت عن طريق ذراع ممتد للنهر على

الجانب الأيمن عند الدخول إلى نهر "مومبايم" . لها محيطٌ يبلغ فرسخين ، وطولٌ يمتد لفرسخ ، وعرضٌ أقل من ذلك .

تقع القلعة في الجانب من البر الرئيس التابع للمسلمين . بها مدفع (كاميليت) ، واحد واثنان من مدافع الـ faloes ، وستة من الـ bercos مصنوعة من النحاس ، وثلاثة مدافع حديدية .

يرتفع السور بطول أربعة bracos .

يسكن في القرية ثلاثون من العائلات البرتغالية .

يزرع الأرز في هذه الجزيرة ، وكل أنواع الفواكه والأقمشة القطنية التي يسمونها (teadas) .

يوجد في جزيرة "اليفانتا" معبدٌ مشهور جداً ؛ لأن الهيكل نحت من الصخر ، وتبلغ دائرته أكثر من مائتي خطوة ، والأعمدة التي به نحتت أيضاً على الصخر ، وعليه أشكال من الحيوانات حفرت على الصخر .

رأس شول :

عبارة عن تلٍ ناحية اليمين عند الدخول على حاجز "شول" . من ناحية الشرق ، الغرب والجنوب منحدرٌ شديد الانحدار بحيث يكاد يصعب تسلقه ، فقط من ناحية الشمال ، يوجد منحدرٌ يمكن الصعود عليه إلى القمة ، والتي يبلغ ارتفاعها بضع مئات وستين bracas .

بالقلعة حاميةٌ قوامها خمسون جنديا ، وتكلف جلالته أربعة آلاف وثمانمائة وتسعة وثلاثين "أشرفيا" في السنة ، وأربعة تانجاس وعشرين "ريساً" للمؤن والذخيرة .

"شول" "Chaul" :

تقع هذه على البر الرئيس لمملكة "ديكان" ، عند المدخل لنهر من المياه المالحة ، على بعد ١,٨ فرسخ للداخل من الخليج ، على طرف الشاطئ لليسار ، عند الدخول للمعاقل الحصينة التي عليها ثلاث عشرة قطعة من المدفعية ، على الأسوار التي يبلغ ارتفاعها ما بين أربعة إلى خمسة bracas ، على الجانب المقابل لليابسة .

نحو ثلاثة إلى ثلاثة ونصف ناحية البحر والنهر ، مع حاجزٍ عرضه بين ستة أو سبعة أشبار . يبلغ سمكها عشرة أشبار في الأسفل ، وستة عند القمة . يوجد بها ثلاثمائة من العائلات البرتغالية ، وخمسون من المسيحيين .

تكلف القلعة التي على رأس اليابسة أربعة آلاف وتسعمائة وتسعة وثلاثين "أشرفياً" وأربعة تانجاس وعشرين ريساً ، ويضاف إلى ذلك تكلفة هذه القلعة ، فيصبح الإجمالي ثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانين "أشرفياً" وأربعة تانجاس وعشرين ريساً .

في مقابل هذا ، تقدم المدينة ثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وخمسة وسبعين باتاكوسا دون حساب الجمارك ، والتي تترك ألفين وسبعمائة وسبعة عشر "أشرفياً" وأربعين ريساً . بالإضافة لخمسة وعشرين ألف "أشرفي" يمكن أن تجنيها الجمارك ، ليصبح الإجمالي سبعة وعشرين ألفاً وسبعمائة وسبعة عشر "أشرفياً" وأربعين ريساً ، تذهب إلى "غوا" .

قلعة "أجوادا" "Aguada" :

هذه القلعة عبارةٌ عن موقع تزود بالماء على الجانب الآخر من مدخل السد عند "غوا" في منطقة بارديز . تقع على قمة تل مع جدار يحيط بها ،

يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر قدماً ، وعرضه خمسة أقدام ، وعليه حاجز . يبلغ محيطها مائتين وسبعين bracas ، على قمتها مصباحٌ .

من عند السياج يمتد جداران يبعدان عن بعضهما bracas ، ويرتفعان على التل ، وبني عليها سلمٌ به مائة درج ، وينحدر إلى متراس يشق طريقه نحو البحر . لهذا المتراس رصيفٌ يبلغ طوله مائة وثلاثين خطوة ، وعرضه خمسين خطوة .

في الجانب الذي من ناحية البحر ، هناك حاجز يبلغ ارتفاعه سبعة أشبار . يقع تحته ينبوع من المياه العذبة ، حيث تتزود السفن البرتغالية بالمياه منه .

على الرصيف سبعة مدافع من البرونز تطلق قذائف حديدية ، زنتها مابين عشرين إلى سبعين رطلاً .

النفقات السنوية تبلغ ألف وسبعمائة وأربعة وسبعين "أشرفياً" ، وثلاثة تانجاس وعشرين ريساً .

تكلف القلعة ومنطقة بارديز جلالته ألفين وأربعمائة اثني عشر "أشرفياً" وأربعة تانجاس وخمسين "ريساً" في السنة .

جزيرة "غوا" :

يبلغ طولها فرسخين ، بمحيط يبلغ ستة فراسخ ، وعرض فرسخ واحد . تقع قريباً من البر الرئيس لمملكة "بالاغات" الوطنية المحلية .

قلعة سيدتنا العذراء في الكاب (الرأس) ، يحرسها أسود دون وجود أي ضابط أو جندي ، بها أربعة مدافع بقذائف زنة من خمسة عشر إلى عشرين رطلاً .

تقع قلعة جاسبار دياز على شاطئ جزيرة "غوا" مقابل "بارديز" . شيدت من الحجارة والحجر الجيري ، بارتفاع قدره خمسة عشر قدماً ، وخمسة أقدام عرضاً ، يبلغ كل امتدادٍ للسور ستة bracas .

على بعد ربع فرسخ من أعلى النهر ومن قلعة "جاسبار دياز" هذه توجد قلعة "باناجي" ، وأمام هذه القلعة يوجد جسر أمرت المدينة ببنائه في فترة الكونت "دي لينهاريس" .

لقصر "ريباندا" معقلٌ حصينٌ بمحاذاة النهر ، بطول عشر خطوات ، وعرض عشر أيضاً مع جرس إنذار ، لكن لا توجد مدفعية ولا جنود .

متجهاً نحو مدينة "غوا" ، وعلى مسافة عند أعلى النهر متجهاً ناحية اليسار عند موقع جزيرة "ديفار" ، تقع قلعة "نارفا" ، مع مدفعين من البرونز ، وberco ، ومدفع حديد يقذف قذائف زنة أربعة أرطال .

قصر "دوغيم" (Dauguim) ، أو المعروف باسم أم الرب ، لا يبعد سوى بضعة مباني ، ثم يأتي قصر (Coco) المعروف باسم "ساو براس" ، وبه معقلٌ حصينٌ ضخم من الحجر والحجر الجيري ، مع ثلاثة مدافع من البرونز .

على مسافة منه يقع قصر "سانتياجو" ، الذي به معقل حصين قوي جداً ، مع خمسة مدافع لقذائف زنة اثني عشر أو ثلاثة عشر رطلاً ، وبه ضابط ، ثم قصر "سانت لورنزو" ، حيث يعبر الشخص إلى "سالسيت" ، وهذا قصرٌ هام به ضابط ، لكن بلا معقل حصين ولا مدفعية .

في "غوا" ثمانمائة من العائلات وستة آلاف منزل حول حدودها .

النفقات السنوية في "غوا" على الأساطيل العادية ، رواتب ومؤن

للقلاع عندما لا توجد حرب ، ورواتب ومؤن للرهبان تبلغ ستمائة وخمسة وسبعين ألف وثمانمائة وستة وأربعين "أشرفياً" ، واثنين تانجاس ، وستة وثلاثين ريساً .

العائدات المالية السنوية للدولة من مدينة "غوا" تصل إلى خمسمائة وأربعة وثلاثين ألف ومائة وسبعة وثلاثين "أشرفياً" ، مع عائدات مالية أخرى تأتي من الخارج .

الفائض بعد النفقات يصل إلى سبعة وأربعين ألف وثمانمائة وسبعة وعشرين "أشرفياً" ، و٢ تانجاس ، وأربعة وعشرين ريساً .

"مارمارجاو" (Murmurgao) :

موقع على اليابسة يصل حتى البحر من البر الرئيس ، مشكلاً تلاً ، يقع حاجز "غوا" على بعد فرسخين للجنوب . أسفل ذلك التل توجد قلعة تسمى "مارمارجاو" ، بها ضابط وستة من الجنود البرتغاليين ، وخمسة عشر من الجنود المحليين . بها ستة مدافع من البرونز ، ومدافع قديمة تطلق قذائف زنة ثمانية عشر رطلاً . لها حوض سفنٍ جاف ممتاز .

تقع قلعة "راشول" في "سالسيت" "salsite" ، على بعد خمسة فراسخ أعلى النهر من "غوا" على جانب النهر ، لها معقل حصين ضخمٌ مع مدفعية ، ومعقل آخر على جانب اليابسة .

هنا يوجد ضابط مع أحد عشر جندياً . مجموع الكنارينيين في "سالسيت" حالياً ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعة وأربعين رجلاً مسلحين .

"هونافار" (Honor) :

تقع في البر الرئيس على مسافة ثمانية عشر فرسخاً جنوب مملكة

"بالاغات" المحلية . تم الاستيلاء عليها بواسطة نائب الملك "دوم لويس دي أتيد" "D . Luis de Ataide" في العام ١٥٧٨م ، وهي على مسافة ربع فرسخ من حاجز النهر المالح ، على قمة صخرة ، يحيط بها جدار يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر قدماً وعرضه ستة أقدام ، مع متراس بمحيط طوله أربعمائة bracas .

بها ثلاثون من العائلات ، وبها أربعة مدافع من البرونز ، وواحد من الحديد ، بالإضافة لثمانية falcoes واثنين bercos ، ومدفع بقذائف زنة رطلين ، وكلها من النحاس .

التكلفة السنوية تبلغ ثلاثة آلاف وستة وعشرين "أشرفياً" ، وتانجا واحدة ، وعشرين ريساً .

يوجد بعض الأرز ، والكثير من الأخشاب ، لعمل صواري السفن في الغابة التي في البر الرئيس ، المليئة بأشجار النخيل (catto) .

يصنع بعض الكتان في المنطقة ، وكمياتٌ كبيرة من الفلفل ، وهو الأفضل في الهند .

(Basrur) باسرور (Barsalor) :

تقع في البر الرئيس في محافظة "كانارا" بأعلى النهر عند الحاجز ، وعلى بعد فرسخ من مياه المد والجزر . لا تستطيع السفن الإبحار حتى القلعة التي تقع على الجانب الأيمن عند دخولك للنهر . لها جدار وارتفاعه ثلاثة bracas ، وعرضه خمسة bracas ، ودائرةٌ طولها حوالي مائة bracas .

تكلف كل سنةٍ ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسة وعشرين "أشرفياً" ، واثنين تانجاس ، وخمسة وعشرين ريساً .

يوجد خمسة وثلاثون عائلة من العائلات في المستوطنة ، والتي يحيط بها جدار من الطين ، يبلغ ارتفاعه واحداً ونصف bracas ، مع أعمدة . بها مدفعان وesfera واحد ، وتسع مدافع ونصف falcao مصنوع من النحاس ، وقطعتان من الحديد .

يوجد الكثير من الأرز ، والذي يوفر المؤونة لكل شخص ، وأيضاً الكثير من الملح الصخري والحديد والكتان .

"كامبوليم" :

وجدت هذه في العام ١٦٢٩م ، بواسطة الكونت "دي لينهاريس" ، وقد شيدت على شبه جزيرة بهذا الاسم ، على بعد رمية حجرٍ من النهر ، حيث يأتي الناس للشرب ، وعلى متراس بارز .

تبعد أقل من فرسخ من الحاجز ، ومقابل قناة في النهر يبلغ عمقها ست قامات ، حيث يمكن لكل السفن التي تأتي لهذا الميناء للتحميل أن ترسو . كل امتدادٍ للجدار يبلغ طوله ثلاثين bracas وعرضه ستة ، وارتفاعه خمسة وعشرين شبراً . بها ست مدافع من البرونز ، تطلق قذائف زنة من ثمانية إلى اثني عشر رطلاً من البارود ، وفيها كذلك : falcoes ونصف falcoes وbercos ، وبها ضابطٌ واثنا عشر من البرتغاليين ، وكانت قد شيدت لتسيطر على جزيرة "كامبوليم" .

"مانجالور" :

تقع على ساحل "كانارا" عند موقع في البر الرئيس عند حافة المياه ، عند

الحاجز على نهرٍ مياهه مالحة ، على مرمى قذيفة مدفع من الحاجز ، وينقسم النهر إلى قسمين : القسم على الجانب الأيسر يتجه نحو "بيمجول" (Bemguel) وليس خلفها ، أما القسم الذي على اليمين ، فيذهب حتى مملكة "أولالا" (Olala) . يبلغ ارتفاع الجدار أربع bracas وعرضه ستة مع متراس . كل امتداد للجدار يبلغ عشر bracas .

يوجد خمسة وثلاثون برتغالي في المستوطنة ، التي يحيط بها جدار يبلغ ارتفاعه bracas ، مع أعمدة بارزة .

"كانانور" :

تقع في موقعٍ عند خليجٍ على شاطئ "مالابار" . جدرانها مهدمة ، يبلغ عمق الخندق ثلاثة bracas ، وعرضه اثنين ونصف . عند جانب البحر يبلغ طول الجدار ثلاثة bracas ، وإجمالي محيطها مائتين وخمسة وخمسين bracas .

ليس لها أي عائدٍ مالي ، وتصرف لها الرواتب من "غوا" .

الحامية الوحيدة تتكون من أربعين من المتزوجين الذين يعيشون هناك .

يحيط سور بكل المستوطنة ، يصل ارتفاعه إلى واحد ونصف bracos .

"كرانجانور" "Cranganor" :

تقع "كرانجانور" على ساحل "مالابار" لمسافة ربع فرسخ عند الجزء الداخلي من الأرض في مملكة "كانجرانو" (Cangrano) . بها أربعة من مدافع البرونز ..

يسكن في المستوطنة مائة من المتزوجين من بيض وسود . ويحيط بها سور يبلغ ارتفاعه واحد ونصف bracas ، ومحيطها ستمائة .

تكلفة نفقاتها خمسة آلاف وثمانمائة وعشرين "أشرفياً" ، وهي تخص الآن أسقف المسيحيين في "ساو تومي" "Sao Tome" الذي يعيش هناك .

الإنتاج للمناطق الداخلية يتكون من كميات كبيرة من الفلفل والقرفة من الغابة ، والكثير من الجلود والأخشاب الممتازة .

مدينة "كوتشين" "Cochin" :

تقع في "مالابار" ، ويتم الوصول إليها عبر الحاجز وعلى امتداد النهر ، وهي أرض منبسطةٌ ليس عليها تلال أو ما شابه في الداخل أو خارج المدينة .

يبلغ ارتفاع الجدار اثنان ونصف bracas ، وعرضه أربعة ، يبلغ إجمالي محيطها ثلاثة آلاف ومائتي خطوة . يعيش عليها مائة من العائلات ، وألف وخمسمائة من المسيحيين ، ويشتملون على برتغاليين وسود .

حصن القائد المسور على بعد اثنتي عشرة خطوة من ضفة النهر ، وله مدفع ضخم من البرونز ، بقذائف زنة عشرين رطلاً وثلاثة falcoes ، من التي تقذف الحجارة ، واثنان آخران من البرونز .

المحاصيل التي تنتج من المناطق الداخلية هي الفلفل وخشب الزينة .

"كولاو / كيلون" (Coulao) :

تقع على الساحل الصخري لخليج في مملكة ترافانكور ، على خط تسع درجات ، وعلى بعد خمسة وعشرين فرسخاً جنوب كوتشين .

أسسها "دون فرانسسكو دي ألميدا" في العام ١٥٥٠م .

تبعد عشرين خطوة عن البحر .

بها الكثير من المنتوجات من الملح الصخري ، والأرز ، والكبريت ، والأدوية ، وأشياء أخرى كثيرة ، يتاجر فيها سكان "كوتشين" .

أحداث عام ١٦٤٠م

صدرت رسالة من نائب الملك إلى الملك ، بشأن مسقط ، "غوا" ، في السابع من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م : [١٥]

الرسائل التي تلقيتها من مسقط والموجهة لي من "فرانسيسكو دي تافورا دي اتيد" "Francisco de Tavora de Ataide" القائد العام لمضيق هرمز ، ومن "كريستوفاو رودريجيز دي كاستيلو برانكو" "Christofao Roderigues de Castelo Branco" قائد القلعة هناك ، أفادتني عن الخلافات الكبيرة في الرأي ، والتي تتعلق بسلطاتهم ، وتجارتهم ، ومصالحهم التي منحت الإمام الفرصة لمهاجمة القلعة .

طلب "كريستوفاو رودريجيز" الإذن للحضور إلى هذه المدينة بناءً على حالته الصحية ، والتي بسببها طلب من الدكتور شهادةً بذلك .

كان هناك اهتمام بما يمثله ذلك الموقع من قوةٍ لي ، وشعرت بأنني مكرهٌ على التعامل مع هذا الموضوع باهتمام كبير ، بالإضافة أنه كان حاضراً

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

دائماً في تفكيري ؛ لأنني كنت أحد الشهود ، كيف كان جلالتك غير راض ، وكذلك وزراؤك في مدريد بخصوص الخلافات التي نشأت في "مـــالاكا" بين الجنرال "لويس مارتينز دي سوزا" "Luis Martins de Susa" والقائد "دوم ديوجو كوتنهو" "D . Diogo Coutinho" ، بالرغم من عدم تقديم أي احتجاج لهم .

عليه ، قدمت الرسائل المذكورة أعلاه للمجلس ، الذي ساعدني طالباً حكمهم في الأمر ؛ حتى أقوم بناءً عليه ، وأن أقرر ما يمكن عمله في مثل هذا الأمر الهام .

بناءً على ذلك ، أبدى الكثيرون منا الاعتبار لكل شيء . طالما أن الحصن والموقع في "مالاكا" له أهمية كبرى عن ذلك الذي في مسقط ، فقد أعفي من وجود جنرال له في الوقت الحاضر ، وكذلك الذي في مسقط أيضاً ، وذلك الذي في "ساو تومي" .

بناءً على اختلاف الآراء ، اتفقوا على المبدأ ، وذلك أن تقوم إدارتي بعرض عظيم أعمال لأولئك النبلاء ؛ حتى يكونوا نموذجاً للمستقبل ، وعليه تقرر أن يطلب من كليهما ضرورة إرسال حاكم للدفاع ، وإدارة الموقع في مسقط ، ومعه مراقب موثوق به ، ويمكن الاعتماد عليه .

بعد مغادرة القائد العام والضابط إلى "غوا" ، من المهم القيام بتحقيقٍ بخصوص سلوكياتهم ؛ حتى يتم اتخاذ الإجراء المناسب ضدهم .

طبقاً لهذا القرار ، أرسلت في الحال طالباً "أنطونيو دي مورا دي بريتو" "Antonio de Mora de Breito" أحد نبلاء أهل بيتك ، كونه أحد المرشحين لتعيينه كقائد للقلعة ؛ لأنه تلقى معظم الأصوات في

المجلس ، كما أنه رجل محترم ، ويمتلك كل الصفات الضرورية والمزايا التي تمكنه من الدفاع وقيادة ذلك الحصن .

أخبرته بمدى أهمية ذلك ؛ لمصالح وخدمة جلالتك ، أن يذهب ويتولى منصبه هناك في الحال .

المركب الشراعي الذي جاء برفقتي كان قبطانه "أنطونيو كابرال" "Antonio Cabral" . تقبل بحماس شديد ، وطلبت أن تصدر له الرسائل الضرورية . كما أعطيته أيضاً التعليمات التي يجب احترامها ، وبلاغ للكابتن ميجور في ذلك المضيق بأن يبقى تحت إمرته .

هناك نقص كبير في القضاة في المحكمة العليا ، ولهذا السبب لا يستطيع أيٌ منهم القيام بأي تحقيق في هذه القضية ، وعليه طلبت من المحكمة تعيين شخص مناسب ونزيه يلتزم بأداء هذه المهمة .

تم تعيين "جيرونيمو فيراس دي سوزا" "Jeronimo Viras de Susa" ؛ لأنه أبدى الكثير من الاستقامة والأمانة خلال إجراءات المحكمة العليا التي عمل فيها . سيتولى هذا الأمر بكامله بما يتناسب وخدمة جلالتك .

في الرسائل التي كتبها "فرانسيسكو دي تافورا دي أتيد" ، أطلعنا أن الشيوخ الذين يديرون القلعة هناك- والذين وثقنا بهم دائماً وأداروا مكتب الجمارك بدلاً عن القاضي- تآمروا مع الإمام ملك الجزيرة العربية في الحروب الدائرة حالياً . أفادوه بعدم وجود رجال في القلعة ؛ لأن الأسطول الذي بالمضيق أخذ جميع الرجال ،

هكذا قام الإمام بإحكام الحصار حول القلعة ، بالرغم من أن الشيوخ قد أجبروه على الانسحاب إلى أراضيه ، وقد فقد العديد من رجاله ،

بالرغم من ذلك اعتبر من المعلومات للشيوخ في تلك المدينة في أول سفينة (لأنهم وزوجاتهم طلبوا ذلك) ، بأن التحقيقات ما تزال جارية عن سلوكهم ، بناءً على ما يتم التأكد منه ، وسيقام عرض لها طبقاً لآراء العدالة التي تسود في ذلك المكان .

بما أن لهم الحق في المستحقات التي تدفع لقضاة مكتب الجمارك ، فقد طلبت أن يدفع لزوجاتهم مبلغ من المال حتى يتمكن من إعاشة أنفسهن ، ويظل الباقي كوديعة حتى يسلم لأولئك الذين يخصهم .

وطلبت بنفس الطريقة ، أن يتم تحقيق عن القاضي "ديوجو سواريس دي بريتو" "Diogo Soares de Breito" ؛ لأنني علمت أنه قد ارتكب الكثير من التجاوزات ، وطلبت منه المثول أمام سلطات هذه المدينة .

لا يزال هناك خوف من أن يعود الإمام إلى الحصن بقواتٍ كبيرة ، فطلبت مدفعيةً ثقيلة وذخيرة ، وكل شيء آخر ضروري يتوجب إرساله في السفينة الشراعية ، التي يستطيع جلالتك الاطلاع على ما صرف عليها من قائمة مراقب الخزينة .

كما أخبرت جلالتك ، فإن السفينة قد جهزت تماماً ومستعدة للمغادرة .

استعدت في الصباح الباكر للمغادرة ، لكن ، لأن المنطقة كانت صغيرة جداً ؛ لم يكن من الممكن التحرك بعيداً عن الحاجز دون أن يشاهدها العدو ، الذي يراقب كل صغيرة وكبيرة ، وسيقوم بمهاجمتها بكل سفنه .

فرح السيد اللورد بأن هناك مكاناً آخر ، حيث يمكن التجمع فيه ، وقد اتجهت السفينة نحوه .

لكن ، بسبب المعلومات التي تلقاها بأن هذا المتمرد أيضاً موجود هناك ، وقريب من الشاطئ ، حتى وإن غادرت السفينة في ظلمة الليل الحالك ، فإنها لن تغفل عن نظره .

بما أن الرحلة هي في سبيل مساعدة القلعة التي كانت في أمس الحاجة ، إلا أنها تأخرت ، فهذا دفعني لاستدعاء المجلس ، وطرحت الأمر عليه . تم الاتفاق على تقسيم ما بالسفينة على اثنتين من سفن جلالتك ؛ لأن تلك السفينة يمكن إخفاؤها بسهولة وسط الأسطول الشمالي ، الذي قررت إرسالها في رفقته .

أصدرت أوامري لتلك السفن الشراعية بالاستعداد حالاً . بعون الله وتوفيقه ستغادر في خلال أيام قليلة .

ليحم الرب جلالة شخصك الكاثوليكي ؛ لتحمي مصالح المسيحية ورعاياك ...

"غوا" ، في السابع من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م

وفي العام نفسه (١٦٤٠م)

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" "Conde de Aviras" إلى الملك ، بشأن الصراعات بين الشاه والأتراك ، "غوا" ، في السادس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م : [١٦]

سيدي ،

لم أبعث برسائل عبر البر لأخطر جلالتك بوصولي لهذه الدولة ، وكيف وجدتها . العديد من الطرق من فارس مقفلةٌ ، نتيجة الصراعات التي اندلعت بين الشاه والأتراك ، ومن بين الكثيرين الذين طرقوا تلك الدروب ، وصل بعضهم ، والبعض الآخر تحطمت سفنه .

الطريق من البصرة كان الوحيد الباقي الذي يمكن العبور عبره ، وعليه ، توقفت عن المحاولة . أدركت أنها لن تكون طريقاً سريعة أكثر من السفينة الشراعية التي كان على ظهرها الحاكم "أنطونيو تيليس"

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

"Antonio Teles" مغادراً من هنا ، وأيضاً لتفادي نفقات إضافية في الوقت الذي نحن في أمس الحاجة للأموال .

عند ظهور أي مستجدات ضرورية ، سأقوم باطلاع جلالتك عبر رسائل من نفس الميناء .

ليحم الرب جلالتك الكاثوليكي ؛ لتأمين مصالح العالم المسيحي ورعاياك .

"غوا" ، في السادس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م

أحداث عام ١٦٤١م

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" إلـى الملك ، بشأن السفن التجارية ، في ميناء البصرة ، "غوا" ، في الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦٤١م : [١٧]

سيدي ،

في شهر ديسمبر الماضي من العام ١٦٤٠م ، وصلت إلى "شول" بعض السفن التي كانت في رحلة إلى البصرة خلال الصيف .

بينما كانت السفن في ميناء البصرة ، اشتبكت في مواجهة مع مركب شراعي إنجليزي كان محملاً ببضائع تجارية .

عندما رأى الباشا الذي يعيش هناك ذلك غضب جداً من البرتغاليين ؛ لأنه اعتبر أن وصول الزوار الجدد سيزيد من أرباحه .

عليه ، فقد فصل وجودهم بكل بساطة ، وألقى باللوم ، والذي

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

كان على تجارنا ، مما أدى إلى انخفاض قيمة البضائع التي كانوا يحملونها معهم .

حدث أن وعد الإنجليز بإحضار أعدادٍ كبيرةٍ من السفن إلى البصرة في المستقبل ، والكثير من الأموال ، ومن المؤكد أن هذا سيقلل من قيمة المضيق الفارسي لأبعد حدود الفقر ، ومكتب الجمارك في مسقط سينخفض دخله كثيراً عما كان عليه .

يبحر الإنجليز والهولنديون بحريةٍ ، مع قليل من التكاليف الجمركية . بالإضافة إلى أنهم كانوا يحملون دائماً بضائع ممنوعة ، ولذلك كانت أرباحهم عاليةً جداً ، مقارنة بتلك التي يحصل عليها رعايا جلالتك .

قدمت لي شكاوى لمعالجة ذلك الوضع بكل الطرق الممكنة . لا أشعر بأن ذلك يمكن أن يتم خلال فترة توقف الاشتباكات هذه ، التي تم الوصول إليها مع أولئك الرجال .

لم تتم إعاقة نشاطاتنا فقط في مدينة البصرة هذه ، لكن ، حتى حياتنا كانت على المحك في السند ، وقدم أحدهم عرضاً خاصاً- من قبل أحد مبعوثي ملك المغول الجدد في تلك الميناء - ، استدعى الكاتب التجاري وبرتغالياً آخر ، وأخبرهم أن ملكه قد احتفظ بأراض خربة ومكتب الجمارك أيضاً لنفسه .

سلب الأرض من حماه- وهو جنرال يدعى عساف حسان (أصاف حسن) - . إذا أراد البرتغاليون الاستفادة من التجارة والاحتفاظ بالسلام الذي منح لهم ، فذلك شريطة ألا يتم دفع أي مستحقات

في مكتب الجمارك هناك ، على أي من البضائع التي تنقل بين السند ومسقط ، وهذا باسم الملك سيدهم .

بالمثل ، فإن البضائع التي لم تبع وعادت كما هي ، أي ، الخيول التي إما أن تؤخذ إلى البصرة ، أو القطيف ؛ للتعويض عما أعلنه هو ، إذ وعد بعدم تحصيل المستحقات في الميناء بالسند على بضائع قائد مسقط ، ولا عن تلك التي تخص نائب ملك الهند .

قدمت شكاوى أخرى عن البرتغاليين ، كونهم يأخذون البحارة بالقوة بالمستحقات التي يتم تحصيلها على الخيول والبضائع ، كان عليه استدعاء الهولنديين كما فعل مع الإنجليز ، وتركهم يتعاملون بأي بضائع يريدونها ، وأخذ سفنهم إلى أي ميناء يرغبون فيه .

أجاب البرتغاليون أنهم لن يتمكنوا من اتخاذ قرار في هذا الطلب دون اطلاعي ؛ لأنه بدا غريباً جداً وغير عادي في طلب شيء لم يكن عادةً يتم بهذه الطريقة ، أي بجانب ذلك بضائع أخرى كثيرة يمكن أن تمر دون فحصها ، تحت ذريعة أنها تخص الملك .

أجاب المير شريف علي ذلك بأن المسلمين اقترحوا أن تحمل بضائع الملك علامة حتى يتم التعرف عليها . أما بخصوص الخيول ، فقد حددوا رقماً بحوالي مائة حصان .

هذا ما حدث في ذلك الميناء .

رأيت أنه علي تقديم بيان لجلالتك حتى تفهم جيداً ما يدبره الهولنديون والإنجليز .

غادر بعضهم علناً وآخرون في الخفاء ، لكن دائماً ، بقصد صرف نظر رعاياك وعدم تركيزهم على تجارتهم .

لذلك ، كان من المؤكد أن يؤثر ذلك على دخل مكتب الجمارك الذي انخفض تماماً .

تقدمت بهذا الطلب لمجلس الخزينة ؛ لمراجعته أثناء وجودي .

قد قرر القساوسة الذين ساعدوني ، أن التعليمات التي تم الاتفاق عليها في مسقط لا يمكن رفضها ، وبقدر الإمكان ، فإن التجار المغول الذين يرسلون من طرفهم يجب أن يعاملوا باحترام ، وأن رداً يجب أن يصدر إلى السند وإلى مسقط .

بالرغم من ذلك ، لا يمكننا اتخاذ إجراءات كاملة ، ولا أن نرد بطريقة رسمية في هذا الموضوع دون ما يراه جلالتك ، والذي نرجو أن يصلنا في هذه السفينة ، وسنتعرف على نحو آخر فيما يستجد .

سأظل في الوقت الحالي على صلات ودية مع هذا الرجل بأفضل الوسائل الممكنة ؛ حتى لا أقطع الصلات معه ونفقد فرصة التجارة .

هذا يمثل لب الموضوع .

رأيت أنه علي إرسال نسخة بما طلبه المير شريف حتى تصدر جلالتك الأوامر ، وتأمرنا أن نواصل ما تراه مناسباً .

ليحفظ الرب جلالتك الكاثوليكي لسنوات عديدة قادمة ، لما يحفظ مصالح الأمة المسيحية .

"غوا" ، في الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦٤١م

وفي العام نفسه (١٦٤١م)

قـدمت مقـالات إلى جـلالة مـولانـا الملك "جواو" الرابع "Joao IV" ، الـذي يحمـل ذلك الاسـم بين ملوك البرتغال ، دفاعـاً عن سمعة وذكرى "فـيرنـاو دي البـوكـيرك" "Fernao de Albuquerque" ، عضو مجلسه وحاكم الهند الراحل ، إزاء ما كتبه عنه "دوم غونسالو دو سيسبيدس دي مينيسيس" "Goncalo de Cespedes Meneses" في عرضه التاريخي للملك "فيليب الرابع" "Historia de Felipe IV" ملـك "كـاستـيل" ، بقلـم "لويـس مـارتينهـو دي ازيفـيدو" "Luis Martinho de Azevido" ، وهو مواطن من هذه المدينة ، الجزء الثاني : (١٨)

المقالـة "١٢" ردود علـى افتراءات لـ "دوم غونسالو" الأخرى : وكيف بدأ "روي فرير" القلعة في قشم

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

يستمر "دوم غونسالو" في نهاية الفصل المذكور بإيراد افتراء آخر ضد الحاكم بالكلمات التالية :

"كان "روي فرير" غاضباً على نحو ما ؛ لرؤيته أن الحاكم لا يزال مدفوعاً بعواطفه ، ومن أجل أن يشوه سمعته ويضعف سلطته ؛ لم يحد فقط من سلطانه على جنوده ، بل حولها إلى القائد وقاضي التاج في هرمز ، وذلك حتى يتصرف هذان الاثنان على النحو الذي يريانه ملائماً في الأشياء المرتبطة بالحرب ، وجعله بذلك مسؤولاً صورياً" .

يستند هذا الافتراء إلى فقرةٍ في رسالة الحاكم ، المؤرخة في الثلاثين من شهر مارس عام ١٦٢١م ، التي أوردناها من قبل ، والتي يبلغ فيها "روي فرير" بأن القائد وقاضي التاج سيفصلان في قضايا الرجال الذين ينتمون لأسطوله ، والذين يرتكبون جرائم على البر ، وكان السبب الذي دفع الحاكم لهذا الإجراء ، هو أن القائد كتب له الرسالة التالية :

رسالة من قائد هرمز إلى الحاكم

"أؤكد لكم أنني كنت سأفضل البت في هذه الأمور هنا ، وألا أزعج فخامتكم ، ولكن ، وبما أن قاضي التاج يرسل لكم أوراقاً ، فيجب عليّ أن أشرحها لكم .

ستعرفون فخامتكم أنه حتى وصول سفينتي الغليون هاتين كانت هذه البلاد هادئة ومسالمة ، إلى حد أن أحداً لم يجرد سيفه ، ولم يكن أصحاب الحانات يغلقون أبوابهم إلا في وقت متأخر من الليل .

لكن هذا الوضع لم يعجب الشيطان الذي عمل على تخريبه بقدوم السفينتين ، وحالياً تنتشر أعمال السطو والمشاجرات التي تستخدم

فيها الأسلحة واقتحام المنازل ، بما في ذلك منزل المرشد الذي أرسله فخامتكم مع patacho "فرانسيسكو ريبيرو" "Francisco Rebeiro" ، الذي قتلوه ومعه أحد رفاقه .

الشيء الذي يفوق ذلك سوءاً ، هو أنه بدلاً من معاقبة المذنبين وإلقائهم في السجن ، كان ربابنة الأسطول يعمدون إلى جمعهم واصطحابهم بأمان إلى الجانب الآخر من المضيق ، حيث لا يخضع الأسطول لأي أمر من أوامر الملك ، ولم يبلغوا سلطان بندر ومسؤوليه بهذا الأمر ، أو بالقلعة التي ستبنى في قشم ، أو بأي شيء آخر .

يمكن لفخامتكم أن تتصوروا طيش هؤلاء الأشخاص الفاسقين ، الذين لم يعرفوا أبداً تقييد حرياتهم ، إذ إنهم وقبل وصولهم كان معروفاً في كل حانة أنهم قادمون لبناء قلعة في قشم ، وأنهم جلبوا معهم معدات من البرتغال لتنفيذ العمل ، ويجب ألا تسيطر على فخامتكم الدهشة ؛ لأنه خطأ الشعب البرتغالي ، ومهما كان القائد كتوماً لا يمكن في بعض الأحيان إخفاء مثل هذا الأمر .

قبل أربعة أيام- وبينما كان قاضي التاج يقتاد رجلين وجدهما يتقاتلان في مبارزة ، وأحضرهما كسجينين إلى القلعة- جاء إليه أحد المسلمين- وهو ربان سفينة patacho - ، مع بعض رفاقه ، وانتزعوا الرجلين منه بالقوة ، قائلين إنهم سيصطحبونهما إلى قائدهم ؛ لأنهم لا يعترفون بأي عدالة أخرى ، وأي أمور أخرى كهذه يرونها هراء .

كتبت لأبلغ "روي فرير" برأيي في ذلك ، وطلبت منه أن يفيدني

بما إذا كانت لديه أوامر بألا يكون لمسؤولي صاحب الجلالة المكلفين بتنفيذ العدالة سلطة على أتباعه .

أجاب أنه بعث إلى فخامتكم ليسأل عما إذا كان ممكناً أن يخضع أتباعه له فقط ، وقد أراد أن يناقشني في الأمر ، ولكنني لم أقبل ، حيث إنني رأيت أن ذلك غير ضروري ، بما أنه لم يفعل ذلك مع قاضي التاج .

إذا كان هذا الأسطول سيعود إلى هنا لقضاء الشتاء ، أرجو التكرم بإصدار أمر حول ما ينبغي القيام به إزاء "روي فرير" ورجاله ، إذ لا يمكن أن تكون هناك سلطتان في بيت واحد ، ولا يمكن أن يكون هذا في مصلحة صاحب الجلالة .

لهذا السبب ، وخلال انتظاري أوامر فخامتكم ، تغاضيت عن بعض التجاوزات ، ولكنني لا أدري إن كان هذا يمكن أن يستمر .

هرمز ، الأول من شهر سبتمبر عام ١٦٢٠م

"دوم فرانسيسكو دي سوسا" "Francisco de Susa" .

نتيجةً لتلك الرسالة ، اضطر الحاكم- الذي تم إبلاغه أيضاً بالجرائم التي ارتكبها جنود أسطول "روي فرير" على البر- لإصدار أمرٍ بأن يتولى قائد القلعة محاكمة مرتكبي الجرائم والمخالفات ومعاقبتهم ، كما هو الحال في جميع الأماكن التي يتداخل فيها قادة البحر مع قادة البر ، ويصدر قائد البر عقوبات على رجال الأسطول ، ويملك القائد البحري السلطة فقط على متن سفنه فقط .

يحدث هذا في كل يوم في مدينة "لشبونه" ، حيث يحاكم القائد

العام لجنود البر وكبير قضاته ، ويعاقبون مرتكبي الجرائم على البر ، من جنود الأسطول الملكي والأساطيل المرتبطة به .

هذا ترتيب موجود منذ زمن بعيد ، ومنصوص عليه في اللوائح العسكرية ، فكيف يمكن لـ "دوم غونسالو" أن يرى أن "فيرناو دو البوكيرك" قلل من سلطة "روي فرير" ، وتركه كمسؤول صوري ، إذا أمر بأن يتولى قائد هرمز معاقبة جرائم القتل الوحشية ، والسرقات ، وعمليات السطو العنيفة التي يرتكبها أمام عينيه جنود الأسطول ، وعجرفتهم عندما يقولون إنهم لا يعترفون بقاضي التاج في هرمز ، والأمور الأخرى التي لا تليق برجال الجيش .

إذا كان الهدف من هذا هو حرمان "روي فرير" من نفوذه ، يمكن رؤية مدى تجرد أسس "دوم غونسالو" ليقول شيئاً كهذا .

في الفصل ٣٥ من الكتاب المذكور ، يستمر في بيانه عن هرمز ، بمناقشة بناء القلعة ، وكيف وصل الفرس على الفور لمحاصرتها ، ودافع "روي فرير" عنها بتصميم شديد ، وسجل البرتغاليون أعمالاً عظيمة ورائعة ، وقتلوا الكثير من الأعداء في الميدان عندما انطلقوا ليواجهوهم ، وهاجموا ببعض سفن الملك بلداتٍ في فارس ، وانتصروا على الأعداء بجهودٍ جبارة ، وسجلوا أعمالاً بطولية فذة .

خلال هذه المعارك ، فقدوا بعض الرجال الذين لم يتمكنوا من استثنائهم ، وكان ذلك هو الحال أيضاً بالنسبة للذخيرة التي استخدمت في حصارٍ طويل ، وقتال مستمر .

عندما يناقض "دوم غونسالو" هذه الأشياء ، يقول إن "دوم مانويل دي ازيفـــيدو" "D . Manuel de Azevido" و"دوم جواو دا سيلفيرا"

"D . Joao da Silviera" متظاهران بالغضب ؛ لأن بعض منتهكي القوانين ألقي القبض عليهم في مسكنهم ، غادرا المكان تاركين "روي فرير" مريضاً .

وعلى الرغم من أن هذا لا صلة له ألبتة بالحاكم "فيرناو دو البوكيرك" ، إلا أننا لا نستطيع إلا أن نوضح مدى محدودية دراسة "دوم غونسالو" للحقيقة التي يجب أن تكتب في تاريخ جديرٍ بالاعتماد .

على الرغم من أن "دوم مانويل دي ازيفيدو" غادر قشم وهو غاضب نوعاً ما ؛ لأن "روي فرير" دخل مسكنه لاعتقال أحد منتهكي القانون ، ولم يبد احتراماً له بصفته سيداً متقدماً في السن ، وكان قائداً له في حروب الشمال وقلعة "شاول" ، كان الهدف الرئيس هو أنه كان يعاني من قرحة في صدره ، ونصحه الأطباء بالتوجه إلى "غوا" ليتلقى الرعاية المطلوبة ؛ لأن القرحة كان من الممكن أن تهدد حياته .

علاوة على ذلك ، وعندما غادر الهند ، كان ذلك من أجل أن يصبح أميرال الأسطول ، وليس ليترك سفينته الغليون ويعمل كقائد على البر ، ولم يكن "دوم جواو دا سيلفيرا" معتاداً على العمل المتواصل المنتظر منه في قشم ، حيث كانت الشمس والحرارة لا تطاق ، وسببت له حمًى وهذياناً ، وقد تم نقله إلى هرمز للعلاج ، وتوفي بعد ذلك بأيام قليلة ، وتم دفنه في كنيسة القديس "أوغسطين" ، وكتب "روي فرير" شهادةً له ، عدد فيها خدماته العظيمة وأعماله البطولية التي أداها في قشم .

على الرغم من أن هذا أمر معروف جيداً ، وهناك الكثير من الناس الذين لا يزالون على قيد الحياة ممن كانوا في هرمز في ذلك الوقت ، إلا

أن المؤلف تجرأ وكتب عكس ذلك ، الأمر الذي يبرر الاعتقاد بأن كل شيء كتبه لا أساس له من الصحة .

يورد "غونسالو" أيضاً في الفصل التالي الكلمات التالية ، والتي سيتم الرد عليها على الفور :

"وصلت هذه الرسالة ورسائل أخرى مماثلة من القائد وكبير مسؤولي الخزانة إلى "غوا" في شهر أكتوبر ، ولكن ، وعلى الرغم من أن المجلس بعث بممثلين ليقدموا استئنافاً لـ "ألبوكيرك" شخصياً ، ويعرضون عليه دفع المصاريف .

تجشم الجنرال "نونو الفاريز بوتيلهو" "Nuno Alvares Botelho" مصاعب جمة ليعرض هذا الأمر عليه ، فإنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لجعله يعدل عن عناده ، أو ليحولوه عن الحجج القديمة التي اعتاد أن يخدع نفسه بها : إنهم لم يكونوا بحاجة للخوف من الأعداء الأوروبيين في سفن عالية الجوانب على تلك السواحل والمياه الضحلة .

إن الشاه سيكون صديقاً وفياً ، ومن الحماقة أن نتخيل أنه سيتحالف مع الإنجليز ، أو يخل بتعهداته للبرتغاليين ، ولذلك تشبث برأيه (وأيضاً ولأسباب ودوافع أخرى بعد وصول "مورا روليم" "Mora Rolem" بأنباء تفيد بأن خليفته في الطريق ، وصحيحٌ أنه بلغ اليابسة) وامتنع عن التخلي عنه بالاعتقاد أن نائب الملك سيصل إلى "غوا" في أي لحظة ، وقد يتركها له ليتولى أمرها" .

هذه الكذبة من "دوم غونسالو" تساوي في حجمها الهائل الأكاذيب الأخرى التي رددنا عليها ، إذ إنه وفور استلام الحاكم رسائل من قائد هرمز

وكبير مسؤولي الخزانة فيها ، والرسالة التي كتبها له "روي فرير" ، وقدم له فيها بياناً عن الوضع في قشم ، استعد ليرسل إليه أضخم قوة ممكنة .

في الوقت الذي تلقى فيه المعلومات ، كان يرسل سفينتين تحملان معونة إلى هرمز ، تشمل مؤناً وذخيرة وستين جندياً ، وأمر قائد "ديو" وكبير مسؤولي الخزانة فيها بالتأكد من أنهما مجهزتان جيداً .

كتب أيضاً إلى كثيرٍ من القادة والمدن والقلاع التي في الشمال ؛ لكي ترسل إلى هرمز أفضل عونٍ يمكنها جمعه ، ولم تكن هناك حاجة من "نونو الفاريز بوتيلهو" أو أي شخص آخر ، إذ إن "فيرناو دو البوكيرك" تنبأ بكل شيء ، وكان يقوم بالترتيبات بالعناية والاهتمام والتعاون الذي لاءم منصبه ، وحماسه لخدمة صاحب الجلالة .

كيف يمكن للتقدير البشري أن يقبل ما يدعي "دوم غونسالو" أن الحاكم قاله ، وهو أنه لم تكن هناك حاجة للخوف من الأعداء الأوروبيين ؛ لأن الشاه سيكون صديقاً وفياً ولن يتحالف مع الإنجليز ، في الوقت الذي تؤكد فيه الرسائل المذكورة بالفعل أن أكثر ما ينبغي الخوف منه هو قطع العلاقة مع الشاه ، وشن حربٍ ضده كما حذر "روي فرير" بنفسه؟

من أجل عدم الوفاء بالتزاماته ، دعا المجلس ليوافق على ضرورة إرسال تعزيزات ، والاتفاق على من يتولى القيادة ، وعقد المجلس جلسته في العشرين من شهر أكتوبر فور وصول الأنباء ، وفيما يلي نسخة من محضر الجلسة :

قرار المجلس الذي دعاه الحاكم للانعقاد

في "غوا" بتاريخ العشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٢١م ، حضر

"فيرناو دي البوكيرك" ، عضو مجلس صاحب الجلالة والقائد وحاكم الهند ، جلسة المجلس مع كبير الأساقفة ، و"سيماو دي ميلو بيريرا" "Simao de Milo Perriera" قائد المدينة ، و"نونو فاز دي كاستيلو برانكو" "Nuno Vaz de Castelo Branco" كبير مسؤولي الخزانة ، و"د . غونسالو بنتو دا فونسيكا" "Goncalo Bento da Vonsica" ، مستشار الدولة .

حضر أيضاً ، بناء على أوامر من فخامته ، المستشارون البلديون الثلاثة للمدينة في تلك السنة : "دوم بيدرو دي ماسكارينهاس" "D . Pedro de Mascarinhas" و"لويس كارفالهو" "Luis Carvalho" و"أنطونيو دي تافورا" "Antonio de Tavora"

أوضح فخامة الحاكم أنه تلقى رسائل من قائد أسطول أعالي البحار "روي فرير دي اندراد" "Rui Feriere de Andrade" ، ومن قائد هرمز "دوم فرانسيسكو دو سوسا" ، ومن كبير مسؤولي الخزانة في تلك القلعة ، "مانويل بورجيز دو سوسا" "Manuel Borgues de Susa" ، وأنهم أوضحوا في تلك الرسائل الحالة الطارئة والكرب الشديد الذي يعانون منه ؛ بسبب الأعمال التي قام بها القائد المذكور ، من أجل إنشاء القلعة في قشم ، وقد أمرني- بصفتي السكرتير- أن ألخص ما جاء في تلك الرسائل ، وهو ما فعلته .

تفيد الخلاصة بأن "روي فرير"- وفقاً للأوامر التي أحضرها لهذا الموضوع من صاحب الجلالة- عبر إلى قشم ، وبنى القلعة المذكورة من الخشب والحجر والطين ، مع بعض المواقع الحصينة وبعض المدفعية ، وأن

مناوشاتٍ وقعت مع بعض أهالي تلك الجزيرة عند النزول في الجزيرة – وقد جاؤوا لمنعه – .

لاحقاً بينما كان العمل مستمراً ، وأن الكثير من الرجال توفوا من المرض المنتشر في قشم وفي هرمز ، ولهذا السبب ؛ ولأن آخرين كانوا يهربون واجهوا نقصاً في الرجال ، وقد طلبوا إرسال تعزيزات إليهم على نحو عاجل ، تشمل الرجال والسفن والمؤن والذخيرة والمدفعية للقلعة .

كتب قائد القلعة ، "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، أن الحرب أعلنت مع الشاه ، وأن عشرة آلاف من الجنود المشاة والفرسان يتوجهون نحو هرمز من شيراز ، أرسلهم الخان ، وهو الحاكم هناك .

عند قراءة هذا التقرير ، أوضح الحاكم الأهمية الكبرى لقلعة هرمز ، ومدى ضرورة المحافظة عليها الآن بعد أن أعلن عدو قوي كهذا الحرب عليها ، علماً بأنه يشتهيها كثيراً .

يصح هذا الأمر الآن على وجه الخصوص ، بما أنه عرف– من خلال رسالة من قائد "شاول"– أنه علاوة على سفن القرقور الإنجليزية الثلاثة التي كانت تبحر في هذه المياه (من الأربعة التي حاربها "روي فرير" قبالة جاسك في العام الماضي) ، جاءت أربع سفن قرقور أخرى واتجهت إلى سورات ، وكان مؤكداً أن السفن الأربع لابد أن تمر عبر مضيق هرمز ، وأن الشاه ينوي الاستفادة منها في محاولة ليلحق أكبر الضرر الذي يستطيع إلحاقه بهرمز .

كان هناك الكثير الذي يجب الخوف منه في الوضع الحالي ، في حال لم يتم إرسال النجدة ، وفي الوقت ذاته ، أوضح أن هناك عدداً قليلاً

للغاية من الرجال المقاتلين هنا في "غوا" ، وهناك حاجة إليهم لأساطيل "مالابار" والشمال ، ومن دون هؤلاء الرجال ، لا يمكن توقع عائداتٍ من مستحقات جمارك "غوا" ، وكان هناك نقص في كل شيء .

كان ملوك الممالك المجاورة على علم بهذا الأمر ، وأنها كانت نتيجة لإرسال النجدة إلى هرمز ، وربما ينتهزون الفرصة لمحاولة القيام بشيء ما .

بوضع هذا الأمر في الذهن ، كان لا بد عليهم التصويت على ما يجب القيام به ، وتقديمه في هذه المناسبة .

يمكن للمدينة من جانبها ، أن تستعد لتقديم العون على أي نحو تستطيعه ، سواء من ضريبة القوافل ، أو بفرض واحد بالمائة ، أو نسبة أخرى .

الوضع الطارئ واضح تماماً ، وتمثل سلامة هرمز والمحافظة عليها أثراً هاماً للجميع .

وافق الجميع على أنه أمر أساسي أن يتم إرسال العون لذلك المعقل ، وأن تتم المحافظة على ما تم القيام به في قشم ، والذي لا يمكن التخلي عنه الآن دون فقدان الكرامة ، ولهذا السبب ، يجب بذل كل جهدٍ ، وإرسال كل المساعدات الممكنة ، سواء من الرجال أو الإمدادات ، طبقاً لما تم طلبه .

عند بحث السرعة التي ينبغي من خلالها إرسال هذه المعونات ، والمكان الذي يمكن إرسالها منه على نحو سهل ، كان هناك رأي بأن بعض السفن التي جرى التعاقد بشأنها للتوجه إلى "مالابار" ، يجب الاستيلاء عليها .

أوضح التصويت أن غالبية الحاضرين كانوا يؤيدون إرسال عشر

سفن مزودةٍ بعدد وافٍ من الرجال ، قادرة على حمل المؤن ، فقد كان هناك رأيٌ بأن تنقل المؤن على متن السفينة الغليون التي وصلت للتو من البرتغال ، وإذا غادرت في موعد قريب ، تستطيع الوصول إلى ساحل شبه جزيرة العرب ، ومتى وصلت هناك ، تستطيع أن تتجنب الإنجليز ، ولا سيما بما أنه من المعتقد أنهم لا يغادرون عادة إلى المضيق قبل العشرين من شهر نوفمبر .

عندما انفض اجتماع المجلس ، بحث الحاكم مع كبير الأساقفة وكبير مسؤولي الخزانة والمستشار موضوع الشخص الذي ينبغي اختياره ليتولى قيادة هذه التعزيزات ، وقرروا أن يكون هو "دوم سيماو دو ميلو بيريرا" ، قائد المدينة ، الذي تم تعيينه ليقود أسطول "مالابار" .

قد تعين أخذ السفن العشر من أسطوله ، وإذا لم يكن هناك خلال هذا الصيف ، يجب ترتيب شكل آخر من الحماية لذلك الساحل ، وإذا أمكن استثناؤه من هناك ، يمكنه الذهاب لأخذ العون إلى هرمز بالشكل المطلوب ، وإذا حدث أي شيء لـ "روي فرير" يستطيع أن يخلفه في منصبه ، بما أنه سيد نبيل يملك الصفات الضرورية ، ووافق فخامة الحاكم في كل شيء مع رأي المجلس ، وأمر بتسجيل هذا القرار ، ووقع الجميع عليه .

كتب هذا السكرتير ، "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" "Afonso Roderigues de Givara" . الحاكم وكبير الأساقفة و"دوم بيدرو دي ماسكارينهاس" و"نونو فاز دي كاستيلو برانكو" و"غونسالو بنتو دا فونسيكا" و"سيماو دو ميلو بيريرا" .

يوجد في هامش الاتفاقية المذكورة إعلان فيما يلي نصه :

قدمت المدينة المساعدة بكل ما تملك لتجهيز السفينة الغليون ، وتوفير البسكوت المطلوب .

"أفونسو رودريغيز دي جيفارا" .

اعتبر اختيار "سيماو دو ميلو بيريرا" ليقود السفن العشر كتعزيزات ، – حسب الموافقة التي تمت داخل المجلس – ، إجراءً حكيماً ، نظراً إلى أن هذه السفن كان يجب أخذها من أسطول "مالابار" الذي كان قد تم تعيينه قائداً له ، وقد شغل المنصب العام الماضي ، وهو سيدٌ نبيلٌ جمع المؤهلات والصفات المطلوبة في أولئك الأشخاص الذين يشغلون مناصب رفيعة .

لو أن هذه الفكرة عنه لم تكن موجودة بسبب ما حدث في نهاية الأمر في هرمز- حيث كان القائد عندما فقدت – ، فإن المسؤولية كانت ستقع على "فيرناو دو ألبوكيرك" ، الذي لم يعينه بدافع من إرادته ، وإنما بقرار من المجلس ، وقد تصرف بكياسة ولطف ليكون جندياً في هرمز ، عندما كان قائداً لأسطول "مالابار" ، وهو أرفع منصب يمكن لنواب الملك في الهند أن يعينوا شخصاً فيه .

لو كان بمقدور الملوك والأمراء والأعيان- عند اختيار الوزراء لشغل منصب ما خلال الحرب أو السلم- التنبؤ بالطريقة الجيدة أو السيئة التي سيباشرون واجباتهم من خلالها ، لتحمل الملوك والأمراء والأعيان الكثير من اللوم والمسؤولية .

في كثير من الأحيان ، تظهر العيوب الخفية- سواء كانت طبيعية أم مكتسبة- كفضائل يبني الرؤساء على أساسها أحكاماً مشكوكاً فيها ، وإذا كان القرار صحيحاً في البداية ، لا يمكن أن يعد فيما بعد خلاف ذلك ، حتى وإن لم تكن النتائج ناجحةً بالقدر المؤمل . (...)

"لويس مارتينهو دي ازيفيدو" : مقالات دفاعية

المقالة (١٣) بشـأن رسالتين كتبهما الحاكم "فيرناو دو البوكيرك" إلـى "روي فرير"

عندما أصبحت السفن العشر التي تقرر أن يقودها "سيماو دو ميلو" إلى هرمز جاهزة ، أرسل "فيرناو دو البوكيرك" سفينتين خاصتين ، وعليهما مساعدات إلى القلعة ، وأرسل معهما الرسالة التالية إلى "روي فرير" .

رسالة من الحاكم إلـى "روي فرير" :

"عندما انتهى تحميل هاتين السفينتين الخاصتين ، وحصلتا على التصريح بالإبحار ، استلمت رسالةً منك مؤرخة في الرابع عشر من شهر أغسطس ، تبلغني فيها بوضع القلعة التي ذهبت لبنائها في قشم .

قد كتب لي القائد "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، وكبير مسؤولي الخزانة حول الموضوع ذاته ، وكنت قد تنبأت بكل هذا وحذرتك منه ، وكان يمكن للأمر أن يكون صحيحاً وملائماً بالنسبة إليك ، بتدبرك فيما قلته لك قبل أن تشرع في العمل ، بدلاً من أن تكون واثقاً من نفسك إلى ذلك الحد ، وقبل ثلاثين عاماً لم تكن تحلم بالقدوم إلى العالم ، بينما كنت آنذاك أملك عدة سنوات من الخبرة في خدمة صاحب الجلالة في تلك الأنحاء .

أعتقد أنك تصورت أن سنواتك الثلاثين يمكن أن تصحح ما كتبته لك سنواتي السبعون ، لتحذرك منه في هذا المشروع الخطير والمعقد ، وفي الصعوبات والأخطار الكبيرة التي تتعرض لها هذه القلعة ، وبقية المضيق برمته .

بالنسبة لأمر صاحب الجلالة الخاص بالعمل ، فقد سلم على

الأقل- في رسالة كتبها بعد مغادرة الأسطول البرتغال - ، بضرورة أخذ الوقت والظروف في الحسبان خلال تنفيذ المشروع ، وحتى لو لم يفعل ذلك ، يتعين علينا أن نفكر ونمضي قدماً ، طبقاً لما تشير الظروف إلى أنه سيكون في مصلحة صاحب الجلالة .

لكنك رغبت في أن تتولى بنفسك كل شيء ، دون أن تفكر- وهو أمر كان يجب عليك القيام به- في أن الأمر الهام لم يتمثل في إنشاء القلعة ، بل في المحافظة عليها ، وأنه يجب علينا ألا نشارك في بنائها دون أن نكون متأكدين وجاهزين لما هو ضروري للمحافظة عليها وعلى هرمز ، في ضوء المصاعب التي تواجهها ، وهناك عامل آخر ظهر عندما كتبت إليك ، وهو النقص الكبير في عدد الرجال المقاتلين الذي نعاني منه هو ،

....

....

(الصفحتان ٦٦ و٦٧ مفقودتان في الأصل)

(....)

يتم التفاوض أيضاً بشأن إمدادات البسكوت والنبيذ المحلي والبارود والذخيرة وبعض المعدات الحربية ، وبما أن السفن ذات المجاذيف غير قادرة على حمل هذه الأشياء ، فقد تم الاتفاق على جلبها بسفينة غليون أخرى وصلت مؤخراً من البرتغال ، وقيل لي إنها جديدة وجيدة للغاية ، وهي لم تصل وعليها الكثير من المدافع ، ولكن هذا النقص ستتم معالجته قدر الإمكان .

إنني مصمم على أن تغادر قريباً جداً ؛ لأنها إذا غادرت في موعدٍ قريب ، فستتمكن من الوصول إلى ساحل شبه جزيرة العرب ، وبهذه الحماية تستطيع أن تتجنب الإنجليز ، ويعتقد أنهم لم يمروا بعد للمضيق ؛ لأن أولئك الذين جاؤوا مؤخراً يجب أن يجتمعوا أولاً ، ويستعدوا في سورات .

حتى في حال كان نائب الملك سيحضر ، وسيجلب سفن الغليون ورجالاً ومالاً ، فإن شكلاً آخر من المعونة يجب أن يذهب على الفور ؛ حتى تتمكنوا- بما لديك من شجاعة وحماس لخدمة صاحب الجلالة ، وبمساعدة قائد القلعة ، وما قد يوفره الحظ- من مقاومة العدو إذا حاول القيام بأي شيء قبل وصول النجدة ، وإنني أثق في أن مولانا الرب سيحقق لنا الكثير من الانتصارات عليهم .

يقود السفن التي أبعث بها "سيماو دي ميلو بيريرا" حسبما تم الاتفاق عليه هنا في المجلس ، وقد تطوع للذهاب وللخدمة في هذه الحرب ، على الرغم من أنه قد تم تعيينه بالفعل قائداً على أسطول "مالابار" ، الذي عمل فيه العام الماضي على نحوٍ نال رضاءنا التام .

قد وافقت على هذا- ليس فقط لأننا بأخذ السفن فقط من أسطوله يتعين تولي حماية ساحل مالابار بشكل آخر وسيكون موجوداً- بل أيضاً لأنه سيد كريم ذو مزاج جيد ، ويتلهف لخدمة صاحب الجلالة بأي طريقة ، ولابد أنك سمعت عن هذا ، وإنني أثق من أنك ستجد فيه رفيقاً ومساعداً وفياً للغاية في كل ما يحدث ، خلال استمرار الطوارئ .

تبحر السفن تحت قيادته إلى أن يسلمها لك ، الذي سيكون قائداً

يأتمر بأوامرك ، ولك أن تطمئن أنه لن تضيع ساعة واحدة في تحضير هذه التعزيزات ومغادرتها سريعاً .

قد كتب قائد "شاول" ليقول لي إن سفن القرقور التي وصلت مؤخراً توجهت إلى سورات .

هناك أربع سفن منها ، وبالإضافة إليها هناك ثلاثة أخرى موجودة بطول هذا الساحل ، وهي ضمن السفن الأربع التي حاربت ضدها قبالة جاسك ، وكانت اثنتان منها خارج حاجز "شاول" والثالثة في "دامان" ، وقد أبلغني الوكيل التجاري هناك أنها غادرت بالفعل ، ومن المفهوم أنها تغادر للبحث عن أربع وافدات جديدة .

لابد أن يصح الأمر ذاته فيما يتعلق بالسفينتين الأخريين ، وقد رأيت أنه يتعين علي أن أفيدك بهذا ، وفي حال هاجمتك مجتمعة قبل أن ترى أنك تلقيت نجدة كافية ، وتعتقد أنك تستطيع التوجه لملاقاتها بأمان ، فإنني أقول لك إنك يجب ألا تفعل ذلك ، ويجب عليك أن تتعامل مع التعزيزات فقط باعتبار أنها قادمة للدفاع عنك وحمايتك .

غوا ، الثاني والعشرون من شهر أكتوبر عام ١٦٢١م الحاكم" .

يجب الانتباه بعناية لكلمات هذه الرسالة ، وللطريقة الحذرة التي يؤنب من خلالها الحاكم "روي فرير" ، بينما كان يستحق رد فعلٍ مختلفاً تماماً ؛ لأنه تجاوز أوامره معتبراً أنه في ظل وجود جندي محترم كهذا ، ينبغي إسقاط أشياء كهذه وإخفاؤها ، ولا سيما بما أن الدافع إليها هو الرغبة في وضع الأمور في نصابها الصحيح .

بالنسبة لموضوع قشم ، فقد تصرف بالعزم والبسالة اللتين أوحت بهما خبرته الكبيرة ، وقد عرف الحاكم كيف يكرم ويمدح فضائله في الوقت ذاته الذي وبخه فيه ، خلافاً للحكام والوزراء الآخرين ، الذين يشوهون السمعة بالمكافآت ، ويقلصون بالتأنيبات القاسية الرسمية .

من الواضح الآن ما إذا كان "فيرناو دو البوكيرك" شعر بأي تعلق بـ "روي فرير" ، إذ على الرغم من أنه لديه الفرصة لتوضيح أنه لم تكن لديه ، يبدو عليه على نحو أكثر أنه كان ينصحه كفرد ، أكثر من تأنيبه بقسوة كرئيس له .

يتضح من كلمات رسالته ، أن توقعات الحاكم كانت صحيحة عندما حاول في رسائل أخرى إثناء "فرير" عن خرق السلام مع الشاه ، ومحاولة وضع الأساس لقلعة في قشم ، واستفزازه بتلك الخطوة لمحاولة فرض حصار ، ولو أن أوامر الحاكم نفذت لكانت النتائج بالنسبة لدولة الهند مختلفة للغاية .

قد أدى التهديد بتدمير هرمز إلى حشد أفضل الآراء بشأن فقدها ، وأربك أعمال أفضل العقول ، وبالتالي ، فإن الذين صوتوا افتقروا إلى القدرة على التمييز .

قد تخلى "روي فرير" عن سفن الغليون التي اعتمدت على المحافظة عليها النتائج الجيدة التي طالب بها صاحب الجلالة ، وانطلق ليبني في قشم- وهي جزيرة تابعة لفارس ، الحليف الذي ظل السلام معه قائماً لفترة طويلة - ، وهو أمرٌ أسف له الحاكم كثيراً .

قد طلب منه "روي فرير" سفناً ذات مجاذيف عندما أمره صاحب

الجلالة بالإبحار في سفن عالية الجوانب ؛ لإحباط نيات الإنجليز ، ولذلك ، كانت السابقة ضرورية وليست الأخيرة ، وكان هذا هو الذي طلبه "روي فرير" من الحاكم فور وصوله إلى هرمز ، أي القليل من السفن المجهزة تجهيزاً جيداً ، ومعطياً أمثلة ... أدى العكس فيها إلى خسائر .

توضح الرسالة ذاتها ما إذا كان الحاكم على حق أم لا في كل شيء ، بما يتمتع به من خبرة وتجارب ، وقد كان غاضباً ؛ لأن أوامره لم تطع ، على الرغم من منصبه وسنوات عمرة السبعين .

بعد مغادرة سفينتين ، بعث معهما الحاكم رسالته إلى "روي فرير" ، تم تجهيز السفن العشر التي سيأخذها "سيماو دو ميلو" ، وكتب الرسالة التالية ؛ لكي يأخذها معه :

رسالة من الحاكم إلى "روي فرير" :

"كتبت رسالةً وأرسلتها على السفينتين اللتين أبحرتا من هنا في نهاية الشهر الماضي ، رداً على رسالتك المؤرخة الحادي عشر من شهر أغسطس ، لأقول لك إنني أعكف على تجهيز التعزيزات التي طلبتها ، وتجيء هذه الرسالة مع هذه السفن ، وهي عشر سفن تم أخذها من أسطول "مالابار" .

تحمل الكثير من الرجال ، وهي جيدة للقتال كأفضل السفن الموجودة هنا ، وتحمل غالبية السفن ، التي تحمل جنوداً ، مؤناً من البسكوت والذخائر التي وفرتها المدينة ، وأما البسكوت ، فقد اشتري بمال من خدمة القوافل ، ويخضع كل شيء لقيادة "سيماو دي ميلو بيريرا" الذي تطوع ليوصل لأسطول "مالابار" بموجب أمر مني .

لهذا السبب ، رأيت أنه يتعين علي أن أجعلك مسؤولاً ، بموجب

أوامر مفادها أنه متى وصل إلى هرمز ، فإن السفن بمن عليها من الرجال ستكون تحت قيادتك .

على الرغم من أن الموافقة تمت على أن تحمل الإمدادات السفينة الغليون القادمة من البرتغال ، إلا أنه تقرر أن السفينة والإمدادات يجب ألا تتعرض لخطر الوقوع في أيدي الأعداء ، ولذلك يجري نقلها بالسفن .

من المهم للغاية استخدامها بصورة اقتصادية قدر الإمكان ، وعلى الأقل لحين وصول سفن القرقور والغليون ، ومن المأمول والمعتقد ، أن تلك السفن ستجلب مالاً لنجدة الدولة ، وكان من الضروري أن يستخدم المال الذي جلبته السفينة الغليون لإرسال التعزيزات الحالية .

تقول رسالة من قائد "دامان" مؤرخة في العشرين من الشهر المنصرم ، وجهها إلى نائب الملك ، اعتقاداً منه أنه وصل بالفعل ، إن لديه أنباء سيئة ، مفادها أن هناك عشر سفن في "سورات" وصلت من أوروبا في هذه السنة ، خلافاً للسفن الأربع التي حاربت ضدها .

من رسالة أخرى مكتوبة في التاريخ ذاته ومرسلة من "دامان" ، عرفت أنه كانت هناك عشر سفن وتسع سفن قرقور وثلاث patachos ، وتتفق الرسالتان على أن السفن تستعد للتوجه إلى المضيق ، وإنني أبلغك هذه المعلومات حتى تستطيع أن تكون مستعداً بشكل جيد .

ترتيب الأمور كافة ترتيباً سليماً ، وذلك حتى لا تسبب تلك السفن أي خراب في حال اتجهت إليكم ومعها جميع سفن القرقور المشار إليها ، وإذا فعلت ذلك ، وحتى في حال لم يشتبك أسطول أعالي البحار

الخاص بنا معها ، سيكون من الأفضل ألا يتم القيام بشيء لا يكون فيه احتمال تحقيق نتيجة إيجابية .

على الرغم من ذلك ، يتعين علي أن أقول لك ، كما أفعل الآن ، ألا تترك سفن الغليون دون حماية ، وألا تعرضها للخسارة ، وعليك أن تحافظ عليها إلى أن يصل نائب الملك مع تلك السفن التي يجلبها معه ، إذ إنكم بوجود تلك السفن والسفن الموجودة هنا ستكونون قادرين على تجميع أسطول قوي ، وإلى أن تصل ، سيكون كل شيء في حالة فوضى ؛ لأننا نفتقر إلى القوة .

لقد حاولت جمع جميع الشباب هنا ، والآخرين القادرين على الخدمة في هذه الظروف ، واستدعيتهم لهذا الغرض ، وقمت بتذكيرهم بواجباتهم ، وما فعله أجدادهم في مناسبات مماثلة ، ويمكنك أن ترى من العدد القليل الذي وصل مدى النجاح الذي أصبناه .

قد كنت قلقاً للغاية ؛ لأن "دوم مانويل" جاء إلى هنا بينما كان هناك قتال ، ولو تمكنت من وضع يدي عليه لعرف آنذاك كيف أساء التصرف ، وقد عرض ابن أخي "لويس دي بريتو" "Luis de Breito" أن يبحر ويخدم في هذا الأسطول ، ونظراً إلى أنه كان يشارك في المعارك وأبلى بلاء حسناً .

قد عينته قبطاناً على السفينة الغليون التي عمل فيها "دوم مانويل" ، في حال لم تصعد إليها أنت بنفسك ، وإذا كنت قد صعدت إليها ، يستطيع أن يكون قبطاناً على السفينة الغليون الأخرى التي عمل فيها الراحل "دوم جواو دا سيلفيرا" .

في الوقت ذاته ، عينته أميرالاً للأسطول الذي آمل أن يحقق نتائج جيدة ؛ لأنه يملك المؤهلات الملائمة لذلك المنصب ، وقد أعطيت السفينة الغليون الأخرى إلى "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" ؛ لأنه مقاتل جيد وسيبلي بلاء حسناً .

لست بحاجة إلى أن أعطيك تعليمات تفصيلية حول ما ينبغي عليك القيام به ؛ لأنك ستتصرف طبقاً لما تراه صحيحاً تماماً ، بالمشاركة مع قائد القلعة وكبير مسؤولي الخزانة ، والأشخاص ذوي الخبرة الآخرين ، حسب قوة العدو عندما يكون في الجوار ، وما تستطيع التكهن به من نياته ، وفي هذا الأمر أو في الأمور الأخرى ، سيكون "سيماو دو ميلو" رفيقاً جيداً ، وسيتولى القيام بأي عمل ؛ ليخدم صاحب الجلالة بحماسٍ واستعدادٍ كبيرين .

"غوا" ، العشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٢١م الحاكم" .

بلغ عدد الرجال المقاتلين الذين جمعهم الحاكم لهذه التعزيزات مائتين وتسعة وتسعين جندياً ، وعددهم هذا قليل ، ولكنهم كانوا عظماء بشجاعتهم وقوتهم ؛ لأنهم جميعاً كانوا من قدامى المحاربين ، ومن المقاتلين المتمرسين أكثر من غيرهم في الهند ، وحملت كل سفينة ثلاثة براميل من البارود ، وأكبر كمية من المؤن تستطيع حملها ، طبقاً لما يمكن رؤيته من الإفادات التي أوردناها من قبل .

لم يكن العون المرسل كبيراً ، نظراً إلى أنه كان هناك نقص في كل شيء ، ولكن ، أصبح ممكناً تزويد سفن الغليون بالرجال والمؤن بما حملت من الرجال ، وبأولئك الموجودين في هرمز ، وقد أوصى الحاكم

بهذا بشدة ؛ لأنه خشي مما يمكن أن يحدث في حال تركت السفن دون حماية ، بما أنها كانت تغادر قشم دون قوات أو قوة للدفاع عنها .

وصل "سيماو دو ميلو" إلى قشم بهذه التعزيزات عندما كانت أمورنا بحالة جيدة ؛ لأن "روي فرير" كان قد دافع عن نفسه ببسالة حتى ذلك الوقت ضد الحصار الذي فرضه الفرس .

خلال هجوميهما الأخيرين قتل عدد كبير منهم ، إلى حد أنه لولا وصول سفن القرقور الإنجليزية لنجدتهم لرفعوا دون ريب الحصار الذي قاومه البرتغاليون لفترة طويلة ، وأظهروا خلال تلك المقاومة الشجاعة العظيمة التي ستظهر في الكتاب المتعلق بهذه الحروب ، والذي على وشك الصدور .

"لويس مارتنهو دي ازيفيدو" : مقالات دفاعية

المقالة "١٤" ردود على افتراءات أخرى لـ "دوم غونسالو" وحول تولـي "سيماو دي ميلو" منصب قائد هرمز

خلال تناوله للتعزيزات التي نقلها "سيماو دو ميلو" في الفصل ٢٣ من الجزء ٣ من كتابه ، يقول "دوم غونسالو" ما يلي عن الحاكم :

"لقد بعث الآن "سيماو دو ميلو" كقبطان مع تعزيزات مثل الأخيرة وثلاثة عشر foists دون جنود ، وكان هذا رجلاً ذا خبرة محدودة ، جاء من "ممبسا" وحمل أوامر تنص على أن جميع التطورات التي ربما تنشأ خلال القتال يجب مناقشتها في هرمز بين القائد وكبير مسؤولي الخزانة وأشخاص آخرين و"ميلو" ذاته .

لم يذكر "روي فرير"- ليس لأنه لم يعرف جيداً أنه كان قائد

المشروع- ولكن إما بهدف أن تؤدي هذه الإهانة إلى تخليه عنه ، أو أن يبقى مرؤوساً لهذا المجلس الذي قرر للمرة الثانية في تلك الأيام أن من الضروري مساندة قشم ، وأنه يجب على ميلو والثلاثة عشر foists التي جاء بها حمايتها من البحر" .

لم يعط "دوم غونسالو" فيما كتبه اعتباراً للوضع في الهند ذاتها التي كانت مسؤولة عن حجز الحاكم عن إرسال العون ، وقد عرف الشخص الذي زوده بالمعلومات هذا الأمر تماماً ، ولكن كانت تلك حالته الذهنية ، الأمر الذي جعله غير قادر على إخفاء الحقيقة .

على الرغم من خبرة "سيماو دي ميلو" المحدودة إلا أنه كان قائداً لـ "ممبسا" لمدة ست سنوات (حيث أعدم ملوكاً أفارقة ونصب آخرين) ، وكان قائداً أيضاً لأسطول "مالابار" ، وكان هذا كافياً لتكليفه بتلك التعزيزات ، ولا سيما أنه كان يتمتع بجميع الصفات المطلوبة في الجندي ، بالإضافة للعمر والخبرة .

كانت ثقته المفرطة هي التي تسببت في فقدان هرمز ، وجعلته يزدري بالعدو ؛ لأنه اعتقد أنه بتحصينه داخل أسوار القلعة ، كان يستطيع الدفاع عنها من قوة العالم أجمع .

يقول "دوم غونسالو" أيضاً إن الحاكم أمر بأن تتم مناقشة كل شيء بين قائد القلعة وكبير مسؤولي الخزانة و"سيماو دي ميلو" ، من أجل إهانة "روي فرير" .

إن مناقضة هذا القول للحقيقة واضحةٌ تماماً من الصورة الفوتوغرافية للرسالة السابقة المذكورة ، والتي يبلغه الحاكم فيها بأن عليه التشاور

معهم حول ما يمكن أن يحدث ، ولكنه كان دائماً يراه- ليس فقط في هذه ، بل في جميع الرسائل الأخرى - ، باعتباره القائد دون التقليل من سلطته أو نفوذه .

حيث إن "روي فرير" كان في قشم ، فقد كان يستطيع ترتيب الأمور لتأكيدها في هرمز ؛ لأن أولئك الذين صوتوا بشأنها كانوا في القلعة .

يستمر "دوم غونسالو" في الفصل ذاته ، ويورد المزيد من الافتراءات ضد الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ، بنية إلقاء المسؤولية عليه فيما يتعلق بتولي "سيماو دي ميلو" منصب قيادة هرمز ، وهو يتعامل مع هذا الأمر بالكلمات التالية :

"في هذا الوقت كان "دوم فرانسيسكو دي سوسا" مريضاً للغاية ، وكان هو الذي هدأ وآخر تعليمات البوكيرك والانهيار العام ، وقد شاء الله أن يتم عزله وأن يخلفه في منصبه "سيماو دي ميلو" بطريقة غير معتادة ، وقد أبطل هذا ما أرساه "كونت ريدوندو" "Conde de Redondo" (القاعدة العادية) ، بأن يتم تعيين القائد البحري في مثل هذه الحالات قبطاناً .

لكن ، وحيث إنه كان "روي فرير" في ذلك الوقت ، فإن البوكيرك- ومع علمه بأن "دوم فرانسيسكو" كان مريضاً - ، كان مسروراً بأن يجد التعيين ضمن سلطته ، وأن يؤدي خدمة إلى ذلك السيد ، وهو المفضل لديه ، على نحو أدى إلى خراب هرمز" .

كان الغرض من الكلمات أعلاه تجريم الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ؛ بسبب تولي "سيماو دي ميلو" قيادة قلعة هرمز التي لم يتم تعيينه فيها باعتباره مفضلاً لديه أو صديقاً له .

بسبب مرض "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، كانت هناك حاجةٌ لشخص يتمتع بالجدارة والاحترام ليكون قائداً هناك ، ومن أجل ذلك أمر الحاكم بأن يتولى "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" "Diogo de Susa de Meneses" (الذي كان سيتولى قيادة القلعة لو لم يتولاها "دوم فرانسيسكو" ، حسب أمر صاحب الجلالة ، ولم يكن هناك من مرشح آخر) ، أخذ السفينة مع "سيماو دي ميلو" .

كان ينبغي أن يتولى الخلافة أولاً "ديوغو دي سوسا" ، وثانياً "سيماو دي ميلو" في غياب "روي فرير" ، وعندما أصبح الأسطول جاهزاً للإبحار في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٢٤م ، أصيب "ديوغو دي سوسا" بمرض .

قالت بعض الإشاعات إن مرضه هو أنه لم يكن يريد الذهاب إلى هرمز في ذلك الوقت ، إما لأنه تكهن بالكارثة التي كانت ستقع ، وإما لأنه أراد تحقيق ربح من شراء تلك القلعة وهو ما حققه من "أندريه فورتادو دي ميندونسا" "Andre Fortado de Mendonca" في وقت السلام وليس الحرب - .

من أجل تحقيق هدفه تعلل بالحظر الذي فرضه "فيرناو دي البوكيرك" عليه كوكيل لـ "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، وكان الحاكم لا يزال يتوقع منه السفر مع الأسطول ، ولم يكتشف أنه لم يفعل ذلك حتى غادر "سيماو دي ميلو" بالأسطول .

استشاط الحاكم غضباً لهذا الأمر ، إلى حد أنه كتب رسالة إلى صاحب الجلالة ، بعثها بسفن القرقور التي غادرت الهند إلى البرتغال

في شهر فبراير عام ١٦٢٢م ، وطلب منه أن يأمر بأن يتلقى "ديوغو دي سوسا" عقوبة عادلة لهذا الإخفاق .

في عام ١٦٢٢م ، ناشد "ديوغو دي سوسا" الحاكم من خلال المجلس البلدي في "غوا" ليرسله إلى "غوا" ، بعد فترة طويلة من مغادرة "سيماو دي ميلو" ؛ لأن معلوماتٍ جاءت من مسقط مفادها أن "دوم فرانسيسكو دي سوسا" يوشك على الموت .

في ذلك الوقت لم يوافق الحاكم على إرساله ؛ لأنه لم يذهب عندما أبلغه الحاكم بالذهاب ، وعلى الرغم من أنه قدم رده إليه- عندما وصل خبر وفاة "دوم فرانسيسكو"- إلا أنه أرسله في الوقت المناسب ، ليسافر على الأسطول الذي يحمل التعزيزات المرسلة تحت قيادة "قسطنطين دي سا" ، وحتى في ذلك الوقت ، ناشد الحاكم بأنه ما كان ينبغي عليه يتولى شؤون القلعة بينما الحرب مستعرة ، وقدم أسبابه لطلب التأجيل .

فيما يلي نسخ من أمر الخلافة والالتماس وأمر الحاكم :

خلافة قائد هرمز

"أنا الملك فيليب ، بنعمة الله ، أبلغ أولئك الذين يطلعون على رسالتي هذه الخاصة بالخلافة الأولى ، أن قلعة هرمز الآن في حالة حرب ، ونظراً إلى أهميتها البالغة يجب القيام بكل شيء لضمان أمنها التام ، ولا سيما فيما يتعلق بوضع ومنصب القائد في حال وفاة "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، القائد الحالي ، من أجل تفادي حدوث الاضطرابات والمتاعب الأخرى التي يمكن أن تنشأ من اختيار شخص ، في حال لم يتم ترشيح شخص للمنصب .

لهذا السبب ، عينت "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" في منصب القيادة المذكور ، وعلى حاكم دولة الهند الحالي أن يأمره- في ظروف الحرب العاجلة هذه- بأن يكون موجوداً في القلعة للمساعدة في الدفاع عنها .

إنني أرغب في أن أعين ، وها أنذا أفعل هذا ، "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" المذكور ، في حال وفاة القائد "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، ليخلفه في منصب القيادة المذكور ، وليخدم- بموجب التفويض المقدم إليه في المنصب - ، وإذا لم يكن التفويض المذكور يحمل بعد placet حاكمي سيرسله بناء على طلب له أو لأي شخص يشغل ذلك المنصب .

إذا لم يكن "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" قد أدى قسم الولاء بعد لي كقائدٍ لتلك القلعة ، يجب عليه أن يؤديه قبل أن يتولى شؤونها ، طبقاً للعرف والعادة المتبعة في ممالكي ولورديات البرتغال ، أمام كبير مسؤولي الخزانة في تلك القلعة ، أو الوكيل التجاري في حال غيابه ، وسيتم وضع وثيقة موقعة من الوزراء والمسؤولين والأشخاص الحاضرين ، وعليه إرسالها إلى سكرتير الدولة التابع لي ؛ ليضيفها إلى دفتر الولاءات .

إنني أبلغ جميع وزرائي والمسؤولين التابعين في قلعة هرمز أيضاً ، وقادة وجنود الحامية وجميع سكانها ، والأشخاص الآخرين الموجودين في القلعة المذكورة ، وآمرهم بأنه يتعين عليهم ، عندما يتولى "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" المنصب على النحو الموضح ، أن يظهروا الاحترام له ، وأن يعتبروه قائداً لهم .

عليهم بالتالي أن يطيعوه ، ويتصرفوا وينفذوا ويلتزموا بكل شيء ورد في هذه الرسالة ، على الرغم من أنها لم ترسل عبر قاضي القضاة ، حيث

تم تسليمها سراً ، على الرغم من أمر الدفتر ٢ ، الفقرة ٥٩ ، الذي ينص على خلاف ذلك .

أعطيت في مدينتي "غوا" .

كتبها "سلفادور غونسالفس" "Salvador Goncalves" في السابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٢١م بموجب أمر من "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" .

الحاكم" .

التماس "ديوغو دو سوسا"

"يوضح "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" أن منصب قائد هرمز تم منحه له لمدة ثلاثة أعوام ، بالشراء من الحاكم "اندريه فورتادو دي ميندونسا" ، وسيتولاه الآن إن لم تكن عليه عوائق- وهو خال من العوائق - ، وتخضع لحصار من قبل الأعداء الإنجليز والهولنديين والفرس ، ولا أحد يعلم عن موقف الحصار الحالي .

لهذا السبب لا يمكن أن يتم تنفيذ توليه المنصب ، ولا يمكنه أن يدفع مبلغ الخمسة عشر ألف "أشرفي" المطلوب دفعها لورثة المتوفي عند تولي المنصب ، وإذا توجه الآن إلى هرمز ، فسيكون ذلك فقط للدفاع عن القلعة بسفينة غاليوت وثلاثين جندياً على حسابه ، وبسفينتي قرقور تخصانه ، مع شحنة من المؤن والإمدادات من صاحب الجلالة والمدينة ، وكل هذا عرضة لخطر استيلاء العدو عليه ، الأمر الذي سيلحق خسائر فادحةً بمقدم الالتماس ، كما يعلم فخامتكم والجميع .

لا يستطيع في الوقت الحاضر أن يتولى منصب القيادة ؛ لأنه من غير الممكن أن يحصل على مبلغ الشراء عبر التجارة ، بما أنه من غير المعروف بشكلٍ مؤكد ما إذا كانت القلعة خاضعة لنفوذنا وتحررت من الحصار أم لا .

إذا كانت كذلك ، يستطيع أن يدفع الدفعة الأولى المستحقة- والتي يجب أن تصل كاملة إلى casa de Misericordia هذه المدينة ، باعتبارها المستفيدة من المتوفى المذكور - ، وهو ، لذلك ، يلتمس من فخامتكم إصدار أمر ؛ حتى يتمكن مقدم الالتماس من الذهاب إلى هرمز في سفينته الغاليوت ؛ للدفاع عن القلعة المذكورة ، دون أن يمنعه أي قانون عن ذلك .

يرجو أيضاً ، عندما تصبح القلعة محررة من الحصار ، أن يضع يده عليها بموجب الشراء المذكور ، وتخلي المتوفى الذي كان مالكاً لها بمقتضى تفويضه ، والوثائق والإجراءات الرسمية التي تمت لذلك الغرض ، قبل وصول أنباء الحصار ، وسيدفع أولاً إلى casa de Misericordia هرمز كوكيل لهذا ، مبلغ الخمسة عشر ألف "أشرفي" المتعلق بالدفعة الأولى ، ويتولى مقدم الالتماس مسؤولية ضمان هذا المال ، إلى أن يتم سداده إلى casa de Misericordia هذه المدينة . ER .M .

أمر الحاكم

أعلن أنا ، "فيرناو دي البوكيرك" ، لأولئك الذين يطلعون على هذا الإعلان ، أنني قرأت ما يقوله "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" ، المعين في منصب قائد هرمز ، في التماسه المكتوب على الجزء الآخر من هذه الورقة ، وما يزعمه فيه .

بعد أخذ رأي قضاة المحكمة العليا المختصة بشؤون الدولة ، أرغب في أن يذهب المذكور "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" بحرية إلى هرمز في سفينته الغاليوت ليدافع عن تلك القلعة دون عائقٍ من أي قانون ، وعندما تتحرر القلعة من الحصار المفروض عليها الآن من الإنجليز والهولنديين والفرس ، يجوز له أن يضع يده عليها بموجب حق الشراء .

تخلي الراحل "أندريه فورتادو دي ميندونسا" ، مالك القلعة المذكورة ، بمقتضى الوثائق والإجراءات الرسمية المنجزة لهذا الغرض قبل معرفة الحصار المذكور ، وسيدفع أولاً إلى casa de misericordia هرمز كوكيل خمسة عشر ألف "أشرفي" مستحقة كدفعة أولى ، وسيتحمل "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" ضمان المال المذكور إلى أن يصل إلى casa de misericordia هذه المدينة .

يجب الالتزام بهذا الإعلان دون عائق جراء منع محتمل ، وإنني أبلغ بموجبه هذا الأمر إلى قاضي الدعاوي وكبير قضاة التاج في المحكمة المدنية ، وجميع القضاة والمسؤولين الآخرين والأشخاص الذين يمكن أن يهمهم هذا الأمر ، وآمرهم بتنفيذه والالتزام به ، وأن يضمنوا أن الالتزام به وتنفيذه قد تم ، وكأنه لم يتضمن عائقاً أياً كان .

كتبه "ديوغو دي سوسا" في "غوا" ، التاسع والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٢م

بأمر من السكرتير ، "أفونسو روديغيز دي جيفارا" .

الحاكم" .

وصل "سيماو دي ميلو" إلى قشم مع النجدة التي أحضرها ، ورحب به "روي فرير" والبرتغاليون الأخرون الذين لا يقهرون ، والذين كانوا رفاقاً له خلال ذلك الحصار ، وكأنه جاء من السماء ليرفع من معنوياتهم التي تراجعت جراء المحاكمات المستمرة التي تحملوها على مدى تسعة شهور ، الأمر الذي سبب لهم الكثير من الضيق والبؤس .

بعد أن ترك التعزيزات في قشم ، توجه "سيماو دي ميلو" إلى هرمز ، وعلى الفور جاءته a terranquim ، كان "روي فرير" قد أمرها بمراقبة رأس "جاسك" ، بأخبار مفادها أن تسع سفن قرقور إنجليزية- من بينها خمس تحمل ستين مدفعاً- تتجه بطول الساحل الفارسي نحو هرمز .

أرسل الـ terranquim ذاتها لتحذير هرمز مما يحدث ، وبدأ القائد "دوم فرانسيسكو دي سوسا" بإجراء الاستعدادات ، وليكون جاهزاً ، حفروا خندقاً حول المدينة- التي كانت مكشوفة - ، وهدموا المنازل غير المسكونة ؛ لتحصينها على نحو أفضل .

في وسط هذه التحضيرات توفي متأثراً بمرضه ، وخلفه "سيماو دي ميلو" حسب ترتيب الخلافة ، ولقي هذا الإجراء ترحيباً عاماً ، ومنحته أصوات المجلس واستحسان المدينة العام منصب قيادة القلعة في غياب "ديوغو دي سوسا دي مينيسيس" ، وبوجود "روي فرير" في قشم ، على الرغم من عدم تعيينه فيها .

وضعت وفاة "دوم فرانسيسكو دي سوسا" حداً للعمل في التحصينات ؛ لأن "سيماو دي ميلو" عندما سئل عنها قال- بثقة أكبر من الحصافة- إنه لا يوجد شيء يدعو للخوف من الفرس ؛ لأنهم لا

يملكون الشجاعة للنظر إلى هرمز من البر الرئيس ، ناهيك عن أن يأتوا إلى هنا ، وقال إن الإنجليز قادمون ليضعوا أنفسهم في فم الأسد ، ولكن يتعين عليهم أن يطمئنوا ويبقوا أنفسهم في أمان ؛ لأن هرمز تستطيع الدفاع عن نفسها أمام العالم .

كانت ثقة "سيماو دي ميلو" هذه ناتجة عن الاطمئنان غير الحكيم الذي أظهره بالاستخفاف بأعداء أقوياء ومستعدين كالفرس المتحالفين مع الإنجليز ، وقد جاؤوا ، وكان من الممكن مشاهدتهم من قشم وهم على متن سفن القرقور والسفن ذات المجاذيف ، وقد فوجئ "روي فرير" ، وحق له ذلك ، عندما رآهم ، ووجد نفسه محاصراً بتلك القوة ، بينما كان القادة ، الذين كان بمقدورهم تقديم النصح له ، في سفن الغليون التابعة للأسطول .

لو أنه ذهب ليلحق بهم وترك القلعة لجازف بفقدانها ، إذ إنه عرف أن المسلمين كانوا على مسافة عشرين خطوة من أسوارها ، وكانوا يستطيعون بسهولة تسلقها ؛ لأنه لم يكن هناك أكثر من ثلاثمائة برتغالي ومائتي عسكري بالداخل .

قد اعتقد أيضاً أنه إذا لم يلحق بالأسطول فليس هناك من قائدٍ قادر على توجيه معركة ضد الإنجليز ، ولكن إذا نزل الأسطول المناوئ إلى البر في قشم فسيدمرون الأسوار- التي كانت ضعيفة للغاية - ، وبمقدورهم هدمها بنيران المدفعية .

إذا لم يكن يستطيع منعهم من النزول إلى البر ، فإن التدبير السليم لقلعتي قشم وهرمز كان يكمن في المحافظة على السفن الغليون ، ولم يكن

"روي فرير" يثق بنفسه ليتخذ قراراً بشأن أمر صعب كهذا ، ولذلك أرسل تقريراً عنه إلى "سيماو دو ميلو" ليطلب منه النصح .

عندما طلب من ربان الـ terranquim أن يأخذ الرسالة ويعود على الفور برد عليها ، خاف الربان من أن يكون ذلك مستحيلاً ؛ لوجود جميع الـ terradas التي جاءت مع سفن القرقور .

نظراً إلى أنه توقع الفقدان الحتمي لقشم وهرمز ، فقد أبلغ "روي فرير" بشجاعةٍ بأن عليه ألا يذهب ، وأن ينضم لسفن الغليون بما أنه كان هناك وقت ليفعل ذلك ، ولكنه لن يتمكن من القيام بذلك لاحقاً ، وقال له إن الجنود الذين كانوا بالداخل يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لمدة يومين ، وبمقدوره استغلال اليومين ليخرج ويقاتل الإنجليز خلالهما .

إن الانتصار عليهم كان مؤكداً لعدة أسباب ، حتى وإن كان الأسطول مبعثراً ، ويمكن لخسائر الأعداء أن تكون كبيرة ؛ لأنهم بعيدون كثيراً عن المكان الذي يستطيعون فيه إعادة تشكيل وتجهيز سفن القرقور الخاصة بهم ، بينما كان لدينا ثلاثون سفينة وقادساً نستطيع بواسطتها نجدة قشم ، وفي حال تعرضت سفن الغليون التابعة لنا للتدمير ، لن تكون هناك نجدة إلا على مسافة ثلاثة فراسخ .

فوجئ "روي فرير" بآراء ربان الـ terranquim الذي كان رجلاً مخضرماً وماهراً وذا خبرة ، ولو أنه استفاد من تلك الآراء ، ومن النصائح المماثلة التي زوده بها الحاكم "فيرناو دو البوكيرك" ، ما وقعت تلك الخسائر الكبيرة في السفن والرجال والقلعتين ، على نحو شوه اسم البرتغاليين ، ولو أن "روي فرير" ترك قشم وحارب أسطول العدو

في البحر ، لتحسنت فرصنا ، حتى وإن كان ذلك بخسائر كبيرة ؛ لأن خسائر العدو كانت ستفوق خسائرنا .

في كل يوم نرى معاقل تترك لصعوبة المحافظة عليها ، عندما لا يكون هناك نفع منها إلا المجازفة بحياة الجنود ، وتشمل النماذج والأمثلة الكثيرة لهذا الأمر قلعة "كلكتا" في الهند ، وقلاع "أرزيلا" و"أزامور" و"سافين" و"كيب غي" ، وغيرها في إفريقيا ، دون أي خسائر تلحق بالسمعة جراء الانسحاب ، عندما يكون ملائماً ومن قبيل الحصافة .

العكس من ذلك هو العناد الذي كان لدى "روي فرير" مقدار أكبر من اللازم منه بالدفاع عن قشم ، اعتقاداً منه أن تخليه عنها يضر بسمعته .

(....)

استأذن ربان الـ terranquim من "روي فرير" ، وعن طريق التجديف عبر مراكب (terradas) المسلمين وصل إلى هرمز ، وأعطى الرسالة إلى "سيماو دي ميلو" ، وعندما رأى "سيماو" أن "روي فرير" لم يحضر ، قذف بالقبعة التي كان يعتمرها بعيداً ، وقال إن هرمز ضاعت .

وعد الربان الذي جاءه بالرسالة بمكافآت عظيمة ، وأرسله ليلاً ليحضره ، ولكن المسلمين كانوا متيقظين وأحاطوا بالـ terranquim ، وكان بمقدورهم الاستيلاء عليها لولا أن البرتغاليين الذين كانوا على متنها دافعوا عنها ببسالة غير مسبوقة ، وقد تخلى الربان عن المهمة وعاد إلى هرمز .

كان هذا هو جوهر ما حدث بالنسبة للرسائل بين "سيماو دي ميلو"

و"روي فرير" ، ولم تكن لذلك أي صلة بما كتبه "دوم غونسالو" في فصله ٢٣ المشار إليه ، وكما سيرى في الكتاب المتعلق بهذه الحروب ، والذي كتبه ذلك الشخص الذي كان حاضراً في كل شيء .

"لويس مارتينهو دي ازيفيدو" : مقالات دفاعية

المقالة ١٥

فقدان قشم والتعزيزات المرسلة بواسطة الحاكم تحت قيادة "قسطنطين دي سا دي نورونها" "Constantino de Sa de Noronha"

استمرت القوات المحاصرة في توجيه قصفها بقوة هائلة ، وأحالت قلعة قشم إلى وضع شعرت معه- حتى القوات المهاجمة- بالشفقة على أولئك الذين كانوا داخل قشم .

أرسلت القوات المهاجمة للقوات المدافعة تطلب منها الموافقة على السلام ، ولكن الشروط التي عرضتها كانت متشددة ، إلى حدٍ جعل البرتغاليين لا يقبلون بها .

أراد "روي فرير" فتح بوابات القلعة ، والخروج للقتال في الميدان والموت هناك ، ولكن هذا بدا رأياً ناتجاً عن يأس ، ونوقشت احتمالاتُ أخرى مشرفة أكثر من ذلك الرأي .

في الوقت الذي جرت مناقشة هذه الآراء ، جرت محاولةٌ لنجدة قشم بعشر سفن ، وبعض المراكب الصغيرة الأخرى ، تحت قيادة "دوم غونسالو دا سيلفيرا" "D . Goncalo da Silviera" ، الذي صدرت له أوامر من "سيماو دي ميلو" لنقل "روي فرير" ورجاله ، وترك الأسوار

الضعيفة ليدافع عنها أولئك الشجعان الذين كانوا بالداخل ، بدلاً من الدفاع عنها بالمهارة أو الجهود العسكرية .

لكن "روي فرير" لم يقبل بذلك ؛ لأنه لم يتلق أمراً خطياً ، وعاد "دوم غونسالو" ليحارب أسطول العدو دون جدوى .

أكدت هذا الحال فقرة من رسالة من "سيماو دو ميلو" مدرجة في إفادة من السكرتير "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" ، وفيما يلي نسخة منها :

إفادة من سكرتير دولة الهند

"أشهد أنا ، "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" ، كاتب المجلس البلدي لصاحب الجلالة ، وسكرتيره بدولة الهند ، أن الفقرة التالية متضمنة في واحدة من الرسائل التي كتبها "سيماو دي ميلو"- الذي كان قائد قلعة هرمز- من تلك القلعة إلى الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في السابع من شهر فبراير عام ١٦٢٢م :

"أرجأت السفينة التي أرسل فيها هذه الرسالة حتى أمس ، السادس من الشهر ، عندما تلقيت رسالة من "روي فرير" ، وأرسل صورة عنها لفخامتكم ، ومعها واحدة من الرسائل الأخرى التي كتبها لي عن الوضع في القلعة .

على الرغم من أن "دوم غونسالو دا سيلفيرا" احتفظ بعشر سفن بالقرب من القلعة ، وعلى مسافة من سفن القرقور تعادل تقريباً مسافة "س . بيدرو" من هذه القلعة ، إلا أنه لن يباشر المهمة دون أن يرسل إليه القرار الذي صدر بشأن هذا الأمر .

سأرسل لك أيضاً نسخة من القرار ؛ لأنني أعتقد أن مباشرة المهمة لو كانت نفذت بالطريقة التي أمر بها القائد لغرق غالبية الرجال ، وإذا لم تنفذ بتلك الطريقة لوقعوا في أيدي الإنجليز ، وقد أمرني بأن أطلب إرسال رسولٍ إلى الإنجليز ، وهو ما لم أتمكن من دفع نفسي للقيام به ؛ لأنني اعتقدت أنه غير ملائم .

سأفيد فخامتكم بالأشياء الأخرى التي تحدث من السفن الموجودة هنا ، وستغادر واحدة بعد الأخرى ، وعلى الرغم من أن "روي فرير" يقول في رسائله إنني أيضاً سأواجه صعوبات مع الأعداء الذين سيأتون بالتأكيد إلى هذه القلعة ، إلا أنني استعددت لهذا وجمعت كل ما أمكن جمعه داخلها ، ولكنني لا أعتقد أن ذلك سيحدث ، إذ إن جواسيسي يقولون لي إنهم حملوا الحرير على متن سفن القرقور ، وسيحملون الأقمشة في غومبرون .

قبل كل شيء ، يجب على فخامتكم أن توفروا ، قدر استطاعتكم ، ما هو ضروري لسد النقص في هذه القلعة ، وألا تقلقوا بشأن أي خطر ، إذ إنني أثق بالله ، ولا أعتقد أن أياً من الفرس أو الإنجليز سوف يطأ بقدميه أرض هذه الجزيرة .

هرمز ، السابع من شهر فبراير عام ١٦٢٢م

"سيماو دو ميلو بيريرا" .

وصلت هذه الرسالة إلى الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في الثامن من شهر مارس ، وإدراكاً منه للضغط الذي تتعرض له قشم ، دعا المجلس

في اليوم ذاته لبحث العون والقائد اللذين ينبغي إرسالهما ، وقد تم الاتفاق على ما يلي :

قرار مجلس الحاكم "فيرناو دو البوكيرك"

"غوا" ، الثامن من شهر مارس عام ١٦٢٢م .

معالي "فيرناو دي البوكيرك" ، عضو مجلس صاحب الجلالة وقائد وحاكم الهند ، في اجتماعٍ لمجلسه حضره "روي دي ميلو دي سامبايو" "Rui de Milo de Sampaio" ، قائد المدينة ، و"دوم فرانسيسكو دي سا" "Francisco de Sa" ، كبير مسؤولي الخزانة ، و"نونو فاز دي كاستيلو برانكو" و"دوم غونسالو بنتو دا فونسيكا" ، مستشار الدولة .

أوضح الحاكم أنه تلقى في ذلك اليوم رسائل من "سيماو دي ميلو بيريرا" ، قائد قلعة هرمز بالنيابة ، ومن كبير مسؤولي الخزانة "مانويل بورجيز دي سوسا" "Manuel Borgues de Susa" ، وقد تلاها بنفسه ، سكرتير المجلس المذكور .

ذكرت هذه الرسائل في جوهرها أن تسع سفن قرقور أوروبية والكثير من جنود الشاه يحاصرون قلعة قشم من البحر والبر ، وقد حولوها إلى حالة سيتم معها الاستيلاء عليها قريباً ، وأن "روي فرير" والرجال الذين بداخلها ، ويقدر عددهم بحوالي أربعمائة برتغالي ومائتي عسكري من الأهالي ، بما في ذلك جنود من قلعة هرمز ، يواجهون خطراً كبيراً يتمثل في إمكانية وقوعهم في الأسر .

هرمز بحاجةٍ ماسةٍ للمساعدات ، وتعاني من نقصٍ في عدد الرجال المقاتلين ، وفي كثير من الأشياء الأخرى الضرورية للدفاع عنها ، وأن

أسطول السفن عالية الجوانب- وبسبب النقص في الرجال- تم تجميعه تحت حماية مدافع القلعة .

أوضح الحاكم أنه ، وفي ضوء هذه الطوارئ والأهمية الكبرى لقلعة هرمز ، ولأنها تخضع لمراقبة أعدائها ، سواء كانوا الجيران ، أو أولئك من أوروبا ، وكأنهم يهمون أنفسهم بمهاجمتها ، قد أمر بضرورة التفكير والتصويت على نوع العون الذي يجب تجهيزه وإرساله لإنقاذها ، وافترض أن هذا العون لن يتكون فقط من رجال مقاتلين ومؤن ، وإنما من المال ، من أجل سداد بعض الرواتب للجنود ، نظراً لعدم وجود إيرادات داخلة إلى إدارة الجمارك ، أو إلى أي مكانٍ آخر يمكن استخدامها .

قد أمر مدينة "غوا" هذه بتوفير جميع الإمدادات التي يمكن شراؤها بالإيرادات المتحققة من خدمة القوافل ، وضريبة الواحد بالمائة .

قد قرر بالنسبة للباقي أن يطلب قروضاً من الأفراد ؛ لأن الطوارئ أجبرته على أن يفعل ذلك ، وإن المحافظة على هرمز- وهي واحدة من أهم المعاقل في الدولة- أمرٌ هامٌ للغاية للجميع ، واعتمد عليها- إلى حد بعيد- أمن الدولة والمحافظة عليها ، كما يعلم الجميع .

أوضح كذلك ، أنه سيكون أمراً مستحسناً أن يكون الشخص الذي يتم إرساله ليكون مسؤولاً عن هذا العون سيداً موثوقاً به ، وذا خبرة في الحرب ، ويستطيع أن يخلف "روي فرير" كقائد لأسطول السفن ذات الجوانب العالية ، في حال وفاة "روي فرير" .

أوضح أنه يعتقد أن الشخص الملائم أكثر من غيره لهذه المهمة

هو "قسطنطين دي سا دي نورونها" ؛ بسبب المناصب التي تولاها ، والتقرير الجيد والرضا الذي لقيه خلال توليها .

بعد قليل من النقاش ، وافق الجميع على أن من المهم أن يتم إرسال أكبر كمية ممكنة من المساعدات إلى هرمز ، وفي أقرب وقت ممكن ، بما أن الوضع تطلب واقتضى ألا يكون هناك أي تأخير .

بالنسبة للنفقات التي يجب صرفها هنا من أجل هذا العون ، وبالنسبة للمال الذي سيتم إرساله ، وجب على فخامته استخدام إيراد خدمة القوافل (بما أنه لم يكن هناك أي مال من صاحب الجلالة) ، وضريبة الواحد بالمائة ، والباقي من الأفراد ، وأي وسيلة أخرى يستطيع أن يجدها ، على الرغم من أن الجميع كانوا يعانون من العوز ، جراء الخسائر الكبيرة التي تعرضوا لها في كثير من الأحيان .

فيما يتعلق بالشخص الذي يجب أن يتولى مسؤولية المعونات ويخلف "روي فرير" إذا توفي ، وافق قائد المدينة وكبير مسؤولي الخزانة على أن "قسطنطين دي سا" هو الشخص الملائم والمناسب .

وافق مستشار الدولة و"روي دي ميلو دي امبايو" على أن جميع الصفات الضرورية للقيادة متوفرة في ذلك الرجل ، ولكنهما أوضحا أن تحقيق السرعة المطلوبة سيكون أسهل في حال تعيين رجل نبيل يحظى باحترام كبير ويملك خبرة حربية كبيرة ، بما أن هناك كثيرًا من الناس في "غوا" يمكنهم الصعود إلى السفينة ، وهم على استعداد للذهاب ، ولكنهم لن يذهبوا إذا تعين عليهم الذهاب كمرؤوسين لـ "قسطنطين دي سا" أو أي سيد آخر مثله .

في حال توجه "قسطنطين دي سا" ضمن المجموعة ذاتها ، يستطيع أن يحمل أمراً إلى هرمز مفاده أن فخامة الحاكم رأى أنه يجب عليه أن يخلف "روي فرير" في حال وفاته .

كان موقف القلعة عصيباً ، إلى حد أن جميع الوسائل التي ستسهل وتسرع مغادرة هذه المعونة يجب استخدامها ، وقد رأوا أن من بين هذه الوسائل تعيين سيد نبيل يوافق الجميع على الذهاب معه .

وافق الحاكم على رأي المجلس ، ولا سيما على رأي أولئك الذين صوتوا بالموافقة على ضرورة أن يتولى "قسطنطين دي سا" قيادة النجدة .

أوضح أنه يرى أن ذلك يتوافق مع مصالح صاحب الجلالة ، ومن المرجح أن تتحقق سلامة قلعة هرمز إذا غادرت التعزيزات غدًا تحت إمرة قائدٍ ذي سلطة وسمعة ، يستطيع توصيل النجدة مهما كانت الطوارئ والأخطار التي تنشأ ، بدلاً من إرسالها بقيادة شخص ربما يفتقر إلى تلك الصفات ، وربما لا يحظى بطاعة كافية ، ونتيجةً لذلك ، فربما لا يتم تنفيذ ذلك العمل الهام .

يجب ألا يترك هذا للصدفة من أجل تلبية رغبات بعض الأفراد ، وخصوصاً مع عدم إمكانية توقع الكثير من أولئك الأفراد المنخرطين في خدمة ملكهم في وقت وخلال طوارئ كبيرة وعسيرة ، إذا كان يتعين الاعتماد عليهم .

قد أمر بكتابة هذا القرار الذي وقع عليه الجميع .

كتب بموجب أمر السكرتير ، "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" .

الحاكم .

"نونو فاز دي كاستيلو برانكو ، دوم فرانسيسكو دي سا" .

فور موافقة المجلس على من يتعين تعيينه قائداً ليبحر بالتعزيزات ، بدأت التحضيرات على الفور بكل السرعة ، وفي الرابع عشر من الشهر ذاته ، وبعد ستة أيام من وصول الأخبار عن الوضع في قشم ، كتب "فيرناو دو البوكيرك" الرسالة التالية إلى "روي فرير" :

رسالة من الحاكم إلـى "روي فرير" :

"عرفت من رسالة من "سيماو دي ميلو بيريرا"- الذي خلف الراحل "دوم فرانسيسكو دو سوسا" كقائد- عن الوضع الصعب الذي تعانون منه في قشم ، وإنني آسف على هذا الأمر كثيراً ، ولكنكم إذا خرجتم من هذا المأزق أحياء- وهو ما اسأل الله أن يتحقق- فإنني آمل أن يتم تصحيح كل شيء ، وأن تتمكن بما لديك من شجاعة عظيمة من الثأر لنا من العجرفة التي تصرف من خلاها هؤلاء الأعداء .

يجب أن تحتفظوا بمعنويات عالية ، وألا تستسلموا لليأس أو القلق أياً كانت الأحداث التي وقعت ؛ لأن أمور الحرب عرضةٌ للنتائج الحسنة والسيئة .

إنني أجهز- بأسرع ما يمكن- التعزيزات التي أستطيع تجميعها من الرجال والمال والمؤن والذخيرة ، وبما أن الحاجة لكل شيء ماسة للغاية ، فإنني أقوم بكل ما بوسعي لإرسال هذه النجدة ، وقد أمرت بضرورة القيام بهذه الجهود ذاتها وإرسال معونات من "شاول" و"باسين" .

سأرسل سفينة قرقور محملةً بالأرز مباشرة إلى مسقط ، وسفينة تموين كانت واحدة من سفن "سيماو دي ميلو" التي بقيت هناك ،

وسفناً أخرى ، وتلك السفن المحملة بالتعزيزات التي يجري إعدادها لجلب الجنود ، سواء على نحو منفصل أو مع القائد الذي عينته ، ليصل المجموع إلى ست عشرة سفينة أو أكثر .

قد رأيت أنه يتعين علي أن أكتب على هذه السفن لإبلاغكم بذلك ، حتى تتمكنوا من ترتيب الأمور وفقاً لذلك ، ولتعرفوا أقصى ما يمكن تقديمه .

"غوا" الرابع عشر من شهر مارس عام ١٦٢٢م

الحاكم" .

لم تصل هذه الرسالة إطلاقاً إلى يدي "روي فرير" ، نظراً إلى أنه ، وبعد آخر أخبار تلقاها الحاكم عن الوضع في قشم ، فإن الذين كانوا هناك ، بعد أن رأوا أنهم أصبحوا مفقودين على نحو يتعذر معه تحقيق أي معالجة ، وأن "روي فرير" لن يستسلم ، تغلبوا عليه ووقعوا على مواد الاستسلام ، واحتفظوا به قيد الحجز ، إلى أن دخل الإنجليز القلعة .

لم يلتزموا بشروط الاستسلام ، بل سلموا العسكرين- وهم أصدقاؤنا الذين حظي ولاؤهم لنا بإشادة كبيرة - ، إلى الفرس الذين قتلوهم بقسوة ، وكان البرتغاليون الذين استسلموا غير مسلحين ، وتم نقل "روي فرير" والقادة الآخرين كأسرى إلى سفن القرقور الإنجليزية .

هكذا انتهى ذلك الحصار الشهير الذي قامت خلاله قلة من البرتغاليين بأعمالٍ باسلةٍ ضد خمسين ألف فارسي ، طوال تسعة شهور ، وضد اثني عشر ألف إنجليزي ساعدوهم لاحقاً ، وإذا لم يكن لهذه المقالات من هدفٍ مختلف ، لكتبنا مقالات أطول عن تلك الجسارة الفائقة .

عند معرفة الأنباء في الهند ، وافق الجميع على أن الحاكم كان على حق منذ البداية عندما رأى أن قشم ما كان يجب أن تبنى ، وقد اتضح هذا في رسالة من "دوم الكاهن كريستوفاو دي" "لشبونه" ، كبير أساقفة الهند السابق ، إلى "فيرناو دي البوكيرك" بعد فقدان قشم ، وفيما يلي نسخة منها :

رسالة من الأسقف إلـى الحاكم :

"أرجو لفخامتكم عيد فصح سعيد ، وأهديكم أطيب أمنياتي بالصحة والتوفيق للدولة .

يجب ألا تحزنوا فخامتكم أو تغضبوا لما حدث في قشم ، إذ ما كان له أن يؤدي إلى نتيجة أخرى .

لقد تم بناء القلعة في وقت غير ملائم ، ونحن نفعل دائماً أشياء في غير أوانها ، ويرى السادة أعضاء مجلس "كاستيل" أنهم يعرفون عن ذلك الأمر الكثير الذي يفوق ما نعرفه ونراه نحن هنا ، ولا أعتقد أن سلوك الجنود (طبقاً لما أبلغني به أخي مازانها) هو الذي يلام ، على الرغم من أن ما أراد "روي فرير" أن يقوم به كان عمل شخصٍ وحشيٍ وليس مسيحياً ، وعمل رجلٍ طائشٍ وليس عمل رجلٍ شجاعٍ .

في كل يوم ، نرى معاقل يتم التخلي عنها ، وجيوشاً تتراجع دون أن تتعرض لهجوم ، وكان الأمر سيعد أكثر حصافة لو تم التفاهم مع الإنجليز ، بدلاً من أن يموت عدد كبير من الجنود على نحو وحشي ، ومن المؤكد أن عشرين جندياً يساوون لدينا أكثر من عشرة آلاف بالنسبة للشاه ، ولكن تبين أن الأمر أفضل مما توقعت .

إن فخامتكم لم تخذلوا هرمز بأي شكل من الأشكال ، وقد قمتم بكل ما بمقدوركم بحصافة عظيمة ، ولم يكن هناك المزيد من الوقت للقيام بالمزيد ، وإن القلعة آمنة وسيرسل فخامتكم رباناً جيداً للأسطول ، ولا حاجة هناك لقول شيء عن استعادة قشم ، الآن أو في أي وقت ؛ لأننا إذا كانت لدينا القوة في البحر ، لن يمنعنا أي شيء أبداً عن نقل الماء إلى جزيرة واسعة كهذه . إن ما حدث ، أظهر أننا إن لم يتوفر لدينا هذا ، فستكون القلعة عبئاً دائماً ، ولن تكون ميزة .

على الرغم من أن جميع هذه الأشياء معروفة بالنسبة لكم أكثر مما هي معروفة لي ، إلا أنني أردت من فخامتكم معرفة أنني أشارككم الرأي بشأن هذا الأمر ، ويتحمل المسؤولية عن كل شيء "روي فرير" ، الذي تسبب بمحاولته لتحقيق مجد بناء قلعة في إفقار الدولة ، ولأنه أراد الدفاع عنها ، هجر أسطوله ، وكان يجب على صاحب الجلالة أن يثق بنا نحن الموجودين هنا ، وليس بوزرائه في مدريد الذين لا يستطيعون أن يعرفوا الكثير عن هذه الأنحاء كما نعرفها نحن .

على الرغم من أن ما أعاني منه حمى محتملة بدرجة أكبر ، إلا أنني أزداد ضعفاً في كل يوم ، وأفتقد الشهية للطعام ، وإنني أسأل الله أن يمنحني في الحياة القوة لأخدمه ، وألا أقصر في أداء واجبي ، وفي صداقتي لفخامتكم .

أدعو الله أن يحفظ فخامتكم ، على النحو الذي أتمناه .

"بانجيم" ، سبت النور .

كبير الأساقفة" .

أراد بعض الناس إلقاء اللوم على الحاكم "فيرناو دو البوكيرك" دون أساس ، لعدم إرساله العون إلى قشم في sanguiceis (وهي نوع من المراكب مستخدم على ساحل الهند لمطاردة Paros المسلمين) .

لم يفعل الحاكم ذلك ؛ لأنها كانت مراكب صغيرة للغاية ، لا تستطيع عبور خليج هرمز خلال وقت الرياح الموسمية ، وهو وقت تهب فيه رياح شمالية غربية قوية ، وحتى سفن الغاليوت تجد صعوبة في العبور .

من بين اثنتين من أسطول "قسطنطين دي سا" ، دخلت واحدة منهما مرفأ في "غوا" ، ودخلت الأخرى مرفأ في "شاول" ؛ لأنهما لم تتمكنا من الإبحار جراء الريح ومواجهة الرياح الشمالية الغربية ، وكان قد أعطى أربعة مراكب لاستخدامها كمراكب رسمية لنقل الرسائل في المضيق ، ولكن المراكب ذات الشراع الأمامي بينها دخلت الميناء خلال طقس سيئ .

أما المراكب التي تمكنت من العبور تم قطرها بواسطة الـ patachos كزوارق السفن ، ولهذا السبب ؛ فإن أسطولاً من الـ sanquiceis ما كان يمكن أن يكون فعالاً ؛ لأنه لم يكن هناك من عددٍ كافٍ من الـ Patachos لقطرها ، وكانت تلك المراكب ستجعل الرحلة أطول بكثير ، وقد تقرر داخل المجلس عدم إرسال مثل تلك النجدة ، وصدرت أوامر لأفراد أطقم الـ sanquiceis التطوع للخدمة في هرمز .

في الثالث والعشرين من شهر مارس ، وصلت أنباء سقوط قشم ، ووصل خبر غزو جزيرة هرمز إلى "غوا" ، وسارع الحاكم إلى إرسال التعزيزات ، على الرغم من أنه كان مريضاً وطريح الفراش ، وعلى الرغم من النقص

الذي كان قائماً في كل شيء ضروري ، غادرت التعزيزات في الثاني من شهر إبريل فور تجهيزها ، وتأكد هذا بإفادة من سكرتير الدولة "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" ، وفيما يلي نصها :

إفادة من سكرتير دولة الهند :

أشهد أنا ، "أفونسو رودريغيز دي جيفارا" ، كاتب مجلس بلدي صاحب الجلالة وسكرتير دولة جلالته ، أن المعلومات الواردة من هرمز بأن قشم تم الاستيلاء عليها ، وأن الفرس نزلوا على جزيرة هرمز ، وصلت إلى الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في الثالث والعشرين من شهر مارس .

على الرغم من أن التعزيزات للقلعة كانت قيد التجهيز ، إلا أنه- وفور وصول الأنباء بشأن الوضع في قشم والأخبار اللاحقة عن سقوط قشم ، وأن جزيرة هرمز تعرضت للغزو - ، تم بذل المزيد من الجهد ، وإضافة المزيد من المؤن والرجال والضباط ذوي الخبرة والسفن الخفيفة ، التي وصلت طلباتٌ بشأنها من هناك ، وغادرت هذه التعزيزات في الثاني من شهر إبريل .

قد شهدت بهذا ،

كتب هذه "بلشيور دا سيلفا" "Belchior da Silva" في "غوا" ، الخامس من شهر سبتمبر عام ١٦٢٣م .

"أفونسو رودريغيز دي جيفارا"

عندما وصلت هذه الأنباء للحاكم في الثالث والعشرين من شهر مارس ، عقد اجتماعاً للمجلس ، عرض خلاله الذهاب مع التعزيزات تحت قيادة "قسطنطين دي سا" ، دون أن يفكر في عمره المتقدم ، ومظاهر ضعفه العادية ، ويثبت هذا من الإفادة التالية من قبل السكرتير ذاته :

إفادة من سكرتير دولة الهند :

إنني أشهد أيضاً ، أن المعلومات القائلة إن قشم تم الاستيلاء عليها ، وإن جزيرة هرمز تعرضت للغزو ، وصلت إلى الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في الثالث والعشرين من شهر مارس ، وخلال الاجتماع الذي عقد لبحث هذا الأمر ، تطوع ليتوجه مع التعزيزات التي كانت قيد التجهيز ، وقال- على الرغم من ضعفه ، الناتج عن عمره المتقدم- إنه سيذهب ، إذ إنه يستطيع أن يحكم من كرسي وهو يركب البحر ، كما يفعل هنا .

"غوا" ، في اليوم والشهر والسنة ذاتها كما هو موضح أعلاه .

"أفونسو رودريغيز دي جيفارا" .

كان النقص كبيراً في الرجال في "غوا" ، وقد رغب عددٌ قليلٌ من الموجودين في التوجه بحراً إلى هرمز ، إلى حد أنه على الرغم من أن الحاكم أمر بإصدار إعلان بأنه على جميع الجنود والفرسان العاملين في خدمة صاحب الجلالة السفر مع القائد "قسطنطين دي سا" وإلا واجهوا عقوبة القتل ، إلا أنه لم يكن هناك من عددٍ يكفي لتزويد الثماني عشرة سفينة في أسطوله بالرجال ، واضطر الحاكم إلى الإعلان التالي :

إعلان أمر بإصداره الحاكم :

"لتسمعوا أمر القائد ، حاكم الهند ، بأن كل جندي مدانٍ على متن أسطول المغامرين بضمان القائد "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" ، يستطيع النزول من السفن ، ليتجول في هذه المدينة بموجب ذلك الضمان ، من أجل أن يتطوع في الأسطول الذي سيتجه لنجدة هرمز تحت قيادة "قسطنطين دو سا دو نورنها" ،

وستؤخذ في الاعتبار الخدمات التي أدوها ، عند النظر في الإبراءات التي يسعون إليها ، في حال صعدوا إلى السفن الآن مع هذه التعزيزات .

على نحوٍ مماثل ، فإن كل مجرمٍ موجودٍ على البر ، ويرغب في الصعود إلى السفن مع هذه التعزيزات ، سيحصل على ضمان ، وسيؤخذ أداؤه في الحسبان عند دراسة إصدار عفوٍ عنه .

إنني آمر جميع مأموري التنفيذ في هذه المدينة بإشهار هذا الإعلان في الأماكن العامة بمدينة "غوا" .

التاسع من شهر مارس عام ١٦٢٢م .

الحاكم" .

بإصدار هذا الإعلان والضمان للقتلة والمجرمين ، ارتفع عدد الرجال الذين صعدوا إلى سفن الأسطول إلى أربعمائة وسبعة وأربعين شخصاً ، وهو عددٌ كبير في ظل تلك الظروف ، ومن أجل الحصول على التعزيزات وإرسال الأسطول ، استخدم "فيرناو دي البوكيرك" مال ودائع الـ Misericordia ، وطلب من الـ Provedor والأخوة تقديمه مقابل ضمان ، وأجابوا على رسالة كتبها إليهم الحاكم بشأن الأمر بما يلي :

رد الـ Misericordia في "غوا" على الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" :

"قرئت رسالة فخامتكم على المفوضين بالتوقيع ، واجتمع الإخوة من أجل بحث طلب فخامتكم ، وبعد تقديم الحجج وبيان أسسها ، وبعد نقاش مستفيض ، قرر الجميع عدم إعطاء المال الذي يطلبه فخامتكم ؛ لأنه يتعارض مع رسالةٍ كتبها صاحب الجلالة لهذا المجلس ، والشروط التي أمر بها فيما يتعلق ما أخذه الأسقف لطوارئ مماثلة .

إذا رغب فخامتكم في رؤية أي واحدة منهما أو كليهما ، سأرسلهما إليكم .

على فخامتكم التأكد من أننا نرغب في خدمتكم ، ونحن آسفون للغاية لعدم إمكانية الاستجابة لهذا الطلب .

ندعو الله أن يحفظ فخامتكم .

كتبت في مجلس الـ casa da Santa Misericordia بمدينة "غوا" ، ووقع عليها "جاسبار موراو" ، الكاتب ، في العاشر من شهر مارس عام ١٦٢٢م .

الـ Provedor دوم "فيليب دي سوسا" "D . Philippe de Susa" ، "جاسبار دي أبريو" "Gaspar de Abrio" ، "هيتور فيرنانديز دا فونسيكا" "Hetor Fernandes da Vonsica" ، "ماركوس فيرنانديز" "Marcos Fernandes" ، "لورنسو دي كارفالهو" "Lorenco de Carvalho" ، "دومينغوس رودريغيز" "Domingos Roderigues" ، "جاسبار روبيلو" "Gaspar Rebeillo" ، "براس فيسنتي" ""Bras Vicente"" .

عندما رأى الحاكم أن الـ Misericordia لن يساعده في مثل هذه الظروف العصيبة ، أرسل إلى قاضي التاج ليقدم احتجاجاً ضد الـ provedor والأخوة الآخرين ، وسحب قلعة هرمز من عهدتهم ، وأمر الأسطول بعد ذلك بالإبحار ، وهو ما تم في الثاني من شهر إبريل ، بعد ستة أيامٍ من وصول أنباء سقوط قشم .

"لويس مارتينهو دي أزيفيدو" : مقالات دفاعية

المقالة ١٦

عن فقدان هرمز ، وأمور أخرى ذات صلة

عندما أصبح الفرس والإنجليز سادة على قشم ، أرادوا الاستفادة من حظهم المؤاتي والفرصة التي وفرتها لهم سهولة الاستيلاء عليها ، فهاجموا جزيرة هرمز ، ولم يتوقع "سيماو دي ميلو" أن يفعلوا ذلك ، اعتقاداً منه بأنهم سيكتفون بما حصلوا عليه ، ولم يكن يشعر بقلق ، وكأن هرمز كانت تتمتع بهدوء أكبر مما كانت تتمتع به عندما كانت تنعم بالسلام .

كان شديد الثقة بقدرته على الدفاع عن الجزيرة ، إلى حد أنه– وعلى الرغم من أنه كان بمقدوره منع العدو من النزول للبر– إلا أنه لم يفعل ذلك ، وإنما أمر الجنود بالدخول إلى القلعة ، وترك المدينة مكشوفة .

استولى العدو على المدينة ، ومعها أعظم ثروة في الهند ، وأقام بعد ذلك عدة مواقع للمدافع ، وجهها مباشرة إلى القلعة من عدة أماكن مرتفعة ومنازل وشرفات ، وبدأت المدافع تقصف من تلك الأماكن أجزاء من السور ، ووضع العدو ألغاماً في الحصون ، وقتل أفضل رجال الحامية .

كان في القلعة خندق مغطى ، كان "أفونسو دو البوكيرك" العظيم قد قام بتجهيزه ، وقد نقش على حجر به كتابةً مفادها أنه في حال تعرض القلعة للحصار في أي وقت ، يجب فتح الخندق ، وستكون القلعة عندئذ آمنة من الاستيلاء عليها .

لكن ما حدث هو أن أحداً لم ير هذه الكتابة ، أو أنهم تجاهلوا الحاجة للحماية التي اعتمد الدفاع عن القلعة عليها .

قد أدى خطر سقوط القلعة إلى منع وظيفة العقل ، وأغلق الأبواب أمام جميع الآراء الجيدة ، ويمكن رؤية الارتباك والإهمال اللذين سادا من الرسالة التالية التي كتبها كبير مسؤولي الخزانة الذي- شأنه في ذلك شأن آخرين في القلعة - ، سيطر عليه الفزع بسبب الخوف ، وعدم وجود أنباء .

رسالة من كبير مسؤولي الخزانة في هرمز إلى الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" :

"إذا لم يطلع فخامتكم على رسالة مني لعدة أيام ، فأرجو ألا توجه اللوم لي بسبب ذلك ؛ لأن القائد لم يخبرني عن الرسل الذين حملوا رسائله ، وقد كتبت واحدة في الحادي والعشرين من شهر فبراير ونسختها مرتين ، وأرسلتهما إلى مسقط في a terranquim ، استولى عليها القراصنة ، لتضيف هماً لكل المتاعب غير المحدودة ، والتعاسة التي نعاني منها ، ولا ريب أن خطاياي هي السبب وراء ذلك .

في العشرين من شهر فبراير ، وهو الأحد الثاني للصوم الكبير ، استولى الإنجليز ورعايا الشاه على مدينة هرمز ، دون أن يخسروا قطرة دم واحدة ، وفور نزولهم إلى البر تم تسليم المدينة إليهم ، ولجأ الجميع إلى القلعة .

حفروا الأرض بعد ذلك باتجاه القلعة ، إلى أن وصلوا إلى الأسوار ، وبدأوا بمهاجمة السور الذي يقع تحت معقل سانتياغو بالمعاول وبالبارود أحياناً ، إلى أن هدموه واستولوا عليه اليوم .

شنوا الهجوم الثاني اليوم بقوة ، ووجهوا ضرباتهم في كل اتجاه ،

ولقي كثيرون مصرعهم ، وبما أنهم لم يكتفوا بذلك ، فقد لغموا معقل "ساو بيدرو" "Sao Pedro" ، وهدموا بعض الجزء السفلي منه .

كيف يتسنى لأولئك القادمين إليكم أن يصفوا لفخامتكم ما تم القيام به ، أو الخطر الذي تجد القلعة نفسها فيه بسبب النقص في الرجال ، بعد أن لقي كثيرون منهم مصرعهم؟

إنني لا أستطيع أن أفترض أنني أفعل ذلك ، وسيصف أولئك القادمون إليكم الحالة التي تعيشها القلعة .

في اليوم الأخير من شهر فبراير بدأوا بإطلاق النار على سفن الغليون بالمدافع التي أحضروها إلى البر ، والتي اخترقت سفن الغليون وحطمت الصواري والأبدان وحبال الأشرعة ، وفي الليل جاءت زوارق بخارية ، وعليها أجهزة نيران ، تمكنت بواسطتها من إشعال النار في سفينة الغليون "ساو بيدرو" .

وصلت النيران إلى حبال الإرساء وأحرقتها ، وحمل التيار السفينة باتجاه "غومبرون" ، وعليها ستة مدافع برونز ، وستة مدافع حديد ، لم يكن من الممكن إطلاقها .

بينما كانت المدفعية تطلق نيرانها ، وصلت الزوارق الكبيرة ، ولم يكن بالإمكان إبعادها عن القلعة أو عن سفن الغليون ؛ لأننا لم نكن نملك سفناً تستطيع إيقافها ، حيث إن ست سفنٍ أبحرت لنقل الجرحى والفقراء إلى صحار .

عندما تم احتجازنا لمدة يومين داخل القلعة ، أصبح الطقس- ولسوء

طالعي- سيئاً للغاية ، إلى حد أنه عندما وصلت السفن إليها كانت محطمةً لقطع صغيرة .

كان هناك اجتماع لجميع ربابنة سفن الغليون والمرشدين ؛ لمعرفة ما إذا كانت سفن الغليون قادرة على القيام برحلة إلى "غوا" ، فأقسموا جميعاً على كتاب القداس أنهم لا يستطيعون القيام بذلك ، بسبب النقص في الضباط ، وبسبب التلف الذي لحق بهذه السفن .

عندما تم الاتفاق على الأوامر التي يتعين على القائد إصدارها ، عملت على الإعداد لنقل المعدات الحربية بأسرع ما يمكن .

قد نقلت ثلاث قطع برونزية ، وعشر- أو اثنتي عشرة- قطعة حديدة من السفينة الغليون "ساو بيدرو" ، وتسعة عشر مدفعاً برونزياً من السفينة الغليون "ساو مارتينهو" ، وتركت مدفعاً برونزياً واحداً وخمسة أو ستة مدافع حديدية .

بينما كنا ننقلها ، غرقت السفينة بسبب ما لحق بها من أضرار ، ونقلت من السفينة الغليون "تودوس لوس سانتوس" "Todos Los Santos"- التي جاء عليها "دوم مانويل دي ازيفيدو"- ثمانية وثلاثين مدفعاً ، ومن السفينة الغليون "فيتوريا" "Vituria" سبعة وعشرين مدفعاً .

حيث إن هاتين السفينتين الغليون كانتا مقابل الشاطئ فقد اعتقدت أن بالإمكان استخدامهما ، ولكن بعناية بالغة ، وجاء جاسوس من الإنجليز ليرى إن كان هناك من رجال في هاتين السفينتين الغليون ، اللتين كانتا في مكان لا يستطيع القراصنة تحريكهما منه إذا أرادوا التعامل معهما ، كما فعلوا مع السفينة الغليون "ساو بيدرو" التي جرفها التيار .

زودنا هذا بمعلومات مفادها ، أن الإنجليز كانوا مصممين على الحضور وإحراقهما ، وأن رعايا الشاه سيهاجموننا من جميع الجهات بسلالم كثيرة عند تفجير اللغم .

عندما اكتملت جميع التحضيرات التي أمكن التفكير فيها ، عقد اجتماع آخر لبحث ما إذا كان يتعين إغراق السفينتين الغليون "سانتوس" و"فيتوريا" قرب الشاطئ قدر الإمكان ؛ حتى نستطيع استعمال الخشب الموجود بهما ، وكان مفهوماً أيضاً أن الكثير من الناس لجأوا إليهما ، على الرغم من أن ذلك لم يتضح إلا بعد إغراقهما .

جمعت الرجال معاً ، سواء كانوا جنوداً أو بحارة ، وكان هناك كثيرون منهم ، وواصلت تزويدهم بالمؤن ، ولكن البعض منهم ماتوا وهرب كثيرون آخرون ، ووددت لو أن لدي الوقت لأقول لك عما أقوم به ، وقاتلت الأعداء وصددت الهجمات في كل الأوقات .

ليس في القلعة عربة مدفع يمكن استعمالها أربع مرات ؛ لأن المدافع ثقيلة وقوية للغاية ، والحصون مرصوفة بالحجارة ، حيث تتحطم العجلات ، وكذلك الأجزاء الدنيا ومحاور عجلات المدافع ، وكان هناك بالفعل ثمانية وعشرون لوح خشب ثقيل وطويل من خشب الزوايا ، طولها سبعة أو ثمانية أذرع ، ولكن هذه كانت قليلة مقابل الأعداد الكبيرة التي حطمتها المدافع .

الأمر الذي يفوق ذلك سوءاً ، هو أن الجدران الساترة ليس فيها مسافة للارتداد ، ولذلك لا تستطيع أن ترجع إلى الوراء ، وينطبق الأمر ذاته على الحصون ، حيث تكون المدافع قوية وتتقدم حتى الحافة ، ولذلك لا تلحق

ضرراً بالجدران فقط ، وإنما تحطمها وتكسرها وتسقط بعض الجدران إلى أسفل ، وتعتبر العجلات والأخشاب ضرورية للغاية بالنسبة لهذه المدافع ، إذا شملنا الله تعالى برعايته ، وهناك قلة من الجنود وهم خائفون للغاية ، وإذا تأخر الأسطول سنكون في كرب عظيم .

كما قلت في رسائل أخرى سينتهي كل شيء قريباً .

يوجد في القلعة مخزون من الأرز فقط ؛ لأن ما كان موجوداً تم ، أو يجري استهلاكه ، وكانت لدى القائد ، "دوم فرانسيسكو" ، كمية بعينها في هذه القلعة ، ولكن وبما أن الرياح الموسمية متوقعة كالعادة في بداية السنة ، عندما يتم جلب كل شيء إلى هنا ، ولا يوجد لدينا حالياً زيت أو لحم ، ويتم إرسال السمك المملح إلى الخارج ، ويتعرض الناس للقتل نتيجة لذلك ، ولذلك فهناك نقص في كل شيء .

تم وضع خمسين برميلاً تحتوي على بسكوت ، على خمس سفن غليون لشهري يناير وفبراير ، للجنود والبحارة ، وقد اتجهت بعد ذلك إلى قشم ، وتم استعمال حوالي عشرين لتموين السفن ، وأما الأربعون التي تبقت ، فقد تم دفعها كعربون عن المال الذي أخذ من الـ Misericordia للدفع للمسكن ، ولذلك بدا ملائماً أن يحتفظوا بالبسكوت للمرضى الذين كان عددهم يصل في العادة إلى ثمانين ، وأما اليوم فهم أكثر من ثلاثمائة .

ندعو الله ألا يتخلى عنا .

أعطيت حصة شهر مارس للمسكن ، وفي الوقت الحاضر يوجد حوالي عشرين برميلاً ، على الرغم من أن برميلاً واحداً يستخدم يومياً للرجال في الحصون ، مع أربعة براميل من نبيذ uraca الذي اشترته في

هذه السفينة مقابل سعر باهظ ، بحيث إن الـ Canada الواحدة بيعت بسعر سبعة "لارينز" ، ويصل سعر الدجاجة إلى ثلاث "بارداوس" عندما يتم الحصول عليها .

أترك الباقي لأولئك الذين سيأتون إليكم ، إذ ، وكما قلت لك ، إنني لا أعرف كيف وجدت الوقت لأكتب هذه الرسالة الطويلة ، وإنني أعلم أنني في حال عشنا لحين وصول الأسطول ، ستصل حياتي إلى نهاية من خلال العمل والتعقيدات ، وكذلك العزاء القليل الذي يمكن العثور عليه في هذه البلاد لشخص عجوز للغاية .

أرجو من فخامتكم التكرم بإرسال أحد ليحل محلي ؛ لأنني متأكد من أنني سأموت .

هرمز ، الثامن والعشرون من شهر إبريل عام **١٦٢٢م**

"مانويل بورجيز دي سوسا"

تكشف كلمات هذه الرسالة مدى ضعف وجبن الكاتب ، وخلافات أولئك الذين كانوا يحكمون هرمز ، إذ إنها استسلمت على الرغم من أنه كانت هناك مؤن وذخائر للدفاع عنها ، حتى تصل النجدة .

على الرغم من وصول "دوم مانويل دي سوسا" "D . Manuel de Susa" ، نجل القائد "دوم فرانسيسكو دي سوسا" مع ستمائة fardos أرز ومائتي برميل بارود أرسلها الحاكم .

قد أبلغهم أنه أصبح منفصلاً عن "قسطنطين دي سا"- الذي أبحر من "غوا" قبل شهر ونصف مع خمس عشرة سفينة غاليوت- وأنه

وصل أولاً ؛ لأنه لم يتجه إلى مسقط ، التي كان يتعين على القائد أن يدخلها ، ولكن ، وبما أن بعض أولئك الذين كانوا في قلعة هرمز (والذين لن نذكر أسماءهم هنا) اعتقدوا ولا شك أنه من الأفضل أن يستسلموا بدلاً من أن يدافعوا عن أنفسهم ، فقد طالبوا بتسليم القلعة .

قد استخدم خان شيراز- الذي كان يقود الحصار- خدعة ، طلب هدنة لمناقشة الشروط من أجل إبقاء رجالنا مشغولين ، بينما تصل أعداد كبيرة من جنوده ، وإمدادات جديدة من الذخائر (إذ إنها نفذت منه) ، وقد سقطوا بسهولة في الفخ ، ولكن ملك هرمز- الذي عرفه وعرف ما يتعين عليه أن يفعله - ، لم يقع في الفخ ، وصرخ واحتج بأنها خدعة فارسية .

ينهي- "دوم غونسالو دي سيسبيديس"- تقريره عن هرمز في هذا الفصل ٢٤ المشار إليه بالكلمات التالية ، المكتوبة بناء على معلومات خاطئة ، مثل جميع الفصول الباقية التي أجبنا عليها ، وكما سنرد على هذه ، وهو يتحدث عن الوضع البائس الذي أوصل العدو القلعة إليه ، وتدميره إياها بعشرين مدفعاً ثقيلاً ، ويضيف قائلاً :

"لكن ليس بسبب المدافع ، وليس لأن الصهريج كان مكسوراً ، فالذخائر كانت في انخفاضٍ مستمر ونفدت المؤن ، ومع وقوع الهجمات والألغام واليأس الذي سيطر على أفضل الرجال من أي تدبير أو من استلام نجدة من البوكيرك ، كان ذلك سيحدث لولا "لويس دي بريتو" .

عندما وجد هذا الشاب البائس نفسه في تلك المضائق ، وأن سلامته في خطر ، ولم يكن يجرؤ على أن يقترح على قائده بأن عليه أن

ينسحب من أجل السلام ، أو أن ينتظر حدوث خطر أكبر ، فقد اتخذ القرار الرديء والمأساوي بأن يسعى للأمر بنفسه .

وكان قد أقنع عدداً من المجرمين ، وتصرف بمساعدتهم وبلهفةٍ كبيرة ، أنزل نفسه لسوء الطالع من الأسوار ، وشق طريقه إلى الإنجليز الذين رحبوا به بحرارة ، وتوصل على الفور إلى شروط معهم ، وعرض تسليم القلعة ، ثم عاد إليها .

عندما علم "سيماو دو ميلو" بهذا الأمر الفظيع ، عزم على أن يضع حداً للأذى ، ولكن حال تمردٌ أشد سوءاً دون قيامه بذلك ، وصاح خصومه بأنه ما دام إهماله أدى إلى أن يحتل الفرس المدينة بسهولة بالغة ، فإن فتح المعقل لهم وتدمير حصن "سانتياغو" "Santiago" بعد ذلك ، فإنهم لن يتوقعوا أي شيء سوى التعرض للسلب .

وأن الجيوش الغازية لن تضع القيود والأغلال في أيديهم وأقدامهم ، أو تقتلهم أو تنتصر على أسراهم البرتغاليين في أصفهان ، ولم يرغبوا في السقوط في اليأس دون دفاع ، أو في الموت ، أو في المقاومة دون أمل ، أو الموت كحيوانات وحشية .

بعد أن قالوا هذا احتجزوا قائدهم (على الرغم من أن آخرين يعتقدون أنه كان جزءاً مما حدث) ، بينما سمح "بريتو" وأتباعه للإنجليز بالدخول عبر حصن "سان بيدرو" ، ووثقوا بهم بدلاً من أن يثقوا بالعربي (المسلم)" .

هنا نجد أن "دوم غونسالو"- الذي كتب بناء على معلومات زوده بها أعداء "فيرناو دي البوكيرك" وابن أخيه "لويس دي بريتو" - ، حدس

من حقيقة أن الكونت "دي فيديغويرا" "Conde de Fideguera" كان قد أمر بإعدامه في "غوا" ، إنه كان حاضراً عند استسلام قلعة هرمز ، في حين أن "لويس دي بريتو" لم يكن ضالعاً فيه ، كما سيتضح في الكتاب المتعلق بهذه الحروب ، والذي سينشر قريباً .

بينما كان "خان شيراز" يتظاهر ببحث شروط الهدنة ، تم احتجاز رهائن من كلا الجانبين ، ومن الجانب البرتغالي ، تم إرسال أربعة من وجهاء القلعة الذين لم تكن لديهم رغبة في الدفاع عنها .

تم الترحيب بهم ، وعوملوا معاملة طيبة من قبل الفرس والإنجليز ، بينما جاء شخص آخر (ولن نذكر اسمه إكراماً لعائلته ؛ لأنني لا أنوي الكشف عن أخطاء أي شخص ، وإنما أن أكشف الحقيقة ، وأن أفند ما كتبه "دوم غونسالو" خلافاً لها) ، وغادر ومعه رسائل وشروط الاستسلام .

كانت بوابة القلعة مفتوحةً لهذا الغرض ، دون أن يكون ضرورياً لـ "لويس دي بريتو" أن يتدلى من الأسوار أو العودة إلى داخلها ، ولا أحد يستطيع أن يعتقد أنه- فور مغادرته القلعة ووصل إلى العدو ليبحث معهم الشروط بتلك الصورة- سيجرؤ على العودة إليها ، بينما القائد الذي حكمها على قيد الحياة .

إذا شارك "لويس دي بريتو" وآخرون من مرافقيه في تمردٍ أو تحريض على العصيان ، فإن ذلك حدث شائع خلال عمليات الحصار الطويلة والرهيبة ، وفي الجيوش أيضاً ، إذ إننا نقرأ ونسمع في كل يوم حكايات وحالات لا حصر لها تثبت ذلك .

يجب على القائد أو الجنرال الحصيف أن يخمد هذا التمرد ؛ ليتفادى

العلل التي لا يمكن معالجتها لاحقاً ، ولو أن "سيماو دي ميلو" فعل ذلك على الفور ، ما كان سيعطي مبررات للاعتقاد بأنه وافق ونافق .

(....)

يتعارض الأمر مع الحقيقة كلياً ، عندما يقول "دوم غونسالو" إن "لويس دي بريتو" ذهب ليبحث استسلام القلعة ، إذ يوجد كثيرٌ من الشهود الذين لا يزالون على قيد الحياة كانوا حاضرين خلال هذه الاجتماعات ، وقد رأوا وعرفوا الذين جاؤا وشاركوا فيها .

على الرغم من أن الكونت "دي فيديغويرا"- عندما كان نائباً للملك- أمر بإعدام "لويس دي بريتو" في "غوا" ، لم يقطع رأسه من الخلف كخائن- كما فعل الكونت (بدافع من كراهيته له) بعد أن وجد فيه أخطاء بررت ذلك - ، وإنما لأنه عصى قائده "سيماو دي ميلو" ، وتمرد ضده ، مدعياً أنه لا ينبغي أن يطاع ، وأنه من الضروري التوقف عن الدفاع عن هرمز .

هكذا فإن سوء طالعه (أو مشيئة الله ، وهو أمر مؤكد) جعله يكون الشخص الوحيد المحبوس ، أو الذي سمح بأن يتم إيداعه السجن ، دافعاً الثمن عن أولئك الذين كان يجب إلقاء مسؤولية فقدان القلعة عليهم ، والذين سلموها ثم تجولوا في طرقات "غوا" على ظهور الخيل .

إن خطيئة أخرى من خطايا "لويس دي بريتو" ، هي التي جلبت عليه -بهذه الطريقة- العقوبة التي تم تنفيذها فيه في هذه الحياة ، من خلال أحكام عليا لا نفهمها نحن .

عندما وصل "شاول" مع "قسطنطين دي سا" عند عودته إلى الهند ، شجعه "دوم فرانسيسكو مانويل" "D . Francisco Manuel"– وهو قريبه وقائد تلك القلعة– على التغيب والانطلاق بعيداً ، واقترح طريقة يجعل نفسه من خلالها غنياً ، ورد بأنه لم يفعل أي شيء خطأ يجبره على الفرار بعيداً ، وأن عمه الحاكم إذا كان قد أمر باعتقاله فسيأمر بالإفراج عنه أيضاً ، عند إبلاغه بأنه لم يكن له أي دور في استسلام هرمز .

بما أننا نتناول موضوع اعتقال "لويس دي بريتو" ، يصح أن نبرز نزاهة الحاكم ، إذ على الرغم من أنه ابن أخيه ، إلا أنه أمر "قسطنطين دي سا" ، عندما توجه إلى هرمز ، أن يرسله إلى "غوا" كسجين ، ولم تدخل المصلحة الشخصية عندما تعلق الأمر بالحماس للعدالة ، وباسم الأمة البرتغالية النبيل الذي عرضه ابن أخيه للخطر ، على نحو ما من خلال تصرفه السيئ ، وتلك كانت نزاهة "فيرناو دي البوكيرك" ، إلى حد أنه كان سيعاقب ابنه نفسه إذا استحق العقوبة في أمر يضر بخدمة الملك .

(...)

بعد إبرام الاتفاقية بين الخاضعين للحصار والفرس والإنجليز ، غادر البرتغاليون القلعة للتوجه إلى مسقط ، تاركين البوابات مفتوحة ، وفي ظروف أخرى لا صلة لها بموضوعنا ، ولن نذكر بالتفصيل كيف استسلمت القلعة ، وهو الموضوع الذي سنتعرض له على نحو عابر في هذه الرسالة التي كتبها للحاكم "فيرناو دي البوكيرك" رجلٌ كنسي كان في تلك المناطق :

رسالة من رجل كنسي إلـى الحاكم

صاحب الفخامة

كنت قد كتبت إلى فخامتكم ثلاث أو أربع مرات فيما يتعلق بحظي العاثر ، وبأشياء أخرى ستجدها هناك .

بما أن كل ما يتعلق بي من أشياء هي منٌ من الله ، فلن أتحدث الآن عن أمور خلاف تلك المتعلقة بهرمز ، التي تعتبر قضية أكبر للأسف ، والبكاء بدرجة أكثر من أي خسائر أخرى في العالم .

لقد جردت هرمز من جميع الـ casados الذين كانوا فيها بإرادتهم ، ودون أن يطردهم أحد من منازلهم ، وقد دمرت القلعة بألغام البارود للسماح لهم بالمرور من خلالها ، ولم يتم فتح الخندق .

في الثاني عشر من شهر مايو ، تم الدخول إليها دون مقاومة ، الأمر الذي شكل عاراً كبيراً لمن كانوا بالداخل ؛ لأنهم لم يرغبوا في إشعال النار فيها ، ورفعوا علماً أبيض (وهو أمر أدهش الإنجليز ، الذين قالوا أشياء مخزية كثيرة عن كبير مسؤولي الخزانة و"سيماو دي ميلو" ، اللذين كانا في مسقط ، ووصفوهما بأنهما خائنان لملكهما) ، وفتحوا البوابة لهم .

وجدوا داخل القلعة أربعين candins من الفضة ، وواحداً من اللآلئ ، وكمية كبيرة من الذهب والحرير والقطن والأدوية ، والكثير من المؤن والذخيرة ، والتي تم تقسيمها على الفور بين الإنجليز والفرس بطريقة ودية .

هناك أربع سفن قرقور في هرمز ، أبحرت اثنتان منها (وتم إرسال الذين هربوا إلى مسقط على متن مركبين) .

قد أخبرنا بهذا في السند رجل كان معهم خلال فترة الحرب ، على متن واحدة من سفينتين للفلفل استولوا عليهما في السنة الماضية في نخيلوه ، وقد تم إنزال هذا الرجل على الشاطئ في "مانورا" في السند ، ومعه رسائل تم نقلها بعد ذلك إلى الملك المغولي .

جاءت ثلاث سفن تابعة لـ "جورج دي سوسا" "George de Susa" إلى هنا في شهر يونيو الحالي ، وقد التقى في بحر العرب بـ "روي فرير" الذي هرب من الإنجليز في سورات سباحة ، وكان يبحر في سفينة تألف طاقمها من عشرة أو اثني عشر من ربابنته .

قد حث "جورج دي سوسا" على مرافقته إلى هرمز وهو ما فعله عن رغبة ، ولكنهما عندما سمعا الأنباء السيئة في مسقط سمح له بالذهاب ، وبقي هو و"قسطنطين دي سا" هناك ، وهما غير متأكدين مما ينبغي عليها أن يفعلاه ، وكان "قسطنطين دي سا" يقول بحزم إنه لن يغادر مسقط ؛ لأنه لم يتلق أمراً من فخامتكم .

هكذا وخلال انتظار وصول أوامر جديدة ضاع كل شيء .

الحمد لله وأدعوه أن يحفظ فخامتكم .

هرمز ، الثالث من شهر يونيو عام ١٦٢٢م

القس "جواو دا كونسيساو" "Joao de Consicao" .

(ملاحظة المترجم : تمت هذه الترجمة من نسخة أخرى من هذه الرسالة (Dr287/extra) يبدو على النص فيها أنه أكثر دقة) .

يمكن إضافة كثير من الرسائل هنا ؛ لتأكيد حقيقة فقدان

واستسلام هرمز ، وبمقدور كل من يريد أن يعرف المزيد عن الموضوع أن يقرأ شهادات السادة والنبلاء الذين أقسموا ؛ تأييداً للحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في الدعوى التي أقامها وكيل خزانة الهند على ابنه "جورجي دي البوكيرك" "Jorje de Albuquerque" .

هؤلاء السادة والنبلاء هم : "دوم أنطونيو دا سيلفا" "D . Antonio da Silva" و"فرانسيسكو دي سوسا دي كاسترو" "Francisco de Susa de Castro" و"ديوغو دي أغويار" "Diogo de Aguiyar" و"غوميز دا سيلفا دا كونها" و"دوم فرانسيسكو دي سا" و"روي دياز دا كونها" "Rui Dias da Cunha" ، و"جولياو بايز دي ألتي" "Joliao Bays de Alte" .

وسكرتير الدولة "جاسبار بيريرا" "Gaspar Perriera" و"دومينغوس لوبيز دي أزيفيدو" "Domingos Lopez de Azevido" والربان القائد "نيكولاو مونتيرو" "Nicolao Montero" و"جواو فاز كاسكاو" "Joao Vaz Cascaoe" ويقدمون إفاداتهم جميعاً ، كشهود عيان ، حول كل الأشياء التي حدثت وهم حاضرون ، وبنزاهة ودون انفعال أو كراهية تطمس الحقيقة .

قد جعلت السرعة التي استسلم من خلالها أولئك الذين كانوا في هرمز النجدة التي أحضرها "قسطنطين دي سا" بلا فائدة ، وقد تأخر "قسطنطين دي سا" يومين قبالة "طيوي" ، وثمانية أيام في مسقط (التي كان يحتاج منها إلى ستة أو سبعة أيام على الأقل ، لاجتياز مسافة الستين فرسخاً إلى هرمز) .

كان يقال عموماً بين جميع أولئك الذين كانوا في الأسطول إنهم ليسوا في عجلة للوصول إلى القلعة ، وبما أنها كانت ستسقط في كل الأحوال ، فإن الأفضل بالنسبة لهم

إن يجدوها وقد استسلمت عندما يصلون إليها ، وقد حققوا هدفهم ؛ لأنهم التقوا على مسافة فرسخ واحد من مسقط السفينتين اللتين كانتا تحملان الرجال الذين غادروا هرمز المستسلمة ، وقد علموا منهم بالنهاية المخزية للقلعة .

بينما كان "قسطنطين دي سا" لا يزال في مسقط ، وصل "روي فرير" إلى هناك بعد أن فر مع ثلاثة رفاق من سفن القرقور الإنجليزية التي أسرته في قشم .

قد توجه إلى "دامان" وتوجه إلى هرمز ، وعندما وصل إلى مسقط صعد إلى السفينة مع "قسطنطين دي سا" ، وعندما علما أنها سقطت ، أصر "روي فرير" على ضرورة أن يواصلوا رحلتهم ؛ مبرراً ذلك بالقول بأنه سيكون عملاً هاماً للغاية إذا هاجموا هرمز بالسفن الموجودة معهم ؛ لأن الفرس سيكونون مشغولين بالاحتفال بنصرهم ، ولن يتوقعوا هجوماً عليهم .

لكن "قسطنطين دي سا" رأى أن لديهم عدداً قليلاً للغاية من الرجال والسفن لتنفيذ عملية خطيرة كهذه ، وعاد إلى الهند التي كانت في حدادٍ عام ، لسقوط أفضل قلعة تابعة لها .

في البرتغال كانت هناك آراء مختلفة إزاء الحدث ، والنهاية المؤسفة لمعقل هام كهذا ، لم يستسلم بسبب الشجاعة والبراعة والأعمال

البطولية من جانب الإنجليز والفرس الذين كانوا يحاصرونها ، وإنما بسبب الحكومة السيئة والخبرة القليلة لدى أولئك الذين حكموها ، وهو ما يؤيد صحة قول (كاتو) المراقب المأثور عن أن (الدولة لا تسقط جراء عدم وجود القادة الأكفاء ، بل بسبب عدم وجود الرأي السليم) .

"لويس مارتينهو دي ازيفيدو" : مقالات دفاعية

المقالة "١٧"

ملخص أسباب سقوط هرمز

أوضحنا- بشكلٍ كافٍ- في المقالات السابقة أن هرمز لم تسقط جراء أي خطأ من الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ، وقد كان دائماً مؤيداً للرأي القائل إن "روي فرير" يجب أن يبقى مع أسطوله ، وألا يبني قشم ، متوقعاً بأن الشاه سيحارب ، وأن ذلك سيؤدي إلى هجوم على هرمز .

كان يجب على "سيماو دي ميلو" أن يقوي تحصينات المدينة ، والأماكن التي كان يمكن أن ينزل فيها العدو فور معرفته بسقوط قشم ، وأن يستمر في بناء التحصينات التي بدأها سلفه "دوم فرانسيسكو دي سوسا" ، طبقاً لطلب صاحب الجلالة منه ، ولكنه سخر من الطلب ، وكان يتعين عليه أن يأخذ بالنصيحة التي بعث بها إليه "روي فرير" بعد أسره بأن يفتح خندق القلعة ، وفقاً للتنبيه الذي ثبته هناك "أفونسو دي البوكيرك" عند بنائه .

قد طالب ملك هرمز أيضاً بعدم سحب سفن الغليون التابعة للأسطول إلى الشاطئ ، نظراً إلى أن تلك السفن ضخمةٌ للغاية ، ومزودةٌ بالمدفعية ، وتستطيع أن تقاتل سفن القرقور الإنجليزية ، بينما تهاجم الـ foists الـ terradas الفارسية .

كان هذا الترتيب سيبدو أفضل لسمعتنا من سحب سفن الغليون ، الذي شجع العدو على أن يحاصر القلعة بسرعة أكبر .

قال إن القول المأثور في الهند يشير إلى (أن من يملك السيادة على البحر ، يملك السيادة على البر أيضاً) ، وأن سفن الغليون كانت قادرة على الدفاع عن نفسها ، وحماية المدينة بالمدافع الثقيلة التي كانت تحملها .

لكن هذا الرأي الحكيم لم يلق التأييد ، وقرر أولئك القادرون على التصويت ضرورة إدخال سفن الغليون إلى الخليج ، حيث واجهت هناك نهايتها المحتومة ، حسب وصف كبير مسؤولي الخزانة في رسالته .

كانت الكارثة الكبرى الثانية هي التخلي عن المدينة- مع وجود الأماكن والمواقع التي يمكن تحصينها- والتقهقر إلى داخل القلعة ، وترك ثروات كبيرة وممتلكات قيمة في الخارج ، لعدم وجود مساحة كافية في الداخل ، ولم يكن من الممكن أخذها إلى هناك وهم في عجلة من أمرهم ، وتم قطر سفن الغليون بواسطة foists ، وأحضرت لتكون تحت حماية القلعة .

عندما رأى ملك هرمز هذا الوضع ، وتوقع ما سيحدث ، قال متنهداً ومتألماً "آه يا هرمز ، لقد شيدك أجدادي وأعطوك للبرتغاليين ، وفي عهدي فقدناك" .

سعياً لتسليته ، أبلغه الـ Guazil أن هرمز لا تزال برتغالية ، ولكنه أجاب بأن القلعة ضاعت أيضاً ، وأن قائدها كان واثقاً ونام ملء جفونه ، وقد كان واثقاً ؛ لأنه كان دائماً يسمعه يقول إنه سيواجه الأعداء ويقاتلهم عندما جعل له أشجع القادة جسراً فضياً ، وهو لم يشعر بالقلق ؛ لأنه لم يحاول تحصين المدينة ، وهجرها حتى يتمكنوا من إدراك غزوها بيسر .

كان جهلاً مطبقاً وقيادة سيئة عندما ظهر أسطول السفن الفارسية ذات المجاذيف تحميها سفن القرقور الإنجليزية ، وكان "دوم غونسالو دا سيلفيرا" في البحر مع أسطوله ، وأراد أن يقاتلهم .

لم يكن هناك من خطرٍ من الأسطول الإنجليزي ؛ لأن البحر كان هادئاً ، ولو أن المعركة نشبت لتكبد الفرس أضراراً كبيرة من الـ Foists التابعة لنا ، ولتمكنا من تحقيق انتصارٍ باهرٍ عليهم ، الأمر الذي كان سيجعل نزولهم إلى البر مستحيلاً .

لكن ، جاءت ثلاث طلقات مدافع من القلعة تأمر "دوم غونسالو" بالتراجع ، وهو ما لم يفعله رغبةً منه في استغلال النصر الذي كان الرب يعرضه عليه ، ورفض الانسحاب ، إلى أن جاءته إشارة بالانسحاب من البر عن طريق رجل على صهوة جواد ، رفع منشفةً بيضاء .

لعن هو وجميع من معه في الأسطول تلك الحماقة ، وأصدر كل واحد منهم حكمه على ذلك التصرف .

هكذا تمكن الفرس من النزول في البر ، وبسهولة تحت حماية سفن القرقور الإنجليزية ، ولم يقم البرتغاليون بأي محاولة للدفاع ، وتراجعوا إلى داخل القلعة ، بينما جعل الأعداء أنفسهم مالكين لجميع ثروات المدينة وأموالها ، وارتكبوا أمام أعيننا جرائم الاغتصاب وأعمال العنف والقتل وأشياء لا يمكن سردها ؛ لأن الحديث عنها مثير ويسبب الفجيعة .

هناك حماقة لا تقل عما ذكرنا أعلاه ، إذ إن البرتغاليين عندما تراجعوا إلى داخل القلعة تركوا في الخارج أعمدة وأخشاب وكبلات من ليف جوز الهند .

تمكن الأعداء من حفر خنادق وتحصين أفضل المواقع ، وصنعوا متاريس ومنصات ، ووضعوا فيها المدافع لمهاجمة القلعة وسفن الغليون ، وأشعلوا النار في واحدة تخلى عنها البرتغاليون ، وحرقوا بقية السفن لإغراقها ، وتم جلب مراكب الـ Foist ، وهو أمرٌ شجع الأعداء على الاقتراب من القلعة .

لم يتم فتح الخندق على الرغم من أن الجميع طالبوا بفتحه ، وتحت حماية بطانيات ، بدأ العدو بمهاجمة الأسوار بالمعاول وأدوات أخرى ، وأطلقوا مجموعة ألغام تسببت في إلحاق ضرر بليغ .

قد تعرضنا لخديعة أيضاً من "خان شيراز" ، الذي طلب هدنةً لعدة أيام بينما كان ينتظر قدوم تعزيزات من فارس ؛ لأنه يواجه نقصاً في كل شيء ، وقد قتلنا أربعين ألف رجل من رجاله خلال حصاري قشم وهرمز .

أما الملك ، الذي كان في القلعة ، فقد فهم جيداً نيات خان شيراز ، وقال لـ "سيماو دي ميلو" ذلك ، ولكنه لم ينتبه لما أبلغه به الملك ، واقترح على أعضاء المجلس ضرورة الاتفاق على الهدنة .

لو أنه عمل بنصيحة الملك ، لتوفرت لهم فرصة رفع الحصار ، ولكن ، وبينما كان النقاش جارياً حول الشروط الوهمية ، استمر الفرس في زرع الألغام تحت حصن "سانتياغو" ، وتجهيز الأدوات الأخرى لاستخدامها في الهجوم علينا .

خلال وجود بعض الجنود في مواقع الحراسة ، سمعوا ضجيج حفر النفق ، وأطلقوا إشارة الإنذار ، ولكن أحداً لم يصدقهم ، إلى أن تأكدت روايتهم عندما أطلقت النيران من النفق أسفل حصن "سانتياغو" ، وقد تم تدمير معظم الحصن .

في الوقت ذاته ، بدأ الرجال – الذين كان خان شيراز يتوقع وصولهم – ، في الاقتراب تدريجياً من هرمز خلال الليل ، واستولى الأعداء على حصن "سانتياغو" ، وقاموا بتصليحه ، وأطلقوا النار علينا من هناك إلى حدٍ كسروا معه الصهاريج ، الأمر الذي أدى لحدوث نقص حاد في المياه داخل القلعة .

هناك حماقة أخرى كبيرة – طبقاً لما أوضحناه سابقاً – ، وهي أن "دوم مانويل دي سوسا" وصل مع تعزيزات ، والأنباء القائلة إنه كان قد ترك "قسطنطين دي سا" قبل شهر ونصف ، ويمكن توقع وصوله في أي لحظة مع خمسة عشر foists ، وسفنٍ خاصة أخرى ، ولكن هذا لم يكن كافياً لجعل البرتغاليين يستمرونَ في دفاعهم إلى أن تصل هذه القوات .

على الرغم من أن الفرس كانوا أسياد حصن "سانتياغو" ، وعلى امتدادين من سور القلعة ، فإن الموقف كان سيتحسن مع وصول العون .

كان إهمالاً كبيراً للغاية أيضاً من جانب أولئك الذين كانوا داخل القلعة ؛ لعدم أخذهم في الحسبان أن "روي فرير دي اندراد" دافع عن القلعة في قشم ، المشيدة من أسوار طين ، لمدة تسعة شهور ضد جيشٍ فارسي أقوى ، وضد الإنجليز الذين انضموا إليهم لاحقاً .

كان الرجال في هرمز منهكين بعد حصار دام ثلاثة شهور ، عندما كان يوجد ألف جندي بالداخل ، ولم يكن هناك من نقصٍ في الذخائر والمؤن ، ولم يسبق لهم أن تحملوا مظاهر البؤس والكرب التي عانى منها البرتغاليون خلال عمليات حصار شهيرة في معاقل إفريقية وهندية ، فرضتها أقوى أمم في تلك الأنحاء ، ولكن البرتغاليين دافعوا خلالها ببسالة ، وحققوا مجداً لاسم البرتغال .

من أمثلة عمليات الحصار هذه حصار "ديو"- وهو معروف في أنحاء العالم - ، وحصار "كاليكوت" ضد قوة السامورين ، وحصار "مالاكا" للمقاومة ضد "كورنيلوس" "Cornelius" مع أربع عشرة سفينة قرقور هولندية ، وسبعة ملوك مسلمين ، معهم خمسون ألف رجل ، لم يتمكن أمامهم سبعون برتغالياً من المحافظة على القلعة ، والأعمال البطولية الفذة التي قام بها أولئك الذين دافعوا عن "بيجو" .

الحصار الشهير على موزمبيق الذي فرضه الهولنديون وقاومته قلةٌ من البرتغاليين ، وحصار "كويلون" التي دافع عنها مائتان لمدة ثلاث سنوات إلى أن تحقق السلام ، وعزز ذلك سمعتنا العظيمة .

هناك حالات كثيرة لن أشير إليها- من أجل الإيجاز - ، وبالنسبة للمهتمين بمعرفة المزيد من التفاصيل ، فبمقدورهم أن يجدوا ما يريدون في تواريخ الهند وكتب أخرى ، وفي دراسات يمكن للمرء أن يقرأ فيها عن أعمال لم يرد ذكرها ، وأعمال بطولية خارقة لا تصدق ، وبلايا ومصاعب تحملها الذين تعرضوا لها بثباتٍ استثنائي .

كيف يستطيع الحاكم معالجة جميع هذه الحماقات ، وعدم وجود قيادة وآراء جيدة من غوا؟ وتمثلت مهمته في إرسال الرجال الذين كانوا معه إلى هرمز ، وليس في تهيئتهم بطريقة تعطي انطباعاً جيداً عن أنفسهم ، استناداً إلى سلوكهم .

إذ لم يكن بمقدوره أن يخمن ما إذا كانوا سيختلفون بعد ذلك ، وأن يرسل التعزيزات التي يستطيع تأمينها ، سواء من السفن ، أو

المدافع ، أو المال ، أو المؤن ، أو الذخائر ، حسبما يتضح من الإفادات التي تم الاستشهاد بها ، وكل البؤس الذي ساد خلال فترة حكمه .

قد أرغمته جوانب النقص على محاولة استخدام المال من Misericordia ، ومن مصادر أخرى ، ولكن ذلك لم يكن مجدياً بدرجة كافية ، إلا بالنسبة لمجلس "غوا" المحلي ، الذي ساهم عدة مرات لدفع أجور البحارة والرجال المقاتلين ، ونفقات وتكاليف أخرى ، بمبلغ اثنين وثمانين ألفاً ومائة واثنين وخمسين "أشرفياً" ، وهو ما أكدته إفادةٌ صادق عليها الكاتب "جواو دي سوسا دي لاسيردا" "Joao de Susa de la Cerda" .

إن كل من يحكم بنزاهةٍ على سلوك الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" في تلك الأوقات الزاخرة بالكوارث ، سيجد أنه كان واحداً من أفضل حكام الهند خلال تاريخها ؛ لأنه استحق المنصب الذي شغله بفضل الخدمات التي أنجزها في تلك الأنحاء ، وكان يستحق عطايا أكثر من التي أنعم بها عليه صاحب الجلالة ، عندما عاد إلى البرتغال ليحصل على مكافأته .

إن قلم "دوم غونسالو" ليعجز عن أن يحط من قدره أو يشوه سمعته ؛ لأن حكمه الذي اتسم بالحكمة والحصافة أكسبه احترام جميع الذين عرفهم في الهند ، حيث كان الحاكم يحتاج إلى أن يكون ملاكاً حتى يفلت من الألسنة الشريرة ، ونحن نعلم أن جميع الذين كانوا هناك يعانون لسنوات طويلة خلال الليل ، عندما يعودون إلى هنا ويتم شنق تماثيلهم ، ويعانون غير ذلك من الإهانات .

هذا لم يحدث لحاكمنا ؛ لأن سلطانه وعمره وفضائله وعدم طموحه

أجبر منافسيه وأعداءه على احترامه ؛ لاستقلاله عن الاعتبارات الإنسانية ، إذ إنه اعترف فقط باعتبارات العدالة ، وعمل بإخلاص لخدمة الله والملك ، وداس على الالتزامات وصلات القربى التي تشجع أعمالاً كثيرة ، تشوه اسم أفضل الوزراء .

قد أصدر "فيرناو دي البوكيرك" أمراً لـ "قسطنطين دي سا" لإحضار ابن أخيه "لويس دي بريتو" إلى "غوا" كسجين- وهو ما فعله - ، وهكذا تصرف كأداةٍ ليوقع عليه العقوبة التي استحقها الآخرون .

ظهرت استقامته مجدداً عندما أمر باعتقال ابن شقيقه "ديوغو دي ميندونسا دا سيلفا" "Diogo Mendonca da Silva"- نجل ابن عمه "جورج فورتادو" "George Fortado" ، الذي تم تعيينه قائداً لـ "رأس كورمين" - ، بسبب مشاجرة شارك فيها في "غوا" ، وأعفاه من عمله في أسطوله الذي سلمه إلى "سيماو دي ميلو" ..

بسبب هذه الإجراءات وإجراءاتٍ أخرى ، كان مكروهاً من قبل أقاربه ومن جانب آخرين ؛ لأنه لم يكن يتحمل السلوك المتغطرس والفظ ، وعلى سبيل المثال ، كان هناك قائد سفن قرقور تحدث معه حديثاً قصيراً ؛ لأنه لم يعطه مكافأة نقديةً محددةً اعتاد نواب الملك إعطاءها لكل شخص .

عندما أراد أن يضع قبعته على رأسه- وهو ما لم يفعله من قبل ، جعله الحاكم ينزعها ، وتحدث إليه بحدة ، تم صرفه على الفور ، ورفض الاستماع إليه بعد ذلك .

بعد وقت قصير ، وكان الحاكم يتحدث لأحد المرموقين- وهو قائد

الأسطول - ، الذي وضع قبعته على رأسه بسبب السهو وقسوة الطقس ، بينما كان يتحدثان عن أمور تتعلق بخدمة صاحب الجلالة ، ولاحظ أحد المرافقين ذلك ، فتوجه بهدوء بالغ إلى الرجل النبيل ، ولفت نظره إلى الأمر ، فأدرك على الفور ما فعله ، ونزع قبعته من رأسه ، طالباً الصفح من "فيرناو دي البوكيرك" .

ورد عليه الحاكم بأنهما ما داما وحدهما معاً ، وإذا كان يشعر بالبرد ، يجب عليه أن يبقي قبعته على رأسه ، وهو ما لم يفعله الرجل النبيل شعوراً منه بالخجل مما فعله ، وهذا تصرفٌ يستحق الإشادة ، حتى وإن كان قائداً نزع قبعته عن رأسه ، علماً بأن من حقه- طبقاً لمنصبه- ألا يعتمر قبعته في حضرة نواب الملك ، وهو ما لا يسمح به صاحب الجلالة لأي شخص آخر .

بهذه الطريقة ، جلب على نفسه اثنين من الأعداء ، ذوي النفوذ ، كما اتضح في عدة مناسبات ، وإذا كان لديه خصوم آخرون ، فإن ذلك يعود لقلة الهدايا التي منحها ، حيث كان يفتقر للموارد المالية التي تجعله يمنحها لهم ؛ لأنه كان حاكماً في وقت بائس كهذا .

لكن هذا لم يجعله يعجز عن الوفاء بالتزاماته ، إذ إنه كان يرسل دائماً الأساطيل العادية في الوقت الملائم ، وكان يزود القلاع بجميع حاجياتها ، ولا سيما قلعة هرمز ، بخمس وثلاثين سفينة ، وثلاث سفن غليون ، وألف وثلاثمائة رجل ، وجميع المؤن والذخائر والعتاد والأسلحة التي يمكن أن تحتاجها .

يظهر الدليل على هذا في رسائل وإفادات صادقت عليها المستندات المستشهد بها .

بالنسبة لهذه التعزيزات والاستعدادات ، لم يطبق أو يفرض ضرائب جديدة ، ولم يقبل اقتراحاً قدمه له casado من "غوا" بأن يفرض رسماً على المؤن ، يعرف باسم colecta ، ولكنه نبه على ذلك الاقتراح .

بعد فترة حكمه ، أصبح ذلك الاقتراح مقبولاً ، وتم تطبيقه على الرغم من أي ميزة لم تتحقق منه لخزانة صاحب الجلالة ، أو لصالح الأهالي .

قد خصص اعتمادات لكل شيء مما توفر لديه ؛ لأنه اقتصد وأنفق المال لخدمة مصالح الملك ، وليس لمصلحته هو- كما يفعل آخرون - ، وكان نزيهاً بدرجة كبيرة ، إلى حد أنه لم يقبل الهدايا والقرابين ، ولم يكن يسمح لآخرين بقبولها ، ولم يكن يدفع لنفسه البدلات المستحقة له .

كان هذا معروفاً تماماً لدى الجميع ، إلى حد أنه عندما استدعي أعداؤه لحلف اليمين في المسكن الذي كان يتقاعد منه ، لم يكن هناك ليقول أي شيء حول هذا الأمر ، ولو من قبيل الإشاعة .

قد اعتاد أن يوظف في خدمة صاحب الجلالة الأشخاص الملائمين لها ، ولم يكن يعير لصلات القرابة أو للأصل النبيل أي اهتمام ، علماً بأن الكثير من التجاوزات تتم في الهند استناداً إليها ، وفي هذا الصدد التزم بالقول الشائع لـ "دوم جواو الثاني" "Dom joao II"- حاكم البرتغال المثالي- والذي يشير إلى أن حملة الدروع مع الجدارة يشبهون أسماك السردين ، التي تبلغ كلفتها مبلغاً زهيداً ، ولكن لها طعم رائع .

عندما ذكره أحد الحضور ببعض التوصيات الشخصية ، قال إن همه الوحيد هو أن يخدم "غوا" والملك ، إن إقدامه على عكس ما هو مزمع ، فمن الضروري الانحناء للاعتبارات الإنسانية ، وقد كان قريباً

من أن ينسب إلى الأقدار الأخطاء التي ارتكبها في منصب الحاكم هذا ، والمخالفة لخدمة صاحب الجلالة .

كان الحاكم مرهوب الجانب ومحترماً إلى حد كبير ، بحيث إنه عندما أصبح ضرورياً سحب ثلاثٍ من عشرين سفينة ، تم إرسال أحد السادة كقائدٍ للشمال (في عهد "كوندي دي ريدونو") ، من أجل حراسة سفن القرقور القادمة من البرتغال ، والتي كانت في حدود حاجز "غوا" ، اشتكى السيد النبيل أثناء غضبه للحاكم- بشيءٍ من العجرفة - ، قائلاً بأنه يجب عليه أن ينتبه إلى ما يفعله ، فقام واقفاً من كرسيه .

ورد عليه قائلاً : "أنت الذي يجب عليك أن تنتبه لما ينبغي عليك فعله" ، وعندما ناقش السيد النبيل هذا الأمر لاحقاً مع أقاربه- الذين يعرفون استقامة الحاكم- ذهب ليطلب عفوه ، وعرض عليه أن يغادر بعدد من السفن ، ينقص ثلاث سفن ، وأرضاه إلى حد أنهما أصبحا صديقين .

لو أن أي سيدٍ نبيل وصديقٍ له طالبه بشكل مفرط أداء أي عمل ، فإنه كان سيرد عليه بأن عظامه جافةٌ للغاية ، وأنهم إذا أرادوا ثنيه بالحجج فستنكسر ، ولن تنثني ، وأن عليهم ألا يرهقوا أنفسهم معه هو الذي لا يحتوي جسمه على لحم أو أي دم ، وأنه حاول فقط خدمة صاحب الجلالة ، وأن يعلل ما يستطيع فعله بسنواته السبعين .

إذا لم تكن هناك كل هذه الأعمال لضمان شخصية الحاكم "فيرناو دو البوكيرك" ، فإن عملين فقط يكفيان :

إنه لم يرغب في قبول منصب الحاكم ، وقد كتب إلى صاحب الجلالة ليعين شخصاً آخر .

إنه- وعلى الرغم من أنه كان حصيفاً وحكيماً للغاية في كل شيء - ، إلا أنه لم يسلم من الحسد والغضب والكراهية من خصومه وأعدائه غير الظاهرين ، الذين جعلوا من أنفسهم رقباء على أعماله ، وفقاً لحكمة "تاكيتوس" الداهية ، عندما قال إن أولئك الذين يصعدون سريعاً إلى مناصب عالية ، يجلبون على أنفسهم نقد أولئك الذين يتمنون لهم الشر .

على الرغم أن أحداً لا يمكن تفضيله على "فيرناو دو البوكيرك" ليحكم الهند ، إلا أن بعض الناس كانت لديهم فكرة عن جدارتهم ، إلى حد أنهم حسدوه على المنصب ، وكأنه لم يكن يستحقه ، وكان يحدوهم الأمل في أن يخلفوه في المنصب .

(....)

يكمن في الحسد والكراهية المضمرة السم الذي أعطى المادة إلى "دوم غونسالو دو سيبيديس" ليكتب أشياء مناقضة تماماً للحقيقة ، دون أن ينتظر ليفحص المعلومات التي لم يكن هناك من شك حولها ، وإنما هي معلومات من أشخاصٍ غير منحازين ، لا زال عددٌ منهم على قيد الحياة .

(...)

لو أن "دوم غونسالو" فحص بشكلٍ جيدٍ ما كتب عن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ، لما أتاح الفرصة لأي شخص للرد بالطريقة المطلوبة على افتقاره للتواضع والإذن بالحديث .

(...)

على الرغم من أنه ربما ظهر أولاً أن أفعال الحاكم "فيرناو دي

البوكيرك" شوهتها افتراءات "دوم غونسالو" ، وطبقاً للقانون ، فإن اثنين من الشهود المؤيدين يساويان ألفاً من الشهود المناوئين .

بالنسبة لأولئك الأحياء الذين عرفوا حاكمنا ، فإنهم يعرفون أنه لم يخفق في واجباته ، وفي خدمة صاحب الجلالة ، وإنما نفذ أوامره وأدار شؤون الدولة بطريقة كان يمكن أن تؤدي- لولا أنه تعرض لمحنة فقدان هرمز خلال فترة حكمه- إلى مقارنة حكومته الحكيمة بأفضل حكومة شهدتها الهند في تاريخها .

كان لـ "فيرناو دي البوكيرك" ولدٌ واحد على قيد الحياة ، هو "جورجي دي البوكيرك" ، ويقيم في هذه المدينة في الوقت الحاضر .

قد تزوج في الهند من "دونا إيزابيل دي سوسا" "Dona Esabel de Susa" ، ابنة "بيرو لوبيز دي سوسا" "Pero Lopez de Susa" ، الذي كان قائداً على "مـــالاكا" وحاكـــماً لسيلان ، وابنة "دونا بياتريز دي البوكيرك" "Dona Biatrise de Albuquerque" .

قد أنجب منها "دونا بياتريز دي البوكيرك" التي تزوجت "دوم جيرنيمو دا سيلفيرا" "D . Jeronimo da Silviera" ، نجل "دوم الفارو دا سيلفيرا" "D . Alvaro da Silviera" ، وهو نجل "كونت دي سوريتلها" "Conde de Soritelha" "دوم ديـــوغـــــو دا ســـــيلـــــفـــــيرا" "D . Diogo da Silviera" .

وكـــــان ابنهمـــــا هو "دوم أنطونـــيو دا سيلفيرا دي البوكيرك" "D . Antonio da Silviera de Albuquerque" الذي ورث بيت جده

"دوم الفارو" ، بعد وفاة عمه "دوم ديوغو دا سيلفيرا" الذي لم يكن لديه أبناء ، ولم يكن لأيٍ من أشقائه الآخرين أبناء .

نشأ "جورجي دي البوكيرك" في مدرسة والده "فيرناو دي البوكيرك" ، وبدأ يخدم صاحب الجلالة في الهند عندما كان في سن الخامسة عشرة ، كجندي في أسطول الاستطلاع الذي كان يقوده "دوم بيريس دي سالدانها" "D . Perez de Saldanha" ، وواصل خدمته ليصبح جندياً في سفينة القادس الخاصة بـ "دوم مانويل ماسكارينهاس" قائد أسطول "كانارا" .

وكان حاضراً معه خلال الهجوم على "باليبورت" ، ومع نائب الملك "دوم مارتيم أفونسو دي كاسترو" "Martim Afonso de Castro" عندما توجه إلى الجنوب للنزول في "ديو" وحرب "آشن" .

شارك تحت قيادة نائب الملك ذاته في ثلاث معارك بحرية ضد إحدى عشرة سفينة قرقور وpatacho هولندية ، وقعت قبالة حاجز مالاكا ، وعمل أيضاً كجندي في قادس "دوم ديوغو كوتينهو" "D . Diogo Coutinho" ، قائد أسطول "مالابار" ، وكربان سفينةٍ أخرى في الأسطول ذاته .

كان قبطان سفينة أخرى في أسطول الشمال تحت قيادة "كريستوفاو دي تافورا" "Christofao de Tavora" ، وربان سفينةٍ على نفقته الخاصة في أسطول "مالابار" بقيادة "دوم هنريك دي نورونها" "D . Henrique de Noronha" ، عندما ذهب إلى سيلان لمقابلة نائب الملك "دوم جيرونيمو دي أزيفيدو" "D . Jeronimo de Azevido" .

اختار نائب الملك هذا "جورجي دي البوكيرك" قائداً لأسطول "كانارا" ، ولكن هذا القرار لم ينفذ ؛ لأنه أصيب بعلةٍ مرضيةٍ خطيرة .

عندما سافر إلى البرتغال في سفينة القرقور (ان . اس . دوكابو) خاضوا معركةً ضد سفينتي قرقور هولنديتين استمرت ثلاثة أيام ، وتصرف آنذاك كربان لـ focsle ، وعندما عاد إلى الهند ، أرسل كقائد لقلعة "شاول" مع وسام "يسوع" وراتبٍ سنوي قدره عشرون ألف "ريس" في سفينة القرقور "اس . جولياو" "S . Joliao" ، التي كانت تحت قيادة "دوم مانويل دي مينيسيس" "D . Manuel de Meneses" .

قد عين قائداً لمدفعية سطح مؤخرة السفينة والدفة في المعارك ، مع أربع سفن قرقور هولندية في جزر القمر ، إلى أن جنحت ، وتم عزله بأمر من القائد ، وقد رافقه خلال الرحلة الطويلة والصعبة التي قطعاها إلى أن وصلوا إلى "ممبسا" ، وذهبوا من هناك إلى "غوا" .

غادر كقائد قادس مع خمس سفن تحت تصرفه ، وكقائد لقادس أخرى وست سفن لجلب شحنة سفن القرقور من البرتغال .

عمل أيضاً كقائد لأسطول "مالابار" مع ثلاث سفن قادس ، وثمان وعشرين سفينة ، وكقائد لحاجز "غوا" ، وكان في قلعة "بانجيم" "panjim" ، وقائد قادس ذات أشرعة مثلثة ، وكان جنرالاً خلال غزو جزيرة سيلان ، حيث ذهب إلى هناك بست سفن نجدة ، وأبرم اتفاقي سلام مع ملك "كاندي" ، وشن حرباً شرسة على ملك "مادون" ، وطرده هو والمتمردين الآخرين من الجزيرة .

بنى قلعة هامة نوعاً ما في ميناء "كالونارا" ، وأخرى في خليج "كولومبو" ،

وأكمل قلعتي "غال" و"ينجومبو" ، وأصلح قلعة "سوفراجاو" ، وأخضع للتاج البرتغالي محافظتي "كورلاس" ، وأجرى جرداً لإيراداتها للخزانة الملكية ، وتمكن من تهدئة انتفاضة كبرى قام بها رجال مقاتلون ضد القائد الميداني للميدان ، ونزل من سيلان على ساحل "بيسكاريا" ، وأبقى كثيراً من الجنود على نفقته ، مدافعين عن الكنائس ورجال الدين فيها ضد انتفاضات الأهالي .

نقل المعونات من "كوتشين" إلى "كرانجانور" بثلاث سفنٍ ، وجعل السامورين يرفعون الحصار ، وذهب بعد ذلك إلى "غوا" بسفينةٍ محملةٍ بالجنود على نفقته ؛ لحراسة سفن القرقور التابعة للتجار الذين كانوا يبحرون في أسطول صغير .

صاحب نائب الملك الكونت "دا فيديغويرا" في رحلاته ، وبناء على تصريح منه جاء البرتغال في سفن القرقور التي فقدت على ساحل فرنسا ، ونجا من غرق تلك السفن المأسوي ، ليصل إلى البر وهو مريض .

هذه هي الطريقة التي خدم من خلالها "جورجي دي البوكيرك" لمدة عشرين عاماً ، ووالده "فيرناو دي البوكيرك" لمدة ستة وخمسين عاماً ، ثلاثة منها كحاكم للهند ، وقد توفي فقيراً ، حيث لم يمتلك شيئاً سوى قلعة "مالاكا" التي أرهقته الديون بسببها ، وعلى الرغم من ذلك ، لم يسلم من الانتقاد الخبيث والافتراءات الكاذبة من قلم المؤلف القشتالي .

بالنسبة للمكافأة التي فقدها مع حياته ، وتلك التي سعى للفوز بها ، وهي الشهرة والتذكر بعد وفاته ، فإن "فيرناو دو البوكيرك" كان سيستعيدها من خلال حكم أفضل على فضائله التي نؤكدها وندافع

عن حقيقتها ، متأثرين بكلمات "أنوسنت الثالث" : إن الخطأ الذي لا يلقى اعتراضاً يلقى الموافقة ، وعند ما لا تجد الحقيقة من يدافع عنها يتم إخمادها .

أحداث عام ١٦٤٢م

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" ، إلى الملك ، بشأن ديون هرمز ، "غوا" ، في التاسع من شهر إبريل ١٦٤٢م : (١٩)

الكونت ، نائب ملك الهند والصديق ، أبعث إليك أنا الملك ، عظيم تحياتي لشخصك الذي أُقدّره كثيراً .

ضمن مجموعة الرسائل من العام ١٦٢٠م ، كَتب الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" عن المبالغ التي يدين بها "دوم هنريك دي نورونها" عندما شغل منصب القائد لهرمز .

أرسل في السابع من شهر مارس عام ١٦١٩م تقريراً عن الموضوع ، كان منسجماً مع ما طلب من كونت "ريدوندو" القيام به .

في الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٢م ، أخطر كونت "فيديجويرا" عبر رسالة ، - وكان وقتها نائباً للملك لتلك الدولة ، وفي

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

ذلك الوقت – ، أنه عند عودة السفن في تلك السنة ، عليه إرسال تقرير عن مبلغ أربعة آلاف وأربعمائة وأحد عشر "أشرفي" ، ثلاث تانقاس وست وثلاثين "ريساً" إلى هذه المملكة ، والتي تمثل مجموع ديون "دوم هنريك" .

تمَّ تنفيذ ذلك ؛ لأنَّ التعليمات العديدة التي أُعطِيَت له جعلته يتفهَّم أنَّ هناك أسباباً قوية ليوافق ويعمل بما ما جاء فيها .

الموظفون في أعمال الحسابات الذين كان من مسؤولياتهم إرسال تقرير تأخر كثيراً ولم يشاهده أحد .

عندما كان كونت "لينهاريس" نائباً للملك في تلك الدولة ، تلقّى رسالة بتاريخ الخامس والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م ، أرسلت عبر السفن التجارية التي كانت في طريق عودتها إلى هذه المملكة ، حتى يطالب ورثة "دوم هنريك" بهذا الأمر ، حتى يتم حَلُّه . بما أنَّ التقرير لم يصل بعد ، فإنَّ المتبرعين أَلَحُّوا عليَّ بخصوصه .

إنني أُكلفك وأطلب منك– عبر أول سفن تغادر تلك الدولة– أنْ تبعثه لي ، على أن ينسجم ويتَّفق مع الأوامر الباقية التي صدرت لكونت "فيديغويرا" ، بمقتضى رسالتي بتاريخ الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٢م .

ستبلغني بكل ما يستجد ؛ حتى أكون على علم بالموقف .

كتب في لشبونه ، في التاسع من شهر إبريل عام ١٦٤٢م

الملك

إيضاحات قليلة حصلنا عليها من الأرقام التي بالتقرير الذي طلبتَ جلالتُك أن نبعث له ، ويتعلق بديون "دوم هنريك دي نورونها" .

وفرت السكرتارية الوثائق التي لديها .

التقرير المرفق مع هذه الرسالة يوضح ما تشير وتتعلق به الأرقام .

ليحم الرب جلالتك الكاثوليكي ... إلخ

"غوا" في الثامن والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٤٣م

"كونت أفيراس"

أحداث عام ١٦٤٣م

صدرت رسالة من "كونت أفيراس" إلى الملك ، بشأن الأعمال المشينة التي تتعلق بفقدان هرمز ، "غوا" ، في العاشر من شهر فبراير عام ١٦٤٣م : [٢٠]

من إحدى فقرات رسالة جلالته ، تمت الموافقة- بحضور سيدنا الملك ووزراء آخرين موفدين في المجلس - ، على أن جلالته قد دعا لاجتماع ، للنطق بحكمه على التحقيقات والأعمال المشينة التي تتعلق بفقدان هرمز .

بعد اطلاعه على وثائق التحقيقات ، وأوراقٍ أخرى تخص ذلك الموضوع ، فقد تقرر بسبب قسوة الحكم ، وأمورٍ أُخرى أدت إلى القيام بتلك التحقيقات أن يقوم الكونت نائب الملك بالكتابة إلى جلالته .

إن الوقت مناسب ليصدر تعليماته ؛ لتعويض مقدم الالتماس

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

"لويس دي بريتو فاسكونسيلوس" "Luis de Breito Vasconcilos" عن المعاناة والعار ، وإطلاق سراحه من المنفى الذي بقي له العديد من الزمن لإكماله ، بعد الحكم الذي صدر بحقه ، بما أنه كان أسيراً عند الهولنديين في مواقف حربية عديدة ، وكان قد أبلى بلاءً حسناً في قلعة هرمز ، عندما وصل العدو إلى الشاطئ .

"غوا" في العاشر من شهر فبراير عام ١٦٤٣م

الكونت "دي أفيراس"

(.......) "أنطونيـــو دي" (......) "جـــواو دي بـــاروس" "Joao de Barros" ، "لورنسو منديز" "Lorenco Mendes" "كاريلهو سيكو" "Carelho Sico"

وفي العام نفسه (١٦٤٣م)

صدرت رسالة من "كونت أفيراس" ، نائب ملك الهند ، إلى الملك ، تفيد أن الاضطرابات التي حدثت في السنة الماضية والتي كان سببها العرب العمانيون قد توقفت ، "غوا" ، بتاريخ الرابع من شهر مارس عام ١٦٤٣م : (٢١)

سيدي ،

في الرسائل التي تلقيتها حالياً من "دوم دوارتي لوبو" "D . Duarte Lopo" ، القائد الآمر لأسطول المضيق ، أطلعني فيها عن طريق البحر أن القلعة والحصون التي تحت سلطته القضائية هادئة تماماً ، لا تعاني من أي اضطرابات ، وذلك لأن الاضطرابات التي أطلعت جلالتك بخصوصها في العام الماضي ، وتسبب فيها العرب قد توقفت .

يفيد لاحقاً أن مسلماً من أتباع ملك "مكران" قد تمرد وحصن نفسه في مكانٍ معين يسهل الدفاع عنه ، ومنح نفسه رتبة الكابتن ميجور

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

لتلك البحار حيث استقر بها ، وقد احتل أحد أقاليمنا التي في حدود السند ، مما أجبر "دوم دوارتي لوبو" أن يتعامل مع ذلك الوضع ، وأن يعاقب تلك الوقاحة حتى لا تصبح لها جذور .

أرسل أربع سفن ضد هذا الرجل مع ثمانين من جنود المدفعية ، إلا أنه- وفي أقل من ساعتين- استطاع التغلب عليه ، وقتل كل الذين كانوا يدافعون عنه ، ألقي القبض على المتمرد شخصياً ، واثنين من أبنائه ، وصهره ، وتم إحضارهم إلى مسقط ، حيث أمر "دوم دوارتي لوبو" بقطع رؤوسهم ؛ حتى يلقي بالرعب في قلوب المتمردين الآخرين في المضيق ، الذين يحترمون ويخشون مثل تلك العقوبات .

تم تسوية القلعة بالأرض وتدميرها تماماً . كان هذا من أفضل الإيجابيات التي تمت في خدمة جلالتك ، ويستحق "دوم دوارتي" وشقيقه التكريم والفضل من جلالتك .

ليحفظ الرب جلالتك لما يرجوه العالم المسيحي ، ونحن رعاياك المخلصون .

"غوا" في الرابع من شهر مارس عام ١٦٤٣م

"كونت أفيراس "

وفي العام نفسه (١٦٤٣م)

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك ، حول القلاع والحصون بتجهيز الأساطيل وتحصين الحصون ، في الخامس من شهر مارس عام ١٦٤٣م : (٢٢)

رسالة من الملك إلى نائب الملك في الهند

إلى صديقي نائب الملك في الهند ، أنا الملك ، أرسل لك تحياتي الحارة .

حتى الآن ، تبين لي أن هنالك عدة مناسباتٍ هامة للإنفاق برزت في آنٍ واحدٍ ، بحيث اقتضت الضرورة القيام بذلك ، وبعدما استعدت عرش هذه المملكة من خلال ما قمت به من إرسال بعض السفراء إلى روما ، وكذلك إلى أمراء الشمال ، تسنى لنا تجهيز الأساطيل وتحصين تلك الممالك ، غير أنني لم أجد الفرصة ؛ كي أحصل على أبسط الوسائل التي يمكن أن تعينني ؛ كي أقدم مساعداتي- في موسم المونسون هذا- إلى تلك الممالك .

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

تماماً كما سبق أن كتبت لك بواسطة السفن التي غادرت هذا الميناء ، في شهر ديسمبر الماضي من عام ١٦٤٢م ، تحت قيادة الكابتن "جواو دا كوستا" "Joao da Costa" و"بيدرو أوليفيرا" "Pedro Oliveira" .

غير اثنتين فقط من السفن هما : "سانتو ميلا غراي" "Santa Mila Gray" و"سانتا مارغاريدا" "Santa Margareda" ، تحت قيادة كل من : "جواو رودريغيز دي إيكا" "Joao Roderigues de Eca" و"مارتيم جريساو" "Martim Gricao" القائد العام و"بيدرو دي ماريغو" "Pedro de Marigo" كأميرال ، مع أنه في تلك المياه .

تم العلم من خلال النصائح أن جميع الأحداث العدوانية والاشتباكات التي ظلت الفئات الهولندية تقوم بها قد توقفت في معظم أنحاء المملكة .

وبالتالي يمكنك أن تبلغ الأهالي بالإنابة عن أنني ظللت أولي اهتمامي لجعل الأمور أفضل ، وسوف أظل أعمل على زيادة التحصينات ، سيما وقد أصدرت الأمر لإرسال التقريرات بشكل سنوي ؛ حتى نصبح في حال لا نخشى اعتداءات الأجانب ، خاصة بعدما نوقع معهم اتفاقية الهدنة ، ونوقف عمليات التسليح .

بالتالي حتى لا نفقد احترام أعداء المملكة التقليديين ، وفي نهاية المطاف ، سوف يتوقفون عن محاولاتهم العدائية ، ويصبحون على قناعة تامة بأن الجيش البرتغالي الذي قهر أجدادهم لم يفقد قوته وبطشه بعد .

هذا ، ولأجل تسهيل الرحلات على سفني من وإلى الهند لانسياب حركة التجارة ، لخدمة ومصلحة الطرفين ، ولأجل اكتساب التعويض ،

وتشجيع الحركة التجارية التي تعطلت بسبب الحاجة للسفن من أجل حركتهم الملاحية ، فقد سررت بإعطاء الإذن إلى بعض الأشخاص الذين يملكون سفناً خاصة- وهم من مواطني المملكة- أن يبحروا ببضائعهم إلى تلك المملكة ؛ كي يعودوا ببضائع مماثلة تقتضيها حاجة السكان .

بكل الجدية ، آمرك أن تبذل قصارى جهدك ، وأن تعمل بكل السبل الممكنة ، من أجل تخفيف وطأة الغزو على "سيلاو" ، وهذا الأمر في غاية الأهمية ، نظراً لقصور المساعدات ؛ حتى لا تضيع تلك القلاع والحصون ؛ لأنها حتى هذه اللحظة تؤول إلى حكم هذه المملكة .

هذه تعتبر أفضلية لهذه السيادة ، وأرجو أن أوكد لك أن أي إهمالٍ أو قصورٍ بشأنها أو بشأن مساعداتها ، سوف يكون من مصلحة الأعداء الذين يرغبون في السيطرة عليها ، وبسط نفوذهم فيها ، وهنا تكمن الخطورة .

ستكون النتيجة مدمرةً ، ولا شك أن الخسائر ستكون فادحة ، حسبما دلت التجارب في الوقت الراهن ، بسبب خسارة بعض القلاع .

منذ تولي الحكم ، لم أتلق أية رسائلٍ رداً على رسائلي التي أرسلتها بواسطة عدة وسائل إلى "ماكاو" ، وعلى الرغم من قناعتي بأن الظروف والرحلات الطويلة وأوقات "المونسون" ربما تكون السبب في عدم وصول تلك الرسائل ، أو تأخير الرد عليها ، إلا أنني من جانبي حرصت على إرسالها مع أشخاص أثق في حسن طويتهم وإخلاصهم ، كما أنني أرسل نسخةً لك أخرى مع هذه الرسالة ؛ كي تعمل على إرسالها في السفينة المتجهة إلى الصين .

إن احتجاج بعض الأفراد الذين أرسلوا لي .... البعض منهم من

مدينة "كامارا" ، والمدن الأخرى من تلك المملكة ، قد أصدرت الأمر ؛ كي يتم الرد عليهم ، على النحو الذي يكون مناسباً بالنسبة إليك ، والذي سوف تعرضه عليهم ، مؤكداً لهم أنهم إذا ما وافقوا على الاستمرار والعمل في خدمتي- وهذا أمر أثق تماماً بأنهم سوف يوافقون عليه من جانبهم - ، فإنني أؤكد لهم بأنهم سيجدون كل العطف والمعاملة الكريمة من جانبي ، وسوف أثبت لهم ذلك مستقبلاً .

على الرغم من أن المناسبات حالياً قد أقعدتني عن فعل ذلك ، إلا أنني مازلت أحتفظ برغبتي في تقديم كل المساعدات الممكنة ، وإزالة كل تقصير ، والذي ربما كان قد ظل باقياً دون رغبة مني ، بالرغم من إخلاصي وحبي الذي أعترف به ، وبنواياي الحسنة تجاه البرتغاليين .

تم تحريره في "لشبونه" بتاريخ الخامس من شهر مارس عام ١٦٤٣م- **الملك** .

في الهامش ، رد سعادة نائب الملك بتاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٤٤م .

مولاي جلالة الملك ، بالإنابة عن سكان الهند ، أسجد عند قدمي جلالتكم ؛ كي أقبل باسم أتباع سموكم أيديك الملكية المعطاة بكل الحب ، معترفاً بكل أفضالك ومساعداتك لنا ، وعالماً تماماً بكل النفقات والتكاليف التي تحملها سموكم في السنوات الأخيرة الماضية ، سيما وأنك لم تهتم بكثرتها وعظمتها ، بل كانت مصدر سعادة سموكم ، وأنت تبذلها بكل التواضع .

على الرغم ... سيدي من أن الأوضاع في الهند بلغت حداً كبيراً من

السوء ، بحيث صعبت السيطرة عليها من خلال ما تجلبه تلك السفن والمراكب من جنود ، لم يتجاوز عددهم المائة والخمسين جندياً ، ليس لديهم من المال أو المؤن ما يكفي لسد رمقهم ، أو يقوموا بأية رحلات ، بالإضافة إلى أن خزينة سموكم الملكية لم يكن فيها ما يمكن أن تقدمه لهم .

قبل أيام قليلة كنت قد أرسلت تقريراً لجلالتكم بواسطة إحدى السفن الصغيرة ، مفيداً عن سقوط قلعة "نيقمبو" Nigumbo ، وكذلك عن قلعة سوار في الجزيرة العربية ، وبالمثل ، عن الحرب التي يعتزم الإمام شنها على مسقط ، وعن حصار "ادالكا" المجاورة لنا من قبل أعدائنا الأوروبيين ، وكذلك ما فهمناه من حشد الكثير من القوات التي جاءوا بها إلى "نيقمبو" كي يحكموا قبضتهم عليها ، ويقضوا على معسكرنا الحربي فيها ، الذي نسعى ونحاول السيطرة به عليها .

لقد عملت على إرسال المساعدات إلى تلك الجزيرة ، والتي قدمت لسموكم تقريراً بشأنها في نفس الخطاب ، وفي شهر إبريل ، وعقب مغادرة السفينة المذكورة ، أرسلت سبعا من السفن مليئة بالمؤن الغذائية والجنود بقيادة "جيروينمو داسيفا" ، الذي آمل أن يعينه الرب في مهمته ، حيث تعاون مع قائد سيلاو لعمل معسكر مناهض .

لقد شرعا في إحكام الحصار على القلعة المذكورة ، ولقد تهيأت لهما الفرصة بغياب السفن التي كانت موجودة عند احتلالها ؛ لأن تلك السفن قد دفعتها الرياح بعيداً ، وخشية المغامرة بما يتهددها ، فقد اضطرت لمغادرة ذلك الساحل ، لكنها لم تتأخر أكثر من ذلك ، حيث

عملت على نصب بطارياتها وحفر خنادقها ، ومن المعتقد أنها سوف تشن هجوماً عند هبوب الرياح .

هذا العمل قام بتنفيذه في السادس والعشرين من شهر يوليو ، وعموماً سيدي ، هذه الأمور ستحدث بيد الرب وحده ، وهو الذي يسيرها "الرياح" حيث يشاء ، وفي تلك المعركة توفي أفضل الجنود والفرسان في تلك الجزيرة ، وشملت القائمة .... ابن "جيرونيمو دا سيلفا" "Jeronimo da Silva" لم يعمل على إنشاء معسكر لمهاجمة ذلك الحصار ، حيث .... عدة أيام بما تبقى من الذخيرة بعدما .... إلى "كولمبو" .

حيث بقيت حتى بداية شهر أكتوبر الماضي ، ولذلك ، كتب لي آخر رسالة استلمتها منه ، وحينذاك لم يعد هنالك وقت .... أكثر من تلك الشهور القليلة الماضية .

كانت السفينة قد غادرت مبحرةً في السابع من شهر مايو ، وهي تحمل تلك النصائح التي أرسلها لجلالتكم بهذه الوساطة .

بعدها ، وقعت تلك الأحداث في "سيلاو" . تم الوصول إلى اتفاقية سلام في مسقط بين قائد القلعة وسعادة القائد الأعلى للأسطول وبين الإمام ، لكن عموماً ، بقي "سواريم" Soarem في السلطة إلى حين استعادتها ، وهذا أمر يبدو سهلاً وممكناً إذا ما عمل البعض من ذوي الخبرة لخلق سوء التكاتف ، وتكوين قوة حربية صغيرة لمناهضة القوة الصغيرة التي تمسك بزمام الأمور في الوقت الراهن ، في ذلك المضيق .

في ظل القصور الذي يعزى لضيق ذات اليد ، والفقر المخيم على

هذه المملكة ، أو- بالأصح- في ظل الظروف التي تعاني منها الهند ، والتي تبدو مأساوية ، فإنه- حقيقةً- يجب تنفيذ ما هو ضروريٌ وعاجل .

ظلت "أدالكا" في نفس المكان ، كما ذكرت لجلالتكم ، حيث تأخرت هناك طيلة شهر إبريل ، حيث انسحب بعدها إلى "فيزابو" ، وبسبب حلول طيلة موسم الشتاء ، حيث لم يعتد المسلمون شن الحرب في هذا الموسم ، ولكن ربما .... لإقناع الجيران بشكل مماثل لبقية مناطق الهند بالعداء .... بينما يعتبروننا في معظم الأوقات بعدها كأصدقاء ، ومع .... مع الهولنديين .

ذلك حتى لا يرغبوا في حدوث مناسبة ؛ كي .... يمكن أن تتهيأ لهم لفعل ذلك .... عشر سفن مرابطة لقضاء موسم الشتاء في موزمبيق ، حيث أبلغ .... أن عدد الرجال الذين وصلوا هناك قد جلبوا أيضاً .... لسموكم ، لقد جاءوا وهم يقصدون الساحل .... ، ونظراً لهبوب الرياح المعاكسة التي أعقبت .... لم يتمكنوا لعدة أيام من بلوغ الحاجز .

أشخاص فقراء ، ما لم يكن بواسطة سفن خفيفة ، بحيث إنهم لم .... بواسطة الترويج والعناية بالمرضى ، وبث روح الشجاعة في المقتدرين المعفيين من العمل ، ضخ المياه لأجل .... المترتب عليهم ، وفي نهاية الأمر ، تمكنوا من الرسو في ميناء "مرقاو" ، حيث غابت الثقة في الجنود ؛ لكي يقوموا بذلك العمل ، والذين .... باعتبارهم يقومون بدور الحراسة لاستبدال .

الذين .... باعتبارهم يقومون بدور الحراسة لاستبدال ذلك ....، في السابع من شهر سبتمبر في تسعة .... المؤن والذخائر تحت قيادة د . أنطونيو .... "ديوغو لوبو" .

حيث غادر في الأسطول إلى مملكة .... ، والبعض من النبلاء والجنود والفرسان ، وهو النموذج .... "دوارتي لوبو" الآخر الأكبر للمدعو "دوم أنطونيو" ، والذي- على الرغم من وصوله قبل أيام قليلة بصفته القائد عن الأسطول في ذلك المضيق من طرف جلالتكم إلى هذه المدينة - ، حيث قرر الإبحار كجندي عادي .

في هذه المناسبة علمت أن من بين هذه السفن ، هنالك ستة منها قد وصلت إلى "كولمبو" وأن اثنتين منها قد اتجهتا إلى "مانار" ، وسوف تصلان إلى هناك في هذا الوقت .

هنالك واحدة انجرفت نحو الشاطئ ، وأمكن إنقاذ ركابها ، كما تم إنقاذ حمولتها ، ومن ضمن ما أبلغت به سموكم ، هو الوضع السائد في الهند ، والذي ينتظر وصول هذه السفن ، وهو الأمر الذي علمناه من خلال بعض رجال إحدى السفن التجارية ، التي حملت بعض المعدات والجنود ، والتي توفي قائدها خلال الأيام القليلة التي قضاها في مساعدة هذه المدينة .

مع أني علمت أنها سوف تسلك طريقاً آخر ، إلا أنني متأكد من أنهم كانوا سينصحونني بفعل الشيء نفسه ؛ لأنني كنت قد حذرت من

مغبة الاتجاه شمالاً . لقد وصلت إلى هذا الحاجز بعض السفن الهولندية في السادس والعشرين من شهر سبتمبر ، كانت قد بدأت رحلتها من "جاكرتا" منذ أقل من خمسين يوماً ، على طول ساحل "ماليندي" .

بعد وصول هذه السفن ، قدمت أربع سفن أخرى على طريق "ملقا" ، وهكذا ارتفع عدد السفن القادمة إلى أربع عشرة سفينة ، وليس من بين جميع هذه السفن سفينة واحدة تمكنت من الإفلات ، وذلك نظراً للقوانين التي يتم تطبيقها بأمر جلالتكم .

بالفعل ، تمكنت جميعها من الرسو في ميناء "فاكافيم" ، وعلى الرغم من أنه لا يبدو مناسباً- وهذا ما وقفت عليه بنفسي حسب المعلومات التي بلغتني ، وأرسلتها لسموكم- بسبب ضيق الميناء عند المدخل ، إلا أنه يبدو قد استوعب تلك السفن في ذلك الوقت .

عموماً ، تم رسو الأربع عشرة سفينة في هذا الميناء- كما قلت - ، وهي محملة كلهـــا بالجنود والذخائر والمهندسين لأجل بناء القلاع ، وفي ظل ما روي من حكــــايات أعطيت لي في الخال بواسطة "روي لوبيز كـــوتنهو" "Rui Lopez Coutinho" ابن "لوبو دي سوزا كوتنهو" "Lopo de Susa Coutinho" الذي كان سجيناً فيها .

وقد أخذ أسيراً عندما تم الاستيلاء على "نيقمبو" ، وأب الإخوانية التي تتبع للمقاطعة الجنوبية ، الذي نزل معه في اليوم الثاني من وصول السفن المذكورة ، حيث وجدوني عند الحاجز .

قد قمت بإعداد كل ما هو ضروري ، في ذلك الوقت ، هذا النبيل قد جاءني برسالة من السفير الذي قدم من "بتافيا" في هذا الأسطول ؛ كي

يناقشني في أمر الهدنة ، وأقصد أنه في ظل الشكوك التي أثيرت على كل من الطرفين ، لم يتم تنفيذها- كما هو معروفٌ لسموكم - ، حيث طلبت مني أن آمر .... بالتعامل معه حسب أسس وقوانين هذا العمل .

في ذلك الوقت ، لم أقم بالسماح له بالرسو ومحاورته .... ، فـــي الأمر الذي أخرتنا "دوم مانويل بيريرا" و"هـوس برنتو بيريرا" "Hos Brinto Perriera" ، وكلاهما ينتميان للمجلس الذي يعاونني ، و .... السفن في الثالث من شهر أكتوبر ، حيث تم الطلب مني فيما بعد السفير أن أسمح له بالرسو ، نظراً لحالته المرضية ، وهكذا بسهولة تامة ، أمكن التحاور في نقاط هذا الأمر .

لقد كانت فكرة المجلس أن يصار إلى السماح له بالنزول ، ولقد وافقت فوراً على هذا القرار ....من بأقيم ، ومن ثم أصدرت الأوامر بأن يتم ترتيب أمر إقامته في الجانب الآخر من هذا النهر ، وفي منتصف المسافة ما بين الحاجز ومدينة "غوا" .

بالفعل نزل في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، وتم استقباله كما ينبغي ، حيث قام بزيارة .... ، وهذا الشخص يتمتع بسلطات عالية ، حيث يعتبر الرجل الثاني في المجلس ، وهو متقاعد في "بتافيا" ، وكما علم ، فهو .... ، في الأمر بواسطة المفوضين في الأعمال المطروحة والمتبادلة من طرف إلى آخر ، والتي استمرت على نفس النحو الذي .... المرسلة إلى جلالتكم .

حيث تم تدوينها بكاملها على النحو المشار له ، بالإضافة إلى وجهات

النظر والاتفاقيات وشروط أعضاء المجلس .... حسبما ورد في الوثائق التي تجنبت الخوض في تفاصيلها ، باستثناء .... لكي يتم تدبر .... على النحو المعتاد ، والأشياء المضافة ، وذلك بغيةً في تنفيذ هذا الأمر برمته .

.... بقلق تام ، والكثير من الحذر في هذا .... الذي سيأمر به جلالتكم ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال النسخة .

.... حسبما تم التحاور مع هذا الرجل .... ، والذي بسببه تنبهت جيداً وفتحت عيني على بعض الإجراءات الحكيمة ، وبشكل خاص على ....حيث فهمت أن أمور "سيلاو" لابد أن تكون بنفس الشروط .... قبل "نيقمبو" بواسطة الهولنديين ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى "جابا" نشر بعض السفن .

أما بالنسبة للخطاب ، فقد تبينت أنه قد كتب .... قائد "سيلاو" "Cilao" إلى قبطان السفينة التي توجد في "تيتيكري" Titicury "بيرو دي ليموس" "Pero de Limos" الموجود حالياً في ذلك الساحل ، هذا إلى جانب الشخص المساعد في ذلك الحاجز .... ، فالمعاهدة وأمر منع الأسلحة في جزيرة "سيلاو" .

قد شـــرع هذا الرجل في توزيع سفن العدو ، الأمر الذي دفعني للتفكير في أن أرسل إلى سموكم السفينة "أتالايا" والزورق "سانتو أنطونيو" "Santo Antonio" الذي رافقني .... ، والسفينة "ساو

لورنسو" "Sao Lorenco" التي نصحني سموكم بإرسالها ، وحسبما كتبت لسموكم ، بأنني واثق من إرسالها لكم عندما أتمكن من ذلك ، أرى نفسي ملزماً بتنفيذ ذلك عندما يتم تجهيزها مع السفن الأخرى .

سوف أفعل ذلك على النحو الذي سيكون لائقاً ومرضياً لمولانا ؛ كي يأخذها إلى المملكة ، ويترتب على جلالتكم أن تصدر الأمر ؛ لكي تم تحميلها في رحلة عودتها بـثمان وعشرين قطعة من المدفعية من عيار ستة عشر ، وعشرين (قذائف) ، وهذا كل ما يمكنها استيعابه وحمله .

كما أنه لا يبدو لي صائباً أن تعمل على تعطيل كل القوات الموجودة هنا ؛ لكي تقنعهم فيها ، كما أنني رشحت لقيادتها الكابتن "جوسي نيتو بيريرا" "Jose Neto Perriera" ؛ لأن سموكم قد أمرتم بمنحه إذن المرور له ولأسرته إذا ما سنحت الفرصة لإيجاد شاغر في أية سفينة أو مركب ، وبما أن سموكم قد وافقتم على التبديل الذي اقترحته مع الكابتن "جواو دي سيغويرا فاريا" "Joao de Segueira Varia" ، والذي رفض في هذه المناسبة أن يسلم سفينته .

الآن لدينا .... الهولنديين الذين تم تسليمه في هذا التعويض ، الذي تم تفصيله على كلا الطرفين في الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٤٣م ، وحتى يوم توقيع المعاهدة .

لقد رؤي أنه في هذه النقطة ، يجب أن تكون هنالك بينات وأدلة بالإنابة عن سموكم ، عن الاتفاقية التي أبرمت في إطار مبلغ المائة ألف باتاكا المتبقي ، والمستحق الدفع كتعويض عما أخذوه وقاموا بتسليمه

للهولنديين ، وما بقي فهو متوقع دفعه قريباً من "سورات" التي اتجه إليها أحد البرتغاليين المختارين بواسطة "كامارا" .

قد تم إيداع هذا المبلغ في "ساو فرانسيسكو" "Sao Francisco" كرأس مال ، إلى جانب مختلف المفاتيح معه ، ولقد علم أن هنالك أموالاً أخرى سوف ترد من "بتافيا" من خلال بعض الغنائم التي تم إيداعها ، والتي سوف يتولى مدير المال في مملكة سموكم إدراجها مع متطلباته ، كما تقتضي الضرورة ، وسوف تساهم خزينة سموكم الملكية في هذا المال ، حسب كل العالمين بتفاصيل القانون .

كذلك المسؤولين المعنيين .... مثل "فيليب ماسكارينهاس" بكده واحترازه وحماسه الذي يظهره في كل الأمور ذات الصلة بخدمة جلالتكم ، ولا شك أنه سوف يسهم في هذا الأمر الذي يمكن إضافته كملحق للتعليمات .... لتنفيذها .

إن السفن الثلاث التي تم تجهيزها ، سوف يتم إرسالها في أقرب فرصةٍ ممكنة ؛ لأننا في أمس الحاجة للكثير من المتطلبات ، خاصةً في هذا الوقت ، حيث .... سوف يذهب إلى جلالتكم بأفضاله .... ، وإلى رجال الأعمال الموجودين في المدينة الذين كانوا قد تأخروا بعدما أخذوا أسرى .... عائدات ضرائب جميع المقيمين المشار إليهم أعلاه ، غير أن تلك الوسائل ستكون قليلة ؛ بسبب عدم وجود السفن التي تأتي إليَّ ، وعدم وصول غيرها ، حيث بدأت الأعداد تقل في السفن الصغيرة .

أما الأموال ، فقد وجدت شحيحة ، كما يلاحظ ذلك في حكومة

الهند ، وعليه فليكن معلوماً لسموكم مدى الصعوبة التي أمكن في تجاوزها .... ، وسوف يمكن شحنها وتحميلها ، الشيء الذي تمكن المحقق "أنطونيو دي فاريا" "Antonio de Varia"من إحراز تميزٍ عظيم فيه بنفســه ، وذلك من خلال حرصه وحماسه ، والذي جعــل "فـــرانسيسكـــو دي فيغـويرا دي كاردوسو" "Francisco de Viguera de Cardoso" يقوم بنفس العمل .

أما القاضي .... ، والذي ظل يخدم كقاضٍ أميري ، فكثيراً ما سعيت كي أقدم لجلالتكم مذكرة بشأنه ؛ حتى يتم تكريمه من خلال رسالة .... ، واضعاً في الحسبان اليقظة والاحتراز وسخاء وكرم سموكم .

حيث تمكن من إنجاز الكثير في خدمتكم ، وفي ضوء التأكيد .... ، في جميع المناسبات التي تهيأت له ، وقد أكدت لسموكم هذا الشأن بشكل خاص ، ولقد شجع هذا النموذج .... أسال الرب أن يحفظ شخص سموكم الملكي .... إلخ

غوا في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٤٤م

أحداث عام ١٦٤٤م

صدرت رسالة من نائب الملك في الهند إلى الملك تتعلق برفض الهولنديين الهدنة ، الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٦٤٤م : [٢٣]

أرسلت- من خلال سفينتين اثنتين صغيرتين من نوع "باتشوس" من المملكة ، أرسلتها من هذه المدينة مع قبطانيهما الخاصين بهما ، "جواو دا كوستا" ، و"بيرو دي أوليفيرا" "Pero de Oliveira" ، حيث رحلت إحداهما في يوم الحادي عشر من شهر ديسمبر ، والأخرى في يوم الثاني من شهر يناير- تقريراً مطولاً إلى جلالتكم عن حالة الأمور هنا ، والمصائب والتعاسات التي تحيط بنا ، بسبب رفض الهولنديين لأن يقبلوا الهدنة ، علاوة على ذلك .

إنني أوضحت لجلالتكم أن هذا التأخير هو وسيلةٌ بارعةٌ للهولنديين ؛ لكي يتجنبوا نشر الهدنة ، لكي ينشئوا جذوراً أكبر من التي قد غرسوها من

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

قبل في سيلان ، التي كانت دائماً خطتهم الرئيسة ، وقد أوضحت تجربة كهذه على أنها القضية .

كما تمت إفادتنا بواسطة القبطان العام لتلك الجزيرة "دون فيليب ماسكارينهاس" ؛ لأنه في أثناء الوصول الهولندي المذكور إلى قلعة "جالي" في يوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر مع أربع عشرة سفينة .

أسرعوا في إبحارهم مباشرة على طول ذلك الساحل ، على الرغم من أنهم يستولون عليه ، السبب الذي من أجله بدأ معسكرنا الحربي- الذي كان يطل على القلعة ، والتي كان قبطانها العام "أنطونيو دي موتا جالفاو" "Antonio de Mota Galvao" . - ينسحب في اتجاه "كولومبو" ، وأتى أيضاً ملاحقاً إياه العدو في السفن ، عند القيام بمعرفة هذا من قبل "دون فيليب ما سكارينهاس" ، أمر معسكراً آخر كان في "مانيرافارين" بقيادة أخيه "دون أنطونيو دي ماسكارينهاس" "D . Antonio de Mascarinhas" ، لكي ينزل إلى "نيجومبو" مع بعض الفرق الأخرى .

استطاعوا أن يحتشدوا معاً ، والتحق الجميع معاً في جزيرة صغيرة تقع أمام "نيجومبو" ، بموجب أوامر من "دون فيليب" المذكور بأنهم يجب أن يمكثوا في نفس المكان حتى وصول بقية الجنود البيض ، وألف وخمسمائة من المعسكر الذين كانوا معهم أيضاً ، بدأ الأعداء النزول إلى البر تقريباً على بعد مسافة طلقة بندقية من قلعة "نيجومبو" المذكور ، عند رؤية هذا من قبل "أنطونيو دي موتا" ، - على الرغم من الأمر السابق ذكره- خرج لملاقاتهم ، مندفعاً بشهوته للقتال .

بعد حث "دون أنطونيو" على أن يرافقه ، وعلى الرغم من مما هو

مفروض ، حاربوا بقوة شديدة ، وعلى الرغم من الفوضى التي حدث فيها ، والقوارب الأقوى للعدو الذي ضايق عليهم في مدة أقل من ساعين ، كانوا منحدرين ، وعند محاولة قواتنا الانسحاب إلى "نيجومبو" ، في أثناء تراجعهم كانوا متبوعين بالهولنديين الذين دخلوا حينما تم تجديد القتال مع هؤلاء الموجودين في القلعة .

تم استلامها في اللحظة التي بدأ فيها "دون فيليب ماسكارينهاس" يقدم لنا المعونة على الطريق ، مثلما كان مرتباً له في وقت سابق ، وعند مقابلة رجالنا الذين قد كانوا قادرين على الفرار بدون أسلحة ، وأنقذوا أنفسهم من القتال ، في منتصف الطريق ، والذي أعطاهم خبر العمل ، وانسحب إلى "كولومبو" ، في هذه المناسبة فقدت قواتنا ثلاثمائة جندي ، وبين هذا العدد كان "دون أنطونيو ماسكارينها" و"أنطونيو جالنان" ، اللذان هما أول من بدأ الهجوم .

تلك هي الحالة التي وجدت فيها الجزيرة نفسها ، والأمر هو أنها- بدون شك- سوف تكون محاطةً في الوقت الحاضر بالهولنديين ، ومدينة "كولومبو" المذكورة المساندة بواسطة ملك "كانديا" Candea ، الذي بدون شك يرافقهم ، إنها تفتقر إلى إمدادات الطعام ؛ لأنهم لا يحتفظون بشيء ، ولا يصل إليهم أحدٌ من الساحل الآخر ؛ لأنه في طريق كهذا ، تقع "نيجومبو" والسفن الهولندية ، ولو أمكن أن يكون ذلك على هذه الصورة ، عجزت إمدادات الطعام .

ليس لأنني من الممكن أن أوقفهم ، كما هو واضح ، فإن مدينة كولومبو المذكورة سوف تواجه مخاطرة كبرى ؛ لأن هذه المدينة هي

كل ممتلكات جلالتكم في سيلان ؛ لأن كل البلدان هناك في ثورة ، ويتم تجميع رجالنا كلهم معاً في المدينة المذكورة ، التي يرى الجميع أنها في حالة خطيرة ، فليساعدنا الله؟

لكي نرسل المعونة التي تتطلبها ضرورة ملحة كهذه ، لا توجد أية وسيلة لكي نفعل هذا ، ومع ذلك ، فإن بعض المال قد تم البحث عنه هذا الذي يذهب إلى "تيتوكوري" بواسطة أيادٍ موثوق فيها ، مع أوامر بمواصلة السعي من ذلك المكان ؛ لكي تحمل إلى المدينة جميع الإمدادات الممكنة في سفن صغيرة .

ما دام لا توجد رياح موسمية لكي تسمح لأي فرد بأن يتقدم نحوهم من هذه المدينة ، حيث إنني سوف أرسل إن شاء الله أرزاً ، بالإضافة أيضاً إلى كل ما يمكن ، الكمية التي يمكن أن تكون بالضرورة قليلة ، آخذين بعين الاعتبار الحاجة بأننا نعاني من كل الأشياء .

لقد دخل الهولنديون في هذا التعهد بقوة شديدة ، وانتظروا تعزيزات كبيرة ؛ لكي يواصلوا الحرب ، إلى جانب الخطر المعترف به الذي تقع فيه "كولومبو" ، بالإضافة إلى "مانار" و"جفاناباتان" وأي مكان آخر يمكن لهؤلاء الرجال أن يقصدوه ويضعوا أعينهم عليه ، إننا لن نكون قادرين على مقاومتهم ؛ لأننا لا نملك المال لكي نفعل ذلك .

نقل الإمام- مالك بلاد العرب- الحرب إلى مسقط وقلاع أخرى لتلك المنطقة ، وفي يوم السابع من شهر سبتمبر- وبناءاً على أوامره- أرسل قباطنته لكي يدخلوا إلى إحدى قلاع صحار- التي كانت محمية

بطريقة جيدة - ، لكن لم يثبت أي شيء بأنه كاف لإنقاذها ، ولذلك ، فإنه ذبح بعضًا من جنود الكشافة .

وأسر سبعة وثلاثين شخصاً ، ومن ثم ، من الضروري أيضاً أن تنقذ المضيق بعددٍ أكثر مما قد تم إرساله في وقت سابق ، على السواء ، بعدد كبير من الرجال بقدر المستطاع ، كما في جميع حالات الأشياء التي يتم الدعوة من أجلها .

ترك الملك عادل خان ، ملك في المنطقة المجاورة لهذه المدينة ، بلاطة في "فيزابور" في الأيام الأخيرة من شهر يناير ، ويبقى على مسافة عشرة ليجاً من "غوا" مع جيش كبير بكل تشكيلاته ، هذا الذي أمر به شخصياً ، وهو يكلفنا الآن قلقا شديدا ؛ لأننا لا نستطيع أن ننجح في أن نعرف أين ينوي إطلاق هذه العاصفة ، ولن يستريح الهولنديون أبداً ، ولن يضيعوا أية مناسبة لإيقاع الضرر بنا ، وإذا (لا سمح الله) عانت مدينة "كولومبو" من أية هزيمة عسكرية .

من المؤكد أن قوة الهولنديين الكاملة سوف تنزل في هذا الميناء ، مع الاتجاه الذي قد كان مستمراً لبعض الوقت ، مع الملك عادل خان ، الذي يقومون بالتباحث فيه الآن ، وسوف يثبت هذا بأنه شر لا يمكن إيقافه ، ولذلك ، يسر جلالتكم أن تأمروا بأن يتم النظر في هذه القضية ، وفي أية صعوبات سوف تجد هذه المدينة نفسها ، بالإضافة إلى معظم بلاد الهند ، والتي- في اليوم الحالي- تجد نفسها في التعاسة الأشد ، ومفتقرة إلى كل شيءٍ ضروري من أجل دفاعها .

إنني لا أحيل إلى جلالتكم الطريقة التي بها قدمت الإغاثة إلى

الحصون المذكورة أعلاه في كل هذه الصعوبات ، وكذلك كل الآخرين لدى الدولة بواسطة العناية المستمرة والمتيقظة ؛ لأنه إلى جانب كون هذا التزامي الأساسي ، فإنها حقيقة واضحةٌ لكل العالم ، وواحدة لن يكون كارها للاعتراف بها .

لقد توقفت كل السفن الملاحية ، وهناك يبقى لنا فقط تلك التي تنتمي إلى هذه السواحل ، التي تأتي لنا منها إمدادات الطعام وأشياء للاستخدام العادي ، وحتى تلك التي تأتي بجهد شاق ، وتقدم النجدة إلى الهولنديين ، كما ترى سيدي ، مرتين في العام ، بالتناسب حيث تنقص قوتنا ، تزداد قوتهم .

إن جلالتكم كسيدنا الطبيعي والحقيقي لمملكته ، الذي وحده يسرنا أن يأمر بأن يتم إنقاذ الهند ، حيث تستحقه وتحتاج إليه ؛ لأنه إذا كان هناك تأخير في قدوم المعونة التي تحتاجها اليوم وتطلبها دائماً ، فإنه يمكن أن يحدث (لا سمح الله) أنه حينما يأتون ، سوف تكون ذات تأثير صغير .

حيث لا يوجد شيء لتقديم المعونة إليه ، فما هو مؤكد ، هو أنه- على الرغم من الكثير الذي أخبر به جلالتكم- لا أستطيع أن أبالغ في الصعوبات التي فيها يتم اختلاط كل هذا ، وأصبحت "غوا" أسوء من أي مكان في العالم ؛ لأنها أنقذت كل فرد ، ونزفت نفسها دائماً ؛ لأنه الآن من ثلاث إلى أربع سنوات لم تأت سفينة إلى هذا الميناء ، سواءاً للسير في طريقها أو تقديم المعونة .

لم يرغب الهولنديون في السلام . هذه هي القضية في الحقيقة ، وحيث

تم التوصل في أوروبا إلى وسيلة ما ، وكانت مستنتجة من أجل الهند ، يمكن أن تأتي واحدة ما من دول هولندا ممتلكة السيطرة المطلقة والقرار بنشر الهدنة ، وتجبرهم على الاحتفاظ بالشروط ؛ لأنهم بالتأكيد سوف يفعلون ذلك مثلما قد أظهرت التجربة .

بسبب الخداع الذي يمارسونه دائماً ، الذي يتم الحث عليه وإثارته بواسطة القوى الصغيرة التي يرون أننا نمتلكها ، والتي هي منتشرة كثيراً حول المناطق التي تشكل هذه الدولة .

إنني ، سيدي ، سوف أسعى بكل الذي تحت مسؤوليتي ، بذلك الحب الذي أدين به لخدمة جلالتكم ، لكي أضحي بحياتي ، وبكل ما في قدرتي التي أنا ملتزم بأن أفعلها أثناء واجبي ، والتي أعلم أنه سوف يتم فعلها ، بواسطة كثير من سفن جلالتكم التي تخدم في هذه المناطق ، لكن ، على الرغم من أن هذا الإعلان لن يفوز بالهند التي قد اكتشفها وغزاها الملوك أسلاف جلالتكم بسعر الحماس الشديد والعناية والإنفاق ، وبتكلفة أرواح كثيرة جداً لأتباعهم إلى الازدياد الواسع للعقيدة .

رؤي أنه من الملائم للمجلس الذي يساعدني ، بأنني يجب أن أرسل النصائح إلى جلالتكم ، حول الصعوبات المذكورة سابقاً ، من خلال هذه السفينة الصغيرة ، نظراً لأن السفن الأكبر غير قادرة على المغادرة الآن ؛ بسبب الطاقة والإصرار على أن تستمر في هذه الميناء ، حيث تقف هناك في الوقت الحاضر خمس سفن .

أحياناً ستة ، وأيضاً ، لأن النصائح المرسلة بواسطة البر غير مؤكدة

وبطيئة ، ولكن ، على الرغم من ذلك ، لم أهمل في أن أراسلهم بتلك الوسيلة ، ولو أن هذه السفينة التي كانت معدة هناك في تلك الأثناء أمكن لها أن تصل من سيلان بنصائح جديدة وظروف أكثر وضوحاً ، فإنني سوف أقدم تقريراً إلى جلالتكم .

إنني أتوسل إلى جلالتكم ساجداً تحت أقدام معونتكم الملكية ، معونة ، ومزيداً من المعونة ، في الرجال والمال والسفن ؛ لأن هذه المملكة هي الآن في حالة ضياع ، التي هي حتى الوقت الحاضر باقية من خلال معجزة ، ودع جلالتكم يصدقني حينما أقول إن رياء الملك عادل خان يضايقها كثيراً ، يقال إن جيشه يبلغ ثلاثين ألفاً من الخيول ، وخمسمائة من الفيلة ، وعدد غير محدود من الرجال ، جنود على جبهته .

رعى الله جلالتكم ، ... إلخ

"غوا" في يوم الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٦٤٤م

تم أيضاً إرسال رسالتي ، المكتوبة بالشفرة مع الملاحظة الإضافية في السفينة الملاحية الصغيرة بتاريخ الثاني من شهر مارس بدون الإضافة .

(في يوم السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٤٤م)

بعد كتابة هذه الرسالة ، قدمت إغاثةٌ بجهدٍ شاقٍ إلى "كولومبو" ، بعدد اثنتي عشرة سفينة من الأسطول ، التي كانت مجهزة تقريباً في اثني عشر يوماً ؛ لأنه ، عند تلقي نبأ حدث "نيجومبو" في يوم الثامن والعشرين من شهر يناير ، غادر الأسطول في التاسع من شهر فبراير التالي ، بموجب أمر القبطان العام للكيب "بيرناردو مونيز دي مينزيس" "Bernardo Mones de Meneses" مع مائتي جندي أبيض .

الذي يكلفني ما لم أستطع بشكل ممكن أن أحيله إلى جلالتكم ، لكي نجني الثمار معاً ؛ لأنني اضطررت إلى أن أستخدم التكتم والحذر الشديد ، كما تم جعله واضحاً لمقيمي هذه المدينة ، وكان هناك مرسلاً- بشكل إضافي ، على ظهر هؤلاء السفن المذكورة- تسعون جندياً فتياً ، وحملة بنادق أقوياء جداً ، ولكي نزود هذه السفن باليد العاملة ؛ لأنه كان هناك نقصٌ في البحارة ، ومن الضروري أن نبذل جهوداً كبيرة .

يصل المبلغ المرسل بواسطة هذا الأسطول إلى خمسة آلاف "أشرفي" ؛ من أجل إمدادات طعام توتوكورين Tutucorin ، ومبلغ إضافي بمقدار خمسة آلاف "أشرفي" ؛ من أجل أجر جنود حامية سيلان ، وبلغ خمسمائة "أشرفي" ؛ من أجل إمداد هذا الأسطول بالمؤن لمدة ثلاثة أشهر ، وتسديد مبلغ الربع الثاني ؛ لأن الأسطول يذهب من هنا مزوداً بالإمدادات لمدة ثلاثة أشهر .

من أجل كل هذا أن نحصل على نتيجة ، واضعاً في الاعتبار المضايق التي توضع فيها سفن الهند وقصر الوقت ، أستطيع أن أؤكد لجلالتكم أن الصعوبات التي لا تذلل يجب أن يتم التغلب عليها ؛ لكي يتم خدمة جلالتكم بشكل جيد ، وأن يتم إمداد الجنرال قائد سيلان بمواد الإغاثة التي طلبها ، إن شاء الله ، يتم السماح لها بالدخول إلى "كولومبو" ، وتكون ذات فائدة له . رعى الله ، ... إلخ .

"غوا" في يوم السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٤٤م

كانت هذه الرسالة مرسلة حتى هذا الوقت بالشفرة عن طريق البر .

وفي العام نفسه (١٦٤٤م)

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن العلاقات مع ملك قشن ، "لشبونه" ، الرابع من شهر مارس عام ١٦٤٤م : (٢٤)

صديقي الكونت نائب الملك ،

أنا الملك أرسل لك تحياتي القلبية .

من خلال نسخة الرسالة التي أرسلها لي ملك قشم ، والمرفقة طي هذه الرسالة ، ستدرك أن كل ما ورد فيها لابد من تقييمه ومعرفة السبب في تأجيل كل ما طلبه ، وذلك من أجل استمرار علاقة الصداقة ، التي أفاد بأنها ظلت مستمرة وباقية بين أجدادي الملوك وبين أجداده .

لأجل هذا السبب ، فإنني آمرك بأن تعمل على مراعاة كل ما يخص أتباعه ، وتوليهم اهتمامك ، وبالمثل ، بذل كل ما في وسعك لتقديم المساعدات الممكنة ، فيما يتعلق بمعاركه .

---

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

كما يجب أن يتم الترحيب بكل السفن التي ترتاد مدينة "غوا" ومركز جماركها بشكل سنوي ، وذلك كي يشعر الملك نفسه أنه مضطر لمواصلة التجارة ، وهذا ما شجعته عليه في الرسالة التي أمرت بكتابتها له .

إنني أعول كثيراً على حماسك الذي تبديه في خدمة مصالحي ، وأثق أنك سوف تقوم بإنجاز هذا العمل كما ينبغي ، نظراً لأهميته .

كتب في "لشبونه" ، الرابع من شهر إبريل عام ١٦٤٤م ،

الملك .

رد من نائب الملك .

"غوا" ، السادس من شهر يناير عام ١٦٤٥م

سوف أقوم بتنفيذ كل أمر به جلالتكم في هذه الرسالة ، إذ إن جلالة ملك قشم لم يفشل ، ولن يفشل في تحقيق رغباته من هذه المملكة .

في الوقت الراهن ، توجد إحدى سفنه هنا ، وقد جلبت لهذه البلاد أشياء جد ضرورية ، وبالمقابل ، سوف تقوم بحمل الأغراض التي يريدها من هذه المدينة .

ليحفظ الرب الجميع ...الخ .

"غوا" ، السادس من شهر يناير عام ١٦٤٥م

أحداث عام ١٦٤٥م

صـــدرت رســـالــــة من "جيـــليانيـــس دي نـــورونهـــا" "Jillianes de Noronha" إلـى "دوم جـــواو" الرابع ، بشأن الأسطول المتجه إلـى قلعة هرمز ، مسقط ، الثاني من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥م : (٢٥)

سيدي ،

في شهر إبريل الماضي ، أرسل لي كونت "أفيراس" نسخة من الرسالة التي أرسلها له نائب الملك "دوم فيليب ماسكارينهاس" من سيلان .

في هذه الرسالة ، أرسل لي توجيهاته كي أتجه بالأسطول الذي أتولى قيادته إلى قلعة هرمز ؛ لأجل إذ ما رأى الفرس أنهم مجبورون على التورط في تلك العمليات ، أن يتخذوا موقفاً لمناصرتنا ضد سفن الهولنديين ، البالغ عددها اثنتي عشرة سفينة ، والتي أتت بغية الاشتباك معهم .

---

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

بعدما تلقيت الأخبار المشار لها أعلاه ، شرعت في الإبحار ، التزاماً بواجبي أكثر من توقعاتي بتوقيع أية معاهدات في ضوء مواجهة هذه القوة المتواضعة لذلك الأسطول الضخم .

كان ذلك هو الوضع في المضيق ؛ بسبب ضعف التعزيزات التي تلقاها ، خلافاً لما كان يحدث في الماضي ، إذ إنه حتى في فترة حكومة نائب الملك "بيرو دا سيلفا" كانت التعزيزات مكثفة وقوية ، الأمر الذي جعلنا موضع احترام الجميع ، حتى من قبل أكثر أعدائنا قوةً .

عند وصولي للموقع الذي أمرت بالذهاب إليه ، كان الهولنديون قد جمعوا في سفنهم الوكلاء التجاريين العاملين في "جمبرون" وقاموا بقتلهم . كما طال بطشهم أيضاً بعض العاطلين عن العمل ، الذين توافدوا لمشاهدة تلك الأحداث غير المألوفة .

عندما التفتوا لمهاجمة قشم ، ظلت سفنهم تقصف القلعة لمدة ثلاثة أيام متتالية ، ولكن ، عندما نزل قرابة أربعمائة جندي منهم لأجل غزو المدينة ، تم طردهم جميعاً ، وردوا على أعقابهم يجرون ذيول الخيبة ، بعد أن تكبدوا الكثير من الخسائر في الأرواح .

بعد انقضاء ثلاثة شهور ، تم الوصول لاتفاقية ، بحيث يجب على الشاه دفع خمسة آلاف تومان كان حكامه قد أخذوها اعتباطاً من الهولنديين- من خلال عقودهم التجارية - ، وتبلغ هذه مائة وخمسين ألف "أشرفي" حسب الاتفاقية القديمة .

من خلال المحادثات التي جرت بيني وبين الهولنديين الذين جاءوا لمقابلتي ، أعلنوا عن عزمهم على مهاجمة هرمز ، وحتى بعد أن

وضح لهم أن أمر المبادرة الحربية قمينٌ بقوات جلالتكم ، لم يظهر أنهم سوف يتخلون عن نواياهم تلك .

لذا فسوف تكون فكرة عظيمة لجلاتكم أن يستفيد من الوضع الحالي ؛ لأن الفرس لن يحظوا بمساعدة الشعوب الأوروبية كما فعلوا في ثلاث مناسبات سابقة ، عندما قام "روي فرير" (لترقد روحه بسلام) بمحاصرة المدينة ، ونأمل أثناء فترة غيابهم أن تضطر المدينة للاستسلام ، بعد انقضاء شهور قليلة من الضغط والحصار .

لقد أخبرت نائب الملك عن كل شيء ، لذا ، فليطمئن جلالتكم بأنني سوف ألتزم بتنفيذ الأوامر التي أرسلتها لي .

أفيد جلالتكم أنني أكثر استعداداً للقيام بذلك ، آملاً أن أنال رضاكم ؛ كي أحظى بتكريمكم .

أسأل الرب أن يحفظ شخص جلالتكم الملكي ؛ لما فيه مصلحة النصرانية .

مسقط ، الثاني من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥م .

"دوم جيليانيس دي نورونها" .

أحداث عام ١٦٤٦م

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن مجموعة من السفن ، "لشبونه" ، الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٦م ، ويذكر فيها بأن السفن تحتاج لتراخيص للعبور إلى البحر الأحمر : (٢٦)

صديقي ، نائب الملك في الهند ،

أنا الملك ، أرسل لك تحياتي القلبية .

لقد اطَّلعتُ على ما كتبتَه لي بتاريخ العاشر من شهر يناير من العام الحالي ١٦٤٦م ، إذعاناً للأوامر التي أرسلتُ لك في الرسالة المؤرخة في الثالث والعشرين من شهر يناير من العام المنصرم ١٦٤٥م ، وذلك في موضوع التحقيق المزمَع إجراؤه ، فيما يختص بمغادرة سفينتين من "قوقو" ، وأخرى من "سورات" إلى مضيق مكة ، دون حصولها على تراخيص بالعبور في قلعة "ديو" .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

لقد رأيتُ أن أُعطيَك الأمر للتصرف ومعالجة هذا الأمر ، على النحو الذي وضّحته .

يجب عليك أن ترسل لي تقريراً عنه ؛ حتى أكون على علم بما حدث في هذا الموضوع .

"لشبونه" ، الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٦م .

أنا "أفونسو دي باروس كامنها" "Afonso de Barros Camenha" ، أمين السر ، قد أمرت بكتابته .

الملك

مرسل إلى نائب الملك في الهند

من : "ماركوس مونتالفاو" "Marcos Montalvao"

بوساطة أولى

أحداث عام ١٦٤٧م

صدرت رسالة من نائب الملك إلى جلالة الملك ، بشأن التحقيق في مغادرة سفن الميناء ، "لشبونه" ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٧م ، ويذكر فيها أن التراخيص من السلطات البرتغالية على السفن المتجهة إلى البحر الأحمر حتى ولو كانت سفناً مغولية : [٢٧]

رقم ٦ :

لقد حاولت أن أستجلي الأمر الذي تناوله جلالتكم في هذه الرسالة ، غير أنني لم أحصل على المعلومات التي يمكنني من خلالها إعطاء الأمر لإجراء التحقيق الذي أمر به جلالتكم في الرسالة .

لكن ، من المؤكَّد أنَّ العديد من السفن التي تغادر ميناء "قوقو" والموانئ الأخرى هي سفن تؤول للمغول ، الذين يعملون على توجيهها

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

للإبحار في مضيق مكة ، دون تزويدها بتراخيص العبور ، وذلك استخفافاً بالمخاطرة التي يمكن أن تحدث إذا ما واجهتها أساطيلنا .

على كل حال ، سيدي ، لا أعتقد أن هذا الوقت هو الوقت المناسب لممارسة الكثير من الضغط على هذا الملك ؛ لأنه في الظروف الراهنة غالباً ما تقتضي الحاجة للتظاهر ، ومنافقة أساطيل هذه القلعة ، خشية حدوث أضرار بليغة ومشاكل لا حصر لها في المستقبل .

أكثر من ذلك ، كان الضغط والإصرار على عدم إصدار تراخيص العبور قد أجبر السكان في "سورت" على شحن بضائعهم في سفن الهولنديين والبريطانيين .

مؤخراً ، كانت هناك إحدى سفن الهولنديين الضخمة قد اتخذت طريقها صوب "سورات" غير محملة بأيّ نوع من البضائع ، وقد أتت لهذا الميناء ؛ لأجل إنزال سفير "موكاسا" ، وليس لديهم أيُّ غَرَضٍ آخر سوى التوجه إلى "سورت" لنقل بضائع أولئك الناس ، ومِن ثَمَّ الإبحار إلى فارس ومكة ، وحينها سوف يجني الهولنديون الكثير من الفوائد من هذه العملية .

بما إنني أرى ضرورة وضع حد لهذه الممارسات ، فقد أرسلت إلى "سورت" للتفاوض مع حاكم المغول هناك ؛ كي نحول دون حصول الهولنديين على تلك الفوائد بالوسائل المناسبة .

طالما توجد أعدادٌ ضخمة من السفن في هذه المملكة ، فلابدَّ للملك من اتخاذ الإجراءات لصيانة تلك المقدرات ، والمحافظة عليها .

سوف أخبر جلالتكم عن نتائج هذا الموضوع .

ليحفظ الرب شخص جلالتكم الملكي الكاثوليكي ... إلخ

"غوا" ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٧م .

أحداث عام ١٦٤٨م

صدر تقرير عن الدورة الأولى لانعقاد المجلس ، مسقط ، الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، بشأن التفاوض بالسلام مع سعيد بن خليفة من طرف اليعاربة : [٢٨]

في الحادي عشر من شهر سبتمبر من عام ١٦٤٨م ، وفي قلعة مسقط هذه ، في رهبنة القديس أوغسطين ، وفي اجتماع المجلس الذي عقد بأمر وحضور القائد العام "د . جيليانس دى نورونها" وسعادة الآمر في القلعة "غاسبار فيرتادو دي برادو" "Gaspar Fertado de Brado" ، وكبير مسؤولي الخزينة "فالنتيم كوري" ، والمحترم القس "لويس دي مادري دي ديوس" "Luis da Maderi de Dius" رئيس دير الرهبان في نفس الرهبنة .

المحترم "مانويل أنطونيز" "Manuel Antones" قس أبرشية الكنيسة ، وسعادة قاضي مملكة صاحب الجلالة "فيرناو دوس سانتوس ريبيرو"

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

"Fernao Dos Santos Rebeiro" ، ووكيل صاحب الجلالة "مانويل دا سيلفا" "Manuel da Silva" ، وبقية القباطنة والفرسان الموقعين أدناه .

عندما حضر الجميع سارع "د . جيليانيس دي نورونها" فوراً بطرح اقتراح أنه في إطار علم الجميع بالعوامل والأسباب ، قد تم انتداب من سيتولى التفاوض بشأن السلام مع سعيد بن [خليفة] ، قائد الغارات المتجددة على قلعة مسقط وأبراج المراقبة ، منذ السادس عشر من الشهر الماضي .

بناءً على عدد المحاربين والمعدات الحربية وحدوث المناوشات في إقليمه ، والعدد القليل المتوفر لدينا ، حيث نفتقر- في المقام الأول- للذخائر والأسلحة والرصاص ؛ لأجل صنع القذائف المدفعية ...

كشف الوكيل "مانويل دى سيلفا"- بشكل سري- العجز الكبير في هذه المواد الآن ، ومنذ وقت طويل ، وأيضاً عند بداية القتال ، ولقد سبق أن أرسل طلباً كي توفر له هذه الاحتياجات وغيرها من المواد الضرورية أسوةً بمدينة "غوا" ، ووجه طلبه هذا إلى اللورد نائب الملك وكبير مسؤولي الخزينة ، ويمكن التأكد من هذا من خلال رسائل القائد العام الموجودة لدى أمانة السر ، وبحوزة مسؤول الخزينة .

بالمثل ، أرسل إلى فارس بواسطة "كنغ" مراسيل سفن terranquim بصفة خاصة ، كما لجأ إلى اتخاذ تدابير أخرى للحصول على الرصاص ، بغض النظر عن أسعاره . لكنه لم يوفق في إيجاده أو الحصول عليه ، وهذا أمرٌ يعرفه كلٌ من الوكيل وآمر القلعة ، وبقية مساعديهم .

بمعزل عن هذا ، فإن أكثر الأمور أهميةً هو النقص الشديد في الجنود

والبحارة ، والخوف من مكائدهم وغدر قادتهم ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ، حادثة "قاداي"- أكثر الأشخاص مصداقية- الذي تصرف ومن معه من العساكر بنذالةٍ تجاه كتيبة خيالة المعقل في "سدياب" ، وكان هذا سبب استسلامهم للبرتغاليين هناك .

أيضاً ، السبب الذي دفعنا لإخلاء المعقل في البوابة السفلى ، إذ اكتشفنا أنه من المستحيل أن نحصل على نجدةٍ ، بسبب إفلاس الخزينة الملكية .

كانت النفقات التي صرفت على القتال لمدة طويلة قد أثرت على قلعة مسقط هذه ، وبالمثل ، مطرح ، وبقية القلاع في الجزيرة العربية .

في هذه المناطق ، توقفت الإيرادات من مركز الجمارك منذ وقت طويل ، ولم يكن من الممكن أن يتم اقتراض المال ، ولو استدعى الأمر أن يتم ذلك مقابل رهن الذهب والفضة ، كضمانٍ من قبل كبير مسؤولي الخزينة ، بل شمل النقص أيضاً المجندين من الرجال ، وكذلك البحارة كمراقبين معهم في الأبراج ، فالأسطول لن يصل إلى هنا في هذا الوقت ، بالرغم من المطالبة بإرساله ، كما أن التعزيزات لن تصل من الهند قبل حلول شهر نوفمبر .

أيضاً ، هناك نقائص أخرى يعلمها الجميع ، ليست بينها واحدة أقل خطورة عن المذكورة أعلاه .

لهذا السبب ، وبالمثل وجود أعداد كبيرة من قوات العدو في الممرات المؤدية لأبراج المراقبة في "كوتريم ريام Cutrim Riame" وفي كلباء ، فإن تلك المناطق لم يتم تزويدها بالإمدادات والاحتياجات من

جانبنا ، حسب رغبة الموجودين في تلك الأبراج ، ولقد تم إرسال أمرٍ يحظر علينا إزاحة رجالنا الموجودين في "كوتريم" ؛ لأن هذا من شأنه أنْ يجبر الموجودين في كلباء بفعل الشي نفسه .

يمكن أن يتم أمر وتوجيه الرجال الموجودين في ريام بالانسحاب ، في ضوء الخطر الذي يهددها ، ولأسباب صعوبة تحصينها ، ولا شك أن هذه الأحداث سوف تجعل العدو أكثر إقداماً واندفاعاً .

من خلال المعلومات التي ترد عادة بشأن القصور والنقص الذي نعاني منه في كل ما نحتاجه ؛ لأجل الذود والدفاع عن أنفسنا ضد البعض من رجالنا ، الذين ينحازون للطرف الآخر من الجنود والبحارة والمتطوعين في الخدمة ، فإنهم على ثقة من وصول رجال جدد لمساعدتهم ؛ وذلك بسبب وجودهم في بلادهم .

هذا الأمر اقتضى ضرورة البحث عن وسائل لأجل التفاوض بشأن السلام . بالرغم من أنه من خلال الاتفاقيات- والتي سوف تكون من مصلحة المملكة - ، فإن سمعة جيوش صاحب الجلالة ، وفي المقام الأول سلامة قلعة مسقط ، فسوف يكون كل شي آمناً إذا ما تم تأمين هذه القلعة ، وابتسم لنا الحظ بوصول الإمدادات من الهند ، أو وصول قائد سفن الأسطول ، الذي أرسل في طلبه بموجب نسخة من الرسائل .

عند وصولهم ، ستكون كل اتفاقية أبرمت لا تبدو مقنعةً وملائمة بالنسبة لنا ، عرضة للاستبعاد وعدم المراعاة . (وإنما ينظر لها فقط كخدعة أملتها ضرورة الحرب وظروفها)

تلك هي الأسباب التي اضطرتنا للبحث عن وسيلة للتفاهم مع العدو

[....] ، وبالفعل ، كانت تلك هي محاولات كبير مسؤولي الخزينة ، وعليه ، فقد أمر بمخاطبة سعيد بن خليفة ؛ كي يسمح لشخصين من طرفه بالذهاب لإجراء المفاوضات الهامة معه ؛ لأن تجار هذه القلعة قد أجبروه على ذلك .

بالفعل ، حضر سيد بن خليفة قاضي السلطات القانونية لصاحب الجلالة ، و"أنطونيو باربوسا" "Antonio Barbosa" أحد المواطنين المقيمين في القلعة ، سيما وقد كان في الماضي قائداً ذا خبرة ومعرفة بالأوضاع في هذا المضيق ، وقد كان موجوداً بصفته من ينوب ويقوم مقام كبير مسؤولي الخزينة .

قد تفاوض مع سيد بن خليفة لأجل إيجاد وسيلة ما لوقف القتال ، والوصول إلى سلام ؛ للأسباب المذكورة ، ولقد اتفقوا على إمكانية التفاوض بسلام ؛ لأنه أتى لتحقيق هذا الهدف .

كان هذا لازماً وضرورياً كما يعلم كل فرد ، ولقد تبينت نتيجة النقص من جانبنا ، ولعل أبرز النقص هو عدم وجود الذخيرة [....] والكثير من الأشياء الضرورية والاحتياجات اليومية .

عليه ، فقد تم الاتفاق على التفاوض حول المعاهدة ، واختيار الشخص الذي سوف يقوم بالتوقيع على شروطها وتنفيذها ، والتي نأمل أن تأتي شروطها متوافقة وملائمة لمصلحة خدمة صاحب الجلالة ، لسلامة قلعة مسقط في المقام الأول ، وجميع بقية الأمور الأخرى ، ولقد عهد بكل ما هو ضروري وواجب إلى سعادة القائد العام .

هذا الموضوع الذي اعتبر أكثر الموضوعات أهمية ، قد تم تدارسه والتفاوض حوله بواسطة جميع أعضاء المجلس ، وفي نفس الوقت ،

أعطي الاعتبار للاحتياجات والقصور والمتطلبات اللازمة التي نفذت جميعها بسبب القتال المتواصل ، وأيضاً ، افتقار الأهلية من جانبنا كي تتمكن من التفاوض ؛ لأن أهم عنصر هو تلك الأهلية التي يجب أن يتوفر لها عنصر ، هو حاجتنا للأسلحة والذخائر .

إذ إن ما تبقى لنا منها لن يكفي حاجتنا لأكثر من سبعة أو ثمانية أيام فقط ، [.....] وهذا أمر لازم في كل يوم ، وهناك أشياء أخرى ليست أقل أهمية ، وهي المال والجنود والمتطوعون الذين لا يوجد منهم أحد ؛ لأنهم ماتوا ، ويموت المزيد منهم بشكل يومي .

أيضاً ، يلاحظ عدم الوفاء والإخلاص في أوساط الجنود العسكريين .

هناك مناطق وأراضي تم إخلاؤها بسبب عدم الولاء ، ومن المؤكد أنه إذا ما حدث هذا- لا سمح الرب - ، فلن يتمكن أحدٌ من الذهاب إلى أبراج المراقبة الثلاثة الحصينة في المدينة ، أو الصعود إلى أسوارها .

إذا ما كان هذا هو واقع الحال ، فلا شك أن أبراج المراقبة الأخرى في "مكلا" و"جالا" سوف يصار إلى هجرها وإخلائها ، وسوف ينتج من ذلك عدم تمكننا من دخول الخليج والبرزخ على السواء ، [.....] وهذا أمرٌ لا يدانيه الشك ؛ بسبب وجود أبراج المراقبة تلك على الجبال ، وجميعها تعتمد على القلعة والحصن وبرج المراقبة في "مكلا" .

لكن الإمدادات لا تأتي من الهند ، ولن يصل أسطولنا سريعاً ، وسوف يجبرنا هذا على ألا نكون أكثر رغبة ، ولابد لشخص ما أن يذهب للتفاوض حول السلام .

بالفعل ، توجه كبير مسؤولي خزينة صاحب الجلالة لإنجاز هذا الموضوع ، وقد استهل هذا الأمر على النحو الذي تم وصفه ، وقد تصرف بكل أمانة وولاء وإخلاص في القيام بهذا الأمر وفق أهميته ، وكان قد ذود بأوامر خاصة من سعادة القائد العام توجب التصرف بدقة متناهية ، بحيث يضع في اعتباره أمن وسلامة قلعة مسقط التي يعتمد عليها كل شي في هذا المضيق .

كان من الضروري وضع هذا في مسالك التنفيذ بشكل عاجل ، سيما في إطار ضغط وتشدد العدو ، ومخاوفنا من جانب الجنود العسكريين وقادتهم ، الذين يصعب إزاحتهم من المناصب التي يحتلونها ؛ لأنه لا يوجد من يحل مكانهم .

هذا السلام المطول تم تأجيله ، لكن ، يتبقى المخاطرة الكبرى في أبراج المراقبة ؛ لأنها تمثل المفاتيح بالنسبة لهذه القلعة ، فبدونها لن تصبح القلعة آمنة .

لقد وافق القائد العام على كل هذا ، ولقد قام هذا القرار على هذه الأسس ، وبما أنني سعيت كي يكتب هذا ، فإن الراهب "لويس دي مادري دي ديوس" ، رئيس دير الرهبان في رهبنة القديس "أوغسطين" في هذه القلعة ، باعتباره مجنداً في خدمة صاحب الجلالة ، وبأمر من القائد العام ، قام بمهمة السكرتير لهذا المجلس ؛ لأن أمراً بهذه الأهمية يتطلب الكثير من السرية .

تم التوقيع بواسطة القائد العام ، وجميع الذين وردت أسماؤهم في التاريخ المبين أعلاه :

"دوم جيليانس دي نورونها" ، "فالنتيم كوريا" "Valentim Correia" ، "فري لويس دي مادري دي ديوس" "Frei Luis da Maderi de Dius" ، "فيرناو دوس سانتوس ريبيرو" ، "مانويل دا سيلفا" ، "غاسبار فيرتادو دي برادو" ، "فيسنتي دي أوليفيرا" "Vicente de Oliveira" ، "براس باريروس دا جاما" "Bras Bareiros da Gama" .

"جورج رودريغيز كوريا" "George Roderigues Correia" ، "نيكـــولاو فيرنـــانديز" "Nicolao Fernandes" ، "مانويل غالفاو" "Manuel Galvao" ، "أنطونيـــو باربوســـا" ، "مانويل فاريـــلا" "Manuel Varella" ، "أنطونيو دي أو سورو" "Antonio de O Soro" ، "جواو دي أزيفيدو" "Joao de Azevido" ، القس "مانويل أنطونيز" ، "مانويل مارتينهو بنتو" "Manuel Martinho Bento" ، "دوم كارلوس أرو" "D . Carlos Aro" .

تتطابق هذه النسخة مع الأصل الذي يجب أن يظل بحوزة سعادة القائد العام "دوم جيليانس دي نورونها" .

كتب بواسطتي "غونسالو دي ليما" "Goncalo de Lima" ، كاتب العدل لدى صاحب الجلالة ، والوكيل في هذه القلعة .

مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

صدر تقرير عن الدورة الثانية لانعقاد المجلس ، مسقط ، الثاني عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، بخصوص القلاع البرتغالية والتي يطالب سعيد بن خليفة بهدمها : (٢٩)

في الثاني عشر من شهر سبتمبر من عام ١٦٤٨م ، وفي قلعة مسقط هذه ، في رهبنة القديس "أوغسطين" ، كانت دورة انعقاد المجلس بحضور وتوجيهات القائد العام "دوم جيليانس دى نورونها" ، والقائد الآمر في القلعة نفسها ، وكبير مسؤولي الخزينة في القلعة ، والمطارنة والوزراء والقباطنة والفرسان الموقعين أدناه .

لقد قدم لهم جميعاً القائد العام ما يفيد أن كبير مسؤولي الخزينة "فالنتيم كوري" ، وقاضي السلطات القانونية لصاحب الجلالة - الذي رافقه لأجل التفاوض بشأن السلام مع سعيد بن خليفة في قلعة مسقط وبقية القلاع في المضيق - .

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

إنه نتيجة المناقشات التي دارت بينهم في اليوم السابق- أي عندما اتفق أن مفاوضات السلام المذكور يجب أن توكل مهمتها إلى كبير مسؤولي الخزينة بالإنابة عن المملكة - ؛ لأن سعيد بن خليفة كان قد طالب بالكثير من المطالب ، منها إخلاء وهدم قريات وقلعة "دبا" .

قد اتفق على هذا ، باعتبار أنها أقل القلاع أهمية من بين عدة قلاع في الجزيرة العربية ، وأقلها استخداماً بواسطة المملكة ، وهي أكثر القلاع قرباً من القلاع التي تؤول للعرب .

قد كانت بساتين النخيل فيها موضوع نزاع وخلاف بين الجانبين ، الأمر الذي أدى لقيام الحروب ، ولقد طالب سعيد بن خليفة- في سبيل وقف هذا الانشقاق- بضرورة هدمها ، خاصة وأن القلاع المذكورة لا فائدة منها ، سوى إهدار الكثير من النفقات عليها ، وأن القتال بسببها لا يبدو أنه سوف ينتهي .

عليه ، فقد أخبر كبير مسؤولي الخزينة على الموافقة بإلزامنا بهدمها ، أما القلعة الجديدة التي أقامها العرب في مطرح داخل إقليمه ، فيجب أن تبقى كما كانت ؛ كي تستقبل كل من يرغب في الذهاب إليها ؛ لأغراض الشراء والبيع .

كما يجب أن تكفل حرية بيع الخيول القادمة من "كنغ" في هذه القلعة (مسقط) ، بالإضافة إلى جميع أنواع البضائع ، لأي فرد كان ، دون أن تكون للقائد أية سلطة في احتكارها .

أيضاً ، يجب أن يعفى تجار المناطق الجبلية من دفع الرسوم الجمركية في مركز جمارك قلعة مسقط ، وطالما كان العائد ضئيلاً لا أهمية له ،

فقد أعطى موافقته ، وبالمثل ، على موضوع قريات و"دبا" للأسباب التي ورد ذكرها ، وأيضاً ، لأسباب أخرى اضطرته لذلك .

كان قد بين لسعيد بن خليفة أن تلك الشروط لا تبدو كافية بالنسبة لهم في الاتفاقية ؛ بسبب أن هناك عدة أمور تظل مطالباً بها ، منها في المقام الأول : فكرة تدمير وهدم جميع أبراج المراقبة ، والمواقع الحصينة في المملكة ، والمعاقل الأخرى الموجودة ، التي ما زالت تؤول إلينا .

بالمثل ، أسوار المدينة ، وتسديد جميع النفقات التي استدانها الإمام بسبب القتال ، والتي لا تقل بأي حالٍ من الأحوال عن مائتي "بارداوس" ، وشروط مماثلة أخرى سوف يتلقى الرد بشأنها في نفس اليوم ، عند الساعة السابعة مساءً ، ولهذا السبب ، فمن الضروري أن يتم الوصول إلى اتفاقية ، بحيث يصار إلى إرسال الرد فيما يتعلق بالموضوعات المطروحة .

يجب أن يعطى هذا الاعتبار ؛ نظرا لأهمية وسلامة قلعة مسقط هذه ، والأمور المتعلقة بها ، فيما يتعلق بمصلحة خدمة صاحب الجلالة ، وسمعة قواته الحربية التي يوليها القائد الأعلى جل اهتمامه .

هكذا ، يمكن وقف القتال إلى حين وصول التعزيزات من الهند ، وبالمثل ، تقدم قائد أعلى قوات الأسطول بالسفن التي يتولى قيادتها بأسرع وقت ، وبالتالي ، يمكن أن نستبعد أي شرط كنا قد التزمنا به ، ولكن ، تبين لنا عدم جدواه ، بحيث إنه لا يفي بغرض حماية هذه القلعة .

أما بالنسبة للإمدادات ، فإن أكثرها أهميةً للحرب ولأغراض الدفاع هي الذخائر "الرصاص" ، وهو ما ينقصنا .

يقول وكيل صاحب الجلالة- الذي كان حاضراً- إنه لم يعد لدينا قدرٌ كافٍ من الرصاص أكثر من خمسة وعشرين ألف رصاصة ، وهي أكثر من عشرة آلاف وخمسمائة رصاصة في القلعة ، والقلعة المجاورة ، وفي المخزن ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن الكمية تكفي فقط لمدة أقل من عشرة أيام ، وهناك النقص في طلقات الرصاص ، ولا توجد وسيلةٌ قط لتصنيعها .

هناك مخاوف من عدم مصداقية العسكريين ، التي زادت حدةً بسبب الفئة التي تم اعتقالها ، واعتقال البعض منهم رجماً بالغيب ، بناءً على الرسائل .

للأهمية التي يقتضيها هذا الموضوع ، تم تدارس الأمر بواسطة جميع أعضاء المجلس ، لكن لم يتم تقرير أي شيء ، وهذا ما أدى إلى ضرورة الاتفاق في اليوم السابق على أنه إذا ما كان الأمر فعلاً حقيقاً بالتفاوض لأجل السلام ، فلابد من التنازل عن الامتيازات من جانبنا .

مرة ثانية ، أشار العدو بغطرسةٍ وتكبرٍ ملحوظين ، أنه على علم بكل أوضاع القلعة ، وبكل ما يحدث فيها من نقص . غير أن من كانً حاضراً حينها لم يكن يرى أي حلٍ في الوقت الراهن ، غير أن نوافق على أكثر مما سبق أن وافقنا عليه ورضينا به ، وهو ضرورة هدم أبراج المراقبة وتسويتها بالأرض ، ويبدو هذا هو الشرط الأساسي بالنسبة إلى كبير مسؤولي الخزينة ، وقد كان سعيد بن خليفة يلح عليه بشدة كي يوافق على السلام .

بهذه الطريقة ، فإن قلعة مسقط هذه وخليجها سوف يتم تأمينهما ؛ لأنه في حالة وصول أية تعزيزات أو دعم ، سوف نتمكن من جانبنا أن نعدل البنود التي تم الاتفاق عليها إذا كانت غير ملائمة ، وبالمثل ، المدة الزمنية التي نحتاجها لتدمير أبراج المراقبة ، وهو الأمر الأول الذي يجب تنفيذه ، ومن بعده هدم الأسوار ، وذلك لتأجيل الأمر حتى الوقت الذي نراه مناسباً لنا .

هذه أنسب وسيلة لتحقيق الغاية المطلوبة ، وتأمين سلامة قلعة مسقط وخليجها ، وبالمثل ، تأمين إيراد مركز الجمارك ، الأمر الذي سبب نقصاً كبيراً في مالية القلعة وبقية المناطق في المضيق والأسطول ؛ لأن "غوا" لا تفي بدعم كافٍ لتغطية النفقات .

تلك كانت الطريقة التي ينظرون من خلالها إلى طبيعة الأوضاع ، ولابد من إعطاء ردٍ لكبير مسؤولي الخزينة حول ما جاء في تقريره ، وقد وافق القائد العام على كل هذا ، ملتزماً بما ورد من تقرير بشأن النقص في الذخائر في المقام الأول .

أما بدون هذه الأشياء ، فسوف يكون من الصعب المحافظة أو الدفاع عن هذه القلعة ، ومن المؤكد أنها سوف تضيع في حالة ما إذا حدث هذا ، بل سوف يضيع كل شيء في المضيق بأكمله .

هناك مشاكل أخرى ليست أقل أهمية ، ورد التقرير بشأنها ، وليس في مقدور هذه السلطة إيجاد حلٍ لها ، حتى ولو ضحى بحياته ومملكته .

لقد أمر بإعداد هذا السجل وكتابته بواسطتي ، بموجب الأوامر الصادرة من القائد العام في المجلس ، قمت بذلك بمساعدة الراهب

"لويس دي مادري دي ديوس" ، رئيس دير الرهبان في رهبنة القديس "أوغسطين" ، بصفتي سكرتيراً ، ومن ثم قمت بالتوقيع كما فعل الآخرون الوارد ذكرهم أدناه ، وقد تم ذلك في الشهر والسنة المشار لهما آنفاً :

"دوم جيليانيس دى نورونها" ، والراهب "لويس دي مادري دي ديوس" ، رئيس دير الرهبان "فالنتيم كوريا" و"دوم كارلوس دي آرو" ، "فيرناو دوس سانتوس ريبيرو" ، و"جورج رودريغيز كوريا" ، و"مانويل دا سيلفا" ، و"مانويل فاريلا" ، و"مانويل مارتينهو بنتو" ، و"أنطونيو باربوسا" .

"فرانسيسكو ماركيز دي سيربا" "Francisco Marques de Cerba" ، "براس باريروس دا جاما" ، و"جواو دي أزيفيدو" ، والقس "نيكولاو فيرنانديز" ، "مانويل أنطونيز" ، "فيسنتي دي أوليفيرا" ، "غاسبار فيرتادو دي برادو" .

هذه صورة طبق الأصل حسب الموجود بحوزة القائد "دوم جيليانس دي نورونها" .

كتب بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما" كاتب العدل في إدارة الخزينة والوكالة في قلعة مسقط في يوم الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

"غونسالو دي ليما"

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

كتبت نسخة من خطاب "كارلوس دافونسيكا" "Carlos da Vonsica" قائد قلعة قريات ، بشأن الأوضاع في القلعة ، قريات ، الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م : (٣٠)

كتبها "غونسالو دي ليما" كاتب العدل في الخزينة والوكالة في مسقط .

في رسالة أخرى يفترض أنك قد استلمتها ، كنت قد أخبرتك عن طبيعة الأوضاع التي وجدت فيها نفسي وأنا في هذه القلعة ، والتي لم تعد كسابق عهدها ، عندما أوكل لي أمرها .

حقيقةً ، يبدو الوضع خطيراً جداً ، والرب وحده هو العالم بما سوف يحدث الآن .

لقد رأيت أنه من الأصوب أن أفيدكم بالأخبار التي وصلتني من طرف صديقي الشيخ ، حيث أفادني بأن العدو يخطط لإرسال

---

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

خمسمائة من المقاتلين في السفن التي سوف تأتي ، عبر القتال متجهةً إلى جبل "سيرا دو فيريرو" ، مروراً بالمستشفى ، إلى أن تصل هذا الميناء ، ولهذا ، فبوسعك أن تلاحظ أنه قد تم تحصينها في ذلك الجانب .

إذا ما حدث هذا ، فأعتقد أنه سوف يشكل لنا مشكلة خطيرة .

بالإضافة لهذا ، كان الشيخ قد أخبرني أننا لا نعمل في مسقط شيئاً يجهله العدو ، وهكذا كان الوضع ، إذ إنك عندما عزمت على نقل مدفعيتك ، كان قد أخبر داخل مسقط أنه يجب نقلها من هناك ؛ بسبب ما تحدثه من أضرار ، ويستنتج من هذا أن مسقط لا تفتقر لوجود الخونة والمارقين ، وبالتالي ، يجب أن تكون حذراً ويقظاً من خطر وجودك بينهم .

لقد أرسلت لك المساعدات التي طلبتها مني ، وهكذا ، تركت هذه القلعة وهي في حالة يمكن للعدو أن يستولي عليها ، ويمكنه أن يقضي قضاء مبرماً على كل الجنود والبحارة إذا ما حدث هجوم ضدها .

كما سبق أن كتبت لك عن أحد المعاقل الحصينة الذي تهاوى نصفه إلى الأرض ، فإن هناك جزءاً من سوره على وشك الانهيار ، حتى ولو لم تهطل الأمطار ، وإذا ما هطلت ، فلا شك من انهياره وسقوطه ، وبسبب خوفي من حدوث هذا الأمر ؛ عملت على إحضار جميع الأسلحة الواحد تلو الآخر من كتيبة الخيالة ، ووضعتها داخل القلعة .

أسأل الرب أن يحمينا ، وأن يحفظ جلالتكم بما أتمناه لكم .

قريات ، الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م

"كارلوس دا فونسيكا"

هذه نسخة مطابقة للأصل الموجود بحوزة القائد العام "دوم جيليانس دى نورونها" .

كتب بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما"

كاتب العدل لدى صاحب الجلالة في خزينة ووكالة قلعة مسقط

الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

كتبت نسخة من رسالة "كارلوس دا فونسيكا" القائد في قريات ، بشأن التحصينات والدفاع عن قريات ، قريات ، الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م : [٣١]

كتبت بواسطة "غونسالو دي ليما" ، كاتب العدل في الخزينة ووكالة مسقط

بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

آمل أن تصلك رسالتي هذه ، وتجدك في أتم وأكمل صحة ، كما أتمنى لك النصر ضد هؤلاء الأعداء ، الذين ما برحوا يقيمون احتفالاتهم بشكل يومي ؛ كي يرهبوننا بواسطة أولئك القوم السود هنا .

حقيقة ، لدي خمسة من العسكريين في أحد المتاريس ، وخمسةٌ آخرون في موقع آخر ، وكان بودي أن أرسل لك اثنين من الجنود في هذا المركب ، لكن ، لم أتمكن من ذلك ؛ لأنه إذا ما غادر العسكريون

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

فلن يتبقى معي سوى القليل منهم ، فقد هرب واحد منهم بحراً عندما أرسل لإعطاء الأخبار ، الأمر الذي جعل بقية العسكريين الآخرين يعيشون في خوفٍ دائم .

لقد طلبت مني أن أتصرف بشكل أكثر قسوة وصرامة ، ولقد تصرفت على ذلك النحو ، بحيث قمت بنقل جميع الرجال وأغراضهم إلى المعقل الرئيس ؛ لأن هذه القلعة متهالكة ومتداعية ، ولا شك أنها سوف تنهار قريباً ، حتى ولو لم تهطل أية أمطار ؛ لأن أحد أجزائها ، -وأقصد البستين- قد تداعى وسقط بالفعل .

عليه ، فإذا ما آل هذا الحصن إلى خراب بسبب قلة الرجال ، فيجب عليك أن تخبرني بذلك ، فمن الأفضل لي أن ينهار هذا الحصن ؛ لأن الطاعون لم يدع أحداً إلا وأصابه في تلك القلعة .

إذا كان عدد من معي من الرجال لا يزيد عن الخمسة ، فذلك يعزى لحقيقة أن الجنود والعسكريين مصابون جميعاً بالمرض . أما العسكريان اللذان هربا عندما كان الشيخ موجوداً ، هنا فقد أمرت بقطع رأس الأول الذي تمكنت من اعتقاله ، وبذلت قصارى جهدي لقتل الآخر ، حيث لاحقته في مزارع النخيل مقدماً مكافأة مائة "لارينز" لمن ينجح في قتله ، لكنه أفلت هارباً إلى مسقط ، وهكذا ، فلنرى ما إذا كان ذلك سوف يوقف هذا القتال المستمر .

أسارع بأمرك أن ترسل بشكل عاجل (بدنة/ مركباً) يمكن أن تغادر في وقت حراسة أول الليل ، لتصل إلى هنا عند انبلاج الفجر ، وذلك

كي أتمكن من إبلاغك بما يستجد من الأخبار ، وإذا ما كانت تعمل بستة مجاديف ، فيمكنها الإبحار من هنا دون التعرض لأية خطورة .

أناشدك مجدداً أن تسارع في إنجاز هذا الأمر ، وأنصحك بضرورة تسليح بعض السفن الصغيرة التي يمكنها تأمين الخليج في جانب كلباء ؛ حتى لا يتمكنوا من الإبحار في مراكب صغيرة نحو ذلك الجبل الذي ينحدر قريباً من المستشفى ، ومن ثم يعملون على تسلقه ؛ لأن الخونة ينظرون إلى جميع الأسوار .

أعتقد أنني لست في حاجةٍ كي أخبرك أن تحرص على تنبيه الحراس ، إذ يجب عليك أن تأمرهم بفتح الأبواب المسحورة ، فعليك أن تقوم بفتحها كلها "اثنا عشر باباً" ، حتى لا يجد العدو فرصة لموطئ قدم في أيٍ منها ، وذلك لأجل البوابة (؟) .

أرجو أن تسامحني على هذه الجرأة والحماس ، سيما أنك مشغول البال بالكثير من الأمور الأخرى ، غير أنني أصوغ هذه التحذيرات ؛ لأنني أدرك أنك محاصر بالكثيرين من الخونة والمارقين ، لكن ، سوف يساعدك الرب إذا ما قام الأعداء والخونة بمهاجمة الأسوار من جانب المستشفى .

لكن ، إذا ما أحكمت المراقبة جيداً ، فلن تكون هناك أية صعوبة إذا ما عملت على توزيع جرار البارود ، ونشرها على طول امتداد الأسوار ؛ لأنه يوجد ستين درجة بموقع السلالم .

لقد أخبرت أن كل فرد يجب أن يكون حذراً جداً عند هذا الدرج [بخصوص قاربيو لا] ، هناك توجد والدته وابنة أخيه ، ولا بأس بزوجته

بالرغم من أن شقيقها يعتبر من الخونة . أما ذلك الأسود ، فإنه حسن الطوية ، ومخلصٌ ، ويمكنك استخدامه في القتال .

إذا ما أحسنت معاملته فلن يلجأ للهرب ، سيما إذا شعر بأن أمه وابنة أخيه في أمان ، وعليه ، فبوسعك أن تثق فيه وتعتمد عليه ، ومن المفارقات العجيبة أنهما شقيقان . لكن هذا الرجل ظل دائما مصدراً للثقة والأمانة .

أعتقد أنني سوف أضطر للتخندق قريباً ؛ لأنه ليس معي سوى فئة قليلة من الرجال ، وسوف أكون ممتناً لك إذا ما عملت على تزويدي ببعض المؤن والذخائر .

بوسعك فعل ما تريد من الآن فصاعداً .

إذا ما وصلت السفن في الميناء ، أرجو ألا تغفل أمر هذه القلعة ؛ لأنني أدرك تماماً أنني إذا ما تعرضت لأي هجوم ، وعملت على إخلائها ، فلن أتمكن من فعل أي شيء سوى إخبارك بذلك .

لم يتبق لي شيء آخر يمكن أن أخبرك به .

قريات الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ،

خادمكم "كارلوس دا فونسيكا" .

نسخة طبق الأصل للإفادة الموجودة بحوزة القائد "دوم جيليانس دى نورونها" .

كتب بواسطتي "أنا "غونسالو دى ليما"" الكاتب العدل في خزينة ووكالة صاحب الجلالة في قلعة مسقط

بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

صدر تقرير عن الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في مسقط ، في العشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، حول المطالب التي طلبها سعيد بن خليفة من طرف اليعاربة : [٣٢]

في العشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، في قلعة مسقط هذه ، وفي رهبنة القديس "أوغسطين ، وفي اجتماع المجلس الذي عقد في التاسعة صباحاً ، بأمر وحضور القائد العام "د .جيليانس دي نورونها" ، قام بوضع ما يلي أمام المجلس .

وذلك بحضوري شخصياً كاتب العدل في الخزينة الوارد اسمي أدناه ، بحضور الأعضاء والمساعدين والموجودين في المجلس ، القائد "غاسبار فيرتادو دي برادو" الآمر في قلعة مسقط ، قائد عام الأسطول "براس كالديرا دي ماتوس" "Bras Caldeira de Matos " .

الذي وصل هذا الصباح في سفينته الشراعية قادماً من خورفكان

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

برفقة سفينة أخرى من الأسطول ، كبير مسؤولي الخزينة "فالنتيم كوري" ، وقاضي السلطات القضائية لصاحب الجلالة "فيرناو دوس سانتوس ربيرو" ، ووكيل صاحب الجلالة "مانويل دا سيلفا" .

المحترم الكاهن ورئيس دير الرهبات في رهبنة القديس "أوغسطين" "لويس دي مادري دي ديوس" ، والمحترم الكاهن "مانويل أنطونيز" ، وقائد القلعة التابعة "دوم كارلوس دي أرو" ، وقادة البوابة الوسطى وبوابة الكاسدوس "مانويل فاريلا" ، و"نيكولاو فيرنانديز" ، وعدد من القادة والفرسان الموقعين أدناه .

على الفور ، قدم سعادة القائد العام مداخلةً بما يفيد أن عليهم جميعاً أن يعلموا أنه في يوم أمس التاسع عشر من الشهر الجاري ، كان الشيخ (سيا sia)[(أ)] قد التقى القائد العام برفقة سعيد بن [خليفة] قائد القوات المقاتلة ، وقد جاء إلى هذه القلعة بأمر من الإمام ؛ لأن المذكور (سعيد بن خليفة) قد أرسل في يوم الثامن عشر من الشهر طالباً السماح بالتفاوض بشأن إبرام معاهدة السلام والصداقة ، ووضع حدٍ نهائي للحرب القائمة .

لقد تناولت الأطراف هذا الموضوع بالنقاش منذ عدة أيام مضت ، وبما أنه لم يتم ذلك ، فقد طالب الشيخ بأن يكون صديقاً للبرتغاليين ، بل إنه يعتبر نفسه تابعاً لملك البرتغال ، زاعماً أنه الطرف الثالث في فترة القائد العام "فرانسيسكو دي تابورا دى أتيد" إبان فترة تلك الحروب ، وقتها ، حيث رغب في الإفادة من تلك الفرصة .

(أ) شيخ الصير ، الشيخ علي بن صالح القاسمي

قد جاء لهذا الغرض ؛ كي يتفاوض بشأن المعاهدات والاتفاق على ما تم التفاوض حوله بواسطة الطرفين ، في وجود كبير مسؤولي الخزينة .

في العاشرة من صباح هذا اليوم ، تم الاتفاق على أن يرسل له القائد العام رداً ، بما تم الاتفاق عليه بخصوص شروط السلام .

حول المطالب التي طرحت بواسطة سعيد بن خليفة ، والتي بمعزل عن الموضوعات التي ذكرت ، من هدم وتدمير أسوار المدينة وأبراج المراقبة ، لكن لم يتم تنفيذ هذا الأمر أو ذاك ، هذا الأمر تم بحثه بواسطتنا للأسباب والمبررات المعروفة لدينا جميعاً ، ولهذا السبب ، تبين لنا أنه من مصلحة وسلامة قلعة مسقط هذه ، ومصلحة المقيمين فيها .

حتى لا يتوقف دخل مركز الجمارك ، سيما والمساعدات المطلوبة لتغطية نفقات الحرب لم تصل بعد . لكن بفضل الرب ولطفه توقفت الحرب إلى حدٍ كبير ، وذلك بسبب وصول القائد الأعلى ، وأيضاً بسبب عدم وجود أية دوافع لمواصلة القتال ، وهي دوافع لم يعد لها وجودٌ وقت قيامنا بمناقشة معاهدة السلام .

على العموم ، فإن من يعتبرون أنفسهم معنيين بالرد الذي سيرسل للشيخ في (سيا) في هذا الموضوع ، والذي ما يزال يرتبط بهيبة المملكة ، وسمعة جيوش صاحب الجلالة ؛ لأن هذا شأن هام بالنسبة للقائد الأعلى ، وأيضاً الأخذ بعين الاعتبار الخطر المتزايد ؛ بسبب عدم الولاء من جانب العسكريين والبعض من قادتهم المتمركزين في البستين والمواقع الحصينة في البلاد .

في أبراج المراقبة ، والذين أخبر القائد العام مجموعة المؤتمرين عنهم ؛

حتى يتم التفاوض بشأنهم أيضاً . كل هذا تم تدارسه بواسطة أعضاء المجلس ، مع الأخذ في الاعتبار الوضع الذي ورد تقريرٌ عنه ، والوضع المطلوب في الوقت الراهن .

جاء الاتفاق بالإجماع على إرسال الرد للشيخ في [سيا] كما ذكرنا ، كي يفاد بأنه كان قد جاء للتفاوض حول السلام بصفة وسيط ، مع اتفاقيات أعطي تقريرا عن شروطها ، يفيد أنها شروط غير معقولة وبعيدة عن المعقول ... لذا ، فإننا نعتبرها من جانبنا مرفوضةً جملة وتفصيلاً .

على كلٍ ، فإذا ما رغب من التفاوض مجدداً في هذا الموضوع ، وتقدم بشروط معقولة ، فسوف يصار إلى إرجاء ذلك ، شريطة أن يتم التفاوض حول ما نطرحه ، مع الأخذ في الاعتبار الاحتياطات المطلوبة بسبب الحرب ، وما يتعلق بخدمة صاحب الجلالة ؛ لأننا وبحمد الرب لسنا في حاجة ، ولا تنقصنا متطلبات القتال .

أما ما يتعلق بمسألة السلامة المفترضة ، والتي ذكر أنها تحققت فيما يختص بعدم ولاء بعض العسكريين وقادتهم ، فإن هذا الموضوع سوف يحال للقائد الأعلى ؛ كي يبت فيه وفقاً لما يراه مناسباً ، وما تقتضيه أهمية الأمر . سوف يتم تزويد أبراج المراقبة بجنود جدد ؛ كي يقوموا بالحماية .

تلك هي الوسيلة التي يجب أن تتبع لتيسير هذه الأمور ، وقد وجدت الموافقة من القائد العام .

لقد صدر الأمر بضرورة كتابة هذه المعاهدة ، وبالفعل قمت أنا "أنطونيو فيريرا ماركويس" "Antonio Ferriera Marquez" بكتابتها بصفتي كاتب العدل في خزينة ووكالة قلعة مسقط ، بعد التدقيق في

تفاصيلها ، وقد قام القائد العام بالتوقيع عليها ، وكذلك فعل بقية الحضور في اليوم والشهر والسنة المذكورة ، حسبما كتب أعلاه :

"أنطونيو فيريرا ماركيز" و"دوم جيليانس دي نورونها" ، و"غاسبار فيرتادو دي برادو" و"براس كالديرا دي ماتوس" ، و"فالنتيم كوريا" و"فيرناو دوس سانتوس ربيرو" ، "مانويل دا سيلفا" ، والراهب "لويس دي مادري دي ديوس" .

والمحامي القس "مانويل أنطونيز" ، و"دوم كارلوس دي أرو" ، و"مانويل فاريلا" ، و"نيكولاو فيرنانديز" ، و"براس باريروس دا غاما" و"جورج رودريغيز كوريا" و"فرانسيسكو هنريكس دي فاريا" "Francisco Henrique de Varia" .

هذه المعاهدة مطابقة للأصل الذي حفظ في سجل دور انعقاد المجلس ، في السجل صفحة ٤٢ في الذي أشرت له .

مسقط ، الحادي والعشرون من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م

"أنطونيو فيريرا ماركيز" .

نسخة مطابقة مع الأصل الذي يجب أن يكون بحوزة القائد العام "دوم جيليانيس دى نورونها" .

كتب بواسطتي ، أنا "غونسالو دي ليما" ، الكاتب العدل لجلالته في خزينة ووكالة قلعة مسقط .

"غونسالو دى ليما"

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

صدرت رسالة من "فالنتيم كوريا" إلى جلالة الملك ، بشأن تحصين القلعة في مسقط ، التاسع عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م : [٣٣]

الأوامر الصارمة يجب أن تجد كل المراعاة والالتزام الكامل بالعمل بمقتضاها ، وعدم التهاون في وضعها في مسالك التنفيذ .

يجب على جلالتكم ألا يستهجن التماساتي ومطالبي التي أحيلها إلى جلالتكم ، مع كل التقدير والاحترام لجلالتكم ، و"د . جيليانيس دي نورونها" ، القائد العام في هذا المضيق ، والقائد في قلعة مسقط .

في إطار ما أعتبره ضرورياً لتأمين وسلامة هذه القلعة ، وكل أمر آخر أراه في مصلحة صاحب الجلالة (حفظه الرب) ، أفيدكم أن مصادر الدخل من مركز الجمارك هنا ، والتي يعتمد عليها في إبقاء وحفظ هذه القلعة ومواقع العسكرية- بل جميع القلاع في الجزيرة العربية - ، وبالمثل ، الأسطول الموجود في هذا المضيق .

---

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

قد بلغت درجةً من الجفاف ونضب معينها ، وذلك بسبب الحرب الحالية التي ظلت مستمرة حوالي أربعة عشر شهراً ، ولقد أجبرني هذا لإرسال هذا الالتماس إلى جلالتكم ، وذلك بالإنابة ، ولأجل مصالح صاحب الجلالة ، ولأجل سلامة ما ذكرته أعلاه .

في إطار الضغوط التي يمارسها أعداؤنا العرب بالجوار على قلعة مسقط ، وهي من الأهمية بحيث إن حماية جميع القلاع الأخرى في هذا الساحل تتوقف عليها ، وفي إطار ضرورة توفير نفقات ضخمة من الخزينة الملكية لجلالته ، لأجل مواجهة هذه الحرب الطويلة والمستمرة التي يشنها العدو المجاور ، والذي لا تخفى قوته على أحد ، فإنه يجب على جلالتكم مراعاةً لمصلحة جلالته السعي لإيجاد اتفاقية للسلام ، بغية وضع حدٍ لهذه الحرب .

بتلك الطريقة ، تضمن تحقيق الأمن والسلام لقلعة مسقط ، ومواقعها العسكرية ، وميناءها ، ومصادر الدخل في مركز الجمارك ، الذي يعتمد عليه في كل شيء يملكه جلالته في هذه المناطق ؛ لأنه إذ لم تكن تؤول إليه ، فمن المستحيل أن تجلب المساعدات من الهند لأجل ذلك الغرض ؛ بسبب ضعف مصادر الدخل في المملكة ، وهو أمرٌ يعرفه الكثير من الناس ، خاصةً جلالتكم .

الخزينة الملكية خاوية ، لا يوجد فيها ما يمكن أن يغطي تلك النفقات ، كما لا توجد أية مصادر أخرى بما يكفي ، وليس من الممكن الحصول على أي قرض ، حتى بضمان ما يوجد من الذهب والفضة ، كما يدرك جلالتكم ، وأيضاً ، لا علم لنا بأي فردٍ يملك المال ، حتى يمكننا أن نطلبه منه .

الوكالة وجميع المخازن فارغة تماماً من المؤن الضرورية ، والأمر نفسه بالنسبة للأسطول والنزاع الحالي ، بالإضافة إلى التزامات مالية تقدر بحوالي خمسة وعشرين ألف "بارداوس دي لاريس" ، كانت قد أخذت من بعض الأفراد نقداً ، وأشياء عينية أخرى .

بالرغم من قلة الجنود ، إلا أنهم أصبحوا عرضةً للمرض والموت في كل يوم يمر ، خاصة من جراء إصابتهم بداء "الأسقربوط" (مرض الرئة) ، وكما يعلم جلالتكم ، فالكثيرون من السكان المحليين قد توفوا بسبب هذا المرض ، ولهذا تقل أعدادهم في الخدمة ، وبالمثل ، يعاني الكثير من البحارة الذين قدموا مؤخراً في الأسطول من نفس المرض .

كذلك الحال بالنسبة إلى العسكريين ، إننا فعلاً نحتاج إلى ولائهم وإخلاصهم ، كما نحتاج للحماية منهم ، ولنا تجربةٌ في ذلك ، كانت نتيجتها أن خسرنا ميناء المكلا الهام ، الذي استولى عليه الفرس بعد أن تركت الحواجز والمتاريس دون حماية .

في ظل تواجد العدو في هذا المضيق ، وما يفرضه علينا من تعامل بخصوص الموقع العسكري وقلعة مسقط ، وأي شيء آخر يملكه جلالته ويحتفظ به في هذه المناطق ، حيث يتطلب كل ذلك نفقات باهظة على كاهل الخزينة الملكية- كما يعلم ذلك الذين يتولون مسؤوليتها من واقع معرفتهم وخبراتهم ، وخاصة جلالتكم .

إنه من الضرورة بمكان في المقام الأول أن يتم إعداد هذا الميناء لاستقبال السفن التجارية التي يعتمد مركز الجمارك في إيراداته عليها خاصة ، والميناء به رصيفٌ جيدٌ يوفر لها الحماية اللازمة .

كذلك للسفن القادمة من الهند والسند وبقية المناطق الأخرى التي تأتي منها بقصد التجارة هنا ، ولن نتمكن من ذلك إلا إذا أمكنها الرسو في الميناء ؛ لأن خارج الميناء تكمن فيه الأخطار ؛ بسبب هبوب الرياح التي تهب بعنف في وقت وجودها هنا ، وبالتالي ، لا سبيل لتوفير الحماية من تلك الأخطار ، أي في ذلك المرفأ ، بحيث تكون قريبة جداً من الشاطئ .

في حالة عدم تمكنهم من هذا الشيء الآن ، فإن مركز الجمارك هذا لن يحصل على أي إيراد ، ولن يكون ذلك مدعاةً للدهشة ؛ لأن السبب واضح .

بعدم تحقيق عائدات من مركز الجمارك ، فمن المؤكد أن يحدث الشح والقصور في كل ما هو ضروري ولازم لصون ذلك الموقع العسكري والأسطول ، وسوف يتعطل كل شيء في هذا المضيق عندما يهجر ، وعندما يحدث النقص في المتطلبات الأساسية لحفظها ، والجدير بالذكر ، أنه اضطرت سفينتان من سفن السند القادمة من "كنغ" لتحويل مسارها .

مما يخشى أمره ، أنه إذا ما كانت هناك سفن أخرى متوقع حضورها من البصرة ، أن تفعل الشيء نفسه عندما تعلم أن هذا الميناء لم يعد يؤول لنا ، وبالمثل ، السفن القادمة من السند أو الجهات الأخرى التي يمكن توقع حضورها .

نتيجة لما حدث ، كان العديد من التجار الذين حضروا إلى هنا قد أكدوا لي أكثر من مرة عزمهم على الابتعاد عن المنطقة بسبب الحرب ، وأنهم لن

يستطيعوا البقاء هنا في ظل استمرار القتال ، وبعض المشاكل الأخرى التي تثير قلقهم ومخاوفهم ، ولقد سبق أن كتبت تقريراً عنها لجلالتكم .

إنني واثق أنهم سوف يبحثون عن وسائل أخرى عندما تحين الفرصة ، ما لم تبذل جهود حثيثة لأجل تفعيل معاهدة للسلام ، والحصول عليها .

أيضاً ، يجب أن يوضع في الاعتبار ، أنه في غياب حركة التجارة والتجار لا شيء يمكن الحصول عليه بالنسبة لإيرادات مركز الجمارك .

شيء آخر يمكننا تحقيقه من خلال تفعيل معاهدة السلام ، هو أن العدو لن يتخذ طرقاً أخرى من الجبال ، وفي "لافادينز" (Lavdins) كما يتم اكتشافها بشكل يومي ؛ إذ ثبت أنها الأكثر خطورة ؛ لأنه لا يوجد جنود أو "عسكريون" يقومون بحراستها ، فإما أن يعمل لسحبهم من الأماكن الأقل خطورة ، أو نعمل بدونهم .

حقيقة ، يمتلك العدو قوةً ضخمةً من الرجال والعتاد الحربي ، وهذا شيء نعرفه جيداً ؛ ونظراً لأنه يحارب في أرضه ، فهو يتلقى الدعم والتعزيزات كل يوم ، في الأماكن التي يوجد ويتمركز فيها ، وأيضاً ، في المواقع التي يبدو فيها القتال ضدنا ، وهي أعالي الجبال ، وهو الأمر الذي يبرعون فيه ، وطبعاً ، لا يمكننا ملاحقتهم أو الخروج للبحث عنهم ، حتى ولو تلقينا تعزيزات ضخمة من الجنود كما نأمل .

لأنهم من خلال انتشارهم وتمركزهم في تلك الأماكن ، بوسعهم أن يلحقوا بنا الكثير من الخسائر ، كما ثبت ، وبواسطة استخدام المدفعية الثقيلة ، تمكنوا من قصف وتدمير تحصينات القلعة في حافة أعلى التل ،

غير قانعين بسيطرتهم على آبار المياه فيها ، والتي كنا نعتمد عليها في الشرب ، بالرغم من الخطورة العظمى التي كنا نواجهها .

أما بالنسبة للدمار الذي ألحق بالقلعة ، فقد شرعنا في إجراء أعمال التحصينات فيها من الداخل ، لكن ، ليس هنالك من متسع من الوقت ، كما أننا نفتقر للمواد الضرورية التي تمكننا من منع العدو من العبور إلى جانب المكلا .

أما بخصوص الدمار الذي أحدثه ذلك القصف المدفعي ، فإنه لا سبيل لإكمال عملية الترميم والبناء ، والشيء نفسه قد حدث بالنسبة للحصن الذي يتبع لنا في جانب المكلا قبالة القلعة ، وذلك بسبب المدفع الذي جلبه العدو عبر بوابة الريامي ، مستخدماً في دفعه قوة رجاله .

إذا ما حدث له أي ضرر ، وكان لابد من .... تحصينه ، لما أمكننا ذلك ؛ لأننا ليس لدينا العمال و(الكارات) لنقل الحجارة والرصاص ، وحتى إذا ما وجدوا لهذا العمل فلا سبيل للوصول إليه ؛ لأن الحصن يقع في أعلى الجبل .

لكن ينقصنا الكثير من العمال المحليين ؛ لأن أكثرهم قد مات ، ويموت كل يوم البعض من المجموعة القليلة من البحارة ، ممن بقوا في الأسطول ، ولا يمكن استخدامهم في هذا العمل ؛ بسبب المخاطر التي يمكن أن يواجهونها في الطريق المؤدي للقلعة ، وبسبب الدمار الذي ألحقه العدو بالمتاريس ، والدرابزين الموجود قريباً من القلعة .

من المؤكد ، أنها عندما دمرت بواسطة مدفعية العدو ، وهو ما يمكن أن يحدث في حالة عدم توقف الحرب ، خاصة وأن لديهم من رجال

المدفعية أفضل مما عندنا ، فسوف يصار إلى هجر وإخلاء القلعة بواسطة الموجودين فيها ، وحينها ، سوف يعمل العدو على اجتياح المدينة فوراً عن طريق الممرات التي سوف تفتح حينها أمامهم ، خاصةً بعد أن يستولوا على القلعة ، إذ يصعب حماية الموقع من الخارج .

أما في حالة انسحابنا للقلعة والحصن فوق قمة التل ، فإن جلالتكم يعلم بأمر تلك المؤن والإمدادات الموجودة في تلك المواقع والغذاءات الضرورية واللازمة التي نعتمد عليها للدفاع عن أنفسنا .

أيضاً كميات البارود والذخائر الموجودة في كليهما ، وإذا ما توفرت لنا هذه المتطلبات بالقدر الكافي ، وتلقينا المزيد من الدعم والتعزيزات عن الهند ، فإن الدعم لن يكفي إلا قليلاً ، بسبب أن ميناء المكلا لن يكون متاحاً لاستخدامنا كما هو معروف ؛ لأننا لم نعد نسيطر على ذلك الميناء ، ولن نتمكن قط من السيطرة عليه مجدداً إلا بواسطة توقيع السلام .

بالتالي ، لابد لجلالتكم أن يجتهد في هذا الأمر للحصول على هذه الاتفاقية .

في حالة عدم تحقيق هذا الأمر ، فالخطر لن يشمل قلعة مسقط وخليجها فحسب ، وإنما سيطال كل شيء يملكه جلالتكم في هذه المناطق ؛ لأن المحافظة على مقدراتكم تعتمد على إيرادات مركز الجمارك ، وهذا سوف يطاله الخطر أيضاً ، خاصةً بعدما أصبح ليس ميناءنا ، والمرفأ مغلق أمامنا .

أمر آخر أقل شأناً ، وهو تحقق السلام مع الهولنديين ، وإمكانية

حدوث عكس ما هو مرجو لجلالتكم وللملكة ، وإذا كان الأمر كذلك ، ولم يتم توقيع معاهدة السلام مع العدو ، فمن المؤكد أنه نكاية بنا سوف يمنح الهولنديين ذلك المعقل بأية شروط يرغبون فيها .

من الممكن أن يحدث هذا ، كما يجب أن يدرك جلالتكم ، وهذا أيضاً سبب مجبر للتفاوض بشأن السلام ، بل يمكن المطالبة به في حالة عدم إقدام العدو على اقتراح توقيع السلام .

أما بالنسبة للشروط التي ربما يرغب العدو في فرضها ، فإنه يمكن استجلاء أمرها من خلال ما حدث من جانبه ، على الرغم من أن شروط العدو ربما تأتي الآن وهي أكثر اختلافاً عن تلك التي طرحت بواسطة سعيد بن ظفار ، الذي تم التباحث معه حول مفاوضات مماثلة ، بمعزل عن مسألة هدم أسوار القلعة والحصون .

أما البقية التي سلم بها ، فيمكن معرفتها من خلال القرارات التي اتخذت في هذا الموضوع .

في اعتقادي ، أن هذه يجب أن تمثل الحد الأدنى الممكن التنازل عنه . لا يجب أن يعول كثيراً على هذه ، حيث لا يوجد سببٌ لتراجعهم عن أي دافع كان لهم في الماضي ، بل ربما عمدوا إلى إضافة شروط جديدة أخرى تنطوي على مخاطر كثيرة محتملة .

سوف يدرك جلالتكم أنهم يعلمون أن نائب الملك أو أسلافه قد نصحوا بضرورة هدم قلاع قريات و"دبا" ، معتقدين أن ذلك يصب في مصلحة حماية هذه القلعة ، ومدعاة لوقف الحروب مع العدو ، ولعل خلفية هذا الأمر هو أن مجاورتهم (متاخمة إقليمهم) هي ما سببت

تلك الحروب ؛ لأن تلك القلاع تقع قريباً جداً من قلاعهم ، وهناك اشتباكات ونزاعات تحدث بين رجالهم ورجالنا تؤدي إلى قيام الحرب .

لقد رأى أولئك النفر الذين كان أصحاب الأمر في القلاع التي يحتلها جلالتكم الآن ضرورة اتخاذ قرار عاجل لتجنب ذلك النزاع ، يضاف إلى هذا ، أن الحصون- تلك- أصبحت أقل استخداماً وأقل نفعاً لصاحب الجلالة عما كانت عليه في فترة تشييدها ، حيث إنها كانت تغطي تكلفة صيانتها ، وهذا أمرٌ لابد من وضعه في الاعتبار ، حتى ولو لم تكن لديهم هذه الأخبار المشار لها أعلاه بضرورة هدم القلاع ، كوسيلة للوصول للسلام .

هذا أمر يجب أن يثمن دائماً ، خاصة مع عدو مجاور كالجزيرة العربية ، لديه من القوة ما يمكنه من محاربتنا في مواقع لا يأملون في النجاح ، بسبب ما لدينا من القادة والزعماء الذين نعتمد عليهم ، وليس على العسكريين ، بسبب عدم مصداقيتهم وعدم ولائهم .

كل هذه الأشياء والكثير غيرها ، لها من الأهمية ما يجبرني أن أناشد جلالتكم مجدداً ، فلأجل مصلحة جلالتكم ، ولأجل الخدمة الملكية ، أن تعمل على المناقشة والتفاوض ؛ لتأكيد حماية وسلامة القلعة ومركز الجمارك وميناء مسقط ؛ لأن كل شيء يتوقف ويعتمد عليها في هذه المناطق ، ولأجل هذا الهدف ، لابد من وضع حد للضغوط والمخاطر التي تتهدد هذه القلعة .

تتهدد المجتمع المسيحي الموجود فيها ، وذلك من خلال إبرام

معاهدة السلام مع العدو العربي . حتى ولو قامت الاتفاقية على الشروط المذكورة أعلاه فقط ، ولم يحصل على أي شيء غيرها .

بهذه الطريقة ، يكون جلالتكم قد خدم الرب وجلالته بشكل أفضل من الاستمرار في مواصلة حربٍ لا طائل منها البتة .

لقد تأكد أنه يستحيل علينا أن نهزمهم ، وذلك للأسباب التي ذكرتها ، إلا إذا كان ذلك بواسطة الوسائل السلمية .

يجب على جلالتكم ألا يغض النظر عن هذا الأمر ؛ لأنه قد ثبت ويثبت دائماً أنك تعالج أموراً أقل أهمية عن الأوضاع الراهنة ؛ بسبب أنها تصب في مصلحة صاحب الجلالة . هذا من الأمور الهامة ، ويجب على جلالتكم ألا يتوانى في تحقيقها .

باختصار ، فإن هذه القلعة ، وكل شيء آخر يؤول إلى ملكية صاحب الجلالة في هذه المناطق ، لا يجب أن نخسره ويضيع من بين أيدينا .

ندعو الرب ألا يحدث هذا ؛ لأن جلالتكم فشل في أمر طلب منه الانتباه له ومعالجته .

بكل معاني التبجيل والاحترام ، الذي أكنه لشخص جلالتكم الملكي ، أفيد بالإنابة عن صاحب الجلالة ، أنه لابد لجلالتكم من إبلاغه عن الخسائر التي سوف تطاله عند ضياع هذه القلعة ، وضياع مواردها من إيرادات مركز الجمارك .

بالمثل ، لن تكون لنا الحرية في استخدام مرفأ هذا الميناء بالوسائل السلمية ، والقدرة على توفير رسو آمن للسفن التي اعتادت المجيء

إلى هنا من السند وغيرها من البلدان الأخرى ، والتي تدر إيرادات جيدة إلى مركز الجمارك ، وبالمثل ، صون كل ممتلكات ومقدرات صاحب الجلالة في هذه المناطق ؛ لأنه لا توجد مصادر دخل أخرى لخزينة جلالته يمكنني استغلالها كبدائل ، وبالتالي ، سوف يكون من المستحيل الحصول على الضروريات القادمة من الهند .

إنني أقدم هذا التقرير والالتماس ، بالرغم من أن هذا الخطاب يعتبر أيضاً بمثابة الطاعة والخضوع ، وأحتفظ أيضاً بنسخة مفصلة قدمت بواسطة الكاتب العمومي في الخزينة والوكالة ، وسوف أقدمها لجلالتكم ، وسوف يؤكد في حاشيتها أنه قد سلمها إلى جلالتكم .

تأكيداً لواجبي ، أفيدكم بأنني راضٍ كل الرضا على المنصب الذي تفضل به ومنحني إياه جلالة الملك .

إذا ما كان يعتقد جلالتكم ، أنه- حرصاً على مصلحة صاحب الجلالة- أن الاقتراحات والملاحظات التي وردت في هذا الالتماس يجب أن تطرح في المجلس ، فسوف يصار إلى ذلك ، وبالتالي ، فإن ما طلبته بنفسي في هذا الموضوع سوف يكون معلوماً لدى أعضاء المجلس .

بالتالي ، ربما يفصح من هم أكثر دراية وعلماً بالأمور عن وجهة نظرهم في حضور جلالتكم ، وهذا الشيء بخصوص الموضوعات نفسها عندما تم النقاش حولها في اجتماعات المجالس الأخرى ، حيث توافقت رؤاهم مع وجهات نظر الأغلبية ، ومن ثم تم اتخاذ القرار .

ليس كافياً أن تكون لهم شكوك ، ويظهرون قناعتهم بعدم اتخاذ قرار حول ما طرح عليهم فقط ؛ لأنهم بهذه الطريقة لن يكونوا على علم

تام بطبيعة الأوضاع في مسقط ، ولن يتفهموه جيداً ، وإذا ما تم عقد اجتماع للمجلس في هذا الموضوع للوصول إلى قرار ، فليعتبر جلالتكم أنني لست موجوداً هناك .

إنني أطالب بحق التصويت [.....] وفق ما هو مرسوم بتلك الوسائل ، ويمكن لجلالتكم التصويت بحرية فيما يتعلق بهذه التفاصيل .

أسأل الرب أن يحمي جلالتكم .. كما يحب ويرضى ... إلخ

مسقط ، الخزينة العاشر من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م ،

"فالنتيم كوريا" [....] .

نسخة طبق الأصل للوثيقة التي بحوزة الكابتن "د .جيليانيس دى نورونها" .

قد كتب بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما" الكاتب العمومي لجلالته في إدارة الخزينة ووكالة قلعة مسقط ، في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م

مسقط

"غونسالو دي ليما"

ملحوظة المترجم :

استخدم الكاتب لفظ "جلالتكم" كي يشير إلى ملك البرتغال "جواو الرابع" ، كما استخدم أيضاً لفظ "جلالته" للإشارة إلى ملك إسبانيا "فيليب الرابع" ، الذي استرد منه التاج البرتغالي في عام ١٦٤٠م .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

قدمت نسخة من شهادة القائد "براس كالديرا دي ماتوس" ، بشأن مساعدة قلعة مسقط ، مسقط ، في العشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م : [٣٤]

أنا "براس كالديرا دي ماتوس" ، القائد في مضيقي هرمز والبحر الأحمر ، أقر بأني قد أبحرت من الجزيرة العربية بسفني ، حيث تلقيت أمراً من سعادة القائد العام "د . جيليانس دي نورونها" كي أتوجه إلى مساعدة قلعة مسقط ، وعندما أخذت الإذن بالمغادرة من القائد في "دبا" ، أبلغني أنني أغادر تلك القلعة ، في وقت أصبحت فيه خورفكان في أمس الحاجة للحماية ، وعلى كل قلعة أن تذود عن نفسها .

عندما بلغت مسقط ، أخبرت القائد العام بهذا الأمر ، فأخبرني بضرورة كتابة إفادة بذلك ، وبالفعل كتبتها له ، ووقعت عليها بنفسي ، وأقسم بالسر المقدس أنها صحيحة في كل ما ورد فيها .

---

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

مسقط ، العشرون من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م ،

"براس كالديرا دى ماتوس" .

****

يوجد أصل الإفادة بحوزة القائد الأعلى د . جيليانيس دى نورونها" .

تم تحريرها بواسطتي ، أنا "غونسالو دي ليما" الكاتب العمومي في إدارة خزينة صاحب الجلالة وفي وكالة قلعة مسقط ، في هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م ،

"غونسالو دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

صدرت رسالة من "د . جيليانس دي نورونها" إلى نائب الملك ، بشأن معاهدة مع العرب العمانيين ، مسقط ، السابع من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : [٣٥]

لقد استلمت جميع رسائل جلالتكم التي أرسلت لي بواسطة سفن التعزيزات .

بدايةً ، يسعدني أن أطمئن على صحة جلالتكم ، داعياً الرب أن يديمها عليكم .

لقد استمر القتال ضد العرب ، وكان أكثر ضراوةً من جانبهم ، ويبدو أنهم يثقون كثيراً في المجموعات التي تمكنوا من جمعها وتأليبها علينا .

بناء على ما روي ، يبدو أنهم يريدون ويرغبون في إنهاء الأمر معنا ، لكن ، كان الرب إلى جانبنا في وقت الحاجة ، بحيث لم يتمكنوا من تحقيق مآربهم ، وأصدقك القول ، إنه لولا معجزة من الرب وحده لما

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

تمكنا من الهروب ، حيث وجدت نفسي في ذلك الوضع ، تائهاً في جبال المكلا ؛ لأن الآخرين المتمركزين هناك تركوا مواقعهم دون قتال ؛ لأنهم برتغاليون عسكريون بالمثل ، ولقد روي أنهم قد وعدوا بذلك .

لقد وصلت في يوم إبرام الاتفاقية ، وهو آخر يوم في شهر أكتوبر ، وسوف يتبين جلالتكم ذلك من خلال الشروط والوثائق المرفقة طيه ، وإذا ما تبين لكم حذف بعض المذكور منها في الاحتجاجات التي قدمها لي كبير مسؤولي الخزينة ، فإنه يجب على جلالتكم أن يطمئن على وجودها بحوزتي ، إذ بوسعي تقديمها عند الضرورة . هل لسعادتكم أن يتفكر ملياً في وضعي الآن .

أوضاع كل من معي ، الذين وجدوا أنفسهم يعيشون تلك الظروف الراهنة المشار لها ، حيث يموت أكثر من خمسين شخصاً بشكل يومي ، جراء الإصابة بمرض الطاعون ، ولا حديث للناس سوى الخوض في أخبار الخونة ، والتحدث عن الشكوك ، ومكائد المارقين؟

الآن ، بحوزتي رسالة وقعت في يدي ، كان أحد المسلمين قد كتبها إلى شخص ما في الجبال ، لا أعرف من هو ، يقول فيها إن الرب أيد الإمام بهذا النصر على أعدائه .

هذه تحمل فقط توقيع "محمد" ، وبما أن الكثير من الناس يحملون هذا الاسم ، فإنني لا أعرف تماماً من هو الشخص كاتب الرسالة ، بالرغم من أنني اعتقلت أحد الشيوخ مع اثنين من المسلمين تحت الاتهام ؛ لأن هناك زعيمًا آخر في السجن ذكر أنه سمع أن الشيوخ قد أقسموا مع اثنين آخرين على إشعال النار في المدينة .

لكني لم أعول على ذلك القول كثيراً ، حيث اعتقدت أنه لجأ لهذه الحيلة للحصول على حساب حريته بتوجيه التهمة للآخرين ، لكن الرب قادر على كشف الأمر .

هذا الاستياء والتعب الذي نتج عن تلك المشاكل ، قد سبب لي من الضيق والإزعاج بحيث لم أعد قادراً على البقاء في هذا المكان ، ناهيك عن تضوري جوعاً ؛ بسبب أنه لم يعد لدي ما يمكنني أن أرهنه ، إذ إن ما أسفت له وزاد من حزني أنني فقدت حاسة النظر بعيني اليمنى ، وحتى العين اليسرى ليست بأفضل حالاً عن اليمنى .

هذا ما دفعني كي أتوسل لجلالتكم أن يعمل على استبدالي عاجلاً بشخص يتولى هذا المنصب بأسرع ما يمكن ، ويجب أن يعلم جلالتكم بأنه إذا ما طال مكوثي في هذا المكان حتى شهر مارس المقبل ، فإما أن أفقد حياتي أو أفقد نظري ، وقد أخبرني أحد الأطباء الفرنسيين أنني إذا لم أرحل عن هذا المكان ، فسوف تسوء حالة عيني ، وحقيقة إنني لا أصدق أن جلالتكم يريد أن يراني كفيفاً أو ميتاً ؛ لأنني لا أستحق ذلك من جلالتكم .

في حال وصول سفينته من البرتغال تحمل لي فضل جلالتكم بالموافقة على بقائي في هذا المنصب ، فإنني أقدم بموجب هذه الرسالة استقالتي لجلالتكم ، إذ إنني لا أشعر بأنني قادرٌ على الاستمرار في ممارسة السلطة لفترة قادمة ، ولا أعتقد أن من مصلحة سيدنا الملك في شيءٍ أن تدار أموره بواسطة شخص اعترف جهاراً بعدم قدرته على العمل .

لهذا السبب ، فإنني أتوسل مجدداً لجلالتكم أن تسارع بإرسال من

يخلفني في هذا المنصب بأسرع وقت ممكن هذا الصيف ، وذلك كي أتمكن من الذهاب لقضاء موسم الشتاء في منزلي .

أدعو الله أن يمكن جلالتكم من تحقيق أمنيتي هذه ، ومنحي هذا الفضل ، وهو أقصى ما أطلبه من جلالتكم في هذا الوقت .

إذا كان الجنرال القادم لا يرغب في العمل خلال المدة المتبقية من خدمتي في القلعة هذه ، فيمكن لجلالتكم تكليف القائد الذي سوف يخلفني ، أو تحقيق رغبتي في إبقاء "غاسبار فيرتادو" للخدمة هنا ؛ لأنه أكثر الناس معرفة بالأوضاع .

أما في حالة عدم رغبة جلالتكم في الأخذ بأيٍ من الاقتراحين ، فإنني أعلن استقالتي من كلا المنصبين ؛ لأنني كما أكدت من قبل أنني لن أبقى في هذا المكان قط .

أما بالنسبة لما أمر به جلالتكم ، بخصوص موضوع السفير القادم من فارس بنية الذهاب إلى أوروبا ، في إطار مساعي الهولنديين الحميدة ، فسوف يتم له ذلك ، ولكن عن طريق وبواسطة شخصٍ آخر ؛ لأن "فرانسيسكو ماركيز" يتأهب الآن للذهاب إلى "غوا" في شهر يناير .

بما أنه لم يسبق له الذهاب إلى "جمبرون" ، ولا يتحدث لغة تلك البلاد ، فأرى من الأفضل صرف النظر عن تلك المهمة وتركها ، وسوف أعمل على إرساله إلى "بارتلوميو رودريغيز" " Roderigues " ؛ لأنه رجلٌ من ذوي الخبرة والثقة ، كان قد أدى لنا خدمات جليلة ، وحقق غاياتٍ بحماس ديني مشهود .

أما بخصوص الأمور الأخرى التي وردت في رسائل جلالتكم

التوجيهية ، فسوف أحاول إنجازها ؛ لأنني أعتبرها من صميم الواجب المكلف به من جلالتكم .

من بين جميع السفن التي قدمت بالتعزيزات في الثاني عشر من شهر نوفمبر وما بعده ، لم تتخلف منها إلا سفينة "أندريه بيريرا" ، ونسأل الرب أن يحفظه ، ويكتب له السلامة ، وأن يكون قد لجأ بسفينته إلى أحد موانئنا .

لا أحسب أن جلالتكم مضطر لتشجيعي على خلق علاقات حميدة مع "لوبو جومير" ؛ لأنني - يشهد الرب على ذلك - لست عدواً لأحد ، ويكفي أن جلالتكم قد أرسلته لي كي يخبرني بضرورة التوافق معه .

أرجو أن أطمئن جلالتكم ، وأؤكد حقيقة استعدادي الكامل للتنازل - حتى عن هذا المنصب الذي أعمل فيه - إذا ما رغب هو في ذلك ؛ لأن السنوات التي قضيتها في الخدمة كافية وليست بالقليلة . لقد سبق أن أعلنت عن عدم قدرتي على الاستمرار ؛ لأنني لم أعد ذلك الرجل الذي كنته عند قدومي إلى هنا .

إنني رجل كسير مهيض الجناح ، وأقل من ذلك ، إنني بلغت الخمسين ، ولهذا السبب ، أضع كل ثقتي في جلالتكم - وأملي كبيرٌ في تكرمكم - بالموافقة على إرسال أمر بيع سفينتي المتجهة للسند ، أو السماح لها بقضاء الشتاء في مدينة "غوا" تلك .

لابد لسموكم أن يكون ممتناً بالشكر للقائد الأعلى "براس كالديرا" ، للأعمال العظيمة التي أنجزها في كل من خورفكان ، وفي هذه المنطقة .

أسأل الرب أن يحفظ شخص سموكم ، إنه على ذلك لقدير .

مسقط ، السابع من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م

"د . جيليانس دى نورونها"

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

قدمت نسخة من الشهادة التي حررها قائد القوات العسكرية "براس كالديرا دي ماتوس" في مضيقي هرمز والبحر الأحمر لمساعدة قلعة مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : (٣٦)

في مسقط ، العشرين من شهر أكتوبر ١٦٤٨م .

أنا "براس كالديرا دي ماتوس" القائد الأعلى للقوات العسكرية في مضيقي هرمز والبحر الأحمر ... إلخ . أشهد وأقر أنه عندما أتيت من الجزيرة العربية بالسفن التي أبحر فيها بأمرٍ من القائد العام "د . جيليانيس دي نورونها" لأجل تقديم المساعدة إلى قلعة مسقط ، وعندما أخذت الإذن من قائد القلعة في "دبا" ، كان قد ذكر لي أنني أتخلى عن هذه القلعة وقلعة خور فكان ، وأتركهما من غير حماية ، حيث إنه أمام كلٍ منهما معركة لابد من خوضها .

---

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

عندما وصلت إلى قلعة مسقط هذه ، وأخبرت القائد العسكري عن هذا ، أشار علي بضرورة صياغة هذا الموضوع في شكل إفادة ، ولهذا السبب ، فإنني أقوم بكتابته الآن ، وأقر بتوقيعي عليه ، وأقسم بالسر المقدس على صحة ما ورد فيه .

مسقط ، العشرون من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م ، "براس كالديرا دي ماتوس" .

يتطابق النص هذا مع الأصل الموجود بحوزة القائد العام "د . جيليانيس دي نورونها" .

كتب بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما" ، كاتب العدل في خزينة ووكالة صاحب الجلالة ، في قلعة مسقط ، بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

"غونسالو دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

قدمت نسخة من شهادة "د . غونسالو دي ليما" ، بشأن توقيع الاتفاقية مع العرب ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : [٣٧]

نحن الموقعين أدناه : "براس كالديرا دي ماتوس" القائد العسكري في هذا المضيق ، و"فالنتيم كوري" المشرف على الخزينة ، و"غاسبار فيرنادو برادو" .

نشهد أنه بعد انتهاء دورة انعقاد المجلس في "سانتو اوغسطينهو" "Santo Augustinho" ، وعندما تحدث إلينا القائد العسكري عند المدخل ، وعلى مسمعنا ، خاطبه الكابتن "كريستوفاو دا فيجا" "Christofao da Vega" ، قائد السفينة .

قائلاً إنه في ظل التفاوض بشأن الاتفاقية ، يجب أن يصار إلى توقيعها بأسرع وقت ممكن ؛ لأنه يعلم- كما يعلم الجميع- أن الجنود

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

والبحارة العسكريين الذين كلفوا بمراقبة الجبال قد أخلوا مواقعهم لحظة مهاجمتهم من قبل العرب ، تماماً كما حدث في جبال (المكلا) ، (مكال مسقط) .

بما أن القائد العسكري أخبرنا بضرورة إصدار شهادة بما علمناه ، فقد كتبنا هذه الوثيقة ، ووقعنا عليها بأنفسنا ، كما وقع عليها أيضاً "كريستوفاو دا فيجا" .

إننا نقسم بالسر المقدس على صحة كل ما ورد فيها .

مسقط ، التاسع والعشرون من شهر أكتوبر ١٦٤٨م .

"براس كالديرا دي ماتوس" ، و"فالنتيم كوريا" ، "غاسبار فيرتادو دي برادو" ، "كريستوفاو دا فيجا" .

****

هذه نسخة من الأصل الموجود بحوزة القائد العسكري "د . جيليانيس دي نورونها" ،

كتب بواسطتي أنا ، "غونسالو دي ليما" ، كاتب العدل في خزينة ووكالة صاحب الجلالة في قلعة مسقط .

الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م

"غونسالو دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

قدمت نسخة من رسالة العريف "أنطونيو غودينهو دي كوادروس" "Antonio Goudinho de Quadros" ، بشأن المضايقات التي يتعرض لها ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : (٣٨)

كتبت في "كنغ" بتاريخ التاسع من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م .

إنه من رضا الرب أن يقدر مجيئي إلى هذا الميناء ، حيث تلقيت أخباراً غير متوقعة ، أسأل الرب ألا تكون حقيقية ، وبما أنها قد صدرت من قبل هؤلاء السود الذين يعادوننا بشكل دائم ، فإنني لم أعرها الكثير من الاهتمام .

أسأل الرب أن تصلك هذه الرسالة ، وتجدك مفعماً بالصحة ومتمتعاً بالعافية ، وأن يجعل وصول القائد العام سبباً في تحريرك من هذا الحصار .

---

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

لن يكون في وسعي أن أعطيك تقريراً كاملاً عن الإهانات الكثيرة التي تعرضت لها وعانيت منها في البحرين ، نتيجة تصاريح المرور التي يتم إصدارها بالكثير من التبرم والاستياء ، وعلى العموم ، فقد استعصى على استيفاء نصف الأموال أو أي شيء منها ، وذلك بسبب الكثير من احتيال السلطان والآخرين .

بحيث بدا لي أنهم جميعاً قد حصلوا على إعفاء في هذا العام نتيجة الحرب ، وأنهم لم يخبرونا بذلك .

تمكن "دومينجوس بيريرا" "Domingos Perriera" من استيفاء مبلغ ألف "لارينز" فقط ، وقد سلمها إلى (جيشاندي؟) كي يكمل المبلغ المستحق لك ، وقد سلمني هذا الوغد حقيبةً مختومةً مع مبلغ سبعة وأربعين ألف وسبعمائة وخمسة وسبعين "لارينز" ، وكيساً آخر من اللؤلؤ ، وسوف تبقى كل هذه بحوزتي ، إلى حين استلام توجيهاتك .

أيضاً ، لدي ممتلكاتي ، وهي عبارة عن مائتين وعشرة أبيكسن (abexins) كنت قد حصلت عليها من "جيرونيمو دا فونسيكا" "Jeronimo da Vonsica" مستحقة الدفع للمدعو "د . فرانسيسكو" من حسابكم ، وقد صدر أمر القائد العام لهم بضرورة تحصيلها .

****

لم أتمكن من إنجاز أي شيء يذكر في منطقة القطيف ، ولقد ذهبت للشاطئ مرتين كي أتحدث للحاكم ، لكنه لم يفعل شيئاً أو يقدم أي حل ، ويبدو ذلك الميناء مثل أي شيء في الوقت الراهن ، وكان بحوزتي القليل من المال الذي ترك في مركز الجمارك .

يجب عليك أن تخبرني بالوسيلة الآمنة ، كي أرسله إليك ، أو لك أن تصدر الأمر لما يمكن عمله ، وبالنسبة للأوامر الصادرة من قبل القائد العام ، فقد أبلغني أن أتوجه للقلاع الموجودة في الجزيرة العربية ، وسوف أرحل إلى هناك خلال هذا اليوم ، وسوف أبذل ما في وسعي للوصول إلى هناك .

إنني أدرك تماماً طبيعة الكثير من المشاكل التي سوف تواجهها هناك ، وأيضاً كل ما يمكن أن يشكل عقبة أمامك ؛ كي تأتي لمساعدتنا كما كان يحدث ، وعندما تسنح لي الفرصة ، سوف أكتب لك من الجزيرة العربية بشكل مطول ، كي أخبرك بما وجدته .

أسأل الرب أن يحفظكم ، وأن يحقق لكم من النصر والسمو والرفعة ما نتمناه لكم .

"كنغ" ، التاسع من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م

خادمكم المتواضع ، "أنطونيو غودنهو دي كوادروس"

القائد العام .

****

نسخة مطابقة للأصل الموجود بحوزة القائد العام "د . جيليانيس دي نورونها" .

تم نسخها بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما" كاتب العدل لصاحب الجلالة في إدارة خزينة ووكالة قلعة مسقط .

الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

"غونسالو دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

حررت شروط المعاهدة التي تم توقيعها بين الشيخ إمام ناصر بن مرشد بن مالك وبين القائد العام في مسقط "د . جيليانيس دي نورونها" ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : [٣٩]

في الثالث عشر من شوال من عام ١٠٥٨هـ ، الموافق الثلاثين من شهر أكتوبر في عام ١٦٤٨م حسب التقويم البرتغالي .

جمع اللقاء الذي حدث في شاطئ (الريامي) كلاً من الشيخ سلطان بن (سيف) بن مالك [اليعربي] ، قائد القوات المحاربة ، ومعاون الإمام راشد بن سالم ، ومعاون آخر للإمام ، وهو علي عبد الله الرستاقي ، والشيخ علي بن صالح القاسمي ، وقد أتى جميع أولئك النفر بالإنابة عن الإمام .

من الطرف الآخر ، كان هناك بالإنابة عن اللورد القائد العام ، كبير

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

مسؤولي الخزينة "فالنتيم كوري" ، والمحترم "مانويل أنطونيز" كاهن مجلس الكنيسة الأم في هذه القلعة ، و"مانويل فاريلا" قائد بوابة "الكاسادوس" ، و"أنطونيو باربوسا" أحد "الكاسادوس" المقيمين في هذه القلعة .

من واقع كل الصلاحيات والسلطات التي كفلها الإمام للشيخ سلطان بن سيف ، وبالمثل ، الأوامر الرسمية والتفويض الممنوح لكبير مسؤولي الخزينة من قبل القائد العام ، فقد اجتمع الطرفان لأجل إبرام معاهدة السلام ، بغية وضع حدٍ حاسمٍ للحرب الدائرة بين القائد العام والسلطان بن سيف في مسقط ، وكل أمرٍ ذي صلةٍ بنفوذ الملك "جواو الرابع" ، ملك البرتغال في هذه المناطق .

عليه ، قام الشيخ سلطان بن سيف بأداء قسم اليمين ، أما "فالنتيم كوريا" كبير مسؤولي الخزينة فقد أدى من جانبه القسم على كتاب القداس ، وهو الكتاب المنزل عند الرب على سيدنا المسيح عيسى ابن مريم ، بأن يكون بينهما سلام دائم يعملان على صيانته والمحافظة عليه ، وبالمثل ، صداقة وطيدة يجب على كلا الطرفين مراعاتها .

قد التزم كلٌ منهما بعدم انتهاك معاهدة السلام هذه ، وأقسما على عدم الخروج على أيٍ من الشروط الواردة فيها ، وأن يكون كل طرفٍ من طرفي المعاهدة ملتزماً بالعهد ، ومسؤولاً أمام الرب عن تنفيذ الشروط الواردة فيها ......

هذا ما لزم بيانه ، والرب خير شهيد .

البند الأول من المعاهدة :

أشار إلى ضرورة قيام البرتغاليين بهدم كلٍ من قلعتي "قريات" و"دبا" ، وتسويتها بالأرض . هذا بالإضافة إلى هدم القلعة الموجودة في مطرح ، وإلزام الإمام بهدم قلعته في مطرح ، على أن تبقى مطرح محايدة بين الطرفين ، لا سلطة ولا نفوذ لأيٍ منهما عليها ، بمعنى ألا ينفرد أي طرف بفرض نفوذه عليها ، سواء أكانً ذلك بالإنابة عن الإمام ، أو بالإنابة عن ملك البرتغال .

سوف يتم استغلال الميناء بواسطة كلا الطرفين ، وعلى كل طرفٍ أن يقوم بإزالة مدفعيته وعتاده الحربي من مطرح .

يسمح بإبحار السفن التي تؤول للإمام ناصر بن مرشد ، إلى أي ميناء ترغب في السفر إليه والعودة ، بترخيصٍ بالمرور من ملك البرتغال ، ولا يجب استيفاء أية رسوم جمركية علىً السفن التابعة للإمام في مسقط ، كما تكفل لها حرية المرور ، وإعفاؤها من الرسوم الجمركية المفروضة على السلع والبضائع ، ولا يجب أن تستوفى منها أية رسوم عند وصولها في مسقط ، أو مغادرتها من ذلك الميناء .

يجب أن تكفل حرية التجارة للطرفين ، ويحق لكل طرف أن يشتري ويبيع حسبما يرغب ، حيث ترفع أية أحكام أو شروط عن عمليات البيع والشراء .

على العرب أن يقوموا بتدمير وهدم أبراج المراقبة التي تخضع لنفوذهم ، وعلى البرتغاليين ألا يقوموا بأعمال بناء في مواقعها ، كي يعمل كلٌ من الإمام وملك البرتغال على تمتين روابط الصداقة

بينهما ، وأن يحالف كلٌ منهما الآخر ، ويكون صديقاً لأصدقائه وعدواً لأعدائه .

يجب على البرتغاليين ألا يؤذوا العرب ، كما يجب عليهم ألا يقوموا بتشييد أية مبانٍ ، إلا في المناطق الخاضعة لنفوذهم .

أن يلتزم الإمام بعدم الإضرار بالبرتغاليين وأتباعهم .

قد تعهد كل طرفٍ بالحرص على مراعاة هذه الشروط وما ورد فيها ، بموجب القسم الذي أداه كل طرفٍ ووقع عليه .

في حالة رفع أية مطالب بواسطة ملاك البضائع العرب وسلعهم المنقولة في سفن "مارتيم رودريغيز" ، وعند وصولها ، يجب أن تبقى ملكاً لهم ، ويجب على البرتغاليين أن يعملوا على تسليمها لملاكها .

الموقعون على الاتفاقية :

شاهد على ما كتب سلطان بن سيف [بن مالك على اليعروبي] بخط يده أمام الله جل جلاله وهو خير الشاهدين .

شاهد على ما كتب : خادم الرب وخادم الإمام ، علي بن علوبا بن رستاقي .

شاهد على ما كتب : راشد بن سالم معاون الإمام في إقليم "سمايل" (sismael) ؟

أمر [سيفو] بن علي بن صالح بكتابة المعاهدة المشار لها أعلاه ، وهي مطابقة للأصل الذي يجب أن يبقى بحوزة القائد الأعلى "دوم جيليانس دي نورونها" .

كتب بواسطتي أنا "غونسالو دي ليما" ، كاتب العدل لصاحب

الجلالة في خزينة ووكالة قلعة مسقط بتاريخ الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م .

"غونسالو دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٦٤٨م)

صدر خطاب من "جيليانيس دي نورونها" إلـى نائب الملك ، بشأن حالته الصحية ، ويشعر أنه مدمر في مسقط ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م : (٤٠)

كان بودي أن أكتب لك هذا الخطاب بخط يدي ، لكن للأسف لم أعد أبصر جيداً ، ولم يعد بمقدوري أن أكتبه بالشكل الصحيح ، لكن عموماً ، لدي أسبابٌ جيدة تجعلني أضع ثقتي في "نيكولاو دا سيلفا" "Nicolao da Silva" ، وهو من سيتولى كتابته .

بدايةً ، أرسل لجلالتكم جزيل شكري وامتناني على الامتيازات والعطايا التي تلقيتها بموجب رسالتكم الخاصة التي بعثت بها ، والتي أرد عليها بموجب هذا الخطاب ، ومن خلالها أحسست بعطف جلالتكم بي ، وهذا إحساسٌ وشعورٌ نبيل يشرفني أن أحظى به من قبل جلالتكم .

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

باعتبار هذه الأمور مسلماً بها ، فإنني لا أستطيع أن أنكر أخطائي ، وأعترف بأننا وجدنا أنفسنا مدمرين ومتهالكين في هذا المكان .

بما أني أكتب لك هذا الخطاب بكل الشفافية ، وبشكل خاص ، أرجو أن يصدقني جلالتكم أنني قد فشلت في البوح بالكثير من الأمور الأساسية ، إذ تنقصني الشجاعة في ذلك ، وعليه فإني أتوسل لجلالتكم متشفعاً بجراح المسيح ، - إذ كما تتمنى لي الخير- أن تعجل بنقلي من هذا المكان بأسرع وقتٍ ممكن خلال هذا الصيف .

أرجو أن تصدقني أنني أحيا على هذا الأمل ، وإذا ما حدث العكس ، فإن الرب لن يساعدني كي أغادر هذا المكان ؛ لأنني أدرك عدم قدرتي على الحكم وليست لدي حتى قدرة طفل تعينني عليه ، أرجو من سموكم ألا يعتبر هذا مبالغة ، إذ إنني فقدت حاسة الإبصار ، وكثيراً ما تحدثت إلى بعض الأشخاص دون التعرف عليهم جيداً .

إنني أموت من الجوع كي أؤمن الحياة لأطفالي . أنا أقول هذا ؛ لأنني أواصل حياتي معتمداً على القروض ، ولا يبدو الأمر مقبولاً أن أدخل منزل "دونا ماريا" "Dona Maria" كي آخذ من ثروتها لتسديد ديوني .

يجب على جلالتكم أن يصدق أن الهموم التي ذكرتها قد جعلتني أعيش في حالة كآبةٍ وإحباطٍ عميقة ، ولا أدري ما إذا كنت سأعيش حتى شهري فبراير أو مارس ، وآمل في رحمة المسيح أن يتم استبدالي ؛ حتى أتمكن من مغادرة هذا المكان .

بالرغم من ثقتي في جلالتكم ، فإذا ما حدث- صدفةً- أن وجدت نفسي في السفن ، فإن ذلك سوف يكون بسبب ابن عمي ، والرب

الذي قرر عدم بقائي هنا ، ويمكن لجلالتكم التأكد من أن هذا لم يحدث ، ولا سمح الرب ، سوف تكون خدمة الملك لم تؤد بالشكل المطلوب ، وذلك أنني لم أعد أصلح لعمل أي شيء ذي قيمة .

إلى جانب معاناتي ، سوف أشعر بأنني ألحق الضرر بمصالح جلالتكم ، في ظل حقيقتي الماثلة بأنني غير قادرٍ على البقاء هنا ، ولست راغباً ، وأعيش حالةً مزرية من الضعف والوهن . أتوسل لجلالتكم أن تقوم ببذل جهدك في هذا الأمر ، حسبما بينته بكل الصدق ؛ لأنني حقيقةً غير قادر على فعل أي شيء .

أدعو الرب أن يوفق جلالتكم كي تمنحني هذا الفضل ، وليس لدي ما أقوله أكثر من هذا .

أسأل الرب أن يحفظ جلالتكم بما تحب وتتمنى ، إنه على كل شيء قدير .

مسقط ، الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

لقد واصلت الكتابة لسموكم بواسطة السفن السريعة من موزمبيق حتى هذا الوقت ، ومنذ تسعة أو عشرة أيام ، أصبحت عيناي لا تبصران جيداً ، خاصة العين اليمنى .

قد ساءت حالتي الصحية كثيراً ، بحيث إنني لم أعد أقوى على النهوض من الكرسي إلا بصعوبة بالغة ، ولهذا السبب ، فإنني أناشد سموكم- حباً في الرب- أن تعملوا على نقلي من هذا المكان ، حتى أتمكن من الذهاب إلى "غوا" لقضاء موسم الصيف ، بأمل كبير في عيسى المسيح .

أسأل الرب أن يحفظ شخص سموكم ويرعاكم ، إنه على ذلك لقدير .

مسقط ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

"دوم جيليانس دي نورونها" .

أحداث عام ١٦٤٩م

سجلت قائمة بأصناف المساعدات التي أرسلت بواسطة اللورد نائب الملك "د . فيليب ماسكرينهارس" إلى قلعة مسقط ، "غوا" ، العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م : (٤١)

في الفترة ما بين : شهر أكتوبر ١٦٤٨م – شهر فبراير ١٦٤٩م .

* أحد عشر ألفاً وثلاثمائة وأربعة وعشرون "أشرفياً" .

* مائة من القرفة من سيلان .

* أربعمائة وأربعون كاندل وثمانية عشر موس Moas وتسعة ميديداس medidas من الأرز من [شانيكال] و[كولتور] ٩-١٨-٤٤٠ .

* ألف وخمسمائة فاردوس fardos من أرز girassol .

* ثلاثمائة وعشرون برميلاً من البارود .

* أربعمائة قربينة .

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

* مائة بندقية ماركة مسكيت .

* مائتان وسبعة قناطير Arroba وثلاثة arrateis من الرصاص ، معبأة في خمسمائة وثلاثة وعشرين صندوقاً .

* ألفا بالة من القطن .

* ست قناطير من الصمامات الكهربائية ، مع فتايل الأمان من البرتغال و(two arrobas) .

* ثلاثمائة وستة وتسعون Pounches .

* مائتان وأربعون عبوة من البارود .

* خمسة آلاف وعاء لحفظ البارود .

* ألف وتسعمائة وخمسون كرة من الحديد للمدافع .

* مائة مجرفة حديدية للحفر .

* اثنتا عشرة ملعقة من النحاس مع astras .

* اثنا عشر مدك لأجل تنظيف وصيانة البنادق .

* ثلاث عبوات للمواد الطبية .

* ثلاثون ألف لنكويكاس(أ) معبأة في ثلاثة عشر برميلاً .

* مائة وخمسة وتسعون كرتونة من البسكوت .

* مائة وخمسون قنطاراً من المسامير المتنوعة .

(أ) ملحوظة المترجم : نوع من نقانق لحم الخنزير القاسي في البرتغال .

* ألف meio forro من المسامير .

* مائتا قوس من الحديد .

* .....٤ candils seven maos and eighteen arrateis of Malacca pitch .

* تسعمائة عصا من الخيزران .

* خمسة عشر حبلاً للقلس (هوسر) .

* أربعة وعشرون تنكا .

* عشرة رماح بحبال لصيد الأسماك .

* .... ٨ coir packaging–bales .

* ....٦ candils and four maos of loose coir .

* .... ٢٠ cross planks for gun–carriages .

* عشرون عجلة لعربات حمل المدافع .

* عشرون أداة لتثبيت الحروف المطبعية .

* تسعة عشر محوراً للعجلات .

* عشرون مصباحاً .

* اثنان وأربعون صندوقاً من الخشب لاستخدامه في جوانب السفن .

٢ score mango–tree planks * ....

*خمسة وعشرون وثاقاً حديدياً مع الأصفاد .

*كمية كبيرة من الفحم النباتي .

* كميات من حطب الوقود .

* ثلاثة نجارين .

* one chaulker .

* طبيب بيطري .

* صانع أقفال .

* اثنا عشر كاروكيروس caroqueiros وبنائين .

* أربعون بحاراً لأجل العمل في الأساطيل .

أنا "ديوقو دي بنهو تكسيرا" ، كاتب العدل في الخزينة العامة في هذه المناطق في الهند ، أشهد أن القائمة هذه قد أخذت من السجل الثالث (دفتر الإسناد) الخاص بإمدادات القلاع في الخزينة المذكورة ، وذلك من الصفحة ٣ وإلى ما بعده ، ومن السجل الذي تم فيه تدوين وإدراج هذه الإمدادات المرسلة لقلعة مسقط .

كتب هذا بواسطة "فرانسيسكو مانويل" في "غوا" بتاريخ العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م .

"ديوغو دي بنهو تيكسيرا" "Diogo de BenhoTexiera" .

وفي العام نفسه (١٦٤٩م)

سجلت قائمة بالإمدادات التي أرسلت من "شول" و"باسين" بأمر اللورد نائب الملك "د . فيليب دي ماسكرينهارس" إلـى قلعة مسقط ، "غوا" ، العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م : (٤٢)

* تسعمائة وتسعة وثمانون قونية من الأرز .

* واحد وتسعون برميلاً من البارود .

* ثلاثة وثلاثون قنطاراً وربع وستة وعشرين arrateis من الرصاص .

* ألف وأربعمائة كرة من الرصاص لاستخدامات المدافع .

* ثلاثمائة وستة وثمانون كرة من الحديد لاستخدامات المدافع .

* اثنان وعشرون قربينة .

* .... ٢٠ pouncheis with their charges .

* ثماني عشرة قاذفة لهب (مانجانيق) .

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

* ثلاث وعشرون قنبلة يدوية .

* .... ٨٤ corjas of patingas .

* .... ١٠٠ corjas of anchor flukes .

* ست عشرة مرساة حديدية لتثبيت السفن .

* .... ٢٠ corjas of bucklets .

* ثماني جرار كبيرة وثمانية براميل لحفظ المياه .

* أربع صناديق من المسامير المتنوعة .

* .... ١٢ corjas of assorted teak planks .

أنا "ديوغو دي بنهو تيكسيرا" ، كاتب العدل في الخزينة العامة في مناطق الهند ، أقر بأن القائمة المبينة أعلاه قد أخذت من الدفتر السادس الخاص بالمؤن والإمدادات للقلاع التي تعمل في خدمة هذه الخزينة ، بصفة الورقة الثالثة في السجل الذي سجلت فيه هذه الإمدادات ، وأرسلت إلى قلعة مسقط .

كتب بواسطة "فرانسيسكو مانويل"

"غوا" ، العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م .

"ديوغو دي بنهو تيكسيرا" .

أحداث عام ١٦٥٠م

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن القوات في مسقط ضد أهداف الإمام ، "لشبونه" ، الخامس من شهر مارس عام ١٦٥٠م : (٤٣)

صديقي الكونت نائب الملك ،

أنا الملك ، أرسل لك تحياتي القلبية .

لقد أرسل لي "فرانسيسكو دي تافورا دي أتيد" - الذي كان سلفكم قد اختاره للذهاب لمسقط ؛ كي يحاول بشجاعته المألوفة وخبرته بشؤون تلك السواحل وبنوايا وأهداف الإمام ، أن يجود أداء قواتي الحربية - ، أرسل لي خطاباً مطولاً في هذا الموضوع ، معرباً عن رغبته الجادة في خدمتي .

الآن ، أرسل له الرد ، معرباً له عن شكري وتقديري ، مرفقاً مع هذه

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

الرسالة ، كي ترسله بدورك له ، سيما وأنه أرسل لك بعض مستندات الموضوع الذي تحدث عنه ، والذي طلبه من "د . فيليب ماسكارينهاس" .

لقد رأيت من الأفضل لمصلحة خدمتي أن أرسل لك نسخاً منها ؛ لأنه إذا ما استمرت الحرب- ويخيل لي أنها سوف تستمر- فإن الضرورة تقتضي إرسال المساعدات إلى "فرانسيسكو دي تافورا" ..

عليك وحدك أن تقوم بهذا العمل بكل السرعة والحرص .

بما أني أعول على حماسك ، آمل ألا يؤدي النقص في المتطلبات الضرورية إلى نتائج لا يحمد عقباها ، وأرجو أن أنبهك لهذا الأمر ؛ كي تستشعر أهمية الموضوع .

كتب في "لشبونه" ، الخامس من شهر مارس عام ١٦٥٠م

الملك ، مرسل إلى الكونت نائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٥٠م)
صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك في الهند ، بشأن الاتفاقية مع العرب ، "لشبونه" ، السادس عشر من شهر مارس عام ١٦٥٠م : [٤٤]

صديقي الكونت نائب الملك ، أنا الملك ، أرسل لك تحياتي القلبية .

لقد أمرت بضرورة إجراء التدقيق على الرسالة التي أرسلها لي سلفكم نائب الملك . "د . فيليب ماسكارينهاس" بتاريخ الرابع عشر من شهر يناير من العام الماضي ، وبالمثل ، جميع الوثائق التي أرفقها مع رسائله فيما يتعلق بالاتفاقية السليمة التي وقعها "د . جيليانيس دي نورونها" مع جيرانه وأعدائه العرب ، وذلك قبل خمسة عشر يوماً من تاريخ وصول المساعدات التي أرسلت له بواسطة "د . فيليب" ، وقد أشار في هذا الموضوع إلى أنه أمر بسجنهما في تلك المدينة .

لقد رأيت أن أخبرك أنه - بمحض رغبتي- آمرك - عند استلامك

---

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

هذه الرسالة - أن تعمل على إجراء تحقيقٍ عاجلٍ بخصوص هذه الإهانة ، وأن تعهد بالأمر إلى شخصٍ جدير بالثقة .

إذا ما تبينت تورط القائد العام ، أو كبير مسؤولي الخزينة ، أو أي شخص آخر من بين الحضور- له ضلع في الأمر عند توقيع تلك المعاهدة - ، فيجب عليك أن تعمل على اتخاذ الإجراءات القانونية ضدهم كعقوبة نموذجية ، وذلك حتى لا يفلتوا من تطبيق العقوبة ، في قضيةٍ أحدثت الكثير من الخسائر ، وأضرت بسمعة جيوشنا وخزينتنا .

بعدها ، يجب أن ترسل لي إشعاراً بتفاصيل ما حدث ، وما أمكنك عمله ، مرفقاً معه نسخاً من تلك الوثائق التي يمكن تحريرها في هذه القضية ، فيما يختص بالتهم والأحكام القضائية الصادرة .

"لشبونه" ، السادس عشر من شهر مارس عام ١٦٥٠م

الملك .

مرسل للكونت نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٦٥٠م)

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك في الهند ، بشأن شيوخ مسقط ، "لشبونه" ، في الحادي والثلاثين من شهر مارس عام ١٦٥٠م : (٤٥)

صديقي الكونت نائب الملك ، أنا الملك ، أرسل لك تحياتي القلبية .

لقد أمرت بإجراء تدقيقٍ على التحري الذي أرسله لي سلفكم "د . فيليب ماسكارينهاس" بموجب رسالته بتاريخ الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٦٤٧م ، فيما يتعلق بإخلاء سبيل بعض شيوخ المدينة في قلعة مسقط ، بواسطة الفئة المتهمة بالخيانة ، إبان الفترة التي عمل فيها "فرانسيسكو دي تابورا" قائداً عاماً هناك ؛ لأنه يرى أن محاكماتهم لم تكن عادلة .

يجب أن أخبرك أنه لا ضرورة لإجراء تحقيقاتٍ جديدة ، حيث منطوق الأحكام القضائية كان عادلاً وصحيحاً ؛ لأن التحقيقات المذكورة قد ألغيت ، ولا يجب أن يصار إلى تغييرها .

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

أضف لذلك ، أنه قد مر وقتٌ طويل على وقوع تلك الحادثة ، ولم تحدث أية تطورات لتبرير الإجراء .

"لشبونه" ، الحادي والثلاثون من شهر مارس عام ١٦٥٠م

الملك

مرسل إلى الكونت نائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٥٠م)

صدرت رسالة من نائب الملك إلى جلالة الملك ، بشأن مضيق هرمز ، "غوا" ، في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٥٠م : (٤٦)

سيدي ،

بعد سقوط مسقط ، أصبح الوضع مغايراً بشكل كبير في مضيق هرمز ، بحيث تغيرت الأوضاع عن تلك التي يمكن أن يتم فيها تنفيذ ما ورد من أمرٍ في رسالة جلالتكم .

على كلٍ ، سوف أعمل ما في وسعي للتكيف مع الأوضاع ما أمكنني ذلك ، فالعائد من إدارة منح تراخيص المرور قد تم استخدامه لإجراء صيانة في الأسطول الذي أرسلته للمضيق ، وكنت قد أرسلت لجلالتكم تقريراً بهذا في رسالة أخرى بهذه الوساطة .

ليحفظ الرب شخص جلالتكم الملكي .

"غوا" ، الخامس والعشرون من شهر نوفمبر عام ١٦٥٠م .

---

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

أحداث عام ١٦٥١م

إمبراطورية وملكية فارس في بحوث ورؤى مختلف الكتّاب الجغرافيين : [٤٧]

يزعم "بيترو ديلي فالي" "Pedro Deli Vali" أن مملكة فارس تمتد من نهر الأندس وحتى الفرات ، بينما يزعم آخرون أنها تمتد من بابل إلى حدود الهند ، وتقدر بمسيرة رحلة خمسة وخمسين يوماً طولاً وخمسة وثلاثين عرضاً ، من بحر قزوين وحتى الخليج الفارسي .

يشير "بدرو تيكسيرا" "Pedro Texiera" أن ملوك فارس قد بسطوا نفوذهم على الأقاليم التالية : العراق ، فارس ، أذربيجان ، جيلان ، مازاندران ، (استراباذ) (بوسطان) كراباج ، نيسابور ، خراسان ، كيرمان ، داغستان ، عرابراستان [شابلستان ،] نمرود ، شاكي ، سيستان ، كردستان ، ولورستان] .

سوف نقوم الآن بالتحدث عن كل منها بشكل مختصر ، حسبما كتب عن البعض منها .

(٤٧) رقم الوثيقة والهامش.

العراق : وهي أولى تلك الأقاليم ، فقد اقتسمها العرب والفرس ، وتتكون من منطقتين ، تعتبر بغداد حدوداً لإحداهما ، وقد نشأت في موقع بابل القديمة ، وهي لا تبعد كثيراً عن أطلالها .

أما الأخرى ، فتعتبر جزءاً من فارس ، وتضم الكثير من الممالك والولايات ، وتعرف باسم "عراق عجمى" ، أي التابعة لفارس . أما الثانية فهي عراق عربي ، وهذه تضم مصر وأقاليم أخرى .

تعتبر العراق الفارسية من أنبل وأشرف المناطق ، إذ تضم مجموعةً من المدن الرفيعة ، مثل أصفهان العظيمة التي يوجد فيها بلاط ملوك فارس المهيب .

هي تقع ما بين خط طول ست وسبعين درجة ، وبين أربع وثلاثين ونصف درجة ، ودقائق قليلة عرضاً ، وكان عدد سكانها في الماضي أكثر من خمسة وثلاثين ألف نسمة ، ويبلغ محيطها حوالي أربعة أميال .

لكن حالياً ، يبدو أن عدد سكانها قد تقلص كثيراً ، "حيث يشير جوزيفات البربري" بقوله : "إن أحد الملوك أراد أن ينتقم من أهالي المدينة ؛ بسبب ثورتها عليه ، فأمر جميع أفراد جيشه بأن يأتي كل واحدٍ منهم برأس أحد مواطني تلك المدينة ، وبما أنه لم يوجد العدد الكافي من الرجال بسبب أعمال القتل .

قد لجأ أفراد جيشه لقتل النساء وحلق شعورهن ؛ حتى لا يتم التعرف عليهن ، وبهذه الطريقة ، تم إخلاء المدينة من سكانها (هذه النكبة كانت قد حدثت في عام ١٥٧٠م ، وأصبحت المدينة خاليةً من السكان ، إلا من القليلين الذين لم يتجاوز عددهم نسبة السدس فقط من جملة السكان) .

رغم ذلك ، لم تمض أكثر من عشرين سنة إلا وكانت المدينة قد استعادت مجدداً قوتها وازدهارها ، هذا بالإضافة إلى تزايد عدد السكان فيها بكثرة ، وأصبحت تضم أفخم المباني وأروع المساكن والحدائق وآبار المياه وأماكن الترفيه والمرح ، ويبدو أنها قد بلغت أوج مجدها .

أما القصر الملكي- الذي يقف شامخاً في إحدى المناطق الرحبة ، حيث توجد فيها سوق عامة تضم جميع المستلزمات- فقد تم بناؤه بشكلٍ فخم وطراز ملوكي فريد ، وقد طليت جدرانه من الداخل والخارج ، وزينت بآلافٍ من الرسومات والزخارف الأنيقة .

يبلغ طول هذا الميدان حوالي ستين خطوة ، كما يبلغ عرضه مائتين وخمسين خطوة ، وتم تثبيت خمسة وثلاثين مدفعاً أمام هذا القصر ، وكانت تلك المدافع قد جلبت من هرمز ؛ كي يتم وضعها فوق الحائط .

يلاحظ أن الميدان كان محاطاً من جميع جوانبه بأشجار وارفة الظل ، وتوجد أيضاً منازل مبنيةٌ من الطوب ، إلى جانب قباب وسراديب يتخذها صاغة الذهب والفضة والجواهر والصيادلة مواقع لسكناهم ، ومحلاتٍ لبيع تجارتهم .

في الجانب الآخر من الميدان ، توجد منازل التجار ، ومحلات الباعة ، والمطاعم التي تقدم أشهى المأكولات .

أما في الطرف النهائي من الميدان ، فيوجد مسجدٌ فاخر بديع الطراز ، بني من الحجر ، وعلى المرء أن يصعد ثلاث عشرة درجة صنعت من كتلة صخرية واحدة ، كي يصل إلى داخل المسجد .

أما في الطرف الآخر ،فيوجد مصنع سك العملة ، يصل إليه المرء من خلال رواق طويل ، فوقه سقيفةٌ توجد تحتها عدة حجيرات ومحلات تجارية ، تتوفر فيها جميع أنواع الحرير والأقمشة القطنية والصوفية ، هذا بالإضافة إلى مختلف أنواع الأحذية والبضائع الأخرى .

تضم هذه المدينة العديد من المباني المربعة ، والفنادق التي يقصدها الأجانب ، والسكان المحليون يقيمون فيها بإيجار شهري متفق عليه .

أيضاً ، يوجد هذا في بعض المدن الأخرى ، حيث يتم توفير وسائل الراحة للمسافرين والحجاج .

يوجد القصر في أحد جوانب المدينة ، حيث يوجد به حائطان ، خندق مائي مغطى ، أربعين برجاً ، ومجموعة كبيرة من المدافع ، وهو يعتبر مقر إقامة رئيس الوزراء ، الذي يعنى بشؤون المالية وشؤون القلعة .

على مبعدة مسيرة ثلاثة أيام ، يوجد جبل شائع يعرف باسم "أبيكورا" ، ويتميز بوعورة حوافه وقممه ، وظل ملك فارس يعمل لسنوات عديدة لتدمير تلك القمم ؛ كي يتمكن من تحويل بعض مياه أحد الأنهار الموجودة على الجانب الآخر من الجبل إلى منطقة أصفهان وسهولها .

في عام ١٦٢٤م تأكد- وهذا أمرٌ يدعو للعجب)- أن أكثر من مائتي عامل يقومون بالعمل في هذا المشروع ، ويتنافس الغالبية العظمى من سكان المملكة فيما بينهم على من سيدفع من المال أكثر من غيره ؛ لأجل تنفيذ هذا المشروع .

قد أشار الذين شاهدوه بقولهم إنه لم يتبق على نهايته أكثر من

مسافة مائتي خطوة طولاً ، وخمسين ذراعاً ارتفاعاً ، لكن ، يمكن العمل هنا مدة ثلاثة أشهر فقط في السنة ؛ لأن الثلوج تظل تغطي الجبل طيلة بقية شهور السنة ، وبالتالي يصعب العمل في هذا الطقس القارس .

يمتلك الحاكم بالقرب من المدينة مسكناً يتخذه للترفيه ، وتحيط به حديقة جميلة غناء ، والبساتين الظليلة ، والكثير من الأشجار الظليلة ، تسمى "شهارباج" .

هناك نهر يجري ما بين الحديقة والمدينة يسمى "زاياندارود" ، وفوقه جسر صخري يعرف بالجسر الملكي .

أما في خارج المدينة ، فهناك الضواحي ، وهي غير محاطة بالأسوار ، وأولى هذه الضواحي هي "جلفار" وتسكنها حوالي ستة آلاف أسرة من الأرمن ، كان الأمير قد أتى بهم من بلادهم في أزمان ماضية .

في هذه الضاحية تنافس مساكن السكان - من حيث حجمها وطرازها - مثيلاتها من المساكن التي تؤول للمواطنين ؛ لأن ملاكها يعتبرون من أكثر الناس ثراءً ، حيث يعتبرون من أنشط تجار الأقمشة الحريرية ، والنيلة ، والبضائع الأخرى التي تأتي من الهند ، ويقومون بإرسالها إلى حلب والقسطنطينية وأقاليم أوروبا ، حيث يحققون أرباحاً طائلة . هؤلاء التجار مسيحيون ، ينتمون إلى الجنس الأرمني .

المنطقة الثانية هي (جعفر أباد) ، وهذه يسكنها "الجرافسيوس" ، وقد أتى بهم الملك من منطقتي "غابرستان" و"يزد" ، وهم الفرس القدماء الوثنيون عبدة النار ، ومنهم خمسمائة أسرة تعتبر من أغنى الأسر ، معظمهم من كبار التجار والملاك .

المنطقة الثالثة هي (عباس آباد) ، التي تسكنها ستة آلاف أسرة ، وقد أتى سكانها من منطقة تبريز ، ويدينون بديانة الفرس ، الكثير منهم من طبقة النبلاء العاملين في البلاط والقصر الملكي ، أما البقية ، فهم تجار من ملاك المساكن الفخمة ، وبساتين الفاكهة .

المنطقة الرابعة هي (قمص آباد) ، التي تسكنها مجموعة قليلة من الأرمن .

المنطقة الخامسة تسمى (أسين آباد) ، التي يوجد بها حوالي مائتين وخمسين أسرة من الجورجيين ، وهم أيضاً مسيحيون ، ينتمون لمختلف الطوائف والملل الدينية .

تسمى المنطقة السابعة (شيج شبانا) ، وتسكنها مائة وخمسين أسرة من الأرمن ، ويروي "جون فارس" "John Fares" أن هذه المدينة مزدانة بأكثر من مائة من الأبراج الشاهقة ، أتقن بناؤها وشيدت ببراعةٍ فائقة ، ولعل أبرزها مبنى الإسطبلات الملكي ، حيث زينت واجهته بقرون الأيائل ، ويقال إن الملك "طاهماسب" كان قد قتل ثلاثين ألف منها في يومٍ واحد ، عندما خرج في رحلة الصيد .

أوكلت السلطات الكنسية في هذه المدينة لعناية كاهنٍ واحدٍ يدعى "مستديم" ، ويوجد أناس آخرون في السلطة في بقية المدنٍ الأخرى ، أو كهنة لمذاهب دينية أخرى ، لا سلطة للمستديم عليهم ، سواء تعلق الأمر باختيارهم أو إعفائهم من مناصبهم تلك .

إذ إن الملك نفسه لا يعتبر الزعيم والمسيطر على الشؤون المدنية ، وإنما أيضاً المتحكم في الشؤون الدينية ، باعتبار محمد (صلى الله عليه

وسلم) وعلي ، ومع ذلك ، كان الملك ، إذا ما رغب في تجنب تجمعات الناس ، وأعمال التمرد والشغب ، يوكل تلك المهام للبعض الذين يقومون بإنهاء المجادلات وكل الشكوك المثارة بالطرق القانونية .

يعتبر الخلفاء تابعين لسلطات هذا الكاهن الأسمى ، وبالمثل ، الوزراء في المعابد والمساجد ، وهو وحده المسؤول عن مهام تتويج الملوك .

كانت مناسبات التتويج هذه تتم عادةً في الكوفة ، بالقرب من بابل ، لكن ، منذ أن استولى الأتراك على سوريا من قبضة الفرس ، أصبحت تقام أحياناً في "كازفين" ، وأحياناً أخرى في أصفهان .

تقاليد سكان هذه المدينة تماثل تقاليد "البارثيان" القدماء ، خاصةً احتفاظهم بتقليد التجول وهم على صهوات الخيول ، ففي المعارك ، يحاربون أعداءهم وهم على ظهور خيولهم ، ويقومون بشراء أغراضهم وهم على صهوات جيادهم ، وفي البيع وأعمال التجارة ، يتحدثون ويجادلون وهم على ظهور خيولهم ، وبالتالي ، فالفرق الوحيد بين النبلاء فيهم وغير النبلاء هو أن الأخيرين لا يمتطون الخيول بتاتاً .

أما النبلاء فلا يترجلون قط ، إذ إن طبيعتهم وديدنهم هو التكبر والغرور ، ويوصفون بأنهم مشاغبون ومتمردون وخونة ، ويمكن أن يفعلوا الكثير إذا لم يواجههم الملك ؛ كي يعاقبهم ويكبح جماحهم ؛ لأنهم مجبولون كثيراً على الانغماس في الشهوات الحسية ، وممارسة الفسق والفجور .

توجد في مجتمع النساء ثلاث طبقات ، طبقةٌ طاهرة صالحة ، وطبقة متزنة نوعاً ما ، وطبقةٌ سافرةٌ قليلة الحياء ، وهي طبقة المومسات . لكن بالرغم من ذلك ، لا توجد جريمةٌ أشد عقوبة من جريمة الزنا .

هم عموماً مجبولون في أخلاقهم وتصرفاتهم على الخداع ، وعدم الولاء ، والاستهتار ، وعدم المصداقية ، - كما هو حال جميع البرابرة - ، لا يرضون بحكومة واحدة ، وإنما يرغبون دائماً في التحديث والتغيير .

"كازفين" (قزوين) هي مدينة متميزة ، وهي المدينة التي اتخذها إمبراطور فارس مقراً لبلاطه ، بعدما استولى الأتراك على "تبريز" ، ويكتب "جون" الفارسي عن هذه المدينة قائلاً :

"يسكن هذه المدينة أكثر من مائة ألف نسمة ، تضم أكثر من خمسمائة مسجداً . أما القصر الملكي ، فيمتاز بفخامته وكبر مساحته التي تبلغ حوالي ربع الميل .

تحتل المدينة موقعاً في أحد الوديان الخصبة الباردة ، وتبعد حوالي مسيرة يوم كامل .

أما مدينة "حمادان" التي أطلق عليها اليهودي "بنجامين" اسم (همدان) ، حاضرة "مديا" Medea القديمة ، فهي أروع المدن وأغناها ، يسكنها الإسرائيليون وحدهم ، ويبلغ عددهم خمسين ألف نسمة ، ولعل السبب في تجمعهم هناك (هذا بالنسبة لليهودي نفسه) فهو وجود قبور وأضرحة "الموردفاي" و"ايثيرا" ، وكذلك الكنيس (معبد اليهود) .

أيضاً ، توجد في هذه المنطقة مدينة تسمى سلطانية ، وقد أخذت اسمها من سلطان ، الذي عاش لفترة هناك ، واتخذ بلاطه في هذه المدينة . لا يوجد في الوقت الحاضر أي معلم لهذه المدينة ، سوى مجرد أطلال ، بالرغم من أنها كانت في يوم ما مدينةً ذات أبراج عالية ومباني رائعة ، تحيط بها من كل صوبٍ جبالٌ شاهقة مغطاةٌ بالثلوج .

أمام هذه المدينة ، يوجد وادٍ عريض ، اتخذ اسمه بعد العاصفة العنيفة التي كان سليمان إمبراطور الأتراك قد عانى منها معاناة شديدة ، عندما أقام مخيمه هنا في شهر سبتمبر من عام ١٥٣٤م ، وذلك عندما ثارت عاصفةٌ هوجاء من بين الجبال المجاورة ، مصحوبةٌ بهدير الرعد ، والبرق ، والبرد ، وبسيل جارف ، وكان المنظر مرعباً ومخيفاً لا يقوى المرء على التمعن فيه .

لم تمر سوى لحظات حتى تحول كل شيء إلى نفاية ، وكان الثلج كثيفاً بحيث غمر كل شيء ، بعد أن أحالت العاصفة كل الخيام إلى دمار ، وراح ضحيتها الكثيرون من المحاربين . بعد ذلك أظلم الليل ، وكان حالكاً ، وكانت ليلةً سوداء بحيث إن أولئك التعساء لم يجدوا فرصة للتشاور فيما يمكن عمله ، وعليه ، لم يتمكنوا من إنقاذ أي شيء .

خاف ملك الأتراك كثيراً ، واعتقد أن هذه العاصفة نذير شؤم ، وبالتالي ، انسحب فوراً إلى أراضيه .

بشأن المقاطعات الفارسية من مملكة فارس (بارثيا) والمناطق المجاورة لها .

تعتبر بلاد فارس- كما يسميها العرب- أكبر وأفضل أقاليم الإمبراطورية ، كما تعتبر "شيراز" أو ما يعرف بمدينة "شيراس" أو "سيراس" حاضرة تلك البلاد ، وهي أعظم المدن القديمة وأنبلها ، ففيها جميع أنواع المأكولات ، وقد تطورت تجارتها وازدهرت مع بقية الأقاليم الأخرى في الإمبراطورية .

فيها يتم تصنيع مختلف الأقمشة الحريرية بكميات كبيرة ، وأيضاً

يتم تصنيع الأقمشة ، ويقول "جون" الفارسي إنها تقع بالقرب من نهر "باندامير" ، وإنها تضم بين أسوارها أكثر من ستمائة مواطنًا ، ينتشرون في مساحة ست أميال ، وعموماً ، فهي منطقة تتميز بالبرودة– كما يشير "تيكسيرا –" ، وسكانها ذوو بشرة بيضاء ، وملامح حسنة ، وأخلاق وتقاليد جيدة .

تعتبر المدينة الرئيسة في فارس ، وتقع في قلب الإمبراطورية ، وتقدم فيها أجود أنواع الخمور بأرخص الأسعار ، وكذلك مياه الورد ، فهي تتميز بجودتها وكمياتها الوافرة ، حيث تؤخذ وتوزع على مختلف المناطق .

هذه المدينة ذات تربةٍ خصبة ، ينتج فيها القمح وبعض المحاصيل الأخرى ، أما الخراف ، فهي كبيرة الحجم ذات خمسة (أرباع ...؟) ، أما الخماس فإنه يزن عشرين رطل arratel ، ومجمل القول ، إن في المدينة من الأشياء الأخرى ما لا يصدق (حسبما يروى) .

على مبعدة مسيرة ثمانية أيام من "شيراز" ، تقع مقاطعة "سوسيانا" ، وتعرف الآن باسم "خوزستان" ، كانت في الماضي تعرف باسم "أشوريا" (Assyria) ، وتقع على حدودها الشمالية أرمينيا ، وفي الغرب بلاد ما بين النهرين ، أما في الجنوب فيوجد الخليج الفارسي ، وهي ذات أرضٍ حارةٍ معشوشبة ، تنعدم فيها الأشجار ، وذات طقس رديء ، ولهذا السبب ، فإن سكانها لا يقيمون فيها بصورة متواصلة .

على حدود هذه المقاطعة ، توجد مدينة "بلدك" وهي مدينة "سوسان" القديمة ذات الأرض الخصبة ، غير أنها أصبحت الآن مقفرةً مدمرة .

بعد هذا ، نأتي إلى أقدم المدن وهي الموصل ، على شواطئ نهر دجلة .

أيضاً ، سهل "أشوريا" بالقرب من ضفاف النهر نفسه ، في إقليم عدن ، تقع مدينة نينوى ، التي أسست بواسطة النمرود و"طورهانينوس" ، ومن خلال ما حدث من انتهاك مقدساتها ، يتبين أن هذه المدينة كانت مدينةً عظيمة ورائعة ، بحيث تضارع مثيلاتها من المدن الكبرى ، وهي لا تقل عظمةً عن أيٍ منها .

كما يتبين ذلك من أطلالها التي تقف حتى الآن شاهداً على روعتها وجمالها ، وكانت المدينة قد قسمت إلى أربعة ميادين ، وتحتل مساحةً يقدر محيطها عشرين ميلاً ، أما أسوارها ، فيبلغ ارتفاعها مائة قدماً ، وكانت عريضةً في أعاليها بحيث تتسع لسير ثلاث مركبات تجرها الخيول .

يوجد فيها حوالي ألف وخمسمائة برج من الحجر الضخم والارتفاع الشاهق ، لكنها الآن مدمرة بالكامل بواسطة "ثالديس" ، وآلت إلى خراب (حسبما تنبأ بذلك الناس) ، ولم يعد منها ما يدل على عظمتها وبهائها ، سوى ملامح كئيبة لا تسر الناظرين .

هناك مدينة واحدة صغيرة كان يعيش فيها "بطريك نستوريانس" ، وعلى بعد اثني عشر ميلاً من هنا توجد جزيرة عدن ، وللبعض من الناس اعتقاد يقول إنها الجنة (الفردوس) ، الذي ورد ذكرها في النص المقدس .

على مبعدة أربع فراسخ شمال "شيراز" ، توجد بقايا آثار المدينة العظيمة "بيرسوبولس" "Persepolis" ، وتعرف الآن باسم "استاشر" ، وقد قامت على وادٍ خصيب وارف الظلال ، وعلى مقربة من هنا ، توجد بحيرة مالحة تبلغ مساحتها تسع أميال ، ويبدو الملح فيها ناصع

البياض كالثلج ، وهو من الكثافة والصلابة بحيث يمكن للمرء المشي فوقــه ؛ لكــن ، نظراً للثقوب والفتحات ، لا أحد يجرؤ على ذلك تفادياً للخطر .

أيضاً ، توجد مدينة "لار" في نفس المقاطعة ، وهي المدينة التي اتخذت عملة اللاريم اسمها منها ، وهذه عملةٌ من الفضة معروفة ومقدرة في بلدان المشرق بكاملها . هذه المدينة هي حاضرة المملكة ، كان الفرس قد استولوا عليها منذ سنين مضت .

في عام ١٥٩٣م ، حدث زلزالٌ عنيف تسبب في دمار ألف ومائتي منزل (حسب رواية تيكسيرا) ، والعديد من آبار المياه التي كانت المصدر الوحيد الذي تعتمد عليه المدينة في الحصول على مياه الشرب ، حيث لا يوجد أي مصدرٍ آخر سوى مياه الأمطار ، أما الضحايا في الأرواح ، فقد بلغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف من المقيمين .

على مدى مسيرة ثلاثة أيام من "لار" ، توجد المقاطعة المعروفة (إستبانون) ، التي يمتاز سهلها بكميات وفيرةٍ من الأعشاب الطبية التي تماثل الزعفران ، كما يمتاز السهل أيضاً بوجود مساحات شاسعة لرعي المواشي ، التي يتم الحصول في أمعائها على حجارة البزار ، التي تباع بأسعار باهظة .

اعتاد السكان هنا على حلق شعر رؤوسهم بصفة دائمة ، ولهذا السبب يطلق الفرس عليهم اسم "شاشيل" ، أي بمعنى الحليقون .

في قمة أحد الجبال في نفس المقاطعة ، تنساب مادةٌ سائلة من الصخر ، يحرص ملك فارس على جمعها بواسطة الوزراء المقربين له

والمخلصين ، ولا تتجاوز الكمية التي يمكن الحصول عليها أكثر من خمسة أرطال في العام الواحد .

تعرف عند الفرس باسم "موناكى" ، أى بمعنى "القطرات النفيسة" ؛ لأنه قد ثبت أنها بمثابة ترياق سحري يفسد أي نوع من السموم ، كما أنها علاجٌ جيدٌ لآلام المعي (ج معدة) ، ويقوم ملك فارس- بصفته الشخص الوحيد الذي يحصل على هذه المادة - ، بإرسالها كهدايا قيمة (لكن بكميات قليلة) ، إلى معظم أصدقائه من الملوك والأمراء .

بعد مقاطعة فارس ، نأتي إلى مقاطعة أذربيجان ، التي يصفها "تيكسيرا" بكبر حجمها ، وتعتبر "تبريز" عاصمتها الحالية . أما منطقتها ، فإنها زاخرة بوجود كل شيء ، خاصةً تجارتها ؛ لأنها أقامت علاقاتٍ تجاريةً مع "الموسكوفيتش" ، والبولنديين ، الشراكسة ، والجورجيين ، وبقية الشعوب الأخرى .

هـنا يوجـد القليـل من مناجـم الفضـة وكميات ضخمة من مختلف الأصباغ .

يعرف سكانها باسم "كالانجس" . أما بالنسبة لـ "الشيفاردو" ، فإنه يعتبرها جزءاً من "أشوريا" يمتد من مدينة "أردبيل" (؟) وحتى "ميديا" .

"تواريسبو" التي تعرف الآن باسم "تبريز" ، وحتى الكثيرون من "إكباتانا" عند سفح جبل (أورونتا) يعتبرونها تقع في أرمينيا العظمى ، على مسافة مسيرة ثمانية أميال من بحر قزوين ، فهي معرضة لرياحٍ عاتية وطقس ثلجيٍ بارد ، ويقال إنها ذات مناخٍ صحيٍ رائع .

هي تزخر بكل ضروريات الحياة ، كمركزٍ تجاري ، وأروع الأماكن لإقامة مناسبات تتويج الملوك في جميع مناطق الشرق قاطبة ، فهي المكان الذي يعتبر الملتقى الذي يجذب جميع أنواع البضائع التجارية من مناطق آسيا وسوريا وأوروبا ، ومن الغرب والشرق .

هي منطقة تعج بالسكان ، إذ يسكنها حوالي مائة ألف نسمة . عموماً ، لا يوجد بها أية أسوار أو أي خندق مائي ، وقد عاش النبي دانيال في هذه المدينة ، وبجانب مسكنه أقيم مؤخراً صرحٌ عظيم كان من القوة والمتانة بما جعله متماسكاً لوقت طويل ، حتى أن آثار الزمن الطويل لم تحدث أية تشوهاتٍ في جماله وروعته .

يقول اليهودي "جيمس" : كان ذلك الصرح يقف في زمانه شامخاً ، لم ينقصه شيء قط ، وفي هذا الحصن والقصر فإن العديد من ملوك مدن فارس قد دفنوا ، لكن بما أن الزمن لا يبقي من شيء على حاله قط ؛ فإنه لم يترك من هذا الصرح المهيب سوى بقايا أطلال ، تحكي للأجيال عن فخامته وروعته .

في الجانب الجنوبي من هذه المدينة ، توجد حديقةٌ ظليلةٌ جميلةٌ تزخر بجميع أنواع الأشجار والأزهار العطرة ، وتضم ألف نافورةٍ ، والعديد من الجداول المائية ، وقنوات الري التي تجري من النهر . هذا المكان يسمى "سشيسجنت" . أي بمعنى (الجنات الثماني) ؛ لأنه ينقسم إلى ثماني مناطق ، وفي هذا المكان كانت توجد قصور ملوك فارس وقصور الحكام ، وذلك قبل أن يهاجمها الأتراك ويستولوا عليها .

هذه المدينة قد شهدت عدة تغيراتٍ في ثرواتها تحت نفوذ الأتراك ونفوذ الفرس .

عندما خضعت لملك الأتراك سليم في عام ١٥١٤م ، لم يلتزم بالوعود التي قطعها لهم ، ومارس كل أنواع البطش والابتزاز ضد السكان ، ومن ثم ، تمكن من الحصول على كمياتٍ هائلةٍ من الأموال ، لم يكتف بذلك ، وإنما قام بترحيل ثلاثة آلاف أسرة مع أربابها ، وذوي الخبرات في مجال صنع الأسلحة والذخيرة ، إلى القسطنطينية .

قد أمر سليمان مؤخراً في عام ١٥٣٦م جنوده بنهب المدينة وتدمير القصر ، وبالفعل ، لم يوفر أولئك الجنود عملاً من أنواع البطش والقسوة إلا وقد مارسوه ضد السكان البؤساء .

أما جنود سليمان ، فقد استباحوا المدينة ، وهدموا قصر الملك "طهماسب" ، ودمروا مباني ذلك القصر الفاخر ، وقتلوا كثيراً من الناس ، وأخذوا البعض أسرى .

أخيراً ، في عام ١٥٨٥م ، تم الاستيلاء عليها بواسطة عثمان وزير "عمورات الثالث" .

على كلٍ ، كان "عباس باشا" إمبراطوراً على فارس في عام ١٦٠٣م ، وقد بدأ زحفه ضد المدينة بشكلٍ سري ، لم يكتشف أمره حتى وصل إليه بجيشه ، حيث شرع في حصارها مدة شهر ونصف ، (وكان الفرس يستخدمون مدفعاً طالما سخروا منه في السابق ، باعتبارهم يفتقرون للشجاعة) ، وبالفعل ، تمكن من الاستيلاء على المدينة ، واستعاد مملكة "شيرفان" ، ما عدا مجموعة قليلة من الحصون والقلاع .

بالرغم من مناعة قلعة المدينة ، إلا أنها استسلمت لها فوراً ، ويشير "تكسيرا" أن مدينة "شيرفان" وإقليمها ومملكتها تؤدي إلى هذه المقاطعة ، وتعتبر حاضرة "ميديا" ، وبالرغم من استيلاء الأتراك عليها في عام ١٥٧٨م ، إلا أن الفرس تمكنوا من غزوها واستعادتها مرةً أخرى ، بعدما قاموا بهجومٍ على جميع أسوارها ؛ حتى لا يتمكن العدو من إعادة تحصينها .

"جيلان" (كما يصفها نفس المؤلف) ، تسمى في الماضي "هيركانيا" ، وهي منطقةٌ تعج بالحيوانات البرية المفترسة ، مثل الأسود والنمور والدببة . كما توجد بها أيضاً مدنٌ عظيمةٌ ضخمة ، خاصةً في المناطق الساحلية وشواطئ بحر قزوين ، وتعتبر مياه هذا البحر مالحة ، بالرغم من عدم وجود أي قناة تربطه بالمحيط .

يبدو شكله بيضاوياً بطول مائة ميل ، وعرضةً لهبوب الرياح العاصفة ، مما تتعذر معه الملاحة فيه ، إلا بواسطة السفن الكبيرة ، ولابد من استخدام ثقل الموازنة والصابورات المسطحة ، وذلك لوجود العديد من المياه الضحلة فيه ، وتوجد فيه عدة موانئ دولية تربطه بتجارة الشرق ، مثل "كافا" Kaffa ، في "تارتاري" ، وموانئ أخرى .

يصف الكاتب الإنجليزي "أنطوني شيرلي" هذه المقاطعة بما يلي :

هناك جبال عالية تفصل ما بين مقاطعة جيلان هذه وبين فارس ، كما توجد خمائل وأيكات تجرى خلالها عدة أنهارٍ تنحدر من أعالي الجبال بعد ذوبان الثلوج التي تغطي قممها ، كي تغمر طرق مرور القوافل والمسافرين .

أما إلى الشرق والشمال من بحر قزوين ، فيوجد سهلٌ كبيرٌ يقع

ما بين البحر وسلسلة الجبال ، وهنا ، يبدو كأن الطبيعة في تساجل الصناعة ؛ لأنه بالرغم من أن المنطقة تزخر بوجود المناطق الصخرية ، والقمم الجبلية القاسية ، إلا أنها توفر مساحات واسعة من المراعي التي توجد بها قطعان كثيرة من المواشي والدواب .

يشير "تكسيرا" أن هذه المنطقة تنقسم إلى خمس مناطق حكومية بعدد عواصمها ، كما يلي :

"راشت" التي كان يحكمها "يانشادخان" في عام ١٥٩٥م .

في "لاهيجان" ، "خان هميت" ، في "جاسكار" ، "سيانكس" ، وهو أمير تمتع بسمعة كبيرة في [لانقرشنون] "عنيزة خان" ، أحد الشجعان المعروفين في "زانجان" (؟) و"شمرون ميرزا" .

يورد "جون" الفارسي أن "هيشان" تعتبر المدينة الرئيسة في هذه المنطقة ، ويسكنها حوالي سبعين ألف نسمة .

يذكر "تيكسيرا" أن ساحل بحر قزوين يضم المقاطعات التالية :

"مازاندران" ، ويسكنها أناس أقوياء مولعون بالقتال والحروب ، وتمتد هذه المقاطعة بطول خمسين ميلاً ، وتوجد بها خمس وعشرين مدينة ، ويبلغ عدد سكان المقاطعة خمسين ألف نسمة ، وهي مقاطعةٌ جبلية تمتاز بمناخ بارد لا يجعل إنتاجها من الفواكه كاملة النضج .

بعدها تأتي مقاطعة "أستراباذ" التي تمتد بطول ستين ميلاً ، وعاصمتها تحمل نفس الاسم ، ويبلغ عدد السكان فيها خمسين ألف نسمة .

"نيسابور" ، وهي تقع ما بين "خراسان" و"أوزبكستان" أو "تاتاري" ،

وهذه مقاطعة كبيرة الحجم ، عامرةٌ بالكثير من الصحاري الرملية التي تثير العواصف الرملية الزاحفة ، وفي هذه المقاطعة توجد حجارة الفيروز الكريمة ، التي أخذت اسمها من تركستان المجاورة لها .

عن مقاطعات "خراسان" ، "كرمان" ، "هرمز" ، ومقاطعات أخرى في فارس .

تعتبر خراسان أفضل مقاطعات إمبراطورية فارس على الإطلاق ، (هذا ما يقوله "تيكسيرا") ، سواء من ناحية اتساع المقاطعة ، أو ثرواتها .

تعرف عاصمتها باسم "مشهد" ، وهي مدينة رحبة مليئة بالسكان ، وكان يدفن فيها ملوك فارس . هذه المدينة محاطة بأسوار منيعة وقوية ، وقد أقيم فيها مائة برج مزودة بأسلحة المدفعية ، ويوجد فيها سهلٌ خصيب يزخر بجميع أنواع مزارعٍ الفاكهة .

سكانها يبدون بمظاهرهم الجميلة ، بالرغم أنهم من المولعين بالحروب .

هناك مدنٌ كثيرةٌ تقع على حدودها ، أهم تلك المدن في الماضي هي مدينة "هيرات" . (حيث يشير "شيشيكاردو" في كتاباته عن الإسرائيليين الذين أبعدوا إلى أقصى أطراف فارس) ، والذي ورد في النص المقدس التأريخ ٦- (معلن ٥-٢٦) ، حيث أسماها "هارا" ، وهذا ما يتعلق بما ورد من أسماء المدن المجاورة ، مثل اسم جبل [نسيبون] [حسب رواية لليهودي "بنجامين" "Benjamin"] ومدينة [نسيبى] ، غازني (؟) ، و"شابور" التي تعرف الآن باسم "كابول" .

أيضاً نهر "كوزان" الذي ينبع منها ، ويعرف الآن باسم "أوكسوس" ، ويقول "بنجامين" : يمكن للمرء أن يسافر من حدود

فارس لمدة ثمانية أيام كي يصل إلى جبال [نسيبون] القريبة من نهر "أوكسوس" ، ويقول : ينتمي الإسرائيليون الذين قدموا إلى فارس من تلك الجهات إلى أربعة قبائل ، وإنهم ما زالوا يعيشون في نفس المدينة : "دان" ، "زابيلون" ، "أسير" ، "نفتالي" ، الذي قبض على سليمان أسار السوري ، وزج به في السجن هناك للمرة الأولى .

عودة إلى "هيرات" ، يقول "تيكسيرا" إنها مدينة مميزةٌ ومعروفة برحابتها وكبر مساحتها ، ويزعم "جون" الفارسي أن محيطها يبلغ ست أميال ، ويتجاوز عدد سكانها مائة ألف نسمة ، أما أغلى ما يوجد على أرضها وما تقوم بإنتاجه فهي مادة متحلبة تستخرج من شجرة الدرار ، ويطلق عليها اسم "مانا" (المن) .

نوعٌ آخر من "المانا" يوجد في أماكن كثيرة في فارس تسمى "تورينابين" ، وهي تشبه نبات "الكزبرة" لحد كبير ، وتنمو في أماكن نمو الأعشاب الطبية تماماً ، كالنباتات الشوكية ، وهذا هو الأرجح والأكثر تأكيداً ، ولهذه الأسباب ، فالفرس يقدمونها للأطفال والحوامل من النساء . "تاليكان" هي أيضاً مدينةٌ مكتظةٌ بالسكان كغيرها من العديد من مدن هذه المملكة .

تقع مقاطعة "كرمان" بين فارس وخراسان ، ويقول "تكسيرا" إنها تعتبر من أعظم المقاطعات في فارس ، نظراً لحجمها ، ولما تنتجه من العديد من مختلف المنتوجات القيمة التي تجد الاهتمام في معظم بلدان الشرق ، وذلك مثل مياه الورد التي يتم تحضيرها بوسيلتين : هي التشريب أو النقع ، ويطلق عليه بلغتهم لفظ [قلاب] ، أو بواسطة التقطير ، ويسمى "ارشيقول" ، أي بمعنى حلوى الأزهار .

أيضاً ، هناك إنتاج السجاد الفاخر ، بالرغم من أنه لا يماثل النوع الذي يتم تصنيعه في يزد .

أيضاً ، هناك إنتاج توتي Tutty [..غير مقروء] من أحد الجبال في هذه المنطقة ، ويصنع منه .... [غير مقروء] ، حيث يتم خلط التربة بالماء ، ثم يتم تسخينه في الأفران في أواني فخارية ، وعند الغليان ، يخرج الماء تاركًا الـ Tutty ملتصقاً بالطين .

أيضاً ، هناك نوعٌ من الحجارة السوداء الشفافة يتم إنتاجها هنا ، وهناك نوعان منها ، يوجد الأول في مقاطعتي "كرمان" و"خراسان" ، وهو الأفضل والأعلى قيمة ، ويأتي الثاني من مكة بالقرب من البحر الأحمر .

يسمى هذا الحجر الكريم "سرمح" ، ويستخدمه الفرس والعرب والهندوس لعلاج أمراض العيون ، وهو ذو فعالية كبيرة في تطبيبها . كما يتم تحضيره لأجل استخدامات أخرى ، إذ يتم استخدامه بواسطة الرجال والنساء كأدوات زينة (كحل) ، تلون به حدقات العيون كي تبدو سوداء ؛ لأن الفرس مهووسون بجمال العيون السود ، وتبدو معظم عيون الفرس سوداء .

يتفق "تيكسيرا" مع الرأي الذي يقول إن "جزبيل" كانت قد تزينت بذلك المستحضر ، ووقفت بجانب النافذة كي يراها الملك ، لكن كان خيلاؤها وغطرستها قد كلفاها حياتها ، إذ هوت ساقطةً من ذلك المكان .

في حدود "كرمان" ، هناك صحراء عظيمة تمتد ناحية الشرق حتى تصل للمناطق المسكونة .

آن لنا الآن أن نتناول مملكة "هرمز"، وبقية الجزر في الخليج الفارسي .

في الغالب ، يقسم الملاحون من ذوي الخبرات الكبيرة في الإبحار والملاحة هذا البحر إلى قسمين ، هما :

خليج "هرمز" ، ويحددون بدايته بالمنطقة الواقعة ما بين [قوادل] (قفاتل؟) في فارس ، وقمة رأس الحد في الجزيرة العربية ، وخليج البصرة الممتد من "هرمز" إلى "جارون" وحتى آخر خليج ، حيث تحتل مدينة البصرة المذكورة موقعها بالقرب من أشهر نهرين في العراق ، دجلة والفرات .

في منتصف هذه المسافة ، وبالرغم من أنها غير متساوية [غير مقروء] ؛ لأن أحد الجانبين بطول مائة ميل ، ويبلغ طول الآخر أكثر من مائتي ميلٍ) . توجد جزيرة "جارون"/ أي "هرمز"/ التي يزيد طول محيطها عن ستين ميل بقليل ، وتبعد عن بر فارس بحوالي خمسة أميال .

كانت هرمز جزيرةً بركانية في الماضي ، وكانت أرضها قاسيةً مليئة بالأملاح الصخرية ، ومن هذه يتم تصنيع أجود أنواع البارود .

تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من وقوعها على خط سبعة وعشرين ونصف درجة شمال الخط ، إلا أن مناخها في فترة الشهور الصيفية يبدو وخيماً وحاراً لا يطاق .

في الجزيرة توجد ثلاثة ينابيع معمرة في أماكن مختلفة عند أسفل الجبل ، وثلاثة أنهار ذات مياه نقية وصافية ، لكنها مالحة كملوحة مياه البحر ، لكنها تكون كريات صلبة مثل الكراميل ، وهي من

الصلابة والقوة بحيث يمكن للخيول السير فوقها ، بينما نجد المياه تنساب من تحت .

يعتبر الملح في الجزيرة ، وكذلك الذي يستخرج من الجبال بعد تجفيفه في الشمس ذا خاصية علاجية ، لكن ، يتم استخدام الأخير فقط في الأطعمة الموسمية في تمليح اللحوم ؛ لأن النوع الأول إذا ما استخدم ، فإن قوته تعمل على إفساد الطعام أكثر من حفظه طازجاً .

يوجد في الجزيرة خليجان ، ينتهي كل منهما إلى نقطة رملية ، كان البرتغاليون قد شيدوا فيها أروع الحصون والقلاع التي شهدها الشرق على الإطلاق .

لكن ، هناك مشكلة الحصول على المياه العذبة ، إذ لا توجد فيها أية مصادر لهذه المياه ، باستثناء مياه الأمطار التي يتم تجميعها في صهاريج في البلاد ، وفقط في "ترومباق" .

أما في أطراف الجزيرة ، فتوجد مياه قليلة تستخدم في ري حدائق الملك التي تنتج الجيد من الفواكه .

بخلاف هذه ، تنعدم الأشجار والغطاءات النباتية في الجزيرة ، باستثناء ما يوجد في مناطق وفسحات البلد من بعض الشجيرات التي تؤتي ثماراً شوكية ، وهي دائمة الاخضرار ، بالإضافة إلى نبات السنا (سنامكة) التي تستخدم للتداوي . بالقرب من "ترومباق" .

في وسط الصخور التي لا تبعد كثيراً عن البحر ، يجري أحد الجداول المائية ، يعرف لدى الساكنين باسم "أبدارمون" ، أي الماء

الطبي ، والشرب من مائه يساعد في الشفاء من أمراض الإسهال ، وبالتالي ، لا عجب في توافد الكثيرين إليه من السكان في أوقات معينة من السنة ؛ بقصد العلاج والتداوي .

السكان هنا من ذوي البشرة البيضاء ، ويتصف الرجال بالقوة والنشاط ، أما النساء فإنهن جميلات عموماً .

باستثناء الأتراك والفرس ، يوجد أيضاً الكثيرون من المسيحيين والبرتغاليين والأرمن والجورجيين "جاكوبابتس" ، والنستوريان ممن يعيشون في المنطقة ، وعدد وافر من الهندوس ، ومائة وخمسون من العائلات اليهودية .

بالرغم من أن الجزيرة قاحلة وذات تربة عقيمة ، لكن تجلب لها المؤن والغذاءات من أماكن أخرى ، كي تباع بأسعار زهيدة .

الهواء هنا صحي ، خاصة في شهور الربيع والصيف ، إذ تدمر الحرارة كل شيء ، لكن تكثر الأمراض في فصلي الخريف والشتاء .

ملخص القول ، تعتبر الجزيرة مركزاً تجارياً شهيراً ، ويحكمها ملوك لهم من النفوذ والقوة ما يجعلهم قادرين على فرض سيادتهم على معظم مناطق الجزيرة العربية ، وفي فارس ، وعلى طول الساحل حتى البصرة .

كان "أفونصو دي البوكريك" قد استولى عليها من قبضة الملك في عام ١٥٠٧م ، غير أن ملك فارس تمكن- بمساندة المنشقين في عام ١٦٢٢م- من استعادتها من سيطرة البرتغاليين .

وجد فيها عدداً كبيراً من الأسلحة والمدافع المصنوعة من الحديد والنحاس ، فترك عدداً منها في القلعة ، بينما أمر بنقل البقية إلى المناطق المجاورة ، وإلى مدينة أصفهان ، حيث وضعت أمام القلعة للمشاهدة ، كما سبق أن ذكرنا في مناسبة سابقة .

تقع جزيرة قشم بالقرب من البر الرئيس في فارس ، يفصلها عنه لسان بحري صغير . يبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرين ميلاً ، وعرضها ثلاثة أميال ، كما أنها تبعد عن هرمز حوالي فرسخين .

أما قيس ، فهي الأخرى عبارة عن جزيرة صغيرة في خليج البصرة ، وهي زاخرةٌ بأعدادٍ وافرة من الينابيع ، ما بين الصغيرة والكبيرة ، وبعض الأشجار الشتوية ، وكانت في سابق العهد حاضرة المملكة ، لكنها الآن لم يبق منها سوى ركام من الأطلال بعدما هجرت .

أيضاً ، هناك "أنجين" ، وهي جزيرة "لارك" ، وهذه تبعد حوالي خمسة أميال من البر الرئيس ، وتسكنها فئة قليلة من السكان ؛ خوفاً من المجموعات العربية التي تقيم في ساحل فارس .

أما جزيرة البحرين ، فتقع في وسط الخليج الفارسي ، وتفصلها مسافة مائة ميل من هرمز ، ونفس المسافة من البصرة ، لكن من بر الجزيرة العربية تفصلها مسافةٌ صغيرة قبالة القطيف التي تقع في أرض الأحساء ، التي تتبع لسيطرة الأتراك .

منذ عام ١٦٠٢م ، لم يعد لملك فارس هناك سوى حاكمه فقط ، بالإضافة للحصن عندما استولى عليه من ملك هرمز عن طريق الغدر والخيانة ، وهي (البحرين) أرضٌ ظليلة عامرة ببساتين الفاكهة ، وعلى وجه

الخصوص أنواع التمور ، وتصلح لزراعة القليل من القمح ، ولكن الكثير من الشعير ، أما الأرز الذي يكثر استهلاكه فيجلب من "هرمز" .

المياه - بصفةٍ عامةٍ - نادرةٌ ومالحة قليلاً ، ويتم الحصول عليها من آبار عميقةٍ توجد في منتصف الجزيرة .

على طول ساحل هذه الجزيرة ، تمارس مهنة صيد اللؤلؤ بكثافة ، وهذا ما يجعلها عامرة وغنية .

في الهند ، يوجد مكانان مشهوران بتجارة اللؤلؤ ، أحدهما موجودٌ في الخليج الفارسي ، والآخر بالقرب من "مانار" في الخليج في جزيرة "سيلان" ، التي يطلق عليها البرتغاليون اسم "كومورين" .

أما في البحرين ، فإن هذه المهنة تمارس في أواخر شهر مايو ، وتستمر حتى أواخر شهر أغسطس ، ويأتي تجار اللؤلؤ إلى هنا من مختلف الأماكن ، غير أن لؤلؤ ذلك الموقع له الأفضلية على غيره من جميع المناطق الأخرى . سواء فيما يتعلق بالوزن ، أو السعر ، أو القيمة الجمالية .

في كل عام يحققون دخلاً قوامه خمسمائة ألف "كروزادوس" ، هذا بخلاف الكميات الكبيرة التي يخبئونها .

ولقد ظل حاكم هرمز يتلقى أربعمائة ألف "كروزادوس" كدخلٍ ، بالإضافة إلى التجارة التي يمارسها في هذا المجال .

أيضاً ، هناك بعض الأماكن في الخليج تمارس فيها مهنة صيد المحار في شهر سبتمبر ، وهي "طيوي" "Teve" و"راس الحد" . غير أن أنواع اللؤلؤ الذي يتم الحصول عليه في تلك الأماكن يعتبر أقل قيمة .

أحداث عام ١٦٥٢م

صدرت رسالة من "براس كالديرا دي ماتوس" إلى "دوم جواو الرابع" ، بشأن قلعة مسقط حيث أرسلت أربع سفن لإسعاف مسقط ، التي كانت في حالة حرب مع العرب العمانيين ، بتاريخ الخامس عشر من شهر نوفمبر ١٦٥٢م : [٤٨]

سيّدي ،

في شهر ديسمبر من عام ١٦٤٧م ، وبينما كنت أعمل قائداً عسكريّاً في خدمة جلالتكم في "أفنتويرس" "Aventueiros" ، كان نائب الملك قد أرسلني في أربع سفن لإسعاف قلعة مسقط التي كانت في حالة حرب مع العرب .

بالفعل هذا ما أنجزته ؛ حيث قمت بمهاجمتهم بشراسة وقوّة ، وأبرز

(٤٨) رقم الوثيقة والهامش.

دليل على ذلك أنّني عندما وصلت كانت صواري سفني متناثرة ، وعلى إثر خمود الاقتتال أمرني دوم "جنرال" ؛ دوم "جيليانيس" بالتوجه للمضيق لمساعدة بعض المخافر والمراكز هناك .

عندما عاد العدوّ بكامل قوّته إلى مسقط ، أرسل لي رسالة كي أذهب إلى مساعدته ، وقد استجبت بعزم وإصرار إذعاناً لأوامره .

أمّا بالنّسبة للبقيّة ، فأرجو أن يتفضّل جلالتكم بطلب المعلومات ، بُغية الوقوف على ما حدث .

لقد تمّ السلام ، ولكن ليس كما نشتهي ، بسبب ما واجهناه من محن مثل : الجوع ، ومرض الطاعون ، وحرب طاحنة راح ضحيتها أربعة آلاف وخمسمائة من البرتغاليّين من أبناء البلاد .

بسبب هذا السلام الذي وجد حظّه من التفاوض ، أرسل نائب الملك "فرانسيسكو دي تافورا" كي يحلّ محلّه كقائد عام ، و"فرانسيسكو دلقادو" كقبطان ، وبالرغم من أنّه ليس بالشخص المناسب كي يشغل ذلك المنصب ، لكن جاء تعيينه بمثابة مصلحة ليس إلّا .

أيضاً ليس لذلك الجنرال الخبرة الكافية والمعرفة بالمضيق ، ولن يحقّق شيئاً ؛ لأنه لم يسبق أن عمل في خدمة جلالتكم ، وتكفي الإشارة للدّمار الكبير الذي تسبّب فيه فيما يتعلّق بسقوط ذلك الموقع العسكريّ ، عندما تصرّف بعكس ما نصحه به محاربون قدماء ، في الوقت الذي بقي هناك ، ومعه ثماني سفن أخرى ، وعندما تلقّيت الرسالة ، وعلمت أن الحرب قد اندلعت ، أخبرته مرّتين بأنّه يجب عليه أن يأمر بانسحابي ، كي أتمكّن من مساعدة الآخرين .

عموماً ، لم يكن راغباً في ذلك بسبب الشكوك التي تراوده نحوي ، كما يتبيّن ذلك من خلال رسالته ، استمرّت الحرب وقد خسرنا الأسوار والمدينة ، وكلّ ما معنا من ذخائر وأسلحة وإمدادات .

بعد أن فقدنا أعداداً كبيرة من الجنود زجّ بهم في غارات أساء تنظيمها ، عمل قائد القلعة على الانسحاب للحصن ، ولم يعمد هو أو القائد العسكريّ لإحضار المؤن اللازمة ، إذ كانا منشغِلَين بالمدفعيّة في البر والبحر ، والأدهى من ذلك أنّهما سمحا بأن تُشحن السفن ، وتملأ بأناس لا فائدة منهم .

وجدتُني والأغذية التي بحوزتي لا تكفي إلّا لمدّة شهر واحد ، وكانت تلك هي المؤن التي أرسلها القائد على إحدى السفن لي من فارس ، ومن هناك كانت السّفينة قد جاءتني بأخبار مفادها أنّ بعض الهاربين قد أعطوها لها (أي السفينة) بالرّغم أنّه لم يرسل تقريراً يفيد أنّ العدوّ قد دخل في الرابع عشر من شهر ديسمبر ، غير أنّني تلقّيت أخباراً عن ذلك في اليوم التاسع والعشرين .

بعد ذلك عمل جميع الشيوخ التابعين لجلالتكم على الثورة ، ونتيجة لذلك لم يبق لنا من شيء في ذلك الساحل ، فجميع البحّارة العرب والنوخذة "Nocadoes" (العاملين في مجال الملاحة في المضيق) والقباطنة الذين يقودون السفن قد هجروني وذهبوا في سبيل حالهم .

الآن ؛ وقد حلّ الشتاء ، فإنّه لم يعد لديَّ مورد مائيّ أحصل منه على ماء الشرب ، ولا مرفأ كي ألجأ إليه ، وأنا الآن على بعد خمسة وخمسين ميلاً من مسقط عرضة للرياح والأمواج العاتية بسبب رياح

المونسون ، أمّا المؤن التي توجد بحوزتي فلن تكفي سوى لمدة واحد وعشرين يوماً ، فهناك الطاقم ، بالإضافة إلى ستة وثلاثين جنديّاً من "خورفكان" انضمّوا إلينا ، لأنه ليس لديهم من الطعام من شيء .

كان القباطنة والجنود قد اقترحوا أن نبحر للساحل الآخر الذي كانت تصلني منه سفن الهند محمَّلة بالمؤن ، وبما أنّ القبطان الذي أتيت معه قد عاد إلى مسقط ، فإنّني لم أتمكّن من إيجاد الساحل .

لقد وجدت نفسي في سفينتين من الأسطول الذي قدم من السند ، لذا قرّرت أن أتّخذ طريقي صوب مسقط كي أجاهد مع البقيّة ، لأنّه لم يكن لي من خيار أفضل من هذا ، وقد أبحرت في واحدة من السفن ، هي سفينة مكشوفة ، مع أفضل مجموعة من رجالي ، ولأنها سفينة مكشوفة فقد أمرت بأن تبحر للسّند .

على كلٍّ قرّرت الإبحار محبّذاً العودة ، وبعد مُضِيٍّ عدّة أيام من الإبحار عكس اتّجاه هبوب الرّياح ، اضطرّت إحدى السّفن للتوقف عند أحد المرافئ ، لأنّه لم يتبقّ من الغذاء شيءٌ قطّ .

بعد مُضِيٍّ ثلاثة أيّام ، طلب منّي القادة والقبطان والجنود أن أذهب للسند ، حيث تعذّر علينا الإبحار إلى مسقط بسبب النّقص في الطعام ، وفي يوم الرابع والعشرين من شهر يناير ، وبعد أن وصلتنا أخبار تؤكّد استيلاء العدوّ على كلّ شيء ، أخذت قليلاً من المؤن ، ومن ثَمَّ أبحرت إلى "ديو" وأنا على يقين بأنّ نائب الملك سوف يلومني على عدم ذهابي إلى مسقط ، بالرّغم من كل الصّعوبات والمُعَوِّقات التي اعترضت سبيلنا .

لقد حبّذت الانعزال ، ولكن ليس بدافع الإحساس بالخطأ ، وإنّما لأتجنّب غضبه وعداوته التي يضمرها لي على الدّوام ، ولقد حال دون حصولي على أيّة وثائق يمكنني استخدامها في الدّفاع عن نفسي ، وأمر بإجراءٍ تحقيقيٍّ ضدّي حيث اختلف مع قاضي القضاة وكاتبهم .

في التحقيق الأوّل ، وبوجود ثلاثين شاهداً ، زعم أنّه تقدّم حتّى أصبح قريباً من مسقط ، وإنّني لم أستجب لإشارته التي أطلقها ، وإنما قرّرت عدم الذهاب لمساعدته .

هذا التحقيق باطل ، وخالٍ من أيّة حقيقة ؛ لأنّ ما حدث بالفعل هو العكس تماماً ، أمّا الآخر فقد جاء به "غاسبار جينيل" حيث أعطاه قبطانيّة إحدى السّفن المبحرة "للبرتغال" ، وعيّن كاتبه متّصلاً "almotacel" .

إنّني أتوسّل لجلالتكم أن يتفضّل بكلّ العطف للنظر بعين الاعتبار في الوضع الذي كنت فيه ، نقص مريع في المؤن والغذاءات ، عدم إيجاد أيّ ميناءٍ ، حلول فصل الشتاء وأنا أبحر في سفينتين تعملان بالمجاديف ، والسفينة الخاصّة بي سفينة مكشوفة ليس على متنها بحّارة عرب .

لا يوجد بها نؤخذة ؛ وهم قباطنة وقادة السفن ، وهناك مسافة خمسة وخمسين ميلاً تبعدنا من مسقط ، ونحن نفتقر لكلّ المؤن ، بالرغم من أنّ كلّ شيء ضروريّ يتمّ الحصول عليه من مخازن جلالتكم في مسقط ، وكانت هذه المتطلّبات تحت سلطته عندما دخل العدوّ المدينة ، لكنّه لم يستخدمها عندما أتيحت الفرصة له ، لأنّه كان بعيداً عنها .

عليه إذا كان جلالتكم يرى أنّني كنت مذنباً ، فإنّني لن أرفض العقاب الذي يرى جلالتكم أنّني أستحقّه ، لأنّني خادم مخلص

لجلالتكم ، أمّا إذا رأى جلالتكم أنّني بريء ممّا نُسِب إلي ؛ فأرجو أن يأخذ جلالتكم في اعتباره خدمتي المتواصلة طيلة هذه الفترة ، كي يعطي الأمر بالسماح لي بالاستمرار في العمل وأداء مهامي ، فليمنح الرّبُّ جلالتكم الرّخاء والرّفاه .

الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٥٢م .

"براس كالديرا دي ماتوس" .

أحداث عام ١٦٥٣م

صـــدرت رســـالـــة مـــن "دوارتـــي دا كوستا هوميم" "Duarte Da Costa Homem" إلـى نائب الملك ، بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٥٣م ، وعرض فيها انتفاضة العمانيين ضد الحكم في مسقط . (لهذه الوثيقة قصة ، نذكرها في نهاية الوثيقة) : (٤٩)

أتمنّى أن تكون صحّة معاليكم دائماً كما يتضرّع إليها مولانا ، أعتقد بأنّه ينبغي عليَّ كتابة هذه الرّسالة الحاليّة بنسختين أصليّتين ، وأنّني مازلت غير متأكّد من ذلك ، على الرّغم من عدم تفويتي أيّ فرصة ليطمئنّ معاليكم وتكونوا على ثقة بأنّني لم أترك مناسبة واحد لخدمة جلالته حفظه الله .

التفكير في أنّ الوقت قد حان لافتعال مناسبة لثورة رجال القبائل

(٤٩) رقم الوثيقة والهامش.

من المناطق النائية "كابيلدو" "cabilda" مشتقّة من الكلمة العربيّة "qabîla" ووفقاً لحكمي ، فيبدو أنّه إثبات على أنّني أعرف أنّ الناس قادرون على تولّي أمر هذا الشأن ، على الرّغم من ذلك ، سارعت بتأنٍّ ، حيث إنّه معروف أنّ الخطأ الذي ارتكب ذات مرّة ، سيتمّ تعديله لاحقاً .

ومع اعتبار هذا الأمر في الأذهان لعدّة أشهر ، فقد كنت أوصل ذلك بحرص تام إلى "مانويل مينديس" "Manuel Mendes" ، الذي كان يتمتّع بخبرة كبيرة في جميع الأمور المتعلّقة بمسقط ، هذا الشخص عربيٌّ وأعرفه جيّداً ، وكان بإمكاني أن أسأله عمّا إذا كان يتمنّى أن يعود إلى العربية (عُمان) ليبلغ بنيّتي حول [انتفاضة القبيلة ضدّ الحكم في مسقط] ، وكان يجب عليَّ أن أسعده بالطريقة التي يصبح بها ممتنّاً وشاكراً لي ، وقد وافقت على رأيه .

في غضون بضعة أيام ، وصل العرب ، وشرحوا له الخطة ، ولكنه أعلن عن عدم تحمسه للعودة إلى العربية (عُمان) ، ليواجه المخاطر الكبيرة التي قد تتكبّدها حياته ، ومع ذلك ، فإنّ الجشع يزيل الصعوبات الكبيرة ، ولكنّني نظرت إلى الأمر بالطريقة التي أمنحه بها كل ما يريد أن يأخذه من منزلي ، منحته جميع الآمال بأنّه في حالة تحقيق الخطة سأكون ملتزماً معه بما يريد .

من خلال كتابته الخاصّة ، فقد طلبت منه مراسلة شيخ رجال القبيلة الذي سيختاره ، مؤكّداً على مجاملته ، وكنت أتمنّى استدعاءه

حيث إنّه كان واحدًا من أهمّ رجال القبيلة ، يعيش حاليّاً مع الضّرائب المتكبَّدة عليه ، ومتكدّرا بأوامر الشّيخ إمام[أ] .

كان من الممكن أن يخلي مسؤوليّته بالطّرق التي يراها مناسبة ، وكان من رأيي أنّه كان يجب عليهم تقسيم أنفسهم إلى قبائل . وعند حدوث ذلك ، أتعهّد بنشر عشرين سفينة في المضيق ، وأنّ الشخص الذي يرغبون في اختياره ليكون إماماً سوف نمنحه التأييد الكامل قدر استطاعتنا ، من خلال الاستيلاء على مدينة مسقط ومطرح .

وعند القيام بذلك ، سيمنحه ثلث إيرادات الجمارك ، وعلى استعداد للحرب في أيّ مكان يرغب به ، وبالتالي ؛ فقد قمت بالتنبيه عليه بأنّ معاليه كان نائباً للملك ، وتمّت رعايته في الحرب ، كان غنيّاً جدّاً وكريماً ، وأنّه يجب عليه عدم التفكير في أنّ معاليه سيعود من جديد للمملكة بدون استعادة مدينة مسقط من جديد .

والعديد من الرسائل الخاصة بالأمور الأخرى التي كتبها ، ولم يرغب في الاستعانة بأيّة رسائل خاصّة بي ، وأنّه سيرسل شخصاً ما على ضمانته لإنهاء هذا العمل معي .

عاد هذا الرجل من جديد من شبه الجزيرة ، حيث نزل مؤقّتاً بها لمدّة تزيد عن عشرين يوماً ، وعاد مع رجل عربيّ آخر من عائلة ابن "محمد بن ناصر" "Mohammed bin Nsser" ، معاً مع رحمة بن حمود ، "محمد بن سيف" وشخص على قرابة لـ "كايد" وآخرين كثيرين .

(أ) الإمام المعنيّ هو الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي .

وقد أخبروني بأنّ اسمي معروف ، وأنهم يثقون بي ، وأنهم يرغبون في العمل كما اقترحت عليهم ، إذا ما ضمنت لهم السفن التي وعدتهم بها ، فضلاً عن منحهم عشرة آلاف من عملة اللارين ، وذلك كدفعة مالية مقدمة ، حتى يبدأوا في الاستحواذ على إرادة الناس ، وأنّ هذا الشخص الذي سيتمّ اختياره بصفته الإمام الجديد .

سيكون هذا الشخص الذي سيدعمهم بشكل أفضل للوصول إلى هدفهم ، فهم يرغبون في الرد العاجل ، وأنّ هذه الرسالة وصلت مدونة ، ولكنها غير معتمدة بالتوقيع ، وفي اليوم التالي ، انتهيت مع هؤلاء الرجال بردهم فيما يتعلق بالأموال ... "لارين" مع الأخذ في الاعتبار ما حدث "لدوم جيلانز دي نورنها" "Dom Gilianes de Noronha" .

عندما كان قائدًا في مسقط من اللحظة التي انتفضت فيها القبائل ، وأنّه يجب أن أكون متأكّدًا من هذه الحقيقة ، وسوف أذهب إلى "خصب" "Cassapo" أو إلى "جلفار" أو أيّ مكان آخر كما يرغبون ، أربعة آلاف "لارين" كدفعة حساب مقدّم باسمهم .

وأنّه مع هذا اليقين ببدء الانتفاضة أودُّ إبلاغ معاليكم الطريقة الصحيحة لتأتي مع الأسطول ، كما أكّدوا على قناعتهم ورضاهم بالعودة والمجيئ لمدّة ثلاثة أشهر انقضت .

وعاد نفس الرجل العربيّ من جديد ، ربّما قبل يومين ، حاملاً معلومات حول هؤلاء الأشخاص المذكورين سابقاً ، وغيرهم الذين كانوا على اتفاق معهم ، قد اتفقوا على الأخذ في الاعتبار على أن الإمام يجب أن يأتي إلى مسقط ، ومن ثَمّ الذهاب إلى موطنه "نزوى" ،

واتفقـوا علـى نصب كمين له في ممرٍّ ضيّق وقتله هناك ، وأنّه في مكانه (الإمام) ، وأنّه يجب عليهم اختيار "قاضي الرستاغ" مكانه .

وبما أنّ الإمام قد اختار العودة إلى نزوى ، فكان محظوظاً بقيامه بذلك من خلال سلوكه طريقاً آخر ، وبالتالي فشلت الخطّة بهذه الطريقة ، وعندما وصل إلى "نزوى" تمّ تحذيره بأنّ هؤلاء الأشخاص المذكورين أعلاه جاءوا في طريقه لقتله ، وعند معرفة الإمام ذلك .

استدعى العديد من الأشخاص ، وأرسلهم للبحث والقبض على هؤلاء الأشخاص المذكورين أعلاه ، قبضوا على "محمد بن سيف" شيخ بن الصير" ، وشخص آخر من بيت "كايد"[أ] معاً ؛ مع سبعة أو ثمانية أشخاص ، أو ما يزيد عن ذلك ، وابن "محمد بن ناصر" معاً ؛ مع ابن عمّه رحمة بن حمود الذي هرب إلى "ظفار" ، كانت هذه هي آخر الأخبار التي وصلتني .

(أ) توضيح حول الأسماء المذكورة في الوثيقة :
- الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي .
- القاضي خميس بن سعيد الشقصي ، قاضي الرستاق .
- ابـن محمد بـن ناصر بن جيفر بنـو مالك ، والده هو الـذي اشترك مع القـوات الفارسية في احتـلال صحار ، حيث قتل هنـاك . أما ابنه فقد اركب سفينة القيـادة البرتغالية ، بعد مقتل والده في قلعة صحار ، ونشأ مع القوات البرتغالية . وهو الذي حكّموه خصب عندما استعادتها القوات البرتغالية من العمانيين ، ونسله باق في خصب ، وهم بنو مالك .
- رحمة بن حمود ، والملقب بكايد بن عدوان ، جد القواسم في الشارقة ورأس الخيمة ، وهو الذي اشترك مع خاله محمد بن ناصر بن جيفر في احتلال خورفكان وكلباء .
- محمد بن سيف شيخ الصير ، وهو ابن الشيخ سيف بن علي بن صالح القاسمي الذي قام بترتيب وكتابة اتفاقية السلام بين اليعاربة والبرتغاليين بتاريخ الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م .
- شخصـ علـى قرابة بكايد : هو فاهـم بن أحمد القاسمي ، شيخ الشارقـة ، ابن عم رحمة بن حمود ، الملقب بكايد بن عدوان .

يقول الناس إن هناك رهبة كبيرة في العربيّة (عُمان) بشأن هذه الانتفاضة التي لم يسمع بها أحد ، ويقول الناس إنّ الإمام شعر بالخذلان ، وأنه استدعى أنصاره ، وأدرك أنه في خطر .

وصل الفرس إلى "كنغ" "Kong" الذي أخبرني أنهم سمعوا شفهيّاً أن الشخص في خطر بسبب فرض الكثير من القوانين والضرائب .

أعتقد يا جلالة الملك أنّ شيئا ما حدث من خلال الإفصاح عن ما أخبرته لك ، عندما استشعر الناس أنّه من المستحيل أن يجرّب شخص ما شيئًا جديدًا في العربية (عُمان) ، أعتقد أنه كان يجب إرسال كلمة إلى معاليه من خلال سفينة "ديو" ، وربّما تسمح لجلالة الملك فتح طريق جديد ، مما يمكننا بالقوة الكافية لتوسيع هذا الطريق إلى المناطق النائية ، وجبال العربية (عُمان) .

وقد أخبرنا الرجل القادم من شبه العربية (عُمان) بهلعهم الشديد ، لأن الهولنديّ الذي كان في مسقط أخبرنا بأنهم يعرفون معاليه من "البرازيل" "Brazil" ، وقد حذّروا الجميع على أن يكونوا حريصين ، ومما لا شكّ فيه أن هناك حالة من الاستعداد في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربيّة .

وهناك أقاويل كثيرة بأن الأمير هو الذي يحكم ، وكذلك الأمير هو من خاض وربح الحرب ، إلى العامل الهولندي هنا في "كنغ" ، وكانت هناك القليل من الإشاعات والأقاويل التي كنت أوصلها له ، والتي كانت كافية للتأكيد على ثقتنا بشيء ما .

تنقل السفينة الأخبار من "السند" ، والتي وصلت بتاريخ الرابع والعشرين من شهر أكتوبر ، وكان تأخيرها مجهول السبب ، على

اعتقاد بأنّني سأتلقّى بعض الرسائل من معاليكم ، ولكنني لم أتلقَّ أيّ رسائل ، وممّا زاد حزني ، عندما أخبرني العامل بأنه من خلال خطاب لمعاليه قد أرسل لي اثنين من الرسائل .

واحدة منهم فُقدت في طريقها من "ديو" حتى "السند" ، والأخرى تمّ إرسالها مع خطاب كان قد أرسله لي ، ولكنّني لم أتلقَّ أيّاً منهم كذلك ، كان هذا العجز في الأخبار محسوسا بعمق ، ولا توجد سلطة نعاني منها خلال عام كامل ، فإن معاليه لم يدوّن أي ملاحظات على هذا المنزل .

وكما كتبت سابقاً ، في حالة الفشل ، ستعمل الخطة على أمل استعادة مسقط .

السفينة التي قرّرت أن أرسل البساط بها سترسو في مسقط ، وفي مدينة السند لبضعة أيام ، ممّا يشعرني بالقلق بأنها لن تصل في الوقت المحدّد لها لتغيير البضائع مع السفن التجارية الكبيرة ، ولكنّني فعلت كلّ ما بوسعي .

في الرسائل التي دوّنتها لمعاليكم ، فقد سألت إذا ما كان بإمكاني خدمتكم لتسليم ألف وثلاثمائة وثلاثين "لارينا" إلى السكرتير "جوسي دي تشيفـاس" "Jose de Chaves" أو إلى صهري "روقي بيرار" "Roque Pereira" نظير ائتمان منزلي ، نظرًا لأنّني سأقدّم حسابًا جيدًا للمبلغ المذكور أعلاه ، فأنا الآن أسأله مرة أخرى لأن الصعوبات المالية التي أواجهها في المملكة كبيرة في "البرتغال" .

هل لي أن أستسمح معاليكم للطلب من السكرتير بعمل حساب

لمستحقاتي لجلالته ، حتى تكون وفقاً لتلك التي تمّت سابقاً من خلال الحكومات السابقة ، وبدون سؤالي عنها .

كما قلت سابقاً ، إذا كانت عندي إجابة على السؤال من خلال بعضٍ من الرسائل التي أرسلتها إلى معاليكم ، ولكن تمّ تجاهلها ، ومع ذلك يتضح لي أنني كنت أقوم بخدمتكم على أكمل وجه ، وأنّ العامل الهولندي يثبت ذلك ، وهذا هو السبب وراء قوله إن صاحب الجلالة يجب أن يمنحني رعايته ، فهو يعلم بذلك .

أعتقد أنّه من المناسب لمعاليكم أن تأمرني بأن يكون لي مطلق الحرية في الوعد بما أراه معقولاً ، من أجل إنجاز خدمة جلالته فقد قمت بالفعل مع الدعم الذي أملك لهؤلاء ممن يرغبون في سماع أخبار : ماذا لو تمّ استعادة مسقط ومطرح من جديد إلى البرتغاليّين على وضعها الحالي ؟

يجب أن أسلّم أكثر من ستّين ألف "برادوس" من الـ "لارين" ، وأن أرسل كرهينة إرضاءً لذلك في صورة نقديّة ، وبضائع سيتم تداولها في العربية (عُمان) ومن الخارج ، وقد وعدت ... الأشياء والأشخاص الذين تعاملت معهم .

بعد مرور العديد من الأيام ، حصلت على ردّ ، ولكن ليس بدون ... وقت ، فقد أدركت جيّداً أن هذا الشخص كان عدوّاً ، ومع ذلك لم يشعر بالارتياح بدون ... أشياء قليلة تعاملت معها ليس من الضرورة سردها ، إنه بتأثير من ... للقيام بذلك ، وإذا ما تم إرسال الرسائل بأمان

أكثر ، كنت سأقوم بذلك أيضاً ، لأن حكام الأرض يشعرون جيّداً من خلال الاستحواذ عليّ ... مع من يريدون لن يفعلوا ذلك .

وأثناء ذلك الوقت ، كنت أنتظر المناسبة اللازمة لإرسال بعض الرسائل ، واستلمت باليد عن طريق "مالطا" "Malta" ، رسالة قصيرة من الوطن ، مدوّنة بتاريخ الثاني عشر من شهر يناير ، ولكنّني أراها مهمة جداً بالنسبة لي ؛ لإعطائي المال الذي طلبته من معاليكم ، ويوجـد بيـان في فحوى هذه الرسالة بأن السلام بين "هولندا" "Holland" و"البرتغال" تمّ منحه في الهند ، مع وجود بعض التفاصيل الأخرى حول وصولي لتعزيز ذلك .

كما تفيد تلك الرسالة أيضاً أنه كان من المتوقع في الأسطول الذي أرسلته لي ... وباستشارة المحكمة ، صدر مرسوم من جلالته يسمح لي بالدخول إلى "اليابان" والذي اختفى ، ولمزيد من التأكيد على ذلك لم يتمّ العثور على أي رسالة شكر ، يا سيّدي ؛ أنا لا أملك شيئا آخر أعرضه غير مستحقّاتي .

الوزير الذي كان صديقا مُقرّبا لي قد أرسل كلمة لمنزلي بدون إخباره ، يحذّرني بأنه يجب عليّ أن أتوسّل إلى معاليكم لطلب المرسوم مجدّداً [الخاص بـ"اليابان"] وأن هذا الطلب يتم إرساله في جميع المراكب المتّجهة إلى "البرتغال" ، نظراً لأنه كان من المؤكد صدوره لي ، لأن الشرط الذي تأسّس عليه قد تم استيفاؤه .

هل لي أن أرجو من معاليكم بسبب عظمتكم بإرسال الالتماس

الذي قد يكون موجودا كما أتوقّع من معاليكم أن يمنحني هذا الشرف الذي سيتضح في الرسالة مدى استحقاق هذا التكريم .

لم أستطع إرسال هذا الخطاب من خلال السند إلى "ديو" ، نظراً لأنّ المراكب تغادر في وقت متأخّر ، وأعتقد أنّه من الأفضل إرساله من خلال "سلات" ، من خلال "كريستين أرمينلان" "Christaian Armenlan" الذي كان بمقدوره العودة لجلب الأخبار عن صحّة معاليكم الجيّدة ، والأخبار الأخرى التي قد تساعدنا أيضاً في تحمّل الأعباء في كثير من الأوقات .

حفظ الله شخص معاليكم

"كنغ" بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٥٣م .

خادم معاليكم ،

"دوريتا دا كوستا هوميم" .

قصة الوثيقة رقم : ٤٩

من ضمن الكتب التي كنت كلفت بعض البرتغاليين بترجمتها كتاب : "وثائق مجلس الدولة" " ASSENTOS DO CONSELHO DE ESTADO " ، جمعها وحققها الدكتور الهندي "باندورانغ إس إس بيسورلينكار" "Panduranga S . S . Pissurlencar" ، الوثائق من خمسة أجزاء ، تم طبعها في شمال "غوا" في عام ١٩٥٦م .

كان الكتاب المذكور هو عبارة عن وثائق مجلس الدولة ، وإذا بإحدى الوثائق وهي التي ننشرها في هذا المجلد تحت رقم : ٤٩ تتحدث عن

القواسم ، فاتصلت بصديق لي "بغوا" ، هو الدكتور"جوزيف باروس" " Joseph DE . Barros " مدير أرشيف " غوا " السابق استفسر عن تلك الوثيقة ، فأجابني بأن الوثيقة ليست موجودة فقد تمّت استعارتها ، وربما من قبل الأرشيف الوطني البرتغالي .

كانت نتيجة البحث عن تلك الوثيقة في الأرشيف الوطني البرتغالي أن الوثيقة ليست موجودة لديهم .

للأمانة العلمية لم أقم بإخفاء تلك الوثيقة والتي بها ما يمس سمعة القواسم ، فقمت بنشرها كما جاءت في كتاب "وثائق مجلس الدولة" .

تم نشر هذه الوثيقة في كتاب تاريخ اليعاربة في عُمان ١٦٢٣م-١٧٤٧م ، الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ، وهو الجزء الثالث من موسوعة سلطان التواريخ ، منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٢٢م ، ص٥٩ .

وفي العام نفسه (١٦٧٠م)

صدر تقرير عن الأسطول البرتغالي ومعركة "كنغ"[أ] ، "لشبونه" ، بتاريخ عام ١٦٧٠م :[٥٠]

تقرير بشأن رحلة ونجاح الأسطول في مضيق "هرمز" ومعركة "كنغ" :

بعد عملية النهب التي طالت ضواحي "ديو" من قِبل العرب ، والتي عادت عليهم بفوائد أكثر من الصيت والشهرة التي تحقّقت لهم ، قرّر حكام مملكة الهند بناء أسطول لأجل تأديبهم ، وتجريدهم من تلك الشهرة التي اكتسبوها ، والحصول على تعويض عن الأضرار التي ألحقوها بنا .

قام الحكام بتعيين "دوم جيرونيمو مانويل" "D . Jeronimo Manuel" كقائد عامّ في الأسطول ، وكان المذكور قد تولّى قيادة القوّات في المضيق

(أ) وجدت هذه النسخة في مكتبة كويمبرا .

(٥٠) رقم الوثيقة والهامش.

إبان فترة نائب الملك "جواو نونو دا كونها" "Joao Nuno da Cunha" ، وكان قد أعفي من ذلك المنصب بسبب تدهور صحته ، لكن بما أنّ الربّ قد قدر ذلك وبسبب حرصه على صون هيبة الأمّة .

قد قبل بذلك التعيين ، مؤمناً بالمثل الذي يقول : (إنّ الجسد الواهن لا يميت القلب الشجاع ؛ بل إنّ القلب الشجاع يحيي الجسد الواهن) ، وإن الربّ سيكون عوناً لمن يقاتلون في سبيله ، ويذودون عن شرف وحمى بلادهم .

كان الأسطول قد تألّف من سفينة العلم "ساو بنتو" مع الجنرال "د . جيرونيمو مانويل" كقائد حربيّ والقائد "مانويل دي سوسا بيريرا" إلى جانب ثلاثين قطعة من المدفعيّة وثمانين جنديّاً من القوّات الحربيّة .

سفينـــــة الأدمـــيرال "نـــوســـا ســـنهورا دوس رمـــيدوس" "Nosa Senhora dos Remedos" التي كان يستغلّها الأميرال "جوزيف دي ميلو دي كاسترو" "Joseph de Milo de Castro" ، والذي بسبب جنسه ، وما يتوقّع منه من إقدام قد تأهّل لأخذ ذلك المنصب ، هذا إلى جانب القائد العسكريّ البحريّ "أنطونيو ريماو" "Antonio Rimao" ، وكان الأسطول قد زُوِّد أيضاً بعشرين مدفعاً وخمسة وخمسين جنديّاً .

هذا ؛ وقد زوّدت الفرقاطة "نازاريث" "Nazarith" التي يقودها الضابط البحريّ "بدرو كارفالهو" "Pedro Carvalho" بأربعة عشر مدفعاً ، وسبعة وأربعين جنديّاً ، وأربع سفن عاملة بالمجاديف ، وإحدى السفن الحربيّة ، وبالكابتن "جواو فرير دا كوستا" كقائد عام .

و"أنطـــونيـــو كارفالهـــو" "Antonio Carvalho" ، "مانويـل فرير"

"Manuel Freire" ، "د . مانويل لوبو" "Manuel Lopo" ، "فرانسيسكو رودريغيز" "Francisco Roderigues" و"أنطــوينو بـــاشيـــكـــو" "Antonio Pachico" كقادة .

كانت قوّة الأسطول صغيرة إذا ما قورنت بقوّة العدوّ الضخمة ، وعموماً ؛ إذا كانت الشجاعة تقاس بمعيار التغاضي عن العدد ؛ فالبرتغاليّون هم الأشجع ، بالرغم من أنّ العرب يفوقونهم عدداً .

في يوم الخميس الرابع عشر من شهر مارس عام ١٦٦٩م ، شرع الأسطول في الإبحار في تمام الساعة السادسة صباحاً من ميناء "أجوادا" .

أثناء إبحاره في الطريق بمساعدة الرياح في يوم السابع والعشرين ، لاحت له إحدى السفن في الساحل العربيّ وهي قادمة في الاتّجاه المضادّ ، وبما أن سفينة العلم كانت الأقرب ، فقد اتّجهت نحوها للتدقيق ، وعندما صعد القائد إلى ظهر السفينة (حيث كانت السفينة تؤول إلى القائد في "دامان" وهي تبحر بحمولته نحو المضيق) ، فقد أمر بعدم الانفصال عن الأسطول ، وذلك كي يكون في مأمن ، حيث إنّه سوف يبحر مع أكبر مجموعة من السفن .

في يوم الثلاثين من شهر مارس رصد أيضاً ظهور أحد القوارب الشراعية بالقرب من جزيرة "مصيرة" ، وفي ظلّ هدوء البحر أُبلغ القبطان "أنطوينو كارفالهو" بضرورة تفتيش القارب بسفينته ، وبالفعل عاد في اليوم التالي ؛ بعد أن تبيّن له أن المركب لا يحمل ترخيصاً بالعبور ، وكان يبحر حاملاً إمدادات إلى مسقط ، وقد تمّ احتجاز المركب لغنيمة مستحقّة .

في يوم الرابع من شهر إبريل تمّ إرسال قائد القوّات "جواو فريرا دا كوستا" في الأسطول العامل بالمجاديف للتزود بمياه الشرب من جزيرة "مصيرة" ، وكان على الأسطول الكبير أن يقوم بذلك ؛ بحيث يتّجه إلى منطقة رأس الحدّ ، وعلى بقيّة السفن العاملة بالمجاديف الانتظار في خليج صغير خارجي حسبما تقرّر .

في يوم الخامس ظهرت سفينتان تبحران حول الجزيرة ، كانت إحداهما خارج نطاق المدى ، بينما أصابت قذيفة انطلقت من مدفع سفينة العلم السفينة الأخرى ، وخشية من قذيفة ثانية عملت السفينة على إنزال شراعها الأعلى ، ومن ثم أرسلت قاربها .

بعد فحص الرسائل التي كانت تحملها من الحاكم ، سمح لها بمواصلة رحلتها .

في السابع من الشهر عمل الأسطول على الرسوّ في الخليج ، بعدما تقرّر انضمامه للأسطول العامل بالمجاديف ، وفي يوم الحادي عشر كان هناك مركبان يحملان شحنات من ألياف جوز الهند من جزر المالديف إلى مسقط ، وكان قادتهما قد اعتقدا أنّ فرقاطاتنا تؤول للعرب .

لذا عملا على الاقتراب منها ، ولكن عندما شعر الزنوج أن أسلحتنا تطلق نيرانها عليهم ، تبيّن لهم أنّهم يواجهون أعداء وليس أصدقاء ، لذلك سارعوا بإلقاء أنفسهم في المياه تاركين سفينتيهما في أيدينا لينقذوا أنفسهم .

في يوم الثاني عشر وجدت الفرقاطة "ساو جواو دي بيريرا" "Sao Joao de Perriera " نفسها تبحر قريبة من الشاطئ الداخليّ مع

سفينة محمّلة بشحنات الأرز إلى مسقط ؛ قادمة من "كارانا" وهي عدوّ مجاور للمملكة ، وكان الظلام وقتها حالكاً ، بحيث اصطدمت مع بعضها بعضاً دون أن ترى إحداهما الأخرى .

على كلٍّ ؛ فعندما رأت الفرقاطة السفينة على مسافة قريبة منها سارعت بمهاجمتها ، حيث أطلقت عليها النار ، وأصابت سفينة "كانارا" إصابة بليغة ، عمل البحّارة الذين ألقوا أنفسهم في الماء على سحب السفينة بمعاونة بعض العرب .

عندمـا رأى قبطـان الفرقاطة "أنطونيو دي كاسترو دي ساندي" "Antonio de Castro de Sandi" هذا ، قام بإرسال مركبه ، وأوصى بحّـارته بأنّه إذا مـا تبيّن لهـم استحـالة جـرّ السفينة نحو الشاطئ أن يحرقوها .

عموماً ؛ عندما وصل بحارته مكان السفينة ، وجدوها قد تحطّمت بالفعل ، وتمزّقت أوصالها ، ولم يبدُ أنّ سحبها للشاطئ سيكون أمراً ذا جدوى أمام الأمواج الهادرة التي تثيرها الرياح التي عرقلت وشلّت حركة السفينة تماماً ، بل وحتى المركب نفسه واجه صعوبة بالغة في العودة للفرقاطة .

في المساء ظهرت سفن التجديف ، حيث رست قريباً من الأخرى ، غير أنّ السفينة التي حصل عليها القبطان "أنطونيو كارفالهو" كهديّة انعزلت عن البقيّة بسبب رداءة الطقس ، ولابدّ أن يكون البحر قد ابتلعها في جوفه ؛ لأنّه لم يعد يسمع أيّ شيء عنها في أيّ ميناء من الموانئ .

في يوم الثالث عشر عقد القائد "دوم جيرونيمو مانويل" اجتماعاً

للتفاوض حول ما يمكن عمله في مسقط ، إذا ما كان أسطول العدوّ موجوداً في المضيق (كما هو متوقّع) ، وأنّه يرغب في دخوله بسفينة العلم ، وهي الفرقاطة الأكثر قوّة ، بالإضافة إلى بعض السفن الحربيّة ومراكب التجديف .

على كلّ حال ؛ جاء قرار المجلس برفض هذا الاقتراح بالإجماع ، وأشاروا أنّ استخدام سفينة العلم سوف يعرض جزءاً كبيراً من الأسطول إلى خطر جسيم ؛ وبالتالي ؛ فإنّهم لا يرون سبباً يجعلهم يواجهون ذلك الخطر .

عليه ؛ فقد رأوا بذل الجهد لإيجاد ترجمان ، على أن يتم اتخاذ القرار النهائيّ والمناسب بعد أن يتبيّنوا موقع العدوّ في مضيق تلك المدينة .

في خلال المدّة التي كان الأسطول موجوداً في الرأس كانت هناك عدّة سفن من "كنارا" تبحر في طريقها صوب مسقط ، لكنّها بمجرد أن ترانا كانت تغيّر من وجهتها لتبحر إلى الداخل دون أن تقترب للدخول في المضيق ، فتجرفها الأمواج صوب الهند ، لذا فقد ضاع الكثير منها في الساحل في الشمال ، وغالباً ما تواجه خطر الاصطدام بصخرة "سكيلا scylls" عند محاولتها تفادي "شاريبديس" "charybdis" .

في يوم الرابع عشر شرع الأسطول بكامله في الإبحار نحو مسقط ، حتى وصل في يوم الثامن عشر إلى مشارف "طيوي" وحينها وجه القائد "د . جيرونيمو مانويل" قائد قوّاته المدعو "جواو فيرير دا كوستا" للإبحار قريباً من الشاطئ ، وهذا ما فعله بواسطة مراكب التجديف ،

مصطحباً "المانشوى" وأيضاً القبطان "مانويل دي أندريد" الذي يعلم الكثير عن تلك البلاد .

ذلك يتمّ للتأكد من إمكانية نشر بعض الجنود المسلّحين في الشاطئ ، لأنّه بوسع أولئك احتلال قمم الجبال القريبة من البحر ، ومراقبة ساحل "طيوي" هذا ، وإن لم يكن العدوّ قد سبقهم لاحتلالها فبوسعهم أن يتمكّنوا من الحصول على الماء تحت مراقبة وحماية أولئك الجنود المسلّحين .

بينما كان القائد يبحر في ذلك الطريق ، التقى بسفينة قادمة من "كنارا" محمّلة بالأرز ، وكانت تسير بمحاذاة الشاطئ للدخول في خليج مسقط ، وعندما اقتربت "المانشوى" وسفن التجديف ، هرب "الكناريّون" من السفينة ، وألقوا بأنفسهم في الماء ، وسبحوا نحو الشاطئ ، تاركين السفينة كي تواجه مصيرها المحتوم ، حيث تمّ نهبها ، ومن ثمّ أرسلت للقائد العامّ .

كان القائد العام قد وضع بعض رجالنا في السفينة ، ومن ثم تمكّن من الوصول بأسطوله إلى البرّ ، وبعدها وضع مجموعة أخرى من الرجال على الشاطئ ، حيث تمكّن هؤلاء من الوصول إلى قمم الجبال ، وعندما حاولت السفن الإبحار قدم بعض العرب لمنعها ، فأدرك القائد العامّ أنّ مقاومتهم تلك سوف تعوق عمليّته ، لذا أمر اثنتين من سفن التجديف بغزو وتهديد إحدى القرى الواقعة على الشاطئ ، وبتقسيم تلك القوّة ستصبح دفاعاتهم ضعيفة .

بالفعل ؛ تمّ له ما أراد ، حيث نُفِّذت الخطّة بشجاعة عظيمة ، وبعد

انفصال مجموعة العرب عن معظم قواتهم التي هدّدوا بها جنودنا في مواقعهم في قمم الجبال ، وتحمّلوا وطأة الهجوم مستمرّين في المقاومة منذ الواحدة بعد الظهر ، وحتى الواحدة بعد منتصف الليل ، كان إطلاق النار متبادلاً بين الطّرفين .

كانت النتيجة أن حصلنا على المياه ، ولم نخسر سوى جنديٍّ واحد ، وتمكّن البقية من الصعود للسّفينة ، أمّا "مانويل أندريد" فقد عاد برأس أحد ضحايا القتال من العرب ، حيث قدّمه إلى القائد العامّ كشاهد ميّت على موت الكثيرين في ذلك الاشتباك .

عندما انضمّت سفن التجديف للفرقاطات ، عمل الأسطول على مواصلة رحلته ، وفي الثامن عشر من شهر إبريل الذي وافق (خميس الفصح) في الأسبوع المقدّس ، وصل الأسطول في الثامنة مساءً إلى مدخل خليج مسقط ، وألقى مراسيه أمام قلعتها ، وقضى الجنود تلك اللّيلة في هدوء تامّ .

أمّا في صبيحة اليوم التالي ، فقد بدأ النزاع المسلّح حيث شرعت سفينة العلم في توجيه نيرانها نحو قلاع المدينة ، وكذلك فعلت بقيّة الفرقاطات الأخرى الشيء نفسه ، للتسبّب في أكبر قدر من الدّمار ، وبالمثل جاء ردّ القلاع التي شرعت في تبادل إطلاق النار صوب الأسطول ، لكن لم يكن ذا تأثير ملحوظ .

استمرّ القصف طيلة ذلك اليوم ، كانت بعض الفرقاطات قد أصيبت ، لكنّ الأضرار لم تمسّ أيّا من الرجال ، أمّا نيران أسلحتنا فقد كانت أكثر فاعليّة وتأثيراً ، لأنّ الجنود في سفينة العلم كانوا قد نجحوا

في تدمير "متاريس بستين سان أنطوينو" ، وأسكتوا بعض قطع مدفعيّته ، وقتلوا بعض الجنود ، أمّا الفرقاطة "ساو جواو دا ربيرا" فقد استخدمت أسلحتها ضد سفينة العلم التابعة للعرب ، عندما رأوها في الخارج ، لكن بما أنّ الخوف يسبق الأمل ، فقد اضطرّت للتراجع .

في حالة أخرى كانت قد تعرّضت للقصف عندما حاولت إلحاق الدّمار في بعض مواقعنا ، لكن تمكّن جنودنا ببسالتهم من تأديبها ، ولو لم يكن قد تمّ ذلك بسبب الدمار ، فقد تمّ لمجرد محاولتها تلك .

أمر القائد جميع قطع الأسطول بالرسوّ لقضاء الليل خارج مدخل الخليج ، وبعد أن استدعى المجلس ، اقترح في ظلّ مشاهدته لتداعي الوضع أن يشيروا عليه بما يمكن عمله ، وهنا اختلفت وتباينت وجهات النظر ، لكن كان إجماعهم على الاعتراف بأنّ العدوّ قد أعدّ نفسه جيّداً ، وأنّ سفنهم تبدو باستثناء السفينة "سياو" "Ciao" كالسفن التجارية (إذ كانت "سياو" تعمل كسفينة العلم ، وأنّه إذا ما عملت سفننا على دخول المضيق .

لا شكّ أنّ المجازفة ستكون أعظم من الفائدة التي يمكن أن تترتب على تلك الخطوة ، وبالتالي ؛ كان رأي الأغلبية منهم تأييد فكرة دخول السفينة الحربية مع "المونشوى" فقط ، لكن لم يوافق القائد على هذه الفكرة ، إذ أراد الذهاب وحده بسفينة العلم معوّلاً على شجاعته الشخصية فقط .

بما أنه قد صمّم على القيام بهذا الأمر ، فلم يكن هنالك من سبيل للسماح بالسفن الصغيرة بالمجازفة حتى لا تتعرّض للقصف والدّمار ،

وعليه ؛ فقد أمرهم بألا ينفصلوا عن الأسطول ، بما أن العرب في الخارج على أهبة الاستعداد لمواجهة سفينة العلم ، فإنّنا في حاجة لزيادة قوّتنا وتعزيزها بالتآزر والتكاتف سواء من أجل النصر أو المقاومة .

تعتبر مسقط الميناء الوحيد في جنوب الجزيرة العربيّة ، وذلك بسبب عدم توفّر أيّ ميناء آخر في الساحل يمكنه استقبال السفن الكبيرة ، وأيضاً بسبب السلامة والتدبيرات الاحترازية التي تتوفر في ذلك المكان ، فقد حبَته الطبيعة بموقع رائع آمن في قلب المنطقة الجبليّة العالية التي يصعب طرقها ، لذا فهو محميٌّ تماماً .

يمكن أن تبقى فيه المراكب والسفن آمنة ، حتى لو تعرضت لأقوى الرياح ، وبوسع المضيق أن يستوعب العديد من السفن ، ويتّخذ شكلاً بحيث يمكن أن تكون الأسلحة الخفيفة ذات فعاليّة كبيرة إذا ما أطلقت نيرانها في أيّ موقع في أعلى الجبال المحيطة به ، والتي تمثّل أيضاً مواقع جيدة للمراقبة .

الجنود المسلّحون بالبنادق لا يحتاجون لمهارات عالية ، لأن الأسوار والمتاريس وغيرها من وسائل التحصينات لم تُبنَ لأجل الدفاع ، وإنّما بنيت فقط كديكور للزينة ، لكن في الحقيقة تكمن القوة والمناعة في الجانب المواجه للبحر ، والجانب البريّ ، ولابدّ من مراقبتهما وإضعافهما إذا ما أريد الاستيلاء عليه .

في يوم العشرين ، وعندما حلّ الظلام ، كانت إحدى السفن القادمة من السند تحاول الدخول إلى مسقط ، وعندما أبصرتها سفينة العلم عملت على تسيير "المنشوى" في اتجاهها ، وبعد أن وقع الاشتباك

اضطرّت السفينة للاستسلام ، بعد أن أصيب الكثيرون من ركابها ، أما البقيّة فقد عمدوا للفرار إلى الجبال المجاورة ، ثم نقلت بضاعتها إلى سفينة العلم ، وتمّ إحداث خرق في السفينة ، لأنّ عمليّة إحضارها سوف تبدو كعائق أو عقبة أكثر من كونها نصراً .

في نفس اليوم ؛ أبحرت "المنشوى" كي تلاحق أحد مراكب العرب ، وعندما وصلت الشاطئ في مطرح ، قدمت مجموعة كبيرة من العرب لمساعدتها ، لكن تمكّنت مدفعيّتنا من إحداث دمار كبير في وسطهم ، لأن "المنشوى" كانت –من غير المتوقّع– قد اشتبكت معهم في القتال ، وحينها أطلقت قذيفة في الهواء كي تجعلهم يتراجعون إلى سفينة العلم ، وعموماً ؛ كانت خسائرنا في الأرواح طفيفة جدّاً ؛ لا تقارن بما تكبّده العرب من خسائر وضحايا .

بما أنّ النقص في المياه ما زال ماثلاً ، فقد عمل القائد على إرسال السفن التي تمّ الاستيلاء عليها إلى "كنغ" ، لكنّها عموماً ؛ لم تتمكّن كلّها من الوصول إلى ذلك الميناء ، فقد ظلّت إحداها في ساحل السند ، نظراً لسوء الأحوال الجويّة ، وفي نفس اليوم ، وبعد أن علم أنّ أسطول العرب قد غادر مسقط في طريقه إلى مكّة .

قرّر الجنرال رفع المراسي ، والإبحار بالأسطول لملاحقة السفن ، فأرسل خمس سفن إلى "كنغ" ، وأصدر لهم توجيهاته بأن يتفاوضوا مع المشرف العام ، ووكيل الخزانة ، وفي حالة رفض الفرس تسليمها لهم دون مقاومة ، يجب عليهم أن يستولوا عليها عنوة .

في يوم الحادي والعشرين (عيد الفصح Easterday)، تم تنفيذ القرار

الذي كان قد اتُّخذ ، وبينما كان الأسطول مبحراً من مسقط إلى "كنغ" تعرّض لهبوب رياح شماليّة شرقيّة ، وكانت من القوة ، بحيث أجبرت الأسطول على التوجّه إلى قريات ، وهي مدينة بحريّة في بلاد العرب .

في اليوم الأخير من ذلك الشهر ، شوهدت سفينة ضخمة تؤول إلى ملك فارس تأخذ طريقها للميناء الذي كنا غادرناه ، وهي تحمل مائة وأربعين ألف كيسٍ من الأرز ، وكمّيات ضخمة من الفلفل والقرفة حسبما تبيّن مؤخّراً ، وقد قام الأسطول بملاحقتها حتّى أجبرها على اللجوء ، والحماية بقلعة جزيرة قريات ، وعند اقترابها منها ضيّقت عليها سفن التجديف حتى جنحت ، ومن ثم شرعت في حماية نفسها باستخدام الأسلحة الصغيرة .

عندما رأى القائد ذلك ، أمر قائد القوة بمناوشتها بسفنه ، وبإطلاق النار على القلعة ، وأرسل مجموعة من "المنشوى" آمراً قادتها بالإبحار بمحاذاة السفينة ، وإذا ما تعذّر عليهم إطلاق نيران مدفعيتهم أن يعملوا على حرقها ، وبالفعل قام بتنفيذ كلّ ما أمر به قائد القوة ، ولم يدع العرب يذودون عن السفينة .

لكن بالرغم من ذلك تمكنت السفينة من الدفاع عن نفسها لوقت قصير فقط ، وعمل كلّ من على متنها بإلقاء أنفسهم في البحر ، والسباحة نحو الشاطئ كي ينجوا بأنفسهم ، لكن هناك مجموعة كان مصيرها الغرق بسبب ارتفاع الموج .

بما أن السفينة كانت قد جنحت بقوة ، وعلى متنها حمولتها الثقيلة ، لم تنجح "المنشوى" في سحبها من مكانها ، عموماً ؛ لم تكن هناك وسيلة

سوى إشعال فتيل البارود ، وما إن تراجعوا قليلاً من موقعها حتى انفجرت السفينة ، واحترقت تماماً .

في اليوم الثاني من شهر مايو توجّه الأسطول نحو قلعة مسقط ، حيث قاموا بإطلاق قذيفة في الهواء ردت عليها سفينة العلم بالمثل ، وهناك اكتشفوا وجود مجموعة كبيرة من السفن رافعة أشرعتها ، وأدركوا أنّ العرب يقومون بتجهيز الأسطول .

في يوم الرابع ؛ شاهدت سفينة العلم سفينة ضخمة في مهبّ الريح ، ومن ثم أبحرت لملاقاتها .

في نفس الوقت ، كانت هناك أخرى تبحر في الجهة التي تهبّ نحوها الريح ، وبالتالي ؛ شرعت السفينة "أس جواو دا ريبيرا" "S . Joao da Rebeira" في مهاجمة كليهما حتى تمكّنت من الاستيلاء عليهما .

كانت السفينة التي استسلمت لسفينة العلم قادمة من "البنغال" ، وكانت تبحر من "هرمز" وهي تحمل أموالاً فارسيّة ، وكميّة من السجّاد والحبوب ، وبما أنّها لم تكن تحمل ترخيصاً بالمرور ، فقد اعتبرها القائد بمثابة هديّة مباحة شرعاً ، وعليه قام بإرسالها إلى وكيل الأسطول الذي تُسلّم له جميع السفن التي يتمّ الاستيلاء عليها بهذه الطريقة .

في صبيحة اليوم التالي ، وصلت الفرقاطة "أس جواو دا ربيرا" وبرفقتها السفن التي كانت تلاحقها ، والتي غادرت "كنغ" إلى السند ، وبما أنّها كانت تحمل ترخيصاً بالمرور ، فقد تمّ الإفراج عنها كي تواصل رحلتها ، ولقد علم من ركاب تلك السفن أنّ هناك خمس من سفن

العرب غادرت مسقط إلى "كنغ" ، وذلك كي تقبض على الوكيل والمشرف على مركز الجمارك .

قد توجّهت في البداية إلى "غومبرون" ، وعندها تلقّت الأخبار بأنّ أسطولنا قد دخل المضيق ، وعلى مبعدة من مسقط تلقّوا من الإمام الذي يعتبره العرب بمثابة ملكهم أوامر بالانسحاب إلى قلعة خصب للاحتماء بها .

بما أنّ خصب لم تكن منطقة آمنة فقد ارتاب القائد في حقيقة توجّه العرب إليها بغرض حماية أنفسهم ، ولكي يتأكّد أنّهم لن يمكثوا في ملجئهم قرّر تمشيط الساحل والقلاع ، فأمر "مانويل دي أندراد" "Manuel de Andrade" كي يبحر على طول الساحل في سفينة القبطان "أنطونيو كارفالهو" والتجسس على قلعتي صحار وخورفكان ، وتقديم تقرير عن ملاحظاته ، لأنه ترتّب على الفرقاطة الإبحار والتوغّل داخل البحر .

قام "مانويل دي أندراد" بتنفيذ ما أُمر به بكلّ حرص ودقّة ، وبالفعل نجح في مهمّته تلك حيث شاهد وجود خمس من سفن العرب عند أسفل قلعة صحار ، هذا إلى جانب سفينة أدمان التي كانوا قد استولوا عليها كجائزة ، لأنّها كانت قد أبحرت منفردة دون أن تتبع الأسطول ، وبعد أن اكتشفت سفن صحار أمر السفينة التي كان يبحر بها "مانويل دي أندريد" انتبهت للأمر ، ومن ثمّ شرع أسطولنا إلى جانب القلعة وبقيّة السفن في إطلاق نيران مدفعيّاتها .

في ذلك اليوم الذي كان الضباب فيه كثيفاً للحدّ الذي حجب الرؤية بشكل كامل ، بحيث إنّ كلّ سفينة لا تكاد ترى الأخرى ،

كانوا يتلمسون طريقهم رويداً رويدا ، حتى تمكنوا من الوصول للقلعة في نفس اللحظة التي شهدت وصول "مانويل دي أندريد" بالأخبار .

بسبب كثافة الظلام آنذاك توقفت سفنهم قريباً ، لكن لم يتوقّف العرب ، وكانوا أخلصوا في التجهيز والإعداد ، الأمر الذي جعلهم ينتظرون اللّحظة المناسبة للاشتراك في المعركة ، لكنّهم سرعان ما تبيّنوا أن ترتيباتهم الوقائيّة لم تكن على مستوى القتال .

في اليوم التالي ؛ أبحر الأسطول بكامله ، حيث ألقى مراسي سفنه في مياه بعمق أربع قامات ، ولم يكن من الممكن أن يقف على مسافة أقلّ من تلك التي تفصله عن العدوّ ، أو يتسنّى له التوجّه للقلعة بسبب ضحالة مياه البحر في تلك المنطقة .

تعتبر قلعة صحار قلعة قديمة امتلكها البرتغاليّون ، وقد واجهت نفس المصير الذي واجهته بقية قلاع الجزيرة العربية ، فالقلعة تحتلّ موقعها على الشاطئ حيث يشكل الساحل خليجاً كبيراً ضحلة مياهه على طول الطريق المؤدّي للبحر ، هذا إلى جانب العديد من الشُعب .

نظراً لهذه المواصفات فقد وقع عليها اختيار العرب لتكون موقعاً لحماية سفنهم ، هذا ؛ وتلك المياه الضحلة تفصل ما بين سفننا وبينهم ، كما توجد هناك الأمواج التي تبحر فيها سفنهم أيضاً ، ويتعذّر ذلك بالنسبة لسفننا .

كي يتأكّدوا أن سفن التجديف التابعة لنا سوف تواجه نفس الصعوبات عند مهاجمتها سفنهم ، عملوا على إزالة صابوراتها (أثقال

الموازنة) ، وكذلك أزالوا الصواري منها ، ومن ثمّ أتوا بها للقلعة والشاطئ ، كي تطفو على المياه الضحلة .

أيضاً قاموا ببناء حواجز دفاعيّة ، ووضعوا فيها أثقل ما لديهم من قطع المدفعيّة ، تاركين القطع الخفيفة في سفنهم مع مجموعة كاملة من الجنود المسلّحين ، وبهذه الطريقة واستخدام القلعة للدّفاع تعلوها أعلام الحرب ، كانوا ينتظرون بدء المعركة بمعنويات عالية وإصرار على المواجهة .

أمر القائد العامّ القبطان "مانويل دي أندراد" بالتوجّه بسفينة العلم ، وبعض سفن الأسطول لاستطلاع سفن العرب ، كما أمر قائد سفن التجديف بضرورة مساعدته بكلّ ما يمكن ، وإذا ما استدعى الحال انتهاز الفرصة ، والتصرّف حسبما يراه مناسباً .

عندما اقتربت سفينة العلم وبقية الفرقاطات الأخرى ، وأصبحت في مدى إطلاق النار ، شرع الجانبان في تبادل القصف ، وقد استمرّ الحال على ذلك طيلة ذلك اليوم .

كانت هناك قذيفة مدفعيّة يعتقد أنها انطلقت من سفينة العلم ، واستقرت في مستودع الذخيرة التابع لواحدة من السفن الخمس ، وكانت النتيجة أنها انفجرت محدثة دماراً وحريقاً كبيراً ، وبسببها تطايرت جثث الجنود في الهواء ، ولم يتبقّ من تلك السفينة سوى رافدة القص فقط ، هذا بالإضافة إلى تدمير حيطان وجدران القلعة ، كما أصاب الدمار الحواجز الدفاعيّة في المدينة ، وبالمثل قتل الكثيرون .

كانت "المانشوى" قد تعرّضت إلى قصف مكثّف ، لكنها رغم ذلك أظهرت مقاومة شرسة ، وبعد ذلك عملت على الانسحاب بشجاعة

حربيّة ، وقد رافق قائد القوات العسكريّة بسفينته مجموعة "المانشوى" حتى كادت سفينته أن تجنح ، إذ كان الظلام كثيفاً ، والضوء غير كـافٍ للتحرّك اتجاه موقع المعركة ، لكن لم تعُزه الشجاعة لمواجهة تلك الأخطار ، كانت بقية السفن تراقبه عن كثب ، إذ تعذّر عليها أيضاً الاقتراب .

في اليوم التالي ؛ تبيّن لهم أنّهم قد فشلوا في الفوز في يوم الأمس ، وكان "مانويل دي أندريد" واثنان من الجنود قد أصيبوا بجراح ، وهناك جنديّ من كتيبة القائد قد اغتيل ، ويعتبر أنّ مصرع جنديّ واحد وإصابة آخرين بجراح شهادة تثبت المجازفة التي خاضها كل فرد .

في اليوم التالي ؛ كان القائد قد وبّخ قادة سفن التجديف بخصوص سوء أدائهم وتقصيرهم في العمليّة التي حدثت في اليوم الماضي ، حيث عمل على معاقبتهم ، فأمر قائد القوات كي يعود بهم لمساعدة "المانشوى" التي عهد بها لمجموعة من الجنود الذين كان أداؤهم مرضياً ، ولم يتمكّن أيّ فرد منهم من القبض على أكثر من ثمانية رجال إلى جانب بعض قطع المدفعية الخفيفة في مقدمة السفينة .

عموماً ؛ كانت تلك الفئة على قدر من الكفاءة والإقدام ؛ حيث إنها تفوّقت على الكثيرين ممّن يفتقرون للجرأة ، وقد هاجموا ببسالة نادرة سفن العرب ، كان في كل منها ما يزيد عن المائة جنديّ مسلح ، تحميهم مدفعية القلعة والمتاريس ، وهكذا ؛ كان حظّنا عاثراً ، وأكثر عناداً عما بذلناه في القتال .

كانت "مانشوى" الفرقاطة "أس جواو دي ربيرا" التي تولّى قيادتها

"مانويل فرانسيسكو أميدا" قد أبحرت بمحاذاة أولى وأكبر السفن ، وقد تمكّنت بمساندة "مانشوى" سفينة العلم من قصف العديد من مخازن الذخيرة الموجودة فيها ، وكانت تلك العمليّة قد أجبرت العرب على قذف أنفسهم في البحر ، لكن كانت بقية "المانشو" ترصدهم ببنادقها .

حيث قتلت الكثيرين ممّن هربوا من الحريق وألقوا بأنفسهم في الماء ، وهؤلاء ماتوا دون تعرّضهم للحريق أو الغرق ، وبالرغم من أنّهم تجنبوا شكلين من أشكال الموت إلا أنهم أخفقوا في تجنب الشكل الثالث ، لأنّ السفينة التي أخليت بواسطة طاقمها قد التهمتها ألسنة النيران .

في نفس الوقت واجهت "المانشوى" سفينة ضخمة من سفن العرب ، ولأنهم كانوا سيتعرّضون بالمثل لخطر الحريق ، فقد قاموا بإخلائها مؤملين في مصير آخر ، قامت بقية السفن الأخرى بمواجهة السفينة ، وعندما شرع بحّارتها وطاقمها بالقفز في الشاطئ كانت الرياح قد ساعدتهم كثيراً .

أما هذه الرياح فقد كانت تهبّ بشكل عكسيّ بالنسبة لسفننا ، الأمر الذي أحدث ارتباكاً شديداً خشية أن تدفعها نحو الشاطئ .

عندما أظلم اللّيل عادت بجهد جهيد إلى الفرقاطات ، وفي ذلك اليوم كانت سفن التجديف قد تبعت قائدها الذي كانت سفينته تواجه خطر الجنوح ، كما تبين بقية القادة أنهم لن يخسروا قط ، فقد تمكن العرب من إصابة بعض جنودنا بجراح فقتلوا خمسة جنود ، كما قتلوا أيضاً أربعةً من رجال المدفعية .

أما نحن فقد كبّدنا العدوّ خسائر كبيرة ، فإلى جانب الدمار الكبير الذي تعرّض له أسطولهم ، حيث فقد الكثير من سفنه ، كانت هناك

أيضاً خسائرهم من الأرواح ؛ إذ مات أفضل جنود ذلك الأسطول ، وبحلول اللّيل توقّف إطلاق النار من جهة البر ، لكن كان هناك الكثير من الصخب والجعجعة في البحر .

في يوم الحادي عشر من الشهر ؛ وهو اليوم الذي خُطّط فيه للقيام بهجوم آخر ، لاحت لنا أربع سفن للعدوّ ، كانت تلك آخر ما تبقّى من سفنه المدمّرة ، وفي الصباح كانت تلك السفن قد دفعت للرسوّ بالقوة العضليّة .

بما أنّها كانت مصابة وممزّقة فقد استقرّ رأيهم على إتلافها بأنفسهم قبل أن نقوم بحرقها ، وبالتالي ؛ تولّوا بأنفسهم إتلافها وتدميرها كي يبخسونا نصرنا ، وبالرغم من ذلك ، فإنّنا نعتبر أن بسالتنا وقوّتنا قد أجبرتهم أن يساهموا بأنفسهم وبأيديهم في مزيد من النصر الذي حقّقناه .

عندما تبين القائد العام أنه لم يعد لديه ما يفعله هناك ، وأحسّ بأن السفن تفتقر لمياه الشرب ، غادر صحار متجهاً إلى "كنغ" حاملاً معه أخبار تلك الانتصارات وبشائر النصر .

في يوم التاسع عشر لاحت جزيرة "رأس مسندم" ، وكانت الرياح تهبّ بعنف ، الأمر الذي جعل سفن التجديف تنفصل عن بقية الأسطول ، حيث حملتها الرياح اتجاه "هرمز" ، حيث انضمّت لها إحدى السفن القادمة من "البنغال" ، وهي تجرّ بتثاقل سفينة أخرى ورائها .

حيث اتخذتا الطريق صوب جزيرة طنب ، ومن هناك إلى "كنغ" ، حتى لحقت بسفن التجديف ، ولقد تمكنتا من إكمال رحلتهما بنجاح ،

وذلك من خلال الإبحار على طول "قنال سافاتي" الذي يقع ما بين "كشم" وبر فارس الرئيس .

في يوم الثلاثين ؛ تمكّن الأسطول من الوصول إلى شاطئ "كنغ" ، حيث أطلقت القلعة قذائفها التحتيّة ، وكذلك فعلت السفن التجارية الموجودة في الميناء ، وعلى الفور أتى المشرف على الميناء ، وموظّفو مركز الجمارك إلى سفينة العلم لاستقبال القائد الذي توجّه إلى مركز الجمارك كي يؤمّن متطلبات الأسطول من المواد الغذائية .

في السابع من شهر يونيو أرسل فرقاطتين مع سفن التجديف لجلب المياه للقاعدة ، ولكن بعدما أخبر أنّ العدوّ يقوم بإعداد وتجهيز أسطول ، أمر بانسحاب السفن ، بالرغم من أنها جميعها كانت تفتقر للمياه ، وذلك حتى لا تنفصل عن بعضها بعضاً ، ومن ثم تتضاءل قوتها .

في يوم الرابع عشر ، تلقّى إشعاراً من الوكيل البريطاني ، ومن بعض الأهالي في "غومبرون" تفيد بعودة أسطول العرب من "كنغ" ، وبغية في البحث عن أسطولنا ، وقد وصل أسطولهم في "لارك" مكوناً من خمس وعشرين سفينة .

إثر استلام قائد القوات هذه الأخبار ، قامت سفينة العلم بإطلاق قذيفة مدفعية إيذاناً برفع مرساتها ، وبالتالي ؛ احتشد البحّارة الذين كانوا في الشاطئ في مواقعهم الحربية ، وقبيل طلوع شمس اليوم التالي انطلق أسطولنا للبحث عن سفن العدوّ ، ومستعجلاً على المواجهة بغية تحقيق النصر .

في يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر يونيو ، وعند الثالثة بعد

الظهر ، وبالقرب من حافّة الساحل في جزيرة "قشم" ، ظهر أسطول العدوّ على مبعدة من "هنجام" ، وكان مؤلفاً من خمس وعشرين سفينة بينها خمس سفن كبيرة .

أما البقية ، فهي عبارة عن قوارب سريعة ومراكب "الغاليوت" ، وكان قوامها ستة آلاف من البحارة ، وكان قائد تلك المجموعات المدعو محمد بن راشد ، وهو أحد المسلمين الشجعان ، اشتهر بمواجهته حاكم الهند "أنطونيو دي سوسا كوتنهو" "Antonio de Susa Coutinho" في إحدى المعارك ، كما عرف عنه اجتياحه مدينة "ديو" ، وقد قدم هذا القائد في السفينة "سياو" باعتبارها سفينة العلم .

نظراً لهبوب الرياح العكسية ، فقد بدأ أسطول العرب يبحر في خط منحنٍ ، ولكن بشكل منتظم ، وبمجرد أن رآه أسطولنا تم إصدار الأوامر والتوجيهات اللّازمة ، بحيث تعمل سفن التجديف على الإبحار في الشاطئ الداخليّ على أن تبتعد الفرقاطات قليلاً إلى داخل البحر ، وقامت سفينة العلم بإطلاق قذيفة مدفعية .

بهبوب الرياح من الخلف ، انطلقت جميع سفننا في اتجاه العدوّ ، وكانت الرياح أكبر معين لنا ، كما كانت الروح المعنويّة مرتفعة ، بحيث لم يشك أيّ أحد في تحقيق النصر ، بالرغم من العدد الضخم لسفن العدوّ ، وكثرة رجالهم كما ظهر لنا .

بعد أن تعرجت حركة أسطول العدوّ ثلاث مرات ، أُجبرت سفنه على تغيير مسارها ، وعندما رأوا سفننا تنطلق نحوهم ناشرة أشرعتها الضخمة ، وسفينة العلم تقوم بإطلاق قذائفها من مقدّمتها

في حركة ملاحقة ، لم تعمل سفن العدوّ على الرد بالمثل ؛ وإنّما جاء الأمر من سفينة العلم كي تعمل البقية على التراجع بشكل منتظم ، وساعدها في ذلك مغيب الشمس ، وذلك حتى لا تتمكن من تحقيق أفضليّة عليها .

بعد أن حلّ الظلام ، كانت الرياح تهبّ بعنف ، لذا قرر القائد أنه في إطار مواجهة العدوّ لنا بقوّة شرسة وضاربة ، فإنه سوف يؤجّل القتال مع أنه لن يرفضه ، وأنه إذا لم يدخل الحرب تلك الليلة ، فذلك يعزى لهبوب الرياح ، وبوسعه القيام بذلك في اليوم التالي عندما يكون حظّه محالفاً .

لكي يحافظ على موقع الأسطول النسبيّ بقياس سرعة الرياح ، عمل على تثبيت الأسطول باستخدام أضواء المصابيح كي يرسو ، ولقد فعل ذلك لأسباب في محلها ، وذلك لأن العدوّ فعل المثل أيضاً لنفس الهدف .

عموماً ؛ كان التمرّد الذي حدث في تلك الليلة بين القادة وجنودهم في الأسطول قد تمخّض عن عدم مشاركتهم في المعركة في اليوم التالي ، ولقد دبّ الخلاف بينهم ، وأدّى تمرّدهم إلى مقاتلة بعضهم البعض ، وبالتالي ؛ ذهبت ريحهم وتحقّق لنا النصر .

كان الإمام قد أكّد لهم أنهم سيجدوننا عزلاً من السلاح في الشاطئ وسفننا خالية ، وبالتالي ؛ اعتقدوا أنّهم سوف يهزموننا دون أن يقاتلونا ، ولكن عندما تبيّنوا أنه يلزمهم مقاتلتنا كي يحققوا النصر ، لم يقدموا على المحاولة كي ينتصروا ، وهذا الأمر ما يزال غير مؤكّد ، وهكذا خسروا المعركة .

بعد أن علموا بأننا نبحث عنهم ، عملوا على المغادرة ، حيث نزلوا في "رأس جاسك" و"مسندم" في طريق عودتهم إلى مسقط .

بالرغم من أن الجنرال محمد قد وجد نفسه وقد هجرته بقية السفن ، فقد بقي ومعه سبع منها طيلة تلك الليلة ، وكان في نيّته أن يقاتل في اليوم التالي ، وعليه فإذا ما هُزم أسطولنا ، فإمّا أن يكون نصره عظيماً ، وإمّا أن يكون فوزنا هزيلاً ، وعلى كلٍّ كان جنود سفينته قد رغبوا في الانضمام إلى المجموعة التي هجرته ، وبالتالي ؛ فقد عمدوا إلى قطع الحبال .

عندما توجّه لحمايتهم قام الجنود باعتراضه ؛ حيث تسببوا في إصابته بجرح ، وبالمثل قتلوا أحد أبناء إخوته ، وبعدها أخذوا السفينة كي يلحقوا ببقيّة السفن ، وأبحروا في سفينة العلم في المقدمة ، وأيضاً بمركب الجائزة الذي عملوا على سحبه ، وبما أن الرياح كانت عنيفة فقد تخلّصوا من الحبال عند اقترابهم من مسقط .

كنا ننتظر طلوع شمس ذلك اليوم بفارغ الصبر وبقلق كبير ، خاصة ونحن نعلم أنه سوف يكون يوم المعركة ، وكنا نتصوّر أننا سوف نجد العدوّ قد رتّب صفوفه وأحكم نظامها استعداداً للقتال ، وعليه فقد شرع أسطولنا في ملاحقة سفنه معتقدين أن سفنه سوف تتجمهر حول اللسان البحريّ الواقع بين "لارك" و"هرمز" .

كان أسطولنا قد توجّه كي يستكشف تلك الجزر ، ولكن عندما تلقّى القائد الأخبار بأن أسطول العدوّ قد غادر ، قرّر ملاحقتهم كي يُلحق بهم الهزيمة في المعركة ، لكن كان ذلك مستحيلاً في ظلّ نقص

المياه ، وليس هناك من وسيلة للحصول عليها من أيّ موقع ، باستثناء مواقع الألسن الأرضية في داخل البحر .

في هذا الوضع المستحيل ، كان قد قنع بضرورة توجيههم للقتال ، فالمجد لا يمكن تحقيقه إلّا بالسلاح ، لكن بسبب مخاوفهم لم يكن التهديد أقلّ فعالية من الهجوم ، وفي يوم الثالث والعشرين ؛ كانت إحدى السفن "terrado" المبحرة من مسقط إلى "غومبرون" قد استولت على المركب الصغير التابع للفرقاطة "إس جواو دا ريبيرا" ، وقد لجأ العرب للاحتماء في "قشم" ، وبالتالي ؛ أمر القائد بقطع أعناق الذين استولوا على هذه ، وعلى بقيّة المراكب الصغيرة .

في يوم التاسع من شهر يوليو ؛ وعندما كان الأسطول في "هنجام" وصلت سفينة من "كنغ" كانت في طريقها إلى مكّة ، ولقد أفادت أن السفينة "إس غونزالو" قد قضت الشتاء في "سوقطرة" ، وأنّ مدينة مسقط قد تعرضت لحريق ، استمرت النيران مشتعلة مدة أحد عشر يوماً بلياليها ، لأنه قد لوحظ أن ألسنة النيران لا تكاد تخبو إلا وتشتعل من جديد .

كانت الخسائر التي طالت العرب والمقيمين جسيمة جدّاً ، ويبدو أنّ هذا الأمر كان مرضياً بشكل كبير بالنسبة لمن قاموا به ، ولقد برعوا فيه ، ليس ذلك بسبب إشعالهم النار في مسقط ؛ ولكن بسبب اضطرامها من جديد عدّة مرات ، وبعد كل مرة تُطفأ فيها .

بعد التزوّد بالمياه من صهاريج "هنجام" ، ولكن ليس بالقدر الكافي ، بسبب النقص الشديد في المياه ، غادر الأسطول متّجها إلى "كنغ" لأجل تحميل المؤن والغذاء وكلّ ما يحتاجه .

بينما كان يتمّ التزوّد بتلك الأشياء كان الجنرال (القائد) قد شغل نفسه بتنظيم شؤون حركة الجمارك ، أما "الجلندار" حاكم المملكة فقد أرسل اثنين من أبنائه لأجل تسوية الخلافات بين بعض الأفراد ، فيما يتعلّق بأمور ذات صلة بمصلحة جلالة ملك فارس ، ولقد تمّ إنجاز هذا الأمر بشكل إيجابيّ .

في الثاني من شهر أغسطس تلقّى القائد أخباراً أفادت أن الإمام قد أرسل أسطولاً للبحث عن سفننا ، وذلك بعدما عمل على تعزيز قوّته ببعض سفن "سورات" التي كان قد استولى عليها في مينائها ، عندما أبحرت للتزود بالمياه ، كانت سفن "سورات" عبارة عن فرقاطات حربيّة بحمولات تقدّر ما بين ثلاثين إلى أربعين طنّاً ، وقد بنيت بواسطة "الإنجليز" لخفر وحراسة المضيق ، ولقد استولى على ست سفن منها ، ومن ثم ترك سفنه الصغيرة ، ووضع الغالبيّة العظمى من قوّاته في السفن الكبيرة .

كان الإمام ، بعد الخسارة الجسيمة التي لحقت بهيبته وسمعته وزادت قوّاتنا سموّاً ورفعة ، قد اتخذ موقفاً متشدّداً ، حيث إنّه فرض عقوبات رادعة على قادته ، وأمر بأن يتمّ فصل المحكوم عليهم بالموت ، (وهي عقوبة الموت التي عادة ما يحتفظ بها العرب الذين يحكم عليهم بالإعدام ، إذ يتمّ حرمانهم من الحياة بتلك الطريقة ، لأن عقوبة الدم لا تجيزها عقيدتهم) .

قد أمر بضرورة اعتقال الجنرال محمد ، غير أنه توفّي بريئاً بعد أن قضى أياماً قليلة في السجن ، لم يكن كافياً أنه لم يعمد للفرار أو أجبر

على الانسحاب كي يتمّ اعتقاله وقتله ، غير أن العار يحمل آثار الإثم ، وعادة ما يحكمون على المذنب بسبب تخاذله .

بعد أن أخبر القائد بهذا ، قرّر أن يشكّل قوّة صغيرة من قواته الموجودة في الفرقاطة التي تركها هناك ، وذلك لمقاتلة العدوّ قبالة "كنغ" ، ونظراً لقربها من فارس حيث ارتكبوا الجرم ، حيث صمّم على معاقبة العرب ، خاصة بعدما بددوا غنائم "ديو" على الأراضي والأقاليم في الإمبراطوريّة ، وليس في الأقاليم الأخرى في الشرق .

كانوا يأتون دائماً بكؤوس الفرسان وملابس الزينة والصور الدينيّة كي يبيعوها للتجّار في البحر ، والتي استرجعت من الكفرة والملحدين .

في ظلّ افتقار الفرقاطات وسفن التجديف للعاملين المطلوبين للقتال ضد سفن العرب التي تزخر بالكثيرين من الرجال ، فقد أعدّ الجنرال عدّته لكلّ من القائد العسكريّ والقبطان "أفونصو منديس" الذي خلف "مانويل فرير" ، وذلك كي ينتقلوا بقواتهما إلى سفينة العلم ، وقد تقرّر أن يتجه "أنطونيو كارفالهو" إلى سفينة الأميرال ، و"دوم مانويل لوبو" للفرقاطة "نازاريث" .

هكذا بالنسبة للبقية ، بهذه الطريقة يكون أسطولنا أقلّ عدداً وأكثر قوّة ؛ إذ سيزداد قوّة بسبب تآزره ، أما إذا انقسم فسوف يصبح ضعيفاً ، أما السفن التي يكون استخدامها معوقاً فسوف يتم تركها في الخلف ، وعلى الفور تمّ نقل الذخائر وتحويلها ، ولكن ليس الحال كذلك بالنسبة للجنود ، يمكن فعل هذا الشيء أمام الأسطول ، ولكن بما أنّ وصوله

أمر شكوك فيه ، وأن الفرقاطات ليست في حاجة للرجال الآن ، فإنّ السفن لم يتمّ إخلاؤها فوراً .

في الخامس عشر من شهر أغسطس وصلت إلى "كنغ" رسائل من التجار في مسقط بأخبار مفادها أنّ العدوّ لم يغادر المنطقة بسبب هروب جماعته ، وعند ذلك أصدر القائد الذي يظل يعمل دائماً في المراقبة من منصة السفينة أوامره لسفن التجديف كي تحصل على المياه التي كانت على مسافة مرمى حجر من الفرقاطة ، مع توجيههم بإبقاء الرجال فيها إذا ما ظهر العدوّ .

في ليلة يوم الثامن والعشرين أفاد أبناء "الجلندار" أن العرب قد استداروا من "رأس مسندم" وقدموا يطاردون أسطولنا ، وحينها أجاب القائد بأنه سيكون سعيداً عندما يرى العدوّ بسالة البرتغاليّين ، وعلى الفور أعطى الإشارة لفصل المرساة ، وظلّت الفرقاطات بكوابلها لبعض الوقت في انتظار العدوّ القادم بقوة ودفع الرياح .

في صبيحة يوم التاسع والعشرين من شهر أغسطس الموافق يوم الخميس المقدّس ، الذي ضربت فيه عنق القديس "جون" المعمد ، وعند السابعة صباحاً ، تم رصد ورؤية العدوّ من أعلى سفينة العلم ، وعلى الفور تم رفع العلم الأصفر ذي المربّعات ، وأطلقت قذيفة مدفعيّة ، وكانت هذه بمثابة إشارة للفرقاطات وسفن التجديف التي كانت في طريقها إليهم ، بغية تنفيذ التوجيهات التي أعطيت لها مسبقاً .

هكذا ؛ انطلقت جميع سفن أسطولنا ، وشرعت في الإبحار ، وبما أنّ الرياح كانت تهبّ مساندة سفن العدوّ ، فقد اضطرت سفننا للإبحار

قريباً من الرياح ما أمكنها ذلك ، الأمر الذي مكّن سفينة العلم من إيجاد مساحة للسفينة العاملة بالمجاديف من نقل جنودها لها ، وبعد أن فعلت بقية السفن الشيء نفسه وفق الأوامر الصادرة ، شرع الجميع في مغادرة "كنغ" .

كانت سفينة العلم التابعة لنا تبحر أمام الجميع مطلقة أشرعتها أمام الفرقاطات ، وعندما تم تحذير القائد من مغبة شجاعته وحماسه المفرط ، الأمر الذي يعتبر خرقاً للأنظمة والقوانين ، أجاب قائلاً إنّه يتصرّف على هذا النحو كي يشهد جمهور الملحدين الذين يراقبون أسطولنا من الشواطئ والجزر ، ومن سطوح بيوتهم أننا لم نضيّع أيّ وقت ما بين رؤيتنا للعدو والاشتباك ضده ، وأن المعركة لم تتأخر أو تؤجل إلا لفترة الاستعداد والتزود بالأسلحة .

أضف لذلك أنه يبحر مباشرة كقدوة خاصة ، وأن سفينة العلم تعتبر السفينة الأقوى والأمضى لكسر شوكة العدوّ ، وقد أثبتت النتائج فيما بعد أن مزاعمه هذه لها مبرراتها .

كانت الفرقاطة "نازاريث" قد قامت بنقل الجند من سفينة واحدة ومن سفينة الأميرال ، أما البقية فقد انتظرت الموجودين في سفينة "أفونسو منديز" "Afonso Mendes" ، وقد جه هؤلاء إلى سفينة العلم ، وبعد أن أخذت الرجال على متنها أبحرت في إثر بقية الفرقاطات ، لكن كانت هناك مسافة تفصلها عنها ، وذلك بسبب التأخير الذي حدث .

سبب آخر هو النقص في الأشرعة ، وهذه الأحداث كانت سبباً في استبقائها أكثر من الرغبة والحذر من جانب الأميرال للحشد ،

وفي مثل هذه الظروف تبيّن أن التأخير قد ساعدنا كثيراً ، وأنه تمّ بفضل العناية الإلهية .

بانسحاب مراكب التجديف إلى "كنغ" ، شرع الأسطولان بالتحرّك كي يواجه أحدهما الآخر ، وكان موقع أسطولنا في الجهة التي تهب نحوها الرياح ، بينما كان أسطول العدوّ في الجهة التي تهب منها الرياح ، وكانت قوة العدوّ تتألف من عشر سفن ضخمة ، وأربع فرقاطات ، ومركبي "غاليوت" .

أما عدد الرجال فقد بلغ سبعة آلاف محارب ، هذا بخلاف مجموعة البحارة ، وكان العدوّ يتصور أنه من خلال هذه الأعداد الهائلة من المحاربين سوف يتمكن من هزيمتنا بعد أن يعملوا على الاستيلاء على أسطولنا .

كان اسم القائد "علي الرستاق" الذي سبق أن هاجم قلعة "ممبسا" وقدم مكة بالغنائم والأسلاب التي استولى عليها من سفننا ، أما الأميرال فهو حاكم "البلوش" وهو يتمتع بشهرة واسعة في طول الجزيرة وعرضها ، ومشهود له بالبسالة والإقدام ، وكانت السفن ترفع نفس الأعلام الثلاثة ، والأشرعة الثلاثية نفسها ، وبالتالي ؛ لم يكن من المستطاع التفريق ما بين سفينة العلم أو سفينة الأميرال .

بالرغم من أنّ الوقت قد قارب الثالثة بعد الظهر ، إلا أنّ الأسطول مازال خارج المدى بسبب أن الرياح كانت خفيفة ، وأن العدوّ مازال يبحث عنها ، وعلى كلّ فقد عادوا أدراجهم بسبب انهمار المطر ، وحينها أصبح أسطولنا في الجهة التي تهب منها الرياح ، وعندما أدرك العدوّ أن الحظ قد بدأ يحالفنا لم يسرّه أن نستفيد من تلك الأفضلية ، لذا فقد قفل راجعاً محاولاً إما تأجيل أو تجنب المعركة .

كانت حينئذٍ سفينة العلم في المدى ، وعندما سُمع صوت هدير الرعد ، كان البعض من رجال أسطولنا يتململون بالكثير من القلق على المواجهة ، وأشار البعض بقولهم إنّ الملأ الأعلى يقف في صفنا ، وهكذا أغلقوا "ترابيس" الإضاءات في إشارة إلى إنهاء المعركة .

بما أن الرياح قد استمرت في تغيير اتجاهها مرّة في مصلحتنا وأخرى في مصلحة العدوّ ، فقد عمل أسطول العدوّ مجدّداً للإبحار في وسط البحر ، وكان ذلك من مصلحته حيث استشعر أفضلية تلك الأوضاع ، وقامت سفينة علم العدوّ التي أصبحنا الآن نميزها جيداً ، بإطلاق قذيفة مدفعية ، وهكذا لحق بها الأسطول في نظام رائع وبسرعة شديدة .

كان الجنرال يراقب كل ذلك ، وعندما تبين له أن الأسطول يتجه إلى سفينة علمه ، قام بجمع طاقمه على سطح المركب ثم خاطبهم قائلاً : "إنّ تقدم هذا الحشد البربري نحونا يعطينا فرصة عظيمة كنا نبحث عنها ، إذ كلما كانت أعداد العدوّ ضخمة كلما كبر الخطر ، وهذا ما يجعل انتصار البرتغاليّين عظيماً ، وهذا أمر لا يجب أن يخشوه أو يهابوه طالما ظهر تغلبهم على العدوّ ، وأجبروه على الفرار .

هؤلاء هم نفس العرب الذين قاموا بحرق المعابد في "ديو" ، وهم نفسهم الذين أتلفوا الصدر وانتهكوا المقدسات ، وهذه هي إرادة الرب التي جرتهم للمعركة ، واضعين في حسبانهم أن النصر سوف يكون حليفهم ، لكن سوف ينال هؤلاء الأعداء عقابهم جراء ما اقترفوه من جرائم" .

كان القائد بما أبداه من إقدام في المعركة قد وضع في أيدي البرتغاليّين قناعته بأخذ الثأر ، إعلاءً لشأنهم ، ولأجل حكومة يعتبر أن الموت ذوداً

في حماها أكثر قدسية ، وأن النصر أعظم وأكثر روعة ، وأخيراً ؛ طلب القائد من كل فرد أن يحذو حذوه ، لأنّه على قناعة تامة بينة ، بأنه إما أن يموت بشرف أو يحظى بحلاوة النصر .

كان كل فرد قد استجاب لهذه الكلمات التشجيعية بحماس دافق ، وراح الجميع يرددون الهتافات : فليحيا دين المسيح ، ومن بقية الفرقاطات الأخرى نفس الهتاف ، حيث كان القادة يخاطبون الجنود ، ويشجعونهم على الثبات والاستبسال .

لعلّ أبلغ دليل على اتساق هذا الحماس ظاهرة التصفيق الحاد والجماعي الذي حظي به القائد .

عندما تم تحديد المهام على النحو المخطط له ، أبلغ الجنرال رئيس القباطنة أن يبحر مقاوماً الرياح بقدر ما يتمكن ، وذلك كي يحدث خرقاً في صفوف مراكب أسطول العدوّ ، ويقسمه إلى قسمين كما جاء أمره إلى رئيس المدفعجيين ألا يطلقوا قذيفة قط على أية سفينة من سفن العدوّ ، إلا عند الاقتراب ، بحيث يكون المدى هو مدى بمقدار طلقة المسدس .

في ظل هذا التنظيم الذي شمل كل شيء ، قامت سفينة العلم ببدء الهجوم على أسطول العدوّ ، حيث فتحت عليه وابلاً من نيران مدفعيتها وبنادقها ، خاصة في محاولة سفنهم جميعها الاقتراب أكثر فأكثر ، وكانت كل قذيفة أطلقت قد أصابت هدفها في جانب السفينة ، وبالتالي ؛ كان البعض من السفن قد دمّرت و شلت حركة الأُخَر ، وبدا أن معظمها تواجه المصاعب ، حيث ظهر ارتخاء في الكوابل ، أما سفينة علمهم ، فبالرغم

من إصابتها من جانب أسطولنا ، إلا أنها تقدمت نحوه ناشرة شراعها بين الشراع الرئيس وشراع المقدمة ، الأمر الذي جعلنا نفقد شراعنا الثاني .

كان إطلاق النار المتبادل بين الجانبين عنيفاً جداً ، للحد الذي يوحي بأن كل ضرر ألحقه هذا الطرف بالآخر يجب أن يكون كافياً لتدميره ، وإنهاء مقاومته .

سفينة ضخمة أخرى تبين لنا فيما بعد أنها سفينة العلم كانت قد اقتربت أيضاً في الجانب الآخر ، لكنها عموماً لم تتمكّن من الاشتباك ، وفي تلك اللحظة وبدحرجة كبيرة كان "الكوتل" (مؤخر السفينة) ضرب سفينة علمنا ، وقد طالته ألسنة النيران ، وكان الدخان المنبعث منه كثيفاً وعنيفاً ، ولأجل إطفاء تلك النيران كان الأمر يقتضي بذل جهود كبيرة أولاً في الإسراع لإطفاء النيران ، ومواجهة هجوم العدوّ في نفس الوقت .

بما أن سفينة الأميرال التابعة لأسطول العدوّ لم تتمكن من إدراك الأسطول ، وأن سفينة العلم هي الأخرى قد حادت عن الطريق الذي يوصلها للفرقاطة "نازاريث" ، كانت هناك سفينة صغيرة أشبه بمركب شراعي صغير سريع تتقدم بسرعة ، ولقد راع القبطان ذلك الاختلاف في الحجم .

من ثم خاطب القائد "بدرو كارفالهو" قائلاً إنّه يتمنى أن يتجنب هذا الخطر ، ولكن اعتبر التحذير إهانة ، ومن ثم عمل على اعتراضها بتصميم أكيد ، قائلاً إنه طالما احترقت سفينة العلم ، فلابد له من إيجاد وسيلة لتحقيق إنجاز مماثل لا يقل تألقاً عما حدث ، وهكذا قام باعتراض سفينة الأميرال .

كانت الفرقاطة أقل حجماً ، بحيث إنها بدت أشبه بقارب سفينة أصغر نوعاً ما من السفن الضخمة ، غير أن تفوق السفينة كان بليغاً ، فقد تم اعتراض عملية الاستيلاء بجسارة شديدة ، ولقد دافعت السفينة الصغيرة عن نفسها ، وكأن حجمها كان مماثلاً لحجم السفينة الكبيرة ، واستمرت تقاومها إلى حين قدوم "غاليوت" آخر موازنة سفينة العلم .

لم يتوان العرب في شن هجوم عنيف على تلك القوة الصغيرة التي تتولى مسؤولية الدفاع ، ولقد ثبت أنهم لم يتمكنوا من المقاومة والصمود أمام هذا الاجتياح والهجوم الشرس ، وهكذا كانت النتيجة قتل القبطان ، أما فئة الضباط العسكريين والبحريين فقد واجهوا نفس المصير ، ونالوا نفس المجد والشرف ، ويكفي المرء فخراً أن يموت دفاعاً عن مقدراته ؛ إذ إن ذلك أفضل من تجرع مرارة الهزيمة .

كانت النتيجة أن تلقّى القائد البحري إصابتين ، وبالمثل أصيب بعض الجنود بجراح ، الأمر الذي جعلهم يتراجعون كي يحتلوا مواقع دفاعية أفضل في كبينة القيادة ، بينما أحكم العدوّ سيطرته الكاملة على ظهر السفينة ، وعموماً لم يكن هناك ما يبرر حذوهم فيما يتعلق بما فعله القادة ، لأن الأعمال المخزية يجب ألا تتخذ نموذجاً يقلده الآخرون ، وإنما يجب النأي عنها باعتبارها أموراً مشينة لا تشرّف أحداً .

كانت سفينة علم العرب قد أعيقت تماماً ، وقد انفصلت بنفسها عن سفننا بعد أن مات القائد مع البعض من الرجال ، ذلك وعندما وصل الأميرال بتعزيزاته في الوقت المناسب لمعاونة الفرقاطة "نازاريث"

التي كانت تناوش سفينة الأميرال التابعة للعدو ، وقد أثبت أن ذلك التأخير المبكر قد كان تدبيراً ربانياً .

قد انضم بسفينته للمعركة ، بحيث جرى تبادل إطلاق النار من جوانب السفن ، أي من الجزء البارز فوق الماء من خلال المدافع والأسلحة المنصوبة لتوجيه نيرانها للسفن الأخرى .

في هذا الوقت ، كانت الفرقاطة "إس جواو دا ريبيرا" في طريقها لمواجهة بعض السفن الأخرى ، لكنها لم تكن تبحر بشكل جيد ، وبالتالي ؛ لم تستطع أن تدخل المعركة .

عندما أدرك العدوّ أنها قد بعدت عن أسطولنا عمل على شن هجومه عليها بشراسة متصوراً أن عجزها عن الذود عن نفسها سوف يكون عاملاً لتحقيق النصر ، وأن أعدادهم الكبيرة سوف تمكنهم من تفادي الخطر .

عموماً ؛ لم تسر الأمور على هذا النحو ، لأنهم لا خطر تجنبوه أو نصر حقّقوه ؛ لأن الفرقاطة التي تنبأوا بأنها سوف تكون غنيمة ثمينة في أيديهم قد استفزت قواتهم ، وأهانتها بقدر كبير ، إذ قاومتهم بضراوة وشراسة غير متوقعة ، ولقد بدت وكأنها مصممة على الانتصار ، وتصحيح خطأ تأخّرها ، وكأنّ الهزيمة التي لحقت بالفرقاطة كانت بسبب خطأ القبطان لا أكثر .

عندما كان أسطول العدوّ يسير في اتجاهها بشكل مباشر ، وذلك بسبب الغرق والدمار الذي لحق بالكثير من السفن ، كان أحد مراكب "الغاليوت" يحاول الاقتراب إلى جانبها لمهاجمتها ، غير أن الفرقاطة

فتحت عليه وابلاً من نيرانها ، الأمر الذي أحدث رعباً هائلاً في وسط الجنود الذين تزاحموا تفادياً لهذه الأخطار على إلقاء أنفسهم في البحر ، وكذلك فعل طاقم المركب .

غير أن الفرقاطة لم تعمل على الاستيلاء على المركب الذي تخلوا عنه ، لأن ألسنة النيران كانت قد طالته ، وبدأ يحترق بضراوة شديدة ، وكان من المخاطرة أن يقترب منه أحد ، وهو في تلك الحالة بين ألسنة النيران الضارية ، اتجهت سفينة علمنا لمساعدته ، وبمجرد وصولها ؛ بدأت فلول جيش العدوّ في الهروب .

حاول البعض منهم أن يختبئوا تحت ستار الظلام الكثيف ، وأن يجدوا أي ملجأ ، وبالرغم من عثورهم على ما يحميهم ، إلا أن ذلك لم يكن آمناً ، لأن القائد قد أبصر ذلك الأمر فقام بإشعال المصابيح ، ومن ثم أعطى الإشارة المعتادة ، وإثر ذلك أصدر الأمر بالإبحار اتجاه سفينة الأميرال التي لم تتحرّر من سفن العدوّ ، والفرقاطة "نازاريث" الموجودة بجانب سفينة الأميرال .

كان الجنود القليلون الذين احتموا بكابينة السفينة قد دافعوا عن أنفسهم طيلة تلك الليلة ، وكأن الكبينة الحصينة كانت قلعة يوجد داخلها الكثيرون منهم ، وقد ظل الأمر كذلك إلى أن تراجع العرب في النهاية ، وحقق البرتغاليّون الفوز بالحرب .

هكذا قام الأميرال بوضع ضابط ومجموعة من الجنود على متنها ، ومن ثم أرسلها إلى "كنغ" تحمل العديد من شعارات وعلامات النصر على العدوّ المدحور .

بالرغم من أن الظلام كان حالكاً إلا أن الفرقاطة "إس جواو دا ربيرا" قد عادت مجدداً لمواجهة أسطول العدوّ ، وكانت في خضم المعركة إلى أن تمّ إبلاغ قائدها بالإشارات التي أصدرتها سفينة العلم ، وعند عودتها شرعت الفرقاطة في الإبحار بأسلوب وحركة متعرّجة في محاولة لمقاومة الرياح .

عندما أصبح الصبح كانت حدّة الرياح قد خفت كثيراً ، وكانت سفننا وفرقاطاتنا قد أصبحت قاب قوس من النصر ؛ مهيمنة تماماً على مسرح الأحداث ، بينما شوهدت سفن العدوّ تبتعد في اتجاه الجزيرة العربية .

هنا أعطى القائد العام الأوامر كي توجّه السفن للإبحار في اتجاهها ، وظل يلاحق سفن العدوّ طيلة ذلك اليوم ، ولكن نظراً لأن المسافة كانت شاسعة جداً ، فقد بدا من المستحيل أن يستمر في تلك الملاحقة ، وعليه قفل عائداً بسفينة العلم ، وسفينة الأميرال والفرقاطة "اس جواو" وذلك للعناية بالجرحى وإصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن .

في هذه المعركة كان العرب قد خسروا خمساً من أفضل سفنهم الكبيرة من بينها سفينة العلم "سياو" ، هذا بينما ظلت بعض السفن الأخرى راسية في الجزيرة العربية ، أيضاً هناك العديد من الجرحى ، أما الموتى ، فقد بلغ عددهم حوالي أربعة آلاف قتيلٍ من بينهم القائد "الرستاقي" حاكم "البلوش" وابن شقيق الإمام ، وكانت مشاركتهم في القتال قد أضافت الكثير من الأهمية لتلك المعركة .

أما موتهم فقد جعل ذلك النصر أكثر شهرة ؛ إذ لا يوجد نصر بلا احتفال ، لأن موت المشاهير والقادة يضيف للانتصار والفوز شرفاً لا

يقل عن ذلك الذي يعطيه الأحياء ، ولا شك أن كثرة جثث الموتى سوف تكون مصدر تلوث تلك البحار والشواطئ والساحل الفارسيّ ، بحـيث سينفـر الأهـالـي من صيد الأسماك في تلك المناطق لفترة ليست بالقصيرة .

كان هناك أربعون جنديّاً من البرتغاليّين قد بذلوا دماءهم رخيصة في الذود عن أرض الآباء ، أمّا عدد القتلى بينهم ، فقد بلغ الخمسين جندياً ، وبالرغم من عدم إقامة جنائز للموتى ، إلا أن "البرتغال" تستحق بالفعل كل الاحترام .

أيضاً كان هناك جرحى بين العسكريين وبعض الجنود السود ، وسوف تظل شهرة هؤلاء وذكراهم باقية في الأذهان ، خاصة وهناك بعض الموتى من الرتب الكبيرة ضحوا بحياتهم في هذه المعركة التي ما كانت لتشتهر لولا تلك التضحيات العظيمة .

هذه تضم كلاً من قائد الفرقاطة "نازاريث" "بدرو كارفالهو" الذي ضحى بحياته مواجهً العدوّ بشجاعة نادرة حتى لا يتمكن من الاستيلاء على سفينته ، ممتناً للموت الذي لم يسمح له بمشاهدة استسلام الفرقاطة التي كان يتولى قيادتها ، ويكفي أن نشير إلى أن جسده ظل هامداً فيها كحام أمين ومدافع عن الفرقاطة ، لأن العدوّ لم يقدم على نهبها .

أيضاً مات "صمويل دي سالدانها" "Samuel de Saldanha" ، ولكن ليس بسبب جراح أصابته ، وإنما بسبب الضنى والإنهاك الذي أصابه من كثرة البطش بكل من واجهه من العدوّ ، لقد تمكّن من مقاومة

العدوّ بشجاعة ، لكنه لم يتحمل المزيد من الجهد والتعب ، وبالرغم من صلابة وقوة قلبه الذي لا يهاب ، إلّا أن جسده لم يتحمل الإعياء والجهد ، فقد مات بسبب بسالته .

"مارتيم دي سوسا دي سامبايو" "Martim de Susa de Sampaio" هذا هو الرجل الذي شهدت سجلات الشرق ببسالته ، ووصفتها بأنها شجاعة لم يسبق لها مثيل ، هذا الجندي لم يتوقف عن القتال قط ، حتى بعد أن أصيب بجراح للمرة الثانية ، ولم ينسحب بحجة تطبيب جراحه ومعالجتها ، لأنه كان يؤمن أن كل جرح يمكن أن يلتئم إلا جراح الانسحاب والاستسلام .

كان يحارب دون تغطية من أحد إلى أن أصيب بطلقة في عنقه بحيث تعذّر عليه التنفس بشكل طبيعيّ ، وبما أنه فقد حياته –وهي حياة نقية لا تشوبها شائبة– إلا أنه في نفس الوقت فاز بشهرة لا يمكن أن تحكى بمعزل من الفخر والإعجاب بتضحياته .

عندما أصيب "بدرو دي ماجيلهايس" "Pedro de Maguilheis" برصاصة في قدمه اليمنى لم يتراجع قط ، حتى أصيب مرة أخرى بطلقة مدفعية أردته قتيلاً ، لأنه فضل أن يفقد حياته بدلاً من أن يفقد موقعه الذي يرابط فيه .

شـاب فـي ريعـان شـبابه يدعى "فرانسيسكو دي ساندي" "Francisco de Sandi" لكنه يتمتع بشجاعة الناضجين ، وبينما كان يقاتل العدوّ من أعلى سطح مؤخرة السفينة التي يتولى قيادتها ، تعرض للحريق الذي نتج عن إصابة أحد البراميل المليئة بالبارود فسقط صريعاً ،

وهو يردّد أنه يموت الآن وهو سعيد بأداء واجبه ، وعندما رآه شقيقه "أنطونيو دي كاسترو دي ساندي" وهو يُحمل إلى داخل الكبينة ، تمنى أن يبقى إلى جانبه .

إما لتطبيبه أو وداعه وهو يفارق الحياة ، غير أن "فرانسيسكو" كان يقول له ناصحاً أنه لا يجب أن يؤثر الود الأخوي على الخدمة الملكية ، ويجب أن يتركه كي يمضي للدفاع عن السفينة ، وكانت هذه الكلمات كفيلة بإثارة إعجاب الحضور ، وسوف تظل مثار إعجاب أجيال المستقبل ، ولقد أبدى هذا الشاب شجاعة نادرة وبسالة استبقت فترة شبابه الغض ، وكشفت عن أعمال بطولية رائعة .

عموماً ؛ قلما نجد شخصاً واحداً في هذا الأسطول من لا يستحق الثناء ، فأداء القائد العام كان مثاليا بلغ حد الروعة فيما يختص بالإعداد للمعركة أو المهارات والتكتيك الذي طبقه في إدارتها ؛ فقد قاد المعركة كقائد محنك وقاتلَ كجندي شجاع ، لأنه بموجب التأخير الذي أحدثه نال الأميرال "جوزيف دي ميلو دي كاسترو" شرف إحضار تلك المساعدات والدعم ، ولهذا كانت مساهمته في تحقيق النصر لا تقلّ عن أيّ فرد خاض المعركة ببسالة مشهودة .

كان القائد العسكري والضابط الحربي "أنطونيو دي كاسترو دي ساندي" قد تحمل الكثير من الضغط من جانب أسطول وسفن العدوّ بفرقاطته تلك ، ولقد أدى الواجب المناط به بروح قتالية عالية ، ومهارة مشهودة توجت كل أعماله بتشريف مستحق .

سعادة قائد القوات المحاربة في الأسطول "جواو فيريرا دا كوستا"

قدم أدلة جديدة كشفت عن كوامن مهارته وتحليه بروح قتالية فذة ، حيث أنجز الأعمال والواجبات التي كُلف بها بنفس الكفاءة التي أظهرها في وقت مضى في نفس هذا المضيق ، وشجاعته لسيت موضع دهشة العدوّ أو إعجابهم ، لأنهم خبروا وشاهدوا أعماله البطولية من قبل ، وفي هذا القائد تجسدت لهم الشجاعة والبسالة في أروع وأسمى صورها ، بالرغم من تقدمه في العمر .

أيضاً أحب أن أشير إلى أن جميع القادة البحريين والعسكريين مثل "مانويل دي سوسا بيريرا" "D . Manuel de Susa Perriera" ، في سفينة العلم و"أنطونيو ريماو" من سفينة الأميرال قد أبلوا بلاء ، وبذلوا جهوداً لا تقل عن تلك الجهود التي بذلها القادة الكبار في سفنهم الحربية .

عليه ؛ ففي بحار "كنغ" تلك حدثت المواساة في تلك المآسي التي وقعت في أطراف مدينة "ديو" ، وباختصار شديد تعتبر هذه المعركة من أفضل المعارك التي كسبها البرتغاليون على الإطلاق في مملكة الهند ، وحققوا نصراً كان كفيلاً بتعزيز السمعة القديمة التي كانت تتمتع بها هذه المملكة ، فالظروف التي كانت تحيط بهذه المعركة كانت مميزة ، بحيث جعلت هذه الحرب تبدو عجيبة ومذهلة .

أن شهود الحرب هذه لم يكونوا هم الفرس وحدهم ، بل كانت الحرب مشهودة من قبل المواطنين والأوروبيين الذين رأوا أن انتقامنا كان أعظم من الإهانة التي وجهت لنا ، وقد تجاهلوا أسباب تلك الإهانة كي يتجنبوا مغبة الانتقام .

أما على "السيفاقلي" "المغول" وعادل خان فقد اتجهوا إلى حصوننا

استباقاً للنتائج حيث انسحبوا منها مستبدلين الأمل بالخوف ، وبالرغم من قلة عدد السفن الحربية (الفرقاطات التي كانت بحوزتنا ، وقلة الجنود الذين لم يتجاوز عددهم ثلاثمائة وخمسين جندياً برتغالياً) كانت تلك الفئة القليلة قد حاربت بقوة وشجاعة حققت بها النجاح في دحر وهزيمة مجموعة من السفن الكبيرة والكثيرة العدد .

بالمثل كثرة الجنود العرب الذين بلغ عددهم سبعة آلاف جنديٍّ ، وكانت خسائر أسطولنا في الأرواح قد بلغت خمسين قتيلاً ، بينما بلغ عدد الضحايا من العرب أربعة آلاف قتيل .

برغم هذا التفاوت في القوة والبطش والدمار في الحرب ، كانت نتيجة الحرب في صالحنا ، لكن يظل الإيمان الراسخ أن إرادة الرب شاءت أن نكون الوسيلة التي سخرها بحوله وقوته لتأديب من ارتكبوا جرائم انتهاك المقدسات وخرّبوا المعابد ، وبالتالي ؛ فإن ما تحقق من نصر كان من عنده وحده وبسببه هو ، وليس بسبب كفاءة قواتنا ، فهو وحده القاهر فوق عباده ، فله الحمد والثناء .

في ظل روعة هذه الأعمال الجديرة بالانتباه ، فإن أقل ما يمكن هو أن يصار إلى تخليدها كي تكون في ذاكرة التاريخ ، وأن يتمّ تسجيلها في سجلات التاريخ بأسطر لامعة ، وسوف يظلّ كل ما كان قد كتب عن إنجازات البرتغاليين ، من اكتشافات وفتوحات خالدة باعتبارها هي الأولى مرتبة ، ولكنها ليست الأعظم شأناً .

قبل أن يرسو أسطولنا في "كنغ" كان القائد قد استقبل مبعوثان من أبناء "الجلندار" يحملان التهاني بالنجاح والنصر الذي تحقّق ، وبالمثل

الهدايا الثمينة ، وكانت قناعتهما باستحسان هذا العمل قد جعلتهما أيضاً يعلنان عن مساهمتهما في تحمل النفقات .

كانت السفن تنتظر في ذلك الميناء قدوم أسطولنا بعد أن زيّنت بالأعلام تعبيراً عن الفرحة والسعادة ونشوة الفوز ، وبمجرّد دخول الميناء شرعت السفن والقلاع في إطلاق قذائف مدفعية بشكل متواتر ورصاص وابل ؛ ليس أقل ضراوة عما يحدث في أيّ معركة ، وكانت تلك الانفجارات المتتالية والمخيفة قد أحدثت شعوراً بالبهجة جعل الناس يواصلون الهتاف والتصفيق احتفاء بهذا الانتصار البحري الرائع .

لم يصرف كل هذا الألق والبهاء الذي ازدان به هذا الانتصار سعادة القائد العام عن اهتمامه بصيانة الأسطول ، وإنّما أعطاه المزيد من عنايته بسبب ما كسبه من شهرة عظيمة ، لذا فقد بقي في "كنغ" مدة ثمانية وعشرين يوماً بعد المعركة ، كي يجري عدة تغييرات في مركز الجمارك ، وأظهر مهارة ملحوظة في مجال الشؤون السياسية لا تقل عن شجاعته في ميدان القتال .

عندما تم توفير الإمدادات وصيانة السفينة "لوا دس أس فرانسيسكو" وفق ما صدر من أوامر ، شرع الأسطول في الإبحار في يوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر قاصداً الهند .

لم يحدث أي شيء جدير بالذكر أثناء تلك الرحلة ، وبعد أن حقّق ذلك الانتصار ، بدا أنه لم يعد أمامه ما يمكن أن يهزمه . لقد كان صيت ذلك الانتصار العظيم كفيلاً بتبديد أية فرصة لتحقيق نصر آخر .

في صبيحة الخامس والعشرين من شهر أكتوبر كان الأسطول قد ألقى

مراسيه في البحر قبالة قلعة "أقوادا" بعد أن قضى فترة ستة شهور ونصف في تلك الحملة التي أكسبته شهرة حربية ستظل خالدة على الدوام .

لقد وفد الحكام إلى ذلك الموقع للقاء القائد العام ، ولقد ساد الجمع شعور بالبهجة والفرح ، وقُدمت التهاني وسط موجة من التهليل والتصفيق .

أما الأخبار المغلوطة والشائعات المغرضة التي انتشرت في طول الهند وعرضها بهزيمتنا ، فقد جعلت من ذلك النصر الذي حققناه حدثاً فريداً ومميّزاً ، حيث إن الاحتفالات التي أقيمت بددت كل الشكوك والقلق .

في تلك الأمسية ؛ كان الأسطول قد أبحر عبر الحاجز وسط تهليل المحتفلين الذين قدموا من جميع القلاع ، وكانت تلك الأمسية من أروع الأمسيات ، إن لم تكن الأعظم في تاريخ مملكة "البرتغال" الذي شهدته مملكة الهند ، وأسعد أمسية شهدتها "غوا" منذ سنوات عديدة ماضية .

في المساء ؛ كانت هناك إضاءات عيدية بهيجة مصحوبة بقرع الأجراس ، وكان الهتاف والتصفيق الذي حظي به ذلك النصر أمراً استثنائياً لم يسبق له مثيل ، لم تقلل الاعتيادية في العرض من حرارة الشعور بالفخر الذي صاحب الاحتفاء بذلك النصر ، خاصة وقد بدا من المستحيل فعل أي شيء للذين انتقموا وثأروا لـ "ديو" إذ منح النصر للذين تمكنوا من رفع الحصار .

الألسنة تلهج بالعرفان والشكر للرب وحده الذي كتب ذلك النصر ، ويعترف أولئك الذين حققوه أنه هبة مقدسة من الرب الذي ملأ قلوبهم شجاعة ، وملأ قلوب أعدائهم رعباً ، وقد انتصر رجالنا ؛

بينما مني العدوّ بهزيمة ساحقة ، ونسأل الرب أن يمن علينا بمزيد من رحمته ، ويمنحنا المزيد من الانتصارات القادمة .

الآن ؛ وبعد هذه الانتصارات ، وبعد تقاعد الأسطول ، لاشكّ أن حكام مملكة الهند سوف يقبلون على تجهيز أسطول آخر ، يتوقع منه أن يحقق انتصارات عظيمة مماثلة ، خاصة في وجود "د . جيرونيمو مانويل" كقائد ، و"جوزيف دي ميلو دي كاسترو" كأميرال بحري ، وهذان هما بطلاً المعركة ، ولا شك أن الثقة في مهارتهما وحنكتهما أمر مفروغ منه ، أضف لذلك أن شجاعتهما المشهودة حقيقة بإحياء الأمل في تحقيق نصر مؤزّر آخر .

بالرغم أن الالتزام يبدو مستحيلاً في هذا الوقت الوجيز ، إلا أن التصميم والعزم يوجد المعجزات ، فالعمل الدؤوب وعدم التأخير قد وفّر الكثير من الوقت وبالتالي ؛ أمكن إعداد وتجهيز الأسطول في فترة أقل من ثلاثة شهور .

كان "مانويل دا سيلفا" قد أبحر بصفته قائداً عسكرياً بحرياً في السفينة "غاليوت" "ساو بنتو" "Sao Bento" ، والتي أصبحت في هذه المناسبة سفينة العلم ، أما الضباط التالية أسماؤهم ؛ وهم : "أنطوينو كورتي ريل دي سامبايو" "Antonio Corte Rel de Sampaio" ، و"د. ميجيل دي ألميدا" "D . Miguel de Almeida" ، "د . فاسكو لويس كوتنهو" "D . Vasco Luis Coutinho" و"د . أنطونيو دا كوستا" "D . Antonio da Costa"– و"فرانسيسكو دي سوسا دا جاما" "Francisco de Susa da Gama" و"أنطونيو فاليز" ، فقد أبحروا

فــي الفرقــاطة "نوسا سنهورا دوس رميديس" وتبحر هذه بصفتها سفينة الأميرال .

كذلك يعمل "أنطونيو سوتل" "Antonio Sotel" كقائد عسكرى بحري ، و"نونو ماكاو دا سيلفيرا" "Nuno Macao da Silviera" ، و"بنتو رودريغيز هنريكس" "Bento Roderigues Henriques" كضباط ، وبالمثل ؛ تم تعيين كل من "بدرو فاز دي سيغويرا" ، و"بالثازار دي باروس فيراو" "Balthasar de Barros Firao" ، و"أنطونيو دي كاسترو دي ساندي" ، و"فرانسيسكو جوميز دي لاغو" "Francisco Gomez de Lago" .

"لويس ألفاريز بيريرا دي لاسيردا" "Luis Alvares Perriera de la Cerda" (وهو أحد الفرسان الشجعان كقائد في معسكرات "النتيجو" الذي أصبح من أفضل القادة البحريين في المحيط الهندي ، ثم تعيينهم قادة عسكريين للعمل كقادة وقباطنة في الفرقاطات "مسيح مريم") "نوسا سنهــورا دوس مـــلا جــروس" "Nosa Senhora dos Mela Gros" و"أس جـــواو دا ريبـــيرا" وكـــذلك "أس أنطــونيو سنهورا دو مار" "S . Antonio Senhora do Mare" .

في أولـى هذه الفرقاطات يترتب أن يعمل كل من "مانويل دي سوسا" و"مانويل دا سيلفا تيليس" "Manuel da Silva Teles" يذهبان كقباطنـــة للقوات ، وفي الثانية " بلشيور دي أمارال دي منيسيس" "Belchior de Amaral de Meneses" و"فرانسيسكو ساردنها كاسيلا" "Francisco Sardanha Casila" وفي الثالثة "د . جوزيف دا كوستا"

"Joseph da Costa" ، و"مانويل دا سيلفا" و"فرانسيسكو دي ميرا" "Francisco de Mira" .

أما "مانويل دي أندراد فيريرا" فسوف يتولى قيادة "المانشويز" .

هكذا أصبح قوام هذا الأسطول خمسمائة وخمس جنودٍ ، خمسمائة وثمانية عشر بحّارا ، ومائة وستّا وأربعين قطعة مدفعية ، وقد أبحر في الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٦٧٠م ، وغادر قائد القوات العسكرية "د . جيرونيمو مانويل" مدينة "غوا" والآمال معقودة في أن يحقق الكثير من الانتصارات المرجوة .

أما الشعوب المجاورة ، وحتى تلك الموجودة في مناطق بعيدة ، فقد أرهبها انتصارنا السابق ، وأصبحت أكثر رعباً ، تحسباً لما سوف يحدث مستقبلاً ، ولا عجب أن يسارع الجميع بعد أن تلقوا الأخبار الجديدة والشائعات بأننا قد أصبحنا سادة البحار ، بإرسال سفرائهم لتقديم التهاني بمناسبة تلك الانتصارات المعززة ، وبينما سعى الأصدقاء لتأكيد السلام ، كان الأعداء يُمنّون أنفسهم بانتهاء الحرب .

في هذا الوضع ، حيث إن التدبر البرتغالي يتوقع أنه عند وصول نائب الملك "لويس دي ميندوسا فيرتادو" "Luis de Mindonca Fortado" في الهند ، (بإذن الرب) سوف تجد قوات الشرق تشجيعاً قوياً من خلال مساعداته الشخصية ، وأيضاً من جانب جيوشنا ، وسوف تكرّس كل جهود تلك المملكة لأجل تعزيز قوتها لأجل سموّها ورفعتها .

أحداث عام ١٦٧٤م

حُرّرت وثائق متعلقة بشهادة من نائب الملك "لويس دي ميندوسا" إلـى الأب "مانويل دي جيسوس" ، بشأن معركة "كنغ" ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٧٤م : (٥١)

أنا ، دوم "بيدرو" بمنة من الله عز وجل أمير "البرتغال" و"الغرب" ، والوصي على العرش ، وحاكم الممالك المذكورة آنفاً وسيدها ، أبلغ كلّ قضاة المحكمة العليا والقائمين على العدالة ، ومواطني ممالكي الذين يطّلعون على رسالتي التوضيحية هذه ، والذين تعنيهم محتوياتها بالحق .

بأن الأب الوكيل العام لأبرشية القديس "أوغستين" في الهند الشرقية قد قام بإرسال رسالة لي ، ولرئيس قضائي في المحكمة المدنية ، والذي بيده الولاية القضائية ، وقاضي التوثيقات في أنحاء الهند بأنه يحتاج في أدائه لمهامه لصورة موثقة من الشهادة التي يحملها ، ويطلب مني ذلك بواسطة رسالة توضيحيه بأن آمر بأن تعطى له .

---

(٥١) رقم الوثيقة والهامش.

عندما اطّلعت على ما قاله ، وما طلبه ، أمرت بأن يتم إصدار هذه الشهادة له ونسخها كلمة بكلمة كما يلي :

التماس :

إن الأب وكيل أبرشية القديس "أوغستين" في الهند الشرقية يحتاج لأداء أغراضه لشهادة من وزير الدولة ،

كما يعلم سعادتكم ، أنه في عام ١٦٧٢م ، وعندما قام قائد المضيق "أنطونيو دي ميلو دي كاسترو" "Antonio de Milo de Castro" ، بالذهاب إلى ميناء "كنغ" وتحت إمرته الأسطول ، اكتشف أن الميناء ليس لديه موارد مالية ، وأن موارد جماركه لا تقدم إلى سموّه أي شيء حتى يستحق أخذ نصف الإيرادات .

رغبة منه في تصحيح هذه الأوضاع ، عمد القائد إلى إرسال "مانويل ميندیز هنریکو" "Manuel Mendes Henrique" و"جاسبار دي سوسا دي لاسيردا" "Gaspar de Susa de la Cerda" ، حيث كان الأول هو المدير السابق لديوان الجمارك ، أما الثاني ؛ فهو المديرالحالي للديوان إلى بلاط ملك فارس لطلب هذه الإيرادات .

حيث إن هذا يتطلب صرفا غير مرشّد لدعم المنصب الذي سوف يشغلونه في ذلك البلاط ، طلب القائد من الأب "مانويل دي جيسوس" "Manuel de Jesus" وهو رجل دين طائفة القديس "أوغستين" السابق لديرهم في أصفهان والذي كان متواجداً في ذلك الحين في الميناء للقيام ببعض الأعمال المتعلقة بديره ، والقيام بهذه الخدمة إلى سموّه نسبة لأهميتها لدولة الهند وفائدتها للخزانة الملكية .

يجمع الأب العديد من الخواص التي تحتاجها المهمّة ، والمتمثلة في معرفته باللغة الفارسية ، وكونه رجل دين مما يقلّل التكاليف ، فقام بالموافقة ، وقام بالتغلب على تجربة الرحلة ، والصعوبات التي تنتج من مطالب وزراء ذلك الملك القوي .

لشرف وسمعة سموّه ، ولفائدة خزانته الملكية ، فقد منح وساماً من أرفع الأوسمة بواسطة ملك فارس ، وتم إصدار أمر يمنح سموّه بمقتضاه نصف إيرادات ديوان الجمارك من دون تحفظات .

لقد تم الترحيب به بواسطة حكام "كنغ" في احتفال بهيج ، وبعدها انطلق مع القافلة قاصداً السند التي تم تأخير رحلتها لمدة شهر ونصف الشهر بواسطة الترتيبات التي عملت لفائدة رجل الدين هذا ، ولمصلحة الدولة ولاحتياجاته الشخصية ، فإن الملتمس يطلب من سعادتكم التكرم بأمر وزير الدولة بإصدار شهادة له ، إذا قمتم سعادتكم بتوثيقها ، فسوف يكون أكثر امتناناً .

أمر كما تم طلبه بواسطة "مندونسا" .

شهادة :

تنفيذا للأمر الصادر أعلاه من الكونت النبيل نائب الملك أو بالأحرى كوند "لافديريو" نائب الملك والقائد العام للهند ،

أنا "لاذارو نيونس فقويرا" أمين سرّ وزير هذه الدولة ، أشهد بأن "أنطونيو دوي ميلو دي كاسترو" قائد الأسطول الذي يجوب المحيطات ، والذي ذهب إلى مضيق "هرمز" في عام ١٧٦٢م ، وجد ميناء "كنغ" حيث للخزانة الملكية نصف إيراداتها من دون موارد ، ولذا لم يتم تسلّم أي إيرادات .

رغب القائد في تسوية العقد مع ملك فارس ، وذلك بقيامه بإرسال "مانويل مانديس هنريكو" والذي كان في الماضي مديراً للميناء المذكور آنفاً ، و"قاسبار دي سوزا دي لا سيردا" والذي يشغل ذلك المنصب في الوقت الحالي ، ونسبة لاعتقاده أن إرسالهم سوف يتضمن مصاريف غير ضرورية نسبة للشكليات التي يتعين عليهما السفر وفقها .

قد قام القائد باختيار الأب "مانويل دي جيسوس" وهو رجل دين تابع لأبرشية القديس "أوغسطين" الرئيس السابق لديره في أصفهان بأن يذهب إلى البلاط المذكورة آنفاً .

ذلك ليقوم باتخاذ الخطوات الضرورية ، لأنه يتحدث اللغة الفارسية بطلاقة ، وليقوم بتقليل النفقات الباهظة ، حيث وافق الأب المذكور ، وقام بالرحلة قاهراً لكل تحديات الطريق والتعقيدات مع وزراء الملك ، وهذا يضاف لشرف وفضل البرتغاليين ، ولفائدة الخزانة الملكية ، وقام باستلام أمر من ملك فارس إلى حكام "كنغ" بأن يتم خصم نصف إيرادات الجمارك له ، وقام الأب بتنفيذ هذا التعهد بنجاح .

أنا أصدر هذه الشهادة وفقاً لأمر الكونت نائب الملك .

قام "لويس كالديرا" "Luis Caldeira" بكتابة هذا في الثامن من شهر يناير عام ١٦٧٤م ، "لاذارو نونيز فيغويرا" "Lazaro Nunes Viguera" .

عمل التوثيق :

أنا "لويس مونتيرو دي كوستا" "Luis Montero da Costa" فارس طريقة سيدنا عيسى المسيح ، وعضو محكمة "أوبورتو" العليا ، والمحكمة العليا في "غوا" ورئيس القضاة في المحكمة المدنية بصلاحيات

صاحب السلطان ، وقاضي التوثيقات ، ومن فرسان الطرق العسكرية في تلك المناطق من الهند ... إلخ .

أقرّ بأن التوقيع الموجود في أسفل الشهادة التالية يخص "لويس دي ميندوسا فيرتادو" الكونت ونائب الملك لهذه الدولة ، وأن الختم الموجود في أسفل الشهادة التالية يخص "لازاريو نيناس فيقوريا" أمين سرّ الدولة ، وذلك وفقاً لأقوال الكاتب الذي قام بالتوقيع على هذا .

وفقاً لذلك ، فأنا أعتبرها موثقة ، وللتدليل على ذلك تم إصدار الوثيقة الحالية في "غوا" .

هي موقعة بواسطتي ، ومختومة بختم القوة الملكية بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٧٦٤م .

تم دفع عشرين "ريساً" (وحدة نقديه برتغالية) من أجل هذا ، وأربعة ريسات مقابل التوقيع .

"أوغسطينو رودريجيز دي كارفالهو" "Augustino Roderigues de Carvalho"

نيابة عن "أنطونيو جيل بريتو" "Antonio Jill Breito"

"لويس مونتيرو دا كوستا"

هذه الشهادة وإجراء التوثيق قد تم نقله بعناية وبأمانة وبإخلاص من الأصول ، وتمّ إرجاعها إلى الشخص المعنيّ من دون إضافة أو حذف أيّ شيء ربما يثير الشك ، وهذه النسخة قد تم فحصها ومراجعتها بواسطة الموظفين الموقعين أدناه .

أنا بذلك آمر ضباط القانون التابعين لي الذين يعملون في خدمتي ،

والذين تمّ ذكرهم أعلاه أن يمنحوها الاعتماد والثقة الكاملة في داخل وخارج البلاط كما ينبغي إذا تم تقديمها .

تم ذلك في مدينة "غوا" تحت ختمي للقوة الملكية أو تاج "البرتغال" بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٧٦٤م .

قام سموّه بالأمر لها من خلال "د . لويس مونتيرو دا كوستا" فارس طريقة سيدنا عيسى المسيح ، وعضو بلاطه الأعلى ، وعضو المحكمة العليا لـ "أوبرتو" والمحكمة العليا لـ "غوا" ، وكبير القضاة في المحكمة المدنية بصلاحيات الفصل في القضايا وقاضي التوثيقات وفرسان الطرق العسكرية ... إلخ .

قام بدفع مائة وسبعة وستين "ريساً" لعمل هذا ، وأربعة وعشرين للتوقيع ، ويتم إرسالها بواسطة البريد حيت تكون هي الأولى .

"رودريغيز دي كارفالهو" .

قام بكتابتها "أنطونيو جيل بريتو" .

"لويس مونتيرو دا كوستا" .

مذكرة هامشية جداً .

أحداث عام ١٦٨٠م

صدر "فرمان" تم إرساله بواسطة "شاه" سليمان ملك فارس إلـى "د . رودريغو دا كوستا" "D . Roderiguo da Costa" القائد العام لأسطول السفن الحربية فى مضيق هرمز ، والبحر الأحمر ، "كنغ" ، بتاريخ العشرين من شهر يوليو عام ١٦٨٠م ، بشأن إيقاف التجار والسفن التجارية : (٥٢)

تمت ترجمتها من اللغة الفارسية إلى البرتغالية بواسطة مراقب الحسابات ومدير الخزانة الملكية لميناء "كنغ" "مانويل ميينديز ماركيز" :

"شاه" سليمان ؛ قائد ذلك الملك" والذي لديه القيادة على الجميع هي كما يلي :

ليكن معلوماً لكل مسؤولي بلاطي بأن القائد العام لأسطول "البرتغال" بالفضل الملكي ، يعتبر دائماً عظيما عند حضوره ، فليكن

(٥٢) رقم الوثيقة والهامش.

معلوماً بأنه في هذا الوقت وأنا في عنفوان عظمتي نما إلى علمي أن "شهنبدرية" ميناء "كنغ" ، والذين قاموا بفرض نصف الرسوم في ديوان الجمارك ، لم يقوموا بمعاملة البرتغاليين كما كانت العادة المتبعة ، وذلك لأنهم لم يقوموا بدفع ما دفعه الشاهبندرية الآخرون في السابق ، وإنه ولهذا السبب .

إن السفن التجارية والتجار من فارس قد تم إيقافهم ، وحيث إن الشهابندرية أظهروا هذه المعاملة غير الكريمة للبرتغاليين ، فقمت على الفور بأمر وزير تابع لخزانة بلاطي ، ومدير حسابات خزانتي بالذهاب إلى ميناء "كنغ" ، الاطلاع على كل ما تم عمله ضد البرتغاليين ، وما إذا كان الشهبندرية لم يقوموا بالدفع كما كانوا يفعلون في السابق .

إن عليهم القيام بعمل التعديلات لجميع الأشياء الأخرى التي قاموا بها ، وأن كل المستحق عليهم في السنوات الماضية يتعين عليهم سداده كما كان يتمّ في السابق ، والشخص الذي أرسله لهذا الغرض يجب عليه الوصول بسرعة إلى "كنغ" فور وصول فرماني .

هذا ؛ وألتمس ألا تتمّ إساءة معاملة التجار ، وكل شخص آخر كبير كان أم صغير يبحر في البحار ، أو اضطهاده ، أو الإساءة إليه ، أو معاملته معاملة غير كريمة ، وعلى الشخص الذي أقوم بإرساله إلى هناك أن يقوم بترتيب كل شيء كما كان في السابق .

لتكونوا كلكم عظماء دائماً في خدمة وشرف الملك .

أصفهان ، المؤرخة في العشرين من شهر يوليو عام ١٦٨٠م ، اسم الملك أعلاه .

بهذه الوثيقة الموقّعة بواسطتي أنا "غونسالو سيمويس" الوكيل التجاري السابق للأسطول ، والآن ، -وبفضلٍ من الله- الوكيل التجاري لميناء "كنغ" ، أقرّ إقراراً تاماً بأن "مانويلٍ منديز هنريكو" قد سلمني الفرمان باللغة الفارسية ، والذي قام بإرساله ملك فارس إلى السيد القائد العام "د . رودريغو دا كوستا" ، كما أن "مانويل منديز" ، الذي تم ذكره آنفاً .

قام بتسليم الاتفاقيات التي تم التوصل إليها ، والتي قام بالتوقيع عليها كل من السيد القائد العام الذي تم ذكره آنفاً ومعه "ميرزا راضي" المشرف على مملكة فارس ، وبالنسبة لي أن أتحمل مسؤولية تسليمها إلى وكيل المحطة التجارية الذي يخلفني ، وأن أقوم باستلام إيصال منه يفيد بأنه قام باستلامها ، وكل هذا هو الحقيقة ، وسأقوم بإمضاء هذا .

"غونسالو ميندیز" "Goncalo Mendes" .

وفي العام نفسه (١٦٨٠م)

أبرمت اتفاقية بين القائد العام "د . رودريغو دا كوستا" مع ميرزا راضي رئيس حسابات مملكة فارس ، بواسطة الأمر الذي أحضره من الملك عن طريق "مانويل ميندين هنريكو" المراقب الأعلى لحسابات دولة الهند ، وبشأن دفع الرسوم في"كنغ" ، "كنغ" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٨٠م : (٥٣)

في اليوم الأخير لشهر أغسطس ١٦٨٠م :

١ . أولاً سوف يقوم "الشاهبندر" الموجود في ميناء "كنغ" بإعطاء الوكيل التجاري لأكثر الأمراء عظمة أمير "البرتغال" ألف (تومان) في السنة من يوم توقيع الاتفاقية ، وذلك لفترة سنة ، وذلك من إيرادات ديوان جمارك ميناء "كنغ" المذكور آنفاً .

الذي يملكه أكثر أمراء البرتغال عظمة ، وذلك تفاديا للخلاف الذي

---

(٥٣) رقم الوثيقة والهامش.

ساد بين المسؤولين البرتغاليين والفرس حول فرض نصف الرسوم في دار الجمارك الذي تم ذكره آنفاً من خلال هذه الاتفاقية .

٢ . إن "الشاهبندر" المذكور آنفاً سيقوم بدفع مائة (تومان) في السنة في كل سنة إلى أتباعه ، هذا بالإضافة إلى الألف (تومان) التي تمّ ذكرها أعلاه ، وذلك في حالة وجود "الشاهبندر" المذكور آنفاً في الميناء المذكور ، أو من عدمه ، وفقاً للأمر الذي يتلقاه من السيد الحاكم .

٣ . إن السفن البرتغالية القادمة إلى "ميناء "كنغ" هذا ، وهي محملة بالبضائع المملوكة إلى أكثر أمراء "البرتغال" عظمة لن تدفع رسوم الجمارك أو رسوم عبور الطريق .

٤ . إن السفن البرتغالية المملوكة للتجار ، والقادمة إلى هذا الميناء ببضائعهم سوف تقوم بدفع نسبة أحد عشر -أقلّ من نصف الربع الواحد بالمائة- رسوماً ، للدخول من دون أن تكون عرضة لأي دفعيات إضافية .

أن يقوموا بحرّية بحمل كل البضائع التي يشترونها في هذا الميناء على سفنهم ، من دون أن يقوموا بدفع رسوم خروج ، وعندما يلقون مراسيهم في الميناء ، ويأتي العرب للقبض عليهم ، فإن "الشاهبندر" والحاكم لن يسمحا بذلك .

٥ . إن "الشاهبندر" وحاكم الميناء ، سوف يسهّلان مرور الوكيل التجاري والقس ، والكاتب العمومي ، والبرتغاليين الآخرين ، الموجودين في ميناء "كنغ" ، هذا ؛ ولن يقوموا بفرض الرسوم على البضائع الواردة إليهم عن طريق البر أو البحر ، ولا يقوموا بفرض رسوم عبور على الطرقات .

٦ . إن الحاكم و"الشاهبندر" سيكونان ملزمين بتسليم البرتغاليين أيّ بحّارة أو عبيد يقومون بالهرب من الأسطول ، أو من سفن التجار كما كان يتم في الماضي .

٧ . فيما يتعلق بالنزاعات التي تنشب بين البرتغاليين والفرس ، فإن "الشاهبندر" والوكيل التجاري سوف يقومان بتحكيم العدالة حتى يرضى الطرفان .

٨ . إن مقام أكثر أمراء "البرتغال" عظمة سيحلّق دائماً فوق محطته التجارية .

هذه الاتفاقيات قد تم تدوينها ، ونقلها بإخلاص من الفارسية بواسطة الموقّعين ، وينبغي أن تُحفظ في المحطة التجارية .

تمّ التوقيع عليها بواسطة "ميرزا راضي" وعلى أساس أن الأشخاص أدناه سيوقّعون :

المذكور آنفا ؛ "مانويل منديز هنريكو" وكيل الأسطول "غونسالو سيموس" "Goncalo Semos" .

الأب المرجع كاهن "كنغ" .

الأخ "مانويل دي جيسوس" .

الكاتب العمومي للأسطول "بيرو دا كوستا" .

الـوكيل التجـاري لمحطـة "كـنغ" "باسكوال غونسالفيس" "Basqual Goncalves" والكاتب العمومي للمحطه التجارية "جواو سارايفا" "Joao Saraiva" .

"كنغ" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٨٠م .

"مانويل منديز هنريكو"

"غونسالو سيموس" .

الأب "مانويل دي جيسس" .

"باسكوال غونسالفيس" .

"بيدرو دا كوستا" .

"جواو ساريفا" .

المزيد من التوقيعات البرتغالية لم نتمكن من حلّ شفرتها .

أحداث عام ١٦٨٨م

دوّن الدخل السنوي ومصروفات الحصون والمناطق في الهند ، والدخل السنوي من المحطة التجارية في "كنغ" المتضمن في العقد الذي تم عمله مؤخراً مع ملك فارس ، بتاريخ عام ١٦٨٨م : [٥٤]

مادة : بمقتضى العقد السابق ، يتلقى جلالته نصف إيرادات ديوان جمارك "كنغ" ، ويلتزم مدير الميناء بتسليمها إلى مراقب محطة جلالته ، ويكون الاثنان حاضرين عملية التسليم ، ومعهم كاتب المحطة التجارية .

منذ فقدان مسقط ، فإن هذا الشرط القانوني قد تم استغلاله ، حيث تمّ اختلاس - بالتواطؤ - من جانب مدير الميناء الذي لم يكن متعاوناً لسنوات عديدة ، وقام بإيقاف الدفع ، ورأيته يقوم بعمل ذلك في فترة متأخرة ، وذلك نتيجة لأوامر جديدة تلقاها من ملك فارس في

---

(٥٤) رقم الوثيقة والهامش.

خطابات كان يريدها مدير الميناء ، وأنه نسبة لهذا السبب ، وحقيقة أن الميناء قد تم تدميره .

قام الجنرال "د - رودريغو داكوستا" بعمل عقد جديد مع "شاه" فارس في شهر أغسطس عام ١٦٨٠م ، يعطى بموجبه جلالته تسعة ألف (تومان) ، وذلك للإيرادات التي تم جمعها عبر السنوات ، والتي هي مستحقة عليه ، وقام في الواقع بدفعها ، والتزم الحاكم الفارسي بأن يدفع إلى جلالته من الآن وصاعداً مائة (تومان) في كل سنة .

في الفترة التي يتعيّن أن يكون خلالها "مانويل منديس" موجوداً هناك ؛ مديراً لذلك الميناء أو (...) نائبا للملك ، وتشمل ألفاً ومائة (تومان) بسعر أربعة "تانجا" لكل "أبسيم" ، والذي هو قيمتها ، وهذا يصل إلى أربعة وأربعين ألفَ "أشرفي" من "غوا" في السنة .

مادة : تلتزم جزيرة "قشم" بأن تدفع في محطة "كنغ" التجارية عدد خمسة جياد عربية ، كإتاوة إلى جلالته في كلّ سنة .

تصل إيرادات "كنغ" إلى أربعة وأربعين ألف "أشرفي" .

مدفوعات الرواتب والمصروفات المتفق عليها

لكلّ سنة في وكالة "كنغ"

مادة : يتم دفع ألفَ "بارداوس" من "اللارين" كل سنة إلى الأب الأشرفي كاهن دير القديس "أوغستين" الأول في أصفهان كراتب ، ويصل مقابلها من الأشرفي في "غوا" إلى اثنين ونصف من الأشرفي لكل "بارداوس" ، وتُدفع ألفان وخمسمائة "أشرفي" .

مادة : يتم دفع ستمائة وخمسة وعشرين (mamudes) إلى الأب كاهن ميناء "كنغ" كراتب له في السنة ، وذلك بمعدل (تانقاسيَن) (للمامدوس) الواحد ، وتصل إلى مائتين وخمسين "أشرفي"

مادة : دفعُ ألف وثمانمائة وخمسة وعشرين "أشرفيا" من "غوا" في السنة إلى مدير الميناء المذكور آنفاً ، عندما تكون متوفرة ، وذلك بمعدل قدره خمسة "أشرفيات" في اليوم الواحد ، تدفع مقابل طعامه .

مادة : ألف "أشرفي" إلى وكيل المحطة التجارية المذكور آنفاً ، راتباً له في السنة .

مادة : مائتان وتسعة وعشرون "أشرفياً" وثلاثة تانجا إلى كاتب المحطة التي تم ذكرها كراتب له في السنة .

مادة : تسعة وستون "أشرفي" من "غوا" إلى مترجم المحطة المذكورة .

مادة : ثلاثمائة "أشرفي" إلى خمسة حراس يتبعون للمحطة التجاريه ودار الجمارك ، كراتب لهم في السنة .

مادة : مائة وستون "أشرفياً" ؛ لإيجار المباني ، والصرف على الدفاتر والورق والحبر والأقلام والرمال في السنة .

المجموع : ٠٦٣٥٩,٣,٠٠

النفقات العادية المدفوعة في "كنغ" تصل إلى ستة آلافٍ وثلاثمائة وتسعة وخمسين "أشرفياً" ، وثلاثة (تانقاس) .

أحداث عام ١٦٩٠م

صدرت رسالة من الحاكم "دوم رودريغو دا كوستا" إلـى "غونسالو سيموس" مدير ميناء "كنغ" ، بتاريخ السادس من شهر فبراير عام ١٦٩٠م ، ويذكر فيها معاهدة التفاوض مع إمام مسقط : (٥٥)

لقد تلقيت الرسالة التي قام بإرسالها لي "غونسالو سيموس" المكتوبة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ديسمبر- التاسع والعشرين من شهر يناير ، ولقد جاءت في مثل هذا الوقت العصيب ، حتى لا تريحني من انزعاجي الكبير بخصوص الأنباء المنتشرة في هذه البلاد عما حدث في ذلك الميناء ، وما حدث للعديد من الناس ، وهناك سيكون هذا معلوماً ، وليس لدي أي تأثير على الدوافع التي قادت إلى ذلك .

لقد كنت دائماً أعالج الموقف المعقد في "كنغ" بنفسي ، وبما أنني

(٥٥) رقم الوثيقة والهامش.

كنت مدركا للانقسام الذي يعيش فيه البرتغاليون هناك ، مع أنه يوجد القليلون منهم هناك ، فإنهم محكمون بالوصول إلى نهاية سيئة ، وأن كل رجل يغادر هذه الأرض للقيام بوظيفة أخرى ، يعتقد أنه قام بفعل كل شيء يستطيع عمله ، وأن أيّ شخص يستطيع تسيير العالم حسب هواه ، من دون أن يدرك بأن كلّ شيء يصل إلى نهاية هنا ، وأن المخطئ يجب عليه أن يدفع الثمن .

بخصوص موضوع ترك الكاتب العام لتلك المحطة لمنصبه ، فإنه متأكد من نهايته هناك ، وعندما يحدث ذلك ، أياً كان الشخص المخطئ ، فسوف يعاقب .

هذا الأسطول سيغادر ، والذي يلزمني بأن أقوم بإرساله هو أن يقوم بجلب المال للرواتب ، ولإعاشة الخيول التي ظلت غير مدفوعة طيلة هذه السنوات ، ونصيحتي إلى المدير ، أنه حقيقة أنّ المال لم يصل مثّلت مشكلة كبيرة لنا ، لأنني مقتنع بأنه لا يوجد مخرج ليصل إلى هنا بسلام ، اعتماداً على سفن القراصنة التي تبحر في البحار ، وهذا هو السبب الذي بموجبه قررت إرسال هذا الأسطول ، وأيضاً أن أعرف إمكانية مناقشة اتفاقية السلام ، نسبة لأن "غونسالو سيموس" أكد لي بقوة أن الإمام يرغب فيها .

أخبرني "غونسالو سيموس" بأنه لم يتم الحصول على توضيح للاتفاقية التي قام بوضعها "أنطونيو دي ميلو" ، وأن مذكرة قصيرة تتعلق بما تمّ التوصل إليه قد تم إرسالها ، وعلى "غونسالو سيموس" الحكم بمقتضاها لكي يتسنى له التفاوض بشأن الهدنة ، نسبة لأنه ينبغي أن تحضر إلى هنا للتأكيد .

إذا تمكن "غونسالو سيموس" من إشراك عبدل الشيخ في العملية ، حتى يحضر إلى هنا نيابة عن الإمام ، ومعه سلطة التفاوض حولها فربما يؤكد له نيابة عني بأن هذه الرحلة ستكون ذات نتائج جيدة في كل أوجهها ، وأتمنى أن تساهم مجهودات "غونسالو سيموس" وتجربته بشكل كبير في تحقيق ذلك .

عندما غادر "غونسالو سيموس" هذا المكان طلبت منه السجاد الذي قام بأمر الوكيل التجاري "جوزيه بيريرا" بصنعه ، وكان بلَونين : الخلفية خضراء وداكنة ، والأفرع خضراء فاتحة ، وطوله سبعة ونصف أو ثمانية ونصف فاراس (Varas)[أ] ، وذات عرض معتاد .

حيث إن هذا الطلب قد قُدم منذ سنوات عديدة مضت ، من دون أن تتم تلبيته ، فأنا أتمنى بأن يقوم "غونسالو سيموس" بإرساله إليّ ، وأن يتغلّب على جميع المشاكل الملازمة لهذا التبذير ، وعندما يحتاج إلى المال لعمل هذا ، فإنه يمكن استخدام المال الذي يأتي من جلالته ، وسوف أقوم بتسليمه فوراً إلى وكيل المحطة التجارية ، مثلما كان يتم في زمن "كونت أنعور" .

نتيجة للخبرة التي أمتلكها ، فإنه إذا تم دفع أجور سكن الجنود ، فإن المال يُحفظ في ميناء "كنغ" ، وأمر المدير "غونسالو سيموس" بألا يتم دفعه لهم هناك ، وسيتم عمل ذلك في هذه المدينة عندما يرجع الأسطول من هناك ، ويتم عمل ذلك من دون إبطاء ، وذلك نسبة لأهميته لخزانة جلالته .

(أ) الـ "Vara" تساوي ١,١٠ سم – ملحوظة المترجم .

قمت بحثّ المدير "غونسالو سيموس" بأن يطالب بأوذنات السير الآمن منذ الوقت الذي عملت فيه جنرالاً ، وعندما تتم محاسبتهم ، فإن الذي لي عليهم يجب دفعه ، وإذا كان هناك من نقص ، فعليه إبلاغي حتى أتمكّن من دفع الباقي إلى وكيله هنا .

حيث إنه لم يقم بإبلاغي عن هذا حتى الآن ، وأنا أرغب في أن أدفع له ، وأنا أقوم للمرة الثانية بإبلاغه بأن يفعل ذلك ؛ لأنني لا أرغب في السفر إلى "البرتغال" وفي ذمتي هذا الدين .

إذا كانت هناك سجاجيد جديدة طولها ثمانية وصاعداً ، ولا تزيد في الثمن فعلى "غونسالو سيموس" إرسالها ، وأن يتم دفع ثمنها بالطريقة التي تمّ وصفها أعلاه ، وهذه المرة ، فأنا أريد ما قيمته خمسمائة "بارداوس" من اللآلئ ، وكلّ لؤلؤة تساوي (بارادوسا) واحداً أو اثنين ، وأن تساوي جميعها هذه القيمة ، وأن تكون الأحسن فيما يتعلق باللون .

أيضاً ، إذا كانت هناك أيّ قطط جميلة ، فعليه أن يقوم بإرسالها إليّ ، ومعها تقرير عن كلّ هذه التكلفة ، وستدفع القيمة إلى وكيله كما أقول .

طلب منيّ الأب "مانويل غونسالفيس" "Manuel Goncalves" أن أطلب من المدير "غونسالو سيموس" أربعة سجاجيد ، طول كل واحد يساوي ستة (فراس) ، وستّ أُخَر طول الواحد ثلاثة (فراس) ، هذا بالإضافة إلى أربع تحف سجاد ، والتي سيقوم المدير بإرسالها في الفرقاطة ، حيث إن هذه السجاجيد تخص القديس "فرانسس شافير" ، وأن الأب لا يمكنه أن يعلم ما تكلفتها .

يمكن دفع قيمتها من نفس ذلك المال ، والذي يخصّ جلالته ،

والذي وعد بتوفيره عندما تصل إلى هنا ، وكما أعتقد بأن هذه ستكون رغبة سعادته ، إذا علم بأنها تخص القديس ، وأنا آمر المدير "سيموس سيموز" أن يقوم بإرسالها .

سيدنا ... إلخ

غوا ، في الثامن من شهر فبراير عام ١٦٨٠م

"د . رودريغو دا كوستا" .

معاهـدة تفاوض بخصوصها "أنطونيو دي ميلو دي كاسترو" مع إمام مسقط :

سوف يلتزم الإمام بأن يقوم بمنح مكان لإقامة المحطة التجارية في مسقط ، حيث يكون هناك وكيل تجاري ، وأب كاهن ، وسيرفع علم "البرتغال" فوق المحطة التجارية ؛ مجسدا لقوة "البرتغال" .

إن كل السفن القادمة من الموانئ التابعة "للبرتغال" إلى موانئ عمان وتحمل على ظهرها قائداً برتغالياً ، ستقوم بدفع ما تدفعه الأمم الأخرى في العادة ، وأن تلك السفن التابعة للجزيرة العربية سوف تبحر ومعها (أذونات مرور آمنة) ، والتي ستتحصل عليها من المحطة التجارية نفسها ، ووفقاً لهذا الشرط ، فسيسمح لها بالذهاب إلى موانئنا ، حيث يتم استقبالها بكل حفاوة ،

إذا رغب البرتغاليون في بناء حصن في خصب أو "كسابنهو ينهو" فسوف يتم إعطاؤهم الموقع المناسب لهذا الغرض .

وسيكون الإمام ملتزماً بإعطاء الوكيل التجاري الذي يعمل في مسقط واحد (فنزيانو Veneziano) في اليوم الواحد لإعاشته .

****

هذا هو التوضيح الموجود في التسوية التي قام بها "أنطونيو دي ميلو دي كاسترو" ، وتشمل كل شيء يمكن أن يحدث من الآن فصاعدا ، وعندما تصبح هذه نافذة المفعول ، فإن الهدنة ستمدد لستة أشهر ، وخلال هذه المدّة ، فإن الاعتماد سوف يُسعى له هنا ، أو سيغادر من هنا ، وأن مملكة "باتي Pate" ليست طرفاً في هذه الاتفاقية ، لأننا في حالة حرب معها .

وفي العام نفسه (١٦٩٠م)

التفاوض بين البرتغاليين وخليل باشا حاكم البصرة ، اتفق على تنازل بين جنرال خليج "هرمز" "أنطونيو ماشادو دي بريتو" "Antonio Machado de Breito" مع خليل "باشا" حاكم البصرة بتفويض من جلالته سيدي الأكثر صفاء وقوة وعظمة "دوم بيدرو الثاني" ملك "البرتغال" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يونيو عام ١٦٩٠م : (٥٦)

أنا "أنطونيو ماشادو دي بريتو" الجنرال في خليج "هرمز" والبحر الأحمر ؛ أصادق وأوقّع على اتفاقيات السلام هذه نيابة عن سيدي الملك .

قام الوزير خليل "باشا" الذي يعمل الآن إداريا في البصرة بطلبها مني ، نيابة عن السلطان التركي سليمان الكبير .

---

(٥٦) رقم الوثيقة والهامش.

باسم سيّده وشعبه أشار إلى امتنانهم لعدم حرمانهم من امتيازات الاتّباع والجمارك السابقة ، والتي أنشأناها لمصلحة الشعب والبلاد ، والتي تم اعتمادها من قبل الأمراء العرب الذين يملكون الأرض .

عندما قمنا بتبديد أي شكوك ربما تكون لدى أحد الطرفين ، وافق الناس كلهم مؤخراً بالإجماع على هذا المقترح الجديد ، ولا يمكن تحت أي ظروف أن يتم إبطاله ، وعلى وزرائنا احترامه في مجموعه ، وإذا ما تم احترام أوامرنا ، مادام الأتراك يمتثلون تماماً لكل شيء مذكور أدناه ، والذي تم الاتفاق عليه :

أولاً : سوف يتمتع البرتغاليون في البصرة بهذه الحريات والامتيازات ، ولن يستطيع "الأتراك" فرض أي شروط غير معقولة عليهم .

يمكن للبرتغاليين دخول ومغادرة البصرة ، وأن يذهبوا إلى داخل البلاد ، ومعهم أسلحتهم ، وسيكون "الأتراك" ملزمين بتوفير الحماية لهم ولبضائعهم ، وكل تاجر يتبع لتاج "البرتغال" الأكثر صفاءً يمكنه المتاجرة بحرية ، وألا يدفع أكثر من ثلاثة بالمائة .

إن كنيستنا هذه ، إلى جانب أي أماكن أخرى تتبع لنا سيتم إرجاعها لنا ، وذلك حتى يمكن لقساوستنا التواجد هناك .

سيرفرف علمنا في المحطة التجارية ، ومن هناك يقوم الوكيل التجاري والكاتب العام بإصدار أذونات السير الآمن إلى السفن ، والتي سيتم إلزامها بقبولها ، وإذا لم يفعل أيّ واحد منهم ذلك ، فسنتمكن من حرمان "الأتـراك" من ذلك ، وأخذها منهم بالطرق القانونية ، ومن أجل الاهتمام بالوكيل التجاري ، سيقوم "الأتراك"

بإعطائه "فنزيانو" يوميا ، وسيتمتع القسيس والكاتب العام بمثل هذه الخدمة لفترة نصف يوم .

ستساهم مدينة البصرة بدفع مبلغ وقدره خمسة آلاف وخمسمائة "باتكوس" وحصان واحد في السنة .

في كلّ سنة يمكننا أن نشتري خمسة عشر حصاناً للإسطبلات من دون دفع ضرائب عليها .

لا يمكن "للباشا" أو الوزراء الوطنيين التدخل في النزاعات بين مسيحيّ وآخر ، وإذا كان النزاع بين مسلم ومسيحي ، فسوف يقوم "الباشا" والوكيل التجاري بوضع حل له ، ويقرر الوكيل التجاري دائماً العقوبة التي توقّع في حق المسيحي المعتدي ، كما يقوم "الباشا" بتقرير العقوبة على المسلم المعتدي .

يلتزم "الأتراك" بحماية وزرائنا من أي اعتداء قد يقع عليهم في الوقت المناسب .

لن يقوم أي تابع إن كان عبدا أو مواطنا -ويفهم من ذلك أن هذا يعني كل الرومان الكاثوليك- بتغيير دينه ، وتحت أيّ ظروف لا يقبلون أن يصبح مسلما ، وإذا لم يتم احترام هذه النقطة ، ستعتبر اتفاقية السلام فارغة ولا وجود لها .

لكي نتجنب الاختلافات بين الطرفين ، فسوف يتمكن أتباعنا من دخول منازل "البولسستيين"[أ] ، وإن حماية الناس لن تعتبر في

(أ) هم سكان "أسيا" الصغرى استناداً على القاموس المحيط للغة البرتغالية ، ط ١٠ ، "أنطونيو دي موريا‌س" ، المجلد رقم ٨ .

مثل هذه الأفعال التافهة ، وهذه هي الطريقة المثلى لمعالجة السلوك الفوضويّ المشترك بين الناس .

حسب القانون ، فإن "الأتراك" يمكنهم القدوم والمتاجرة في موانئنا وأراضينا في الهند ، كما يفعل أتباع أولئك الملوك من أصدقائنا ، وبالمثل ؛ سوف تتم معاملتهم معاملة طيبة من قبلنا .

من جانبنا فسوف نتعهد بتقديم يد المساعدة والعون إلى سكان "تركيا" حتى يمكنهم السفر بحرّية وأمان ومعهم بضائعهم ، وأن يقوموا بفتح أبواب التجارة بين الساحلين وذلك تحقيقاً للمصلحة العامة .

بمقتضى التوقيع على هذا التنازل ، فإن وزراء كلا الطرفين سوف يمتثلون له بشكل مطلق ، لأن اتفاقية السلام هذه قد تمّ التصديق عليها من كلا الطرفين ، وذلك في ظل الوفاء الطبيعي الذي يمارسه العالم .

هذه الشروط لا تشتمل على المال الذي تم أخذه بالقوة من التجار البرتغاليين في البصرة ، والذي نطالب "الباشا" بسداده ، وذلك لأنه يخص أتباعنا ، وهذه الفقرة ستكون دائماً سارية المفعول .

"كنغ" في السادس عشر من شهر يونيو عام ١٦٩٠م .

"أنطونيو ماشادو دي بريتو"

******

نحن "غونسالو سيموس" مدير الخزانة الملكية في ميناء "كنغ" هذا ، و"جواو داسلفا" الوكيل التجاري هنا و"جورج دو فريتاس" الكاتب العمومي للمحطة التجارية ؛ نشهد بأن هذه هي بنود اتفاقية السلام التي

اتفق عليها الجنرال "أنطونيو ماشادو دي بريتو" مع خليل "باشا" حاكم البصرة ، وتم نقلها بِأمانة .

إن هذه النسخ مازالت في هذه المحطة التجارية ، وذلك لتسليمها إلى الوكيل التجاري هناك ، وإلى "الكاسا" "دا أنديا" ، وللتأكيد فنحن نصدر هذه الشهادة التي تم تدقيقها بواسطة الكاتب العام "جورج دو فريتاس" ، وقمنا نحن بالتوقيع عليها .

"كنغ" بتاريخ السادس والعشرين من شهر يونيو عام ١٦٩٠م .

٢- رسالة إلى "أنطونيو ماشادو دي بريتو" من "الباشا" في البصرة(أ)

أيها السيّد الأقوى لغالبية الأمة المسيحية ، والمخلص للمسيح "أنطونيو ماشادو" ، أتمنى أن تكون دائماً في صحّة جيدة ونقياً من الشرّ .

أرجو منك أن تدرك بأنّني أجلّ المنصب الذي تشغله بطريقة شرعية إجلالا كبيراً ، ولابدّ أنك علمت بأنني قمت في البصرة بالاستفسار بدقة عن شخصك ، ولقد تم إبلاغي بأنّك ذهبت من بابل إلى فارس .

رغبتي تتمثّل في إفادة جميع مخلوقات الله كصديق جيّد ، وأن أساعدك كصديق أرغب في صداقته ، ولك أن تتأكّد من صدق نيتي ، ولا أشكّ في أنك سترد إلى منصبك السابق مع عادات أسلافك ، وأنا لا أعرف شيئا عنهم ، وحتى سكرتير المالية لم يعطني معلومات عنهم .

بالنسبة لي ، سأمضي إلى أي مكان تريدني أن أذهب إليه ، ولذا ؛

(أ) أرشيف الهند ، كتاب الرياح الموسمية ، رقم ٥٧ .

وبنعمة من الله فإن الصداقة ستتحقق ، ويمكنك أن تطمئنّ بأنني لن أتأخّر بإعطائه كل الخدمات التي أقدر عليها ، وأنا متفق مع كل شيء قام به الأب المرجع لوضع الأمور في نصابها ، كما يجب أن تكون دائماً ، ويتعيّن عليك تزويدي بالأوامر عن أي شيء ربما يستجدّ في خدمتك ، وسوف أقوم بخدمته مثل خادمه .

ليحمك الله .

الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٩٠م .

٣- "كنغ" بتاريخ الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٩٠م . رد "للباشا" من "أنطونيو ماشادو دي بريتو"(أ)

أيها السيد الوجيه لأمة محمد ، أتمنّى لك دوام الصحّة .

كتب لي السيد خليل "باشا" رسالة يعبر فيها عن استعداده للعودة إلى منصبه السابق ذاك ، الذي كما تمّ وضعه بواسطة الحكام السابقين ، وبهذه الطريقة ، فإن العلاقات الجيدة التي تم تناسيها بمرور الزمن تقريباً في هذه البلاد قد تمت استعادتها ، ويدين السكان لك بالكثير ، وذلك على أساس الأسلوب القويم الذي تعمل به لمصالحهم المشتركة ، واهتمامكم بالميناء .

يجب عليّ أن أكون قادراً على عمل ما هو صائبٌ ، وسوف أستمع بصدر رحب لكل المقترحات التي تضعها بين يديّ ، وإذا كان هناك شخصٌ كفءٌ مفوّض للتعامل مع هذا الموضوع ، فليأت إلينا ، وسوف أذعن له بعدالة وإنصاف ، حتى يرضى كل شخص .

(أ) أرشيف الهند ، كتاب الرياح الموسمية رقم (٥٧) .

إن الأب المرجع الذي أخبرتني عنه أعطى أوامره ليصل إلى اتفاق ، وأخبرني بأنه لا يملك تفويضاً منك ، أو تعليمات من الوزير إلى المالية ، ولديه معلومات كافيه عنّا وعن الذي حدث مع حسين "باشا" المخادع ، هذا إلى جانب أخذه مقداراً من المال من التجار قام بجمعها باسم البرتغاليين ، وقام بخيانة الأمانة العامة التي نعتمد عليها ، وقام بوضع رجل برتغاليّ محترم في الحبس ، والذي كان قد أعطاه وعداً بأنه سيقوم بعمل تجاري معه ، إلا أنه لم يمنحه التعويض ، لذا ؛ فإن رسالته تعتبر خيانة محضة .

أنا واثق بأن حماستك وحكمك الصائب لن يسمحا بظهور شكاوٍ مشابهة ، ولن أسمع عن أخرى .

أنا أمنحك رضاي ، وأؤكّد لك بأنه يمكنك الاعتماد على استعدادي وجاهزيّتي للتصرف في هذا الموضوع ، وفي أي مواضيع أخرى ، والتي ربما تثار في وقتها .

ليحفظك الله .

في الثاني عشر من شهر فبراير عام ١٦٩٢م .

٤- "لشبونه" ، المؤرخة في الخامس من شهر فبراير عام ١٦٩٢م . رسالة من الملك إلى نائب الملك في الهند ، بخصوص الشروط المطلوبة لاستسلام البصرة[أ] :

إلى الصديق ونائب الملك في الهند "كونت فيلا فيردي" "Conde de Vila Verdi" ، بوصفي الملك أبعث لك بتحياتي كشخص أجلّه إجلالاً عظيماً ،

(أ) أرشيف الهند ، كتاب الرياح الموسمية ، رقم ٥٧ .

لقد أمرت بإجراء المراجعة والتقييم لما كتبه "أنطونيو دي بريتو" جنرال المضيق في رسالته بتاريخ السادس والعشرين من شهر يونيو ١٦٩٠م ، وذلك بخصوص اتفاقية السلام التي قام بصياغتها مع "الباشا" في البصرة في شكل شروط الاستسلام ، هذا ؛ بالإضافة إلى وثائق أخرى تمّ إرسال صور منها لك مع هذا الخطاب .

اعتقدت (كما أفعل عبر هذا الخطاب) أنّه يجب عليّ أن أصدر أوامري لك

أن تقوم باحترامها أم لا ، وذلك اعتمادا على الكيفيّة التي يتم فيها الالتزام بشروط الاستسلام هذه ، وإذا لم تكن هناك مشكلة أو ضرر فيما يتعلّق بالوقت الذي يضيع بسبب كتابتك لي ، فلن تقوم بتغييرها من دون أن تخبرني عن ذلك ، ولكن إذا كان عليك التصرف بمفردك ، فسوف تقوم بعمل ما تعتقد أنه في فائدة الدولة ، وسوف ترسل لي تقريراً بما قمت به ، وعن أسباب قيامك به .

كتبت في "لشبونه" في الخامس من شهر فبراير عام ١٦٩٢م .

الملك ، "كونت فال دي ريز" "Conde val de Reis" .

إلى الكونت نائب الملك في الهند .

أحداث عام ١٦٩١م

سُجّل تقرير عن الرحلة التي قام بها "أنطونيو ماشادو دي بريتو" جنرال المضيق في بحار الهند في السنة الحالية ١٦٩١م ، ويذكر فيه أن العرب العمانيين قادمون لغزو الحصون الشمالية التابعة للبرتغاليين : (٥٧)

بعد الأنباء التي أشاعها الحاكم "د . ميجيل دي ألميدا" في "غوا" من أن العرب قادمون بالتأكيد لغزو حصوننا الشمالية ، وهذا هو الموضوع الذي اعتقد أنه سيجد له العذر لتنفيذ خططه ، أمر بتجهيز أربع فرقاطات ، وهي التي قد أصبحت نتيجة لسوء الأحوال الجوية ، والرحلات المتكررة غير صالحة للعمل ، ويتعين أن توضع في حوض لإصلاح السفن بدلاً من قيامها برحلات .

عندما تمّ إصلاح الفرقاطات قام بتعيين "لويس دي ميلو" قائداً

(٥٧) رقم الوثيقة والهامش.

لأسطول المضيق المتحرك في بحار الهند ، ونسبة لأنه ولد في الهند ، فإن هذا التعيين لم يقابل بالترحيب المناسب ، وتم رفضه على نطاق واسع ، حيث أبحر الأسطول من حاجز "غوا" ، ورَسا في ميناء "باسين" في السابع من شهر ديسمبر عام ١٦٩٠م .

بتاريخ السابع والعشرين من شهر نوفمبر من نفس السنة وصل "أنطونيو ماشادو دي بريتو" إلى تلك المدينة ، وكان يتمتع بحق امتلاك هذا الأسطول بواسطة براءة ملكية ، لكنه عندما رأى أسطوله يستولى عليه من دون الرجوع للسلطة المختصة ، ومن غير ضرورة تذكر ، أقدم على الالتحاق بالأسطول كجنديّ حتى مشاركا في خدمة التاج في كل الأوقات .

لكن كما في الهند ، فإن الأساليب الخبيثة ترفض الحماسة والاندفاع ، وكان سلوك "لويس دي ميلو" السيئ ، هو السبب في عدم نجاح مثل هذا الإجراء النبيل والدبلوماسيّ الذي قام به "المبتدر" ، كما أعطى المزيد من الدلائل لهذا السلوك ، وذلك بمنعه الجنود الذين أجمعوا على إزاحة "لويس دي ميلو" وتسليمه الأسطول من القيام بذلك .

تجنّب هذا الإجراء بحماس بالغ ، وذلك بتوعّده كل أولئك الذين أقدموا على هذا التصرف الوقح بعقوبة صارمة ، إلا إذا تم تحكيم العقل ، فإن الزمن كفيل بوضع الأمور في نصابها ، قائلا إنّه يتعيّن عليهم الإبحار مع جنرالهم ، وأن سموّه -يحفظه الله- تتم خدمته بالطاعة العسكرية بدلا من الشجاعة ، وأنهم سوف يعانون نتيجةً للمعارضة التي أظهروها .

كتب "أنطونيو دي بريتو" إلى الحاكم يخبره بوصوله ، وأرسل إليه

امتيازه ، وأمر الحاكم "لويس دي ميلو" أن يقوم بتسليمه الأسطول ، والذي يتكون من فرقاطات ليست غير صالحة للعمل فقط ، بل إنها تعاني من قلّة التجهيزات كما سيأتي ذكره أدناه ، وكان طاقمها الأساسي من رعايا الهند ، وهم من أتباع وأقارب "لويس دي ميلو" ، وبلّغه بأن يقوم بنزع سلاح وتسريح أي شخص يرغب في ذلك .

كما أنه قام بإرسال رسله إلى "أنطونيو ما شادو دي بريتو" يأمره فيها عدم اعتراض أي شخص أبحر مع "لويس دي ميلو" من المغادرة إذا رغب في ذلك .

نتيجة لذلك ؛ تم إخلاء الأسطول من الجنود ، ومن أقارب "لويس دي ميلو" ومن المؤن التي قاموا بأخذها معهم .

سرت إشاعة بأن الأسطول قد تمّ حجزه في ميناء "باسين" نتيجة لهذه الحادثة ، وأنه لا يستطيع تمشيط الساحل الشمالي في الوقت المناسب خدمة للدولة .

كما تم القبول أيضا بقيام الحاكم "د . ميجل دي ألميدا" بإبرام اتفاقيه مع "لويس دي ميلو" تنصّ على أنه في حالة عدم مقابلته للجنرال "أنطونيو ماشادو" في الحصون الشمالية ، سيقوم بإرسال الفرقاطة "ساتتياجو مايور" إليه ، والتي وصلت من "البرتغال" حتى يستطيع الإبحار فيها إلى المضيق .

عندما تلقّى الجنرال "أنطونيو ماشادو دي بريتو" خطاب الحاكم ، قام بإرسال عونه إلى الأميرال فى "غالفيتا" ومعها أمر يقضي بأنه يتعيّن

على الأميرال الإبحار في الحال من المكان الذي يتواجد فيه ، ويقوم بإحضار الأسطول إليه بسرعة في ميناء "باسين" .

قام "لويس دي ميلو" بأخذ الأسطول بعيدا جدّا من هنا ، وبسرعة فائقة ، وذلك أنّه في حاله تمكين "أنطونيو دو ميلو" من الاستيلاء على الأسطول ، سيكون من الصعب عليه الوصول إليه في الوقت المجدد ؛ حتى يتمكن الجنرال من تمشيط الساحل .

وصل هذا العون إلى الأميرال ، وأمرت الأميرال بالإبحار فورا ، وقاموا بمتابعة الفرقاطات الأخرى ، وقاموا بالرسوّ في ميناء "باسين" عند حاجز ميناء "باسين" بتاريخ الثامن من شهر يناير .

فى اليوم السابع غادر الجنرال "أنطونيو ماشادو دي بريتو" (على الرغم مما قيل في السابق من أن الفرقاطات كان ينقصها المؤن والجنود) وسار في اتجاه قناة "سورات" التي يتعين على العدوّ العربي عبورها ؛ وهو في طريقه لمناطق في الهند .

إن الأوامر السارية المفعول من الحاكم إلى الجنرال "أنطونيو ماشادو دي بريتو" نصت أنه في حال التأكد من ذهاب العدوّ العربي إلى "ممبسا" ، فعليه الذهاب فورا لمساعدتها ، ومعه الأسطول بأكمله ، ومن هناك يتجه إلى المضيق مع بداية هبوب الرياح الغربيّة .

عندما اطّلع الجنرال على هذا البند في الأوامر السارية ، قام بالكتابة إلى "جواو دي سيغويرا" الموجود في "سورات" ، وهو صديق لجنرال الشمال والدولة ، يمكن الاعتماد عليه ليمدّه بمعلومات تتعلق بتوقّع وصول العدوّ إلى ميناء "سورات" ، أو إذا كانت لديه معلومات تفيد

بذهاب العدوّ إلى "ممبسا" لمهاجمة حصنها بواسطة ثماني سفن قوية ، ومن المتفق عليه عموما ؛ أن هذه كانت خدعة تمّ تمريرها على الجنرال بأمر من الهند .

وصل الجنرال إلى "ممبسا" في الثامن من شهر فبراير ، ومعه أسطول لا يستحق أن يحمل اسم ملك "البرتغال" نسبة لمحدودية عدد رجاله ، مما جعلهم مدعاة للسخرية ، أما الفرقاطات ؛ وباستثناء واحدة ، فقد كانت غير جاهزة للعمل ، مما يستدعي تفكيكها ، ووصلت وسواريها متصدعة ، وليست لديها قطع غيار ، وحبال تشغيلها متعفنة .

وفقا لضابط الخزانة الأعلى ، فإن هذا يعتبر شيئا جيدا ، لأنه وبهذه الطريقة ، فإن مالا كثيرا سيتمّ توفيره له ، لأنهم لا يبالون بالنتائج الأخرى لهذه الحماسة ، وأن الخسائر التي سببتها للتاج تعتبر أكبر من المكاسب ، وسيكون من الصواب المحافظة على مال الملك ؛ إذ لم يكن في البال الإبحار أو إقناع الآخرين بأن ما سوف يسرق تم حفظه ، وأن عدم وجود أشرعة سفن التوفير .

في وقت اعتُبر إرسال أسطول كمن يسرق من الهند ما هو في "البرتغال" حيث الناس أبرياء ، ولا يعرفون ما يقع ، بينما التجربة توضح ما يقع في الهند من تصوّر .

وصلنا إلى "ممبسا" حيث لم يتعرّف الأشخاص المتواجدون في الحصن على فرقاطاتنا ، واعتقدوا أننا العدوّ العربي ، حيث قاموا بإطلاق إحدى وعشرين قذيفة مدفع في اتجاه سفينة العلم والفرقاطة

"ساو فرانسيسكو" ، وذلك عندما أبحرنا على طول منتصف وسط القناة الضيق القريب جدا من اليابسة .

أصبحنا على مسافة مدى الصوت من الحصن الذي تمت منه مهاجمتنا ، إلا أن خوف المتواجدين في الحصن كان عظيماً ، لدرجة أنهم لم يتعرفوا علينا فقط ؛ بل وحاولوا تعطيل مدافعهم وتراجعوا لداخل الحصن ، ومع ذلك ، وعلى الرغم من ضغط قذائف المدفع التي كانت تتساقط علينا كالمطر ، قمنا بدخول الميناء ، وكان هذا سيكون من سوء حظ الحصن ، إذا كنا نحن فعلا العدوّ المتوقّع ، وأن مولانا الملك تتم خدمته بشكل بائس .

أنه في ذلك الحصن الذي يمثل هو ومدفعه أهمية بالغة ، فإن بعض هذه الحصون ليس مستحكماً ، والبعض الآخر ليس لديه عربات مدفع ، وأن المدافع كانت منصوبة على عربات ، إلا أنها تحطمت من جراء إصابتها بأول طلقة .

عندما صعد إلينا قائد الحصن ، طلب من الجنرال العفو نسبة إلى المقاومة التي أبداها ، وأجابه الجنرال بأنه يتعيّن عليهم التصرف بنفس الطريقة مع كلّ سفينة لا يعرفونها ، وعندما ذهب لتفقد الحصن ، أمر الصناع في الفرقاطات باستبدال المدفع ، وإصلاح عربة المدفع بأسرع وقت ممكن ، وبما أننا لم نجد العدوّ العربي في الحصن مكثنا هناك لمدة شهر في انتظار الرياح الغربية ، حتى نستطيع الرجوع للخليج وفقاً للأوامر السارية .

كان الجنرال يدرك جيداً من التجربة التي نالها من تلك الرحلات

ومن ذلك الساحل ، أن نتائج تلك الأوامر ستكون مدمرة له ولأسطوله بأكمله مع هبوب أول نسمات الرياح الغربية ، وأيضاً ؛ فإن تلك البنود قد أبلغته الذهاب إلى أماكن عديدة وبصحبته أسطول واحد في رحلات تحت ظل ظروف غير مواتية ، وهذا كان لسوء حظنا قد تم توضيحه مرات عديدة للحكومات عن النهاية الحزينة التي يساق البرتغاليون لها في مثل هذه الرحلات .

حتى يتسنى للجنرال الاستجابة للأوامر المستديمة بشكل تام ، قام بمغادرة ميناء "ممبسا" عند أول هبوب للرياح الغربية وواصل رحلته بصعوبة ضد الرياح المعاكسة ، حتى وصل إلى "كيب غوردافي" وهناك ؛ نسبة لأن الأسطول كان في حاجة ماسة لذلك ؛ توقف به في خليج يسمى "مونت فيلز" .

أخذ استراحة قصيرة على أساس المرض الذي يعاني منه ، وهذه عقوبة دائماً ما يتم دفعها في ذلك الخليج ، وأن الجنرال ليس استثناء منها ، وأنه كان على حافة الموت ، حيث كان يعاني من حمى شديدة .

بعد خمسة أيام ، وبإذن من السماء أصدر الجنرال أوامره بالإبحار ، حيث غادرنا ذلك الميناء متجهين إلى "قشم" ، بالرغم من التخوف من احتمال وجود عاصفة في خليج عدن ، وهو مكان يتبع لهم ، وفي اليوم التالي لم نعد نرى الأرض ، وفي تلك الليلة ذاتها ، والتي كانت في تاريخ التاسع من شهر مايو ، وعندما كنّا على بعد عشرة فراسخ من الأرض ، ضربتنا عاصفة رعدية في منتصف الليل .

أعقبتها عاصفة شديدة لا يمكن أن تتكرر ، لأنها تجاوزت حدّ المبالغة ،

ولا الموقف المحزن الذي وجدنا أنفسنا فيه ، لأنه كان مؤلما أن يوصف ، إلا أن الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء يستطيع أن ينجينا من عاصفة لم نشهد لها مثيلاً في الهند ، وأن الرحمة التي أصبغها الله علينا يمكن أن تُحسّ ، وعن الموقف الذي وجدنا أنفسنا فيه ؛ تم وصفه بإيجاز الآن .

عندما جاء الصباح اكتشفنا بأننا كلنا متوقفين تماماً ، وفي الساعة الثامنة صباحاً لم نعد قادرين على تحمل الطقس ، حيث تم تغيير مسار سفينة الأميرال والفرقاطة "ساو فرانسسكو" ؛ ولأنها فرقاطات قديمة لم تستطع المقاومة ، وفي لمح البصر تحطم الصاري الأمامي العلوي لفرقاطتنا وتبعه الصاري العلوي ، وتم إعطاء الأوامر بإنزال الصاري ، وذلك للَزق شراع صغير فيه ؛ لأن البحارة لا يستطيعون السير .

لأن الجو كان من السوء لدرجة أن الرجال كانوا لا يستطيعون سماع بعضهم بعضاً عندما يكونون متقاربين ، وذلك على أساس حدّة الرياح وشدّتها ، وكان من الصعوبة بمكان السير على سطح السفينة ، لأن أمواج البحر كانت تصل إلى سطحها ، ويكون في بعض الأحوال مغموراً بالمياه ، وبمجهود كبير قام به البحارة ، هذا بالإضافة للجنود ، تم وضع شراع على الصاري الأمامي للسفينة ، ولكن سرعان ما قامت الرياح برميِه بعيداً ، ونهض الجنرال على قدميه .

هو الذي يحتاج إلى المساعدة ، عندما رأى أن شجاعة الرجال قد بدأت في الانهيار ، وقال القبطان بألا أحد ينجينا سوى الله سبحانه وتعالى ، ثم ذهب لتشجيع الرجال ، وأن يأمل بإضافة شراع يربط

بحبال الصاري ، والذي تم وضعه بصعوبة في مكانه ، حيث قامت الرياح بالعصف به ، وبالتالي ؛ أصبحنا كشجرة بدون أوراق .

سلّمنا أنفسنا لله سبحانه وتعالى ؛ محاولين منع المدفع من التحرك ، والسيطرة على المضخات ، لأن لدينا كميات من المياه فوق المستوى بحيث لا تستطيع المضخات التعامل معها ، إذ إن المياه قد وصلت إلى الحجرة التي تحيط بالمضخات ، وأصبحنا في بعض الأوقات على حافة الغرق .

أصدر الجنرال أوامره بفتح منافذ في كبينته لبعض الجنود ، بأن يقوموا بشفط المياه التي لا تستطيع المضخات التعامل معها ؛ مستخدمين الأواني ، بما أن الجنود كانوا يقومون بذلك طوال الوقت .

عندما تم شفط كمية المياه ، ووقفت هجمات البحر ، نتج عن ذلك أن البراميل التي كانت موجودة تحوّلت إلى الجهة اليمنى للسفينة الأخرى ، وهو الجانب الذي تحوّلت منه السفينة ، لذا ؛ فلم نتمكن من تصحيح مسار السفينة أو قيادتها ؛ من الساعة العاشرة صباحاً حتى ساعتين بعد منتصف الليل .

في الساعة العاشرة مساء وصلت الرياح إلى سرعة زائدة ، وبالتالي ؛ فقدت السفينة بقية أشرعتها ، وهذا يعني الشراع الرئيس والشراع الأمامي والشراع الموجود أسفل السفينة ، حيث ولمدة ثلاث ساعات كانت تهتز من دون أن نتمكن من أن نفعل شيئاً سوى الدعاء لله سيدنا ، ونطلب منه أن ينجينا وينجي الهند ، لأنه سوف تحلّ اللعنة إذا ما مات أربعتنا .

توقفت الرياح بعد أن أزاحت الأشرعة ، حيث بدأنا عملية إزاحة الأشرعة ، لأنها قامت بتفكيك أقمشة الإغلاق للصاري الأمامي ، وفي

المنتصف شوهد الصاري مكسوراً بطريقة تشبه المعجزة ، لأن السفينة أصابها ضرر ليس طفيفا ، حيث قامت الرياح بأخذ الحبال والصواري .

بعد ساعة ؛ بدأت السفينة في الغرق ، ولفترة طويلة اعتقدنا بأنها هي آخر لحظات حياتنا ، وبدأنا في الصلاة تاركين السفينة كما هي ، ولكن عندما رأى القبطان هذا جاء إلينا ، وأصر على الجنرال بأن يقوم بإسقاط المدفع في الماء ، وإلا سوف نغرق ، واتفق معه آخرون ، وأمر الجنرال برمي المدفع الحديدي في الماء ، وكل ما يكفي حتى تستطيع السفينة استعادة توازنها .

حيث تم رمي مدفعين بسهولة في الماء ، إلا أن الثالث لم يستطع السقوط على الرغم من استخدام القوة لفعل ذلك ، وبدأ الله سبحانه وتعالى في الكشف عن مقدرته ، حيث بدأت العاصفة في الهدوء ، وذلك عندما تم إسقاط المدفعين ، وتمكنت السفينة من تصحيح مسارها إلى حدّ ما ، ولكن حتى النهار ، وحيث كان الجو هادئاً ، فلقد تحطم الصاري الأساسي عندما غادرنا الهند .

الله سبحانه وتعالى لم يسمح لكليهما بالسقوط في الليل ، ولأن الرجال لم يكونوا قادرين على العمل ، وكان يمكن لنا أن نفقد الأمل ؛ إذ لم يكن ممكنا الاهتمام بكل شيء ، والآن ؛ نحن بدون صوارٍ في قلب العاصفة الضخمة التي لا يُعرف لها مثيل ، وحدثت معجزة إلهية ، وذلك بأمره للرياح والبحر بالهدوء .

هذا لم يحدث أبداً بطريقة طبيعية إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام من بداية العاصفة ، وحقيقة أن المعجزة تتمثل في أنّنا لم نفقد رجلاً واحداً ، على

الرغم من وجود العديد من الرجال المصابين والمرضى بدوار البحر على سطح السفينة .

في الساعة العاشرة صباحاً ، وعندما هدأت الأحوال تماماً ، رأينا سفينة ، ولكن عندما قمنا بعمل إشارة لها لم تقم بالاقتراب منا ، وفي اليوم التالي ؛ وفي نفس الوقت رأينا سفينة أخرى مجرّدة من الصواري ، وعندما أرسلنا إليها إشارة واقتربت منا أدركنا أنها هي سفينة البريد التي كانت مصاحبة لنا ، وتحدثنا معها ، وطلبنا منها الأنباء عن السفينتين المفقودتين ، إلا أنه لم تكن لديها معلومات .

بعد يومين ؛ رأينا سفينة أخرى مجردة من الصواري تماماً ، والتي اعتقد الجنرال أنها تتبع إلى العدوّ ، نظرا للسرعة التي كانت تسير بها نحو الساحل الذي يبعد فرسخاً ، نسبة للظروف التي كنا فيها ، قمنا بالاقتراب منها ، وعندما كان الليل مقبلاً أدرك الجنرال عدم قدرتنا على اعتراضها ، وقام بإرسال سفينة البريد للتعرف عليها .

عندما رجعت السفينة أفادت بأن ذلك هو الأميرال ، وكان ذاهباً لقضاء الشتاء في "سوقطرة" ، وقام الجنرال على الفور بإعطاء أوامره إلى نفس الفرقاطة بأن تقوم بإبلاغ الأميرال أن يتحكم في البحر ، وهو الشيء الذي قام به ، وأنه يتعيّن علينا الذهاب خلفه إلى ذلك المضيق ، وألا نقوم بفعل العكس ، لأن ذلك ليس في خدمة مولانا الملك ، وكان متأكداً بأنه سيفقد السفينة إذا تم تغيير مسارها .

قام بإعطاء أوامر إلى سفينة البريد بإعطائها مرساة ، لأنها فقدت مرساتها ، وأن تقوم بأخذ حرفييها ليساعدوا في عمليه الإصلاح ، وقام

الأميرال بفعل ذلك ، وأعطانا الله سبحانه وتعالى سبعة أيام من الهدوء ، وذلك حتى نتمكن من إجراء الإصلاحات ، واستطعنا أن نجد الموادّ اللازمة لعمل الإصلاحات ، حيث تم عمل حبال الصاري .

لقد كنت أشعر بالخجل لتنفيذ هذه الإصلاحات ، وكان من المخجل أن تحمل سفينة العلم هذه ، وفي التاسع عشر من شهر مايو ، وفي جو تسوده الرياح الغربية الهادئة ، رجعنا إلى خليج "كوتشين" في الثانية بعد الظهر بصحبة الفرقاطتين ، وسفينة البريد وسفينة الأميرال ، حيث بدأت الرياح بالازدياد ، وتحولت من رياح هادئة إلى رياح عاصفة ، حتى أنّه في فجر اليوم التالي لم نعد نستطيع رؤية السفن المرافقة .

إذا لم تكن الرياح أكثر من العاصفة ، فإنّ العاصفة كانت كافية لإغراقنا . الظروف تشبه الظروفَ التي كنا نبحر فيها في البحار ، ويكفي أن نقول إنها كانت بحار "سوقطرة" لأنها البحار الأسوأ في حالة الجو الهادئ ، وأسوأ من ذلك عند حدوث العاصفة ، وأن البحار التي كنا نمخر عبابها كانت تغرق شفير المراكب العالية ، ولكن لأن الفرقاطة تسير بتوازن .

لم تسبب لها الكثير من المشاقّ ، ومع أنه كان يتعيّن علينا اتخاذ الحذر الشديد بأن المدفع لن يتحول من مكانه ، وأن نحافظ على الاستحكامات ؛ لأنه إذا ذهبت فسوف نكون قد فُقدنا حتى إذا كنا نبحر عكس الرياح ، وأنه لم يكن لدينا شيء لاستبدالها .

استمرّت العاصفة الثانية لمدة اثني عشر يوماً ، ولكنها كانت أقل حدة مقارنة بالعاصفة الأولى التي واجهتنا ، وأن تلك العاصفة تعتبر لا

مثيل لها ، حيث غرقت ثلاث سفن تتبع للمسلمين وواحدة لـ "أوروبا" ، وهذه العاصفة أدّت إلى فقدان كل السفن التي قابلناها في البحر لصواريها ، والذي رأيناه كان عبارة عن جثث ، وجميع أنواع الخشب .

عند رؤيتنا لهذا ، اتفق كل واحد منّا على أنه في خضمّ هذه العاصفة العظيمة لا شيء يبحر في البحار يمكنه النجاة ، الثناء والحمد إلى ربنا سبحانه وتعالى الذي نجانا على الرغم من أننا كنا محبطين عندما لم نتحصّل على أخبار بواسطة الفرقاطة "ساو فرانسيسكو" ، ولم نجد أثرا لمصيرها في تلك المناطق ، وعلمنا أن الأخشاب بعد العاصفة الأولى هي الجزء المفقود من الثلاث فرقاطات التي كانت في صحبتنا مؤخّراً .

في اليوم التالي ؛ وفي الخليج ؛ وفي الساعة الحادية عشر صباحاً ؛ رأينا "رأس فرتك" وهي نقطة على الجانب الأخر من خليج مكّة ، وسرنا متابعين للساحل بصعوبة بالغة ، وكنا قلقين على الفرقاطتين ، اللّتين أصبحتا مفصولتين عنا ، وعندما وصلنا للدرجة ١٦ .٤ دقيقة ، حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ؛ رأينا سفينة ، وعندما أعطى الجنرال أوامره للاقتراب منها ، أدركنا أنها سفينة الأميرال .

عندما اقتربنا منها أرسل الجنرال يسأل ما إذا كانت تحتاج لأيّ شيء ، وكانت الإجابة بالنفي ، حيث تم إعطاؤها أوامر للمرة الثانية لمتبعاتنا ، إلا أنها انفصلت عنا مرة أخرى في تلك الليلة ، حيث واصلنا رحلتنا بمفردنا ، حتى وصلنا رأس الحد ؛ والذي عبرناه بتاريخ الثاني من شهر يوليو ، ونحن شاكرون الرحمةَ الإلهية .

يمكن ملاحظة أنه على الرغم من كوننا نملك القليل من الماء ؛ لأنه

في العاصفة الأولى تم تفريغ البراميل و"التناكر" ، وأصبح الموجود من الماء لا يتجاوز الخمسة لترات ، حيث تبقّى حوالي خمسة لترات في كلّ واحد .

إذا تم الشرب منها بحرية بدون عمل مقاييس للشرب ، وأن نفس الخمسة لترات من الماء كانت دائماً هناك حتى دخلنا المضيق ، ومن هناك ، فإن الماء أخذ في التناقص ، معجزة خلال الأيام التي أخذناها للوصول إلى "كنغ" وبمعجزة تمكنا من الوصول سالمين ، ولهذا قمنا بشكر الله على ذلك .

واصلنا الرحلة حتى المضيق ، وبالقرب من خليج مسقط التقينا بثماني سفن ، والتي يبدو أنها ترغب في دخول الميناء ، وهي أيضاً قد تم تحطيمها بواسطة العاصفة ، لأن ستّا منها كانت تنقصها الصواري ، مع أنه ولا واحدة منها قد نزعت صاريتها تماماً .

أعطى الجنرال أوامره لمتابعة أكبر منها ، والتي جاءت بالقرب من مسقط ، ومع ذلك ، وحيث لا تستطيع سفينة منزوعة الصارية أن تتابع واحدة ذات شراعات ، وعندما إدراكنا بأننا لا نستطيع اللحاق بهم ، تقدمنا نحو واحدة صغيرة ، والتي كانت تقع على مدى قذيفة المدفع .

جاءت إلينا وكشفت لنا بواسطة الرسائل التي تحملها من قائد الدمام بأنها تتبع إلى ملك "المغول" ، وكانت الشمس تميل للغروب ، والرياح خفيفة ، وأعطى الجنرال أوامره لمتابعة سفينتين كانتا على مسافة أبعد منا ، وأقرب إلى الساحل ، إلا أن الملاح قال بأنه لا يستطيع تعريض السفينة للخطر ، وعندما رأى الجنرال ذلك ، أعطى أوامره للذهاب إلى

حاجز مسقط ، والقيام بإضاءة نورٍ مقابل له ، حتى نتمكن من أن نكون مع السفن في الصباح ، وهذا تم عمله .

لكن في الفجر رأينا بأنه لا يوجد أثر للسفن ، وأن الحصون تقوم بإطلاق القذائف المتكررة ، وإذا كانت لدينا سفينة تابعة لشركتنا لديها أشرعة ، وكان يمكن لهذا أن يكون ذا فائدة عظيمة للخزانة الملكية في تلك المناسبة ، حيث اكتشفنا في "كنغ" بأن أربع سفن تتبع الإمام الذي هو حاكم العرب .

كانت ثلاث من "سورات" ، ومع ذلك كنا وحدنا ، وتصرفنا بشكل جيد بعدم الإبحار والدفاع عن أنفسنا ، وستكون هناك عدم مبالاة إذا قمت بالهجوم أو التحدي ، ولكن إن شجاعة الجنرال تطير بدون أجنحة ، وعندما يكون في الصعوبات يصبو إلى الأشياء التي لا يصبو لها الآخرون عندما يكونون قادرين .

بما أن السفن قد تم حمايتها داخل حاجز مسقط ، واصلنا رحلتنا في اتجاه "رأس مسندم" ، حيث قابلتنا رياح معاكسة استطعنا معها وبصعوبة بالغة الوصول إلى جزيرة "لارك" ، وذلك للاحتماء بها ، ومن "لارك" سرنا عكس الرياح ، ووصلنا إلى جزيرة "أنجور" بتاريخ الحادي عشر من شهر يونيو ، وهناك وجدنا سفينة البريد والتي وصلت قبل ستة أيام تحمل على ظهرها الماء ، وفي الثالث عشر غادرنا تلك الجزيرة ، في السابع عشر وصلنا إلى ميناء "كنغ" ، حيث رسونا في حوالي الخامسة بعد الظهر .

في هذا الميناء حاول الجنرال استخدام المال المستحق هناك في إعادة

تموين السفن ، إلا أنه اعتُرض من قبل الماكرين الذين يتوارون وراء الحماس ، وذلك من قبل وزير يتبع لنا في ذلك الميناء ، وهو رجل لا يستحق أن يكون وزيراً لملك عظيم كملكنا .

إن الأمة البرتغالية في الهند وصلت مرحلة حيث يقوم أحد وزرائنا بتعليم البرابرة الطرق التي يمكنهم بها تجاوز الاحترام الذي كانوا يكنّونه لنا من قبل ، والطريقة التي كانوا يحترموننا بها ، وهذه هي المزايدات في الهند ، (أبناء الطموح) وهي العملة المستخدمة حالياً هناك ، ومن أجل الطموح ، فإن البرتغاليين أنفسهم يقللون من قيمة العملة البرتغالية .

من خلال هذا الوزير يستسلم له ، ويتجاوز له ، وعادة يختلفان معه حتى يلحق بنا العار ، إن الجنرال لم يستطع في الأيام الأولى تحقيق الذي كان يمكنه تحقيقه في اللحظة الأولى ؛ إذ لم يكن هناك سوء نية .

في الثاني والعشرين ؛ ظهرت سفينة كبيرة عندما أمر الجنرال بتنكيس العلم من السارية الأساسية ، عندما أرخى الليل سدوله ، أعطى أوامره بالإبحار ، ونجح في جعل السفينة تغادر ، وعندما جاء الرجال منها ، رجعوا برسائل ، واتضح أنها سفينة من "سورت" في أرض "المغول" ، وعلى ظهرها كان هناك عدد من التجار "الأرمن" من فارس وبعض التجار "الأتراك" من البصرة ، فقام بحجز السفينة التي تتبع لأرمن فارس .

سيجبر "شهابندر" "كنغ" الذي كان مساوياً للحاكم أن يأخذ دوره في هذه المناقشات ، وكان هذا وفقاً لواحد من البنود الموجودة في الأوامر السارية ، حيث إنه في حالة عدم تلبية "الشهبندر" لطلب الجنرال ،

فيمكن للجنرال أن يستولي على كل شيء يوجد في الميناء ، فالأوامر مليئة بالمفارقات ...

كان الجنرال محتاراً في تفسير أحد البنود التي تتعارض مع هذا البند ، والتي أمرته بعدم التعامل مع سفن الأمم الأوروبية ، أو تلك التابعة "للمغول" ، ولكن في النهاية قرّر في الأولى ، لأنها كانت أكثر فائدة للخزانة الملكية .

قام بالاستيلاء على البضائع ، وهو تصرّف أثبتت التجارب السابقة لنا أنه أفضل طريق لتحقيق أهدافنا ، وتصرّف الوزير بهذه الطريقة ، وليس فقط بالتأكيد من أجل إثارة المشاكل ، وفي هذا التقرير ، فإن اسم هذا الوزير سوف لن يفصح عنه ، لأنه لا يستحق شرفه حتى إذا اعتبر نفسه رجلاً ذا اسم جيّد .

مع هؤلاء التجار الفرس ، قام الجنرال بالاستيلاء على البضائع التي تخصّ أولئك القادمين من البصرة ، وهم أتباع "الأتراك" ، وذلك لعدم قيامهم بدفع الضريبة المتفق عليها ، والتي هم ملزمون بدفعها لتاجنا ، وبمرور الوقت تمنّى الجنرال أن يواصل رحلته إلى البصرة ، وأن يلقي بثقله على أولئك التجار ، لأن هذا هو الطريق الصحيح لعملية الدفع .

أصرّ الجنرال بأن الوزير يتعيّن عليه طلب قرار نهائي من "الشهبندر" الذي أخبره بإحضار البضائع المذكورة آنفاً إلى الشاطئ ؛ مستخدماً المال كضريبة ولأن الوزير كان رجلاً سيئ السمعة .

أخبر الجنرال بأن "ألكسبندر" لن يفعل ذلك ، وأخبر "الشهبندر" بعدم فعل ذلك ، ومنعه أيضاً من القدوم لزيارتنا ، ومن الكتابة إلى

الجنرال ، ونتيجة لكل هذه المماطلات ؛ قرّر الجنرال ترحيل أجزاء من البضائع التي تتبع إلى التجار الفرس ؛ تاركاً الجزء الآخر الذي قام بتجميد الدين ، ليرى إذا كان هذا القرار سيقوم بتحريك "الشهبندر" إن حركت الأحمق .

ليس تماماً ، لأن الخائن كان يشجعه ، وفي النهاية جاء الوزير إلى سطح المركب ، وأخبر الجنرال بأن "الشهبندر" لن يدفع الضرائب ، وأن البضائع قد تمت إزالتها من الميناء ، وأنه يجب عليه الذهاب إلى البصرة ، لأن "الشهبندر" سوف يسلّمه المال ، ولهذا أجاب الجنرال بأن هذا سوف يكون السبيل لخرق الاتفاقية مع فارس ، وهذا ليس معقولاً .

أجاب الوزير بأنه يتعيّن عليه نقل البضائع ، وأنه قد قبل المسؤولية عن كل شيء لأن الفرس سوف لن يختلفوا معنا أو يقطعوا علاقتهم معنا لهذا السبب ، ولا يمكن لـ "الشهبندر" أن يقوم بالدفع ، وعندما سمع الجنرال هذا لعدة مرات ، أبحر في نفس السفينة قاصداً البصرة وذلك في الثاني عشر من شهر يوليو .

تقع البصرة على مسافة مائة وعشرين فرسخاً من ميناء "كنغ" ، وهذه المسافة تقطع عادة بسرعة وسهولة ، ولكن لأن هذه السنة كانت قد شهدت أسوأ رياح للمنسون ، وكنا قد أُصبنا بمجموعة من النكسات ، ونسبة للظروف البائسة لسفينة العلم ، فقد تم تغيير مسارنا من أرض "نيباند" بواسطة ريح قوية إلى "نخيلوه" ، وبأخرى إلى "سيرو" .

بعد تسعة وثلاثين يوما من الرحلة وصلنا لجزيرة خرج ، والتي تبعد أربعين فرسخاً من البصرة ، وهي مسافة بمساعدة قوة التيارات يمكن أن

تغطّى في أربع وعشرين ساعة ، وفي أثناء الرحلة قام الجنرال بالاستيلاء على العديد من السفن الصغيرة ، لأنها لا تحمل إذن عبور آمن ، وبهذه الطريقة ألزم الشيخ الحاكم في "نخيلو" بدفع ضريبة إلى الملك تساوي واحد حصان مهجّن في العام .

عندما يتم الوفاء بهذا الالتزام ، يقوم بإخلاء سبيل السفن ، بالإضافة إلى أن شيخ البصرة هو حاكم "cangu" سيدفع هو والعديد من الآخرين أيضاً ، وعندما يأتي الجنرال ومعه أسطول جاهز ، سوف يلزمهم بدفع الضرائب ، لأن الهدف من كل هذا يتمثل في زيادة إيرادات التاج .

أحداث عام ١٦٩٣م

صـدرت رســالــة من "دوم بدرو أنطونيو دي نورونها" "D . Pedro Antonio de Noronha" نائب الملك في الهند و"كونت فيلا فيردي" إلـى دوم "بدرو الثاني" ، "غوا" ، بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م ، يذكر فيها الوكالة التجارية البرتغالية في البصرة : (٥٨)

نسخة من رسالة حول الوكالة في البصرة :

سوف يتضح لجلالتكم من هذه الرسالة أنه عندما وصلت هذه الدولة ، فإن الوكالة التجارية في البصرة كانت قد ضاعت بالفعل ، لقد كانت مقنعة ، وذات سمعة طيّبة في هذه البلاد ، ولا يمكن بحال أن يظن بأن تلك التي في "كنغ" أفضل منها ، ولكن في هذا العام آمل أن أرسل إلى المضيق "أنطونيو ماشادو دي بريتو" قائد المضيق إذا كانت الأحوال في الشمال تسمح بذلك .

---

(٥٨) رقم الوثيقة والهامش.

عندما يصل إلى تلك البحار ، فإنه بإمكاني عندئذٍ تحقيق إعادة بناء الوكالة ، وأن أنجح في محو الإساءة التي لحقت بعلم جلالتكم .

إنه من الضروري أن يصدر جلالتكم توجيهاتكم بكيفية تصرّفي إذا ما وجدت سبيلاً لاستعادة "هرمز" واستلامها بواسطتي ، أو أن أحاصرها إذا ما أمكن فعل ذلك بواسطة أسطولنا ، وبدون الانسلاخ عن الفرس ، وبالمفاوضات ؛ لتحقيق هذه الغاية ؛ إذ إن هناك مشكلة "الإنجليز" والاستسلام الذي تمّ لهم ، بهذا الصدد أنوي ألا أقوم بأي شيء إلا بعد أوامركم الصريحة .

ليحمِ الإله جلالتكم بالعظمة والرفعة لسنين عددٍ قادمات .

"غوا" ، في الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م .

وفي العام نفسه (١٦٩٣م)
صدرت رسالـة من نائب الملك فـي الهـند إلـى الملك بشأن زعيم "الأتــراك" ، "غوا" ، بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م : (٥٩)

مولاي ،

لا توجد لديّ أيّة مشاكل مع اتفاقية البصرة ؛ بل على العكس ، وباستثناء عدم الإضرار بميناء "كنغ" ، فأنا أعتبرها مساعدة لمصالح جلالتكم ، بسبب دفع الجزية كذلك حسب ما فهمته حتى الآن ، فإن التركي الكبير كان بنحو ما يدفع الجزية لحق جلالتكم .

على كلّ ، فإن وكالتهم قد بنيت منذ أيام الحكام الذين سبقوني ، وقبل التأكيدات التي استلمت بضرورة قبول وموافقة زعيم "الأتراك" ، وعليه ؛ فإن هذا الأمر لم يتمّ الاتفاق عليه بشكل مرضٍ .

على الرغم من أنه في العام المنصرم دفعت القلعة الجزية البالغة

(٥٩) رقم الوثيقة والهامش.

خمسة آلاف وخمسمائة (بتاكاس) (Pataca) إلى جانب جواد أصيل حسب نص الاتفاقية وما حدّدته .

لقد استلمت لتوي معلومات أخرى بأن الوضع تغير ، حيث إن الوكيل الذي كان قد تم تعيينه قد انسحب إلى ميناء "كنغ" في عجلة من أمره ورهبة ، وأن الأهالي قد أظهروا ولاءً للعلم البرتغالي والوكالة ، باعتبار أن هذه الدولة قد جُربت في مناسبات سابقة في تلك الحامية .

على كلٍّ ، إذا تيسر إرسال أسطول إلى هذه المضايق هذا العام ، فإنني سوف أنظر في إمكانية معالجة هذا الوضع ، وسوف أوالي جلالتكم بما يستجد عبر الوسائط الممكنة كافة .

أضرع للربّ أن يحمي جلالتكم وعزكم لأعوام عديدة لاحقة ، لحاجة المسيحيين إلى جلالتكم .

"غوا" ، في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م

كونت "فيلا فيردي" .

وفي العام نفسه (١٦٩٣م)

صدر رد للملك من نائب الملك بشأن استسلام البصرة ، "غوا" ، بتاريخ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م : [٦٠]

لم أجد أيّ مشكلة في الشروط المطلوبة لاستسلام البصرة ، وبالأحرى ؛ فأنا أعتبرها مفيدة لخدمة جلالتكم .

منذ ذلك الحين ، ووفقاً لما فهمته ، هذا إلى جانب عدم تسبيبها ضرراً لميناء "كنغ" ، وحتى هذه اللحظة ؛ فإن عظيم "الأتراك" قد منح ولاءه لتاج جلالتكم كتابع ، ومع ذلك ، فإن كلّ شيء قد فُقد في واحدة من المحطات التجارية ، والتي تم تشييدها هناك ، وذلك خلال فترة الحكّام السابقين ، وهذا حدث قبل تلقي التأكيد من عظيم "الترك" ، والذي يفيد بأن المسائل قد تم الاتفاق حولها في الواقع .

على الرغم من حقيقة أن القلعة كانت في السنة الماضية تدفع خمسة آلاف وخمسمائة (باتاكاس) كضريبة ، ومعها الحصان ، بالطريقة التي

(٦٠) رقم الوثيقة والهامش.

تم الاتفاق عليها في الاتفاقيات ، إلا أنه لديَّ معلومات إضافية تفيد بأن ترتيبات مختلفة قد تم عملها .

نتيجة لذلك ، فإن الوكيل التجاري الذي تم تعيينه قام بالانسحاب إلى ميناء "كنغ" على عجل ، لأنه كان في خطر محدق ، وفي محطتنا التجارية ، وتحت علمنا قام الناس للمرة الثانية بخيانة ثقتنا ، ولقد مرّ الحصن في هذه الدولة بهذه التجربة في الماضي .

إذا استطعت إرسال أسطول لتلك المضايق في هذه السنة ، سأنظر في الكيفية التي يمكن بها حل هذا الموضوع ، والقيام بجبر الضرر ، وسأقدم لجلالتكم تقريراً عن كل شيء بكل الوسائل الممكنة .

ليحم الله شخص جلالتكم القوية والعظيمة لسنوات قادمة ، وأيضا أتباعك والمسيحيين ، والذين نريدهم ونحتاج إليهم .

"غوا" في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م

(الحروف الأولى لنائب الملك)

أحداث عام ١٦٩٥م

صدرت رسالة من الملك إلـى نائب الملك ، تم إرسالها عن طريق "غونسالو أنترا مارينهو" "Goncalo Antra Marinho" بخصوص الأوضاع في البصرة ، بتاريخ الفاتح من شهر مارس عام ١٦٩٥م : (٦١)

إلى الصديق نبيل "فيلا فيردي" ونائب الملك في الهند ،

بوصفي الملك أرسل لك تحياتي كما لشخص أجلّه إجلالاً عظيماً ،

لقد قمت بمراجعة ردّكم بخصوص شروط الاستسلام ، والتي وافق عليها زعيم المضيق "أنطونيو ماشادو دي بريتو" مع "الباشا" في البصرة ، وليـس لدينا اعتراض عليها ، بل نعتبرها ذات فائدة كبيرة لخدمتنا ، فإلـى جانب أنها لا تسبب ضرراً لميناء "كنغ" ، فإنّ زعيم "الأتراك" يقوم بطريقة أو بأخرى بتقديم فروض الولاء لتاجي كتابع ، وعلى الرغم

(٦١) رقم الوثيقة والهامش.

من ذلك ، فــإنّه في واحدة في المحطات التجارية المقامة هناك في زمن الحكام السابقين .

إن كل شيء قد فُقد ، ومع أن الحصن قد قام بدفع ضريبة مقدارها خمسة آلاف وخمسمائة (بتاكاس) زائد الحصان في عام ١٦٩٢م ، وذلك بالطريقة التي تم الاتفاق عليها في شروط الاستسلام .

لديك المزيد من الدلالات والتي توضح بأن ترتيبات إضافية قد تم القيام بها ، مما جعل الوكيل التجاري ينسحب إلى ميناء "كنغ" بسرعة بالغة ، لأنه كان في خطر محدق ، لذا ؛ فإن الأشخاص المتواجدين في محطتنا التجارية ، وتحت حماية علمنا قد قاموا بخيانة الثقة التي منحناها لهم ، وأن هذا الحصن في تلك الدولة قد مرت به مثل هذه الحالة في مناسبات أخرى من قبل .

إذا استطعت إرسال أسطول إلى تلك المضايق ، فسترى كيف يمكن حلّ هذه المسألة والقيام بجبر الضرر .

إنّ أول شيء يتخوّف منه المرء في الحقيقة هو أن الحصن سوف يرفض دفع نصف الضريبة للملك ، وحتى إذا أمكن لسفننا إجبارهم على فعل ذلك ، فإن المطالبة بهذه الضرائب في المحطة التجارية سوف يكون دائماً مفيداً للخزانة الملكية .

اعتقدت بأنه يتعيّن عليَّ أن أخبرك بأن الأسطول لن يستطيع الذهاب ، وسنقوم برفع هذا الموضوع إلى مجلس الدولة ، حتى يتمّ اتخاذ القرار المناسب والحكيم بهذا الصدد .

كتبت في "لشبونه" في الأوّل من شهر مارس لعام ١٦٩٥م .

الملك "نبيل ألفور" .

إلى كونت "فيلا فيردي" نائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٩٥م)

صدرت رسالة من ملك "البرتغال" إلـى "دي بيدرو أنطونيو" بشأن فقدان الوكالة التجارية البرتغالية في البصرة ، "لشبونه" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٩٥م : (٦٢)

"دي نورونها" "كوند دي فيلا فيردي" نائب الملك في الهند ،

إلى "كوند دي فيلا فيردي" ، نائب الملك في الهند والصديق ،

أبعث أنا الملك إليك بتحياتي ،

قد اطّلعت على رسالتك المؤرخة الرابع من شهر ديسمبر ١٦٩٣م ، والتي ذكرت فيها فقدان الوكالة التجارية في البصرة ، التي كانت مفيدة وذات هيبة بالنسبة للدولة ، دون أن يلحق ضرر بوكالة "كنغ" التجارية ، ولكنك بصدد إرسال الجنرال "أنطونيو ماشودو" إلى المضيق ، ليبحث عودة تلك الوكالة التجارية ، والحصول على تعويض عن ضياع الاحترام الذي كان يُبدى لعلمي .

---

(٦٢) رقم الوثيقة والهامش.

قد طلبت مني في الرسالة ذاتها أن آمر بما يتعيّن عليك عمله ، إذا وجدت طريقة لتحقيق استسلام معقل "هرمز" أو للاستيلاء عليه ، إذا كان ذلك ممكناً دون خسائر وسط قواتي ، والتفاوض من أجل تحقيق هذا الأمر دون التشاجر مع فارس .

قد تمثل العائق الوحيد في "الإنجليز" بسبب شروط المعاهدة المبرمة مع التاج الإنجليزي ، وطبقاً لذلك ، يجب عليك عدم الشروع بأيّ عمل دون أمر صريح .

آمل أن تكون الرحلة إلى المضيق قد أدت إلى النتائج التي تمّ ترتيبها من أجلها .

فيما يتعلق بمعقل "هرمز" ، لا يوجد شيء في المعاهدة المبرمة مع "الإنجليز" يمكن أن يحول دون الاستيلاء على المعقل بالقوة ، أو من خلال التفاوض .

لذلك ، يمكنك أن تتصرّف في هذا الأمر وفقاً لما تراه ملائماً لمصالحي ، شريطة عدم حدوث قطيعة مع فارس ، أو المخاطرة بسمعة القوات البرتغالية ، وإنّني أثق في حصافتك ، وفي أنك ستتخذ هذا القرار وفقاً لتقييمك للوضع الحالي ، وإنّني أشكر لك الحماس والاهتمام اللذين تتابع من خلالهما مصالحي ، وهو أمر متوقّع منك .

كتبت في "لشبونه" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس ١٦٩٥م .

الملك .

وفي العام نفسه (١٦٩٥م)

صدرت رسالة من نائب الملك في الهند إلى الملك بشأن الشيخ مانع في شبه جزيرة العرب ، والذي استولى على البصرة ، "غوا" ، بتاريخ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٥م : [٦٣]

رسالة من "دي بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، "كوند دو فيلا فيردي" ، نائب الملك في الهند ، إلى الملك .

مولاي ،

تغيّرت الأمور في البصرة الآن ، لأن الشيخ (مانع مناع إمام) أمير الجزء الأعلى من شبه جزيرة العرب قد استولى على ذلك الميناء من "الأتراك" ، وقد قيل لي إنه حريص على صداقتنا ، وعلى إبرام معاهدة معنا ، ويجب أن يتم هذا بوجود أسطولنا بالجوار ، ولكن الأسطول لم يتمكن من الذهاب إلى هناك في هذه السنة ؛ إذ لم يكن من الحكمة مغادرة "كنغ" في وقت كانت تسري شائعة في أنحاء فارس بأن العرب سيهاجموننا في "كنغ" .

(٦٣) رقم الوثيقة والهامش.

كان الناس يأتون يومياً من منطقة مسقط ليحذروا قائدنا ، ونظراً إلى أنه كان من الضروري أن نظهر للفرس ولأهالي "كنغ" أننا لا نخشى العدوّ ، فقد بقينا هناك حتى الثامن من شهر أكتوبر ، حيث أبحر الأسطول ، ولم يكن هناك وقت للذهاب إلى البصرة .

أما بالنسبة لـ "هرمز" ، فإنّني أدرك أنه لا يوجد شرط في المعاهدة المبرمة بيننا وبين "الإنجليز" يحول دون استيلائنا على هذا المعقل ، ولكن هناك شرط بين "الإنجليز" والفرس ، وعندما ساعد "الإنجليز" فارس للاستيلاء على "هرمز" منا ، أبرموا اتفاقية تنص على أننا متى غزوناها ، فسيقدمون العون لفارس للدفاع عنها .

لذلك ، وحتى إن كانت استعادة المعقل سهلة للغاية بالنسبة لنا الآن ، فإننا إذا قمنا بتحرك ما سنتورط مع "الإنجليز" ، وستحدث قطيعة بيننا وبين الفرس ، وهو أمر يتطلب حذراً كبيراً الآن ، بسبب التحالف غير الرسمي الذي أبرمناه معهم ضد العرب ، والصداقة التي نحاول إقامتها معهم .

يتطلب موضوع "هرمز" حذراً ومكراً ، وقد بدأت بالفعل بالبحث عن وسيلة في أحكام التحالف غير الرسمي الذي اقترحت فيه -كما سيرى جلالتكم- ضرورة أن تقوم سفننا ذات المجاذيف بأعمال الدورية في تلك البحار .

بهذا التنازل سنستمر لنطالب بتسهيلات قضاء الشتاء في "هرمز" على أساس أن تلك السفن لا تستطيع أن تقضي الشتاء في "كنغ" ،

ومتى حصلنا على هذه الشروط ، فسيفتح الوقت والظروف الطريق لمزيد من التقدم .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم ، ويصل عمركم لسنوات عديدة مقبلة .

"غوا" ، بتاريخ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٥م .

أحداث عام ١٦٩٦م

صدرت رسالة من "دوم بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، نائب الملك في الهند ، "كونت دي فيلا فيردي" إلى "دوم بيدرو الثاني" ، ويذكر فيها الاتفاق مع الفرس لاحتلال مسقط ، "غوا" ، بتاريخ الأول من شهر يناير عام ١٦٩٦م : (٦٤)

مولاي ،

إن هذه الفرصة التي تتاح لهذه الرسالة لتصل جلالتكم حفظكم الله ، قبل وصول سفن "القرقور" من "البرتغال" تجبرني على أن أقدم تقريراً عن أهمّ الأشياء التي كتبتها لجلالتكم ، لتصل على متن سفن "القرقور" المذكورة ذاتها .

في الرابع عشر من شهر سبتمبر وصلت سفينتا "قرقور" ؛ وهما "نوسا سينيورا دا بوا هورا" و"نوسا سينيورا داس نبسيسيدادس" وقد غادرت

(٦٤) رقم الوثيقة والهامش.

هاتان السفينتان "البرتغال" في شهر مارس عام ١٦٩٥م ، وكانت رحلتهما ناجحة ، ولم يمت إلا القليل من الأشخاص ، وكان قادتهما وضبّاطهما والمبشرون الدومينيكانيون وأعضاء جمعية يسوع الذين أبحروا فيهما على قيد الحياة .

كانت سفينتا "القرقور" المذكورتان غادرتا هذا الميناء إلى "البرتغال" في السابع عشر من شهر ديسمبر وهما محمّلتان بالملح الصخري (الذي تجلبانه) .

يتولى "فرانسيسكو دي أفيلار راميريس" "Francisco de Avilar Rameres" أخذهما كربّان رئيس فخري دون راتب أو امتيازات ، بما أنه كان من المهمّ للغاية إرسال شخص ذي مكانة رفيعة ، بسبب الخلافات القوية التي نشأت بين ضباط سفينة الأميرال التي تعرضت للخطر نتيجة عدم كفاءة ربانها .

كان "فرانسيسكو دي أفيلار راميريس" أيضاً في خطر شديد هنا ، حيث هدّده أعداؤه الذين سبق لهم أن أطلقوا النار عليه في إحدى الليالي ، وبسبب الميزة العظيمة لوجوده في "البرتغال" ، من خلال معرفته وخبرته الكبيرة بكلّ التجارة في موانئ "أجرا" ، وبجلب أكثر من أربعين ألف "أشرفي" .

بالنسبة لسفينة "القرقور" "نوسا سينهورا دا ناصرة" "Nosa Senhora da Nasera" التي كان ربانها "أنطونيو فرانسيسكو" ، والتي غادرت هذا الميناء في مهمة عام ١٦٩٤م ، فقد فقدت على نحو مأساوي قبالة "رأس ديلغادو" ، وقد تم إنقاذ جميع بحارة السفينة ،

والأحجار الكريمة التي (...) في سفن "القرقور" هذه ، مع السفينة التي غادرت خلال موسم الأمطار هذا ، وهي ذات قيمة عالية للغاية .

وصل (الأسطول) من المضيق في الثاني من شهر ديسمبر (؟) .

قد اتفق السفير على التحالف مع ملك فارس ، والذي أمرته بأن يقترح إبرامه ضد العرب ، وقد وقّع على جميع الشروط التي اشترطتها عليه ، وتم تأكيدها بمرسوم ملكيّ أرسله لي .

وباختصار ، فإن هذه الشروط هي :

أن يتّجه برّاً مع جميع قواته ليفتح مسقط ، بينما يتّجه الأسطول الجديد ليساعده بحراً في تأمين المرفأ الذي سيسلّمه لنا عندما تستسلم مسقط ، وفي الموانئ العربية الأخرى التي يستولي عليها ، يجب أن يمنحنا وكالة تجارية مع نصف رسوم إدارة الجمارك ، كما نفعل حالياً في "كنغ" .

بموجب مرسوم ملكيّ يتمّ تحصيلها بالفعل ، وستكون ذات أهمية أكبر بكثير من الجزية البالغة أربعين ألف "أشرفي" ، وسيعطينا ثمانين ألف "أشرفي" سنوياً ، لمصاريفنا ما دامت الحرب ضد العرب مستمرة .

صحيح تماماً ؛ أنه يطلب عشرين فرقاطة لهذه المهمّة ، وأفضّل أن تتواجد تلك الفرقاطات في تلك البحار لتعزيز سمعة أسطول صاحب الجلالة ، وليس للحاجة لقوّة كبيرة كهذه لتنفيذ المشروع ، ولكنني أجهّز ما يلزم (...) على كلّ حال ، إذا كانت الفرقاطة "كونسيساو" التي أبحر على متنها .

الفرقاطة "فالي" والفرقاطة "أس فرانسيسكو بيريرا" ، ومركب

شراعي آخر بصاريين يتّسع لعشرين شخصاً ، أقوم بصنعها من سفينة "غاليوت" ، و"غاليوت" ذات وزن طني مماثل ، وسفينة "حراقة" وستّ "manchuas" حربية .

عموماً يا مولاي ، أجد نفسي دون رجال لهذه السفن ، ولا سيما البحارة ، ودون مال لتجهيز هذا الأسطول ، ولكنني أعد جلالتكم بأن الأسطول سيبحر بفضل الله ، بالطريقة التي أوضحتها ، وآمل أن يساعدني القديس "فرانسيسكو خافيير" لبذر حظ سعيد يجني منه تاج جلالتكم أعظم الأمجاد في الهند .

كان السبب وراء اقتراحي هذا التحالف على الفارسي هي الإساءة التي ارتكبها العرب ضده ، عندما غزوا "كنغ" ونهبوها ، وهو أمر أتاح فرصة مثالية لنا ، وعلى الرغم من أنّهم فعلوا ذلك في (...) فقد أقنعته بأن الفكرة كانت فكرته ، ولذلك السبب حثثته على أن يوافق على التحالف المذكور (...) (...) في العام الماضي بواحد من الأساطيل ، وسفينة خاصة باليسوعيين في "منجالور" ، وكان القتال ضارياً .

عموماً ، دافعت سفينتهم بشجاعة كبيرة ، وطبقاً للمدير الفرنسي ، فقد أعلنت الحرب عليهم من "سورات" .

في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، وصلت مجموعة فرنسية تضمّ خمس فرقاطات إلى هنا ، في طريقها إلى "سورات" وقيل إنها ستتجه من هناك إلى "البنغال" ، وقائد المجموعة هو الكونت "سيركونها" "Cerconha" .

أمضت تلك السفن تسعة أيام هنا ، وقد عاملتها بطريقة طيبة ،

وأبديت لها كل لطف ممكن ، ولذلك ؛ فإن هذه السفن تغادر وطاقمها راضٍ وشاكر للغاية ، بسبب سلوكنا اتجاههم ، وعزموا على أن يتعاملوا مع العرب إذا التقوا بهم ، معاملة الأعداء .

وصل الراهب "فاكسار" "Vaxar" أيضاً مع هذه السفن ، وأحضر معه مبشراً آخر ؛ وهو يعد بالولاء العظيم لتاج جلالتكم ، وبالطاعة للأساقفة الذين طلب لهم مني رسائل تعريفية ، وقد وعدته بإعطائه إياها ، على الرغم من أنني لم أعطه إياها ، ولكنني أبلغته بأنه إذا أظهر التزاماً أكبر ، فسأعطيه معلومات خاصة ، وقد استنتجت من الراهب "فاكسار" أن اهتمامه الكلي يتركز في تأسيس منزل في "سيام" ، وأنه يقسّم رفاقه .

بحيث يرسل اثنين إلى "سورات" واثنين إلى "البنغال" وأربعة إلى "سيام" ، وقد أصر على أن واحدة من سفن الملك ستوصله إلى هناك ، ولكن القائد قال لي إنه لم يحضر أي أمر بذلك ، وإنما صدر له أمر بالتوجّه إلى "سورات" ، ومن ثم إلى "البنغال" وأن يعود من "البنغال" إلى "أوروبا" ، ومن المقرر أن يذهب إلى "باهيا دو نودوس أوس سانتوس" للتزود بالمؤن ، وكان لديه أمر عاجل من الملك بالتوقف في أي ميناء آخر في "أمريكا" ما عدا "باهيا" .

هذا كل الذي أستطيع قوله لجلالتكم ، ولكن التفاصيل كافة ستصل مع موسم الرياح الموسمية .

بالنسبة للفضة التي عثر عليها في الأنهار ، والتي أبلغت جلالتكم عن عزمي على إرسالها كعيّنة ، فقد بقيت هنا نتيجة سهو ، ويقول

الصاغة أنه على الرغم من أن روبية "المغول" مقيّمة بسعر أعلى إلا أن الـ (Pataca) تعدّ أفضل حالاً ، على الرغم من أن الأخيرة ارتفعت نوعاً ما عن الروبية .

في الهند ، تنتشر عادة سيئة وسط الجنود ، وهي أنهم يلجأون بأي سبب طفيف إلى التخلي عن مناصبهم وواجباتهم ، ويبدو لي أنه يتعيّن على جلالتكم إرسال أمر ينص على أن أولئك الذين يستقيلون من الخدمة الملكية ، ولا يقبلون مناصبهم ، لن يحق لهم دخول أي معقل أيّاً كان ، ويخسرون الخدمات التي كانوا قد قدموها حتى ذلك الوقت ، وحتى الأوسمة التي تم منحها لهم .

ما كاد "مانويل دو سوسو دو مينيسيس" يصل من المضيق ، حتى أتى إليّ لكي يُعفى من منصب أميرال الأسطول الذي شغله .

فيما يتعلق ببعض رعايا جلالتكم الذين عُرض عليهم المنصب المذكور كفضل ، فقد خافوا من احتمال تعييني إياهم في ذلك المنصب ، ومضوا يرددون أعذاراً غير مبررة .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم .

غوا ، بتاريخ الأول من شهر يناير عام ١٦٩٦م .

وفي العام نفسه (١٦٩٦م)

صـــدرت رســالـــة تحـــتـوي علــى حكــم قانــونـــي من "دوم بيدرو أنطونيو دو نورونهــا" نائب الملك فـي الهند "كونت فيلا فيرد" ، إلـى "دوم بيدرو" الثاني ، بشأن حكم قانوني والتحالف مع ملك فارس ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٩٦م : (٦٥)

مولاي ،

من خلال هذا الأسطول الذي سأرسله إلى المضيق ، أعطي جلالتكـم - حفظكم الله - بياناً مفصلاً عن التحالف الذي اتفقت عليه مع ملك فارس ضد العرب ، وعن كيفية إصداري الأوامر للأسطول المذكور للتوجه إلى "كنغ" لذلك السبب ، وقاضي التاج "جريجوريو بيريرا" "Gregorio Perriera" فيدالجو كسفير لذلك الملك باسم جلالتكم .

---

(٦٥) رقم الوثيقة والهامش.

إنّني أوجّهه ليرسل تقارير إليك براً من بلاط فارس عن كلّ الأحداث والمفاوضات التي تشترطها ، وبما أن الرسالة الأخرى تم تسليمها إلى الكابتن "ميجور" ، ليرسل من "كنغ" ، وآمل أن تصل يدي جلالتكم قبل (...)

في هذه الرسالة ، ما أسرده على جلالتكم في هذه الرسالة .

في السابع عشر من شهر أكتوبر ، أُرسلت سفينتَي "قرقور" من هنا للبرتغال ، وهما "نوسا سينيورا دا بوا هورا" و"نوسا سنهورا داس نيسيسيداس" "Nosa Senhora das Necesedas" ، اللتان وصلتا خلال هذا الموسم ، وتبحر السفينتان ، وقد تم تحميل مخازنهما بالملح الصخريّ ، ويبقى معي جزء كبير منه هنا ، لعدم وجود مساحة كافية لتحميله في سفينتَي "القرقور" .

علاوة على ذلك ، أجد نفسي مع أربعمائة "Candis" أحضرتها إلى هنا في وقت سابق من العام الحالي ، وأنني أنتظر سفينة "قرقور" ضخمة محملة به ، أبحرت من "ماكاو" لتحميله من "البنغال" بموجب أوامري ، وقد تلقيت أنباء بالفعل بأن السفينة تم تحميلها في "البنغال" بشحنة تجلبها تلك السفينة "القرقور" ، وآمل في العام الحالي أن تصل بعض السفن من "البرتغال" لتحميل الملح الصخري ، وأرجو أن الله أن يجعل عملي الشاقّ مثمراً على الرغم من الصعوبات .

في الرسالة الأخرى ، أقدم بياناً أيضاً لجلالتكم حول كيفية قضاء "أنطونيو ميسكيتا بيمنتل" ، الذي أرسلته عن طريق "تيمور" ، وقضى

الشتاء في "باتافيا" ، وأنه وبسبب وفاة "أنطونيو أورناي" ، يتولّى شقيقه "فرانسيسكو أورناي" حكم تلك الجزر بكل العناية الواجبة لجلالتكم .

قد أدّى البيعة لجلالتكم بواسطة مكتب الراهب "أنطونيو دا مادر دي ديوس" من جمعية الوعاظ الدومينكانيين ، والمفوض العام لتلك الجزر ، ويجدر بجلالتكم أن تشكروه ، وتعوضوه عن الخير الذي قام به في هذا الأمر ، لأنه لم يخفف فقط من الكبرياء التي بدأت مع وفاة "أورناي" المذكور ، ولكنه حصل على ممتلكات تبلغ قيمتها مائة وعشرين ألف "أشرفي" من المُتَوفّى "أورناي" الذي قال في لحظة الوفاة إنه جعل جلالتكم وريثه .

لأسباب كثيرة ، يعتبر هذا المال بمثابة معجزة ، وخلافاً لكل الآمال ، فقد وصل في وقت حاجة ملحّة له ؛ إذ إن من الممكن باستخدام هذا المبلغ كضمان ، فمن الممكن الحصول على قرض لتجهيز الأسطول من المضيق ، وقد بلغت تكاليفه مائة ألف "أشرفي" .

أدعو الله أن يجعل النهاية سعيدة ، لأن هذا المشروع يبشّر بثروة كبيرة ، ومن أجل مجد جلالتكم الذي ندعو الله أن يحميه لسنوات كثيرة مزدهرة .

غوا ، في الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٩٦م .

وفي العام نفسه (١٦٩٦م)

صدرت تعليمات من "دي بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، "كوند دو فيلا فيرد" ، نائب الملك في الهند إلى "جريجوريو بيريرا فيدالغو" بشأن السفير إلى فارس ، ليهنئه على اعتلائه العرش والمصادقة على المعاهدة ، "غوا" ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٦م : (٦٦)

تعليمات يتعيّن أن يتّبعها "د . جريجوريو بيريرا فيدالغو" الذي سيغادر كسفير إلى ملك فارس ، ليهنئه على اعتلائه العرش ، وليصادق على المعاهدة المبرمة بناء على أوامري بينه وبين قوات مولانا الملك بواسطة "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" قائد أسطول مضيق "هرمز" والبحر الأحمر المغادر إلى المحيط ، وفقاً للأوامر الدائمة والصادرة له لهذا الغرض .

أحضر لي الأسطول من فارس المعاهدة الخاصة بالتحالف بين قوات صاحب الجلالة وملك فارس .

(٦٦) رقم الوثيقة والهامش.

طبقاً للمعلومات التي تلقيتها من أشخاص ذوي معرفة بتلك الأنحاء ، ومن مراقب وقائد المضيق ، سيكون وقتاً طيباً للغاية أن يرسل سفيرا إلى ذلك الأمير ، لأنه ورث المملكة عند وفاة والده ، وبسبب معاهدة الصداقة الجديدة التي أبرمناها معه من أجل تشجيعه على أن يدعمنا بكلّ وسيلة ممكنة .

قد علمت أيضاً أن وزراء فارس لاحظوا واشتكَوا من أن أمراء "أوروبا" الآخرين يرسلون سفراء إلى ذلك البلاط ، وأن "البرتغال" وحدها لم ترسل سفيراً .

علاوة على ذلك ، فقد بعثت بالفعل برسائل خلال فترة الرياح الموسمية السابقة وأمرت مراقب "كنغ" ، ورجل الدين الموجود في أصفهان للاعتذار عن هذا القصور عند الإشارة إليه ، ويجب عليهما أن يوضحا أن نبأ وفاة الملك الراحل واعتلاء خليفته العرش لم تصل بعد إلى الهند ، ولهذا السبب لم يحضر السفير على متن السفينة "القرقور" المذكورة .

لكن ؛ وفور وصول الأنباء التي أرسلاها ، كانا متأكدين من أن رداً سيرسل إلى البلاط .

لكلّ هذه الأسباب ، أمرت مجلس الدولة الذي يساعدني بأن يعطي رأيه حول موضوع إرسال سفير مهما كانت المخاوف بشأن استقباله ، لينقل رسالة من مولانا الملك موقّعة بيده ، ورأى المجلس إرسال سفير في هذه المناسبة ، فوافقت مع المجلس وقررت تعيينك لهذه المهمة ، وإنني واثق من أن قدراتك وسلوكك وفهمك وحماستك لخدمة صاحب الجلالة ستمكنك من تنفيذها ...

(هنا نهاية صفحة إنجليزية تحمل الرقم (١) ، وتليها صفحة تحمل الرقم (١٢)

(هذه بداية الصفحة ١٢)

... ملكهم ، وهي أنهم يتسمون بالأناقة ، ويحبون الحياة الوادعة ، وهم يتذرعون بهذا ؛ ليعتذروا عن عدم تنفيذهم الفوري لأوامر ملكهم .

لذلك ، يجب عليك مباشرة هذا الأمر بحذر شديد ، وألا تصدق ما لم تسمعه من القائد والمراقب ، ولكن ، حتى وإن لم تتلقّ المعلومات منهم ، وحيث إن ما يقوله الجنرالات ربما يكون صحيحاً ، يجب عليك أن تكون حذراً للغاية بشأن ما تفعله في هذه الحال .

ذلك بألا تنكره ، ولا تقبله لحين استلام معلوماتك ، ولك أن تقول إنك فهمت دائماً أن العربيّ سيطلب من صاحب الجلالة السلام ، إذ إنهم يخضعون لضغط من قواتنا وقوات فارس ، ولكنك لا تستطيع أن تكون متأكداً إلى أن تتلقى تقريراً .

٢٤- إذا سأل العربي القائد عن شروط السلام قبل أن يشرع الجنرالات الفرس في حملتهم ، أو إذا كانوا شرعوا فيها بالفعل ، وطلب وساطة القائد للحصول على مقترحات سلام ، عليك بالتصرف وفقاً للمعلومات المستلمة من القائد ، لإقناع الفارسي بدراستها بالطريقة المشار إليها .

عليك أن تتوخى الحذر الشديد في حال لم يرسل العربي سفيراً إلى البلاط ، ليقدم التعويض المستحق ، أو في حال لم يتمّ إبرام الاتفاقية هناك ،

وتمّت بمستوى أدنى بواسطة أحد الوزراء باسمه واسم قائدنا ، فعليك التأكد من أن الرسائل المرسلة من البلاط في هذا الصدد ستذهب إلى نائب الملك ، بشروط دقيقة إلى حدّ لا يمكن معه الانحراف عنها ، وذلك حتى لا يغيّرها العربي ، ويضع في شروط السلام مادة تضر بنا .

عليك أن تتأكد أيضاً من أن الأمور التي تهمّنا مضمنة ومذكورة في الأوامر الصادرة عن الملك الفارسي .

٢٥- طبقاً للأخبار التي تلقيتها من "سورات" ، وعلى الرغم من أنها غير مؤكدة ، فإن الإمام توفِّي ، وأن أبناءه وأبناء أخيه يتنازعون فيما بينهم ، ويعمدون إلى حمل السلاح ، وبالتالي ؛ فإن من يملك قوة ومالاً أكثر سيعتلي ذلك العرش .

لذلك ، فقد أمرت القائد بأنه إذا وجد أن هذا هو الذي يحدث ، يجب عليه أن يتّخذ خطوات لتعزيز هذه الانقسامات ، وأنه إذا بدا مفيداً أن يحارب واحدة من الفئات ، فيجب عليه أن يفعل ذلك ، إذا تلقى وعوداً بشروط مربحة .

في هذه الحال ، وسواء من خلال نصيحة من القائد ، أو عبر المعلومات المتوفرة لديك بالفعل من "كنغ" ، يجب عليك أن تقنع الفارسي بأن يضع تحت حمايته الفئة ذاتها كما فعلنا نحن .

لكي تمنعه من الشك في قيامنا بذلك دون مشاركته ، عليك أن تقول له إننا لم نفضل ذلك الجانب كثيراً لأنفسنا ، بل نيابة عنه ؛ لأننا اعتقدنا أن جلالته سيفرح بذلك ، إذ إننا سنضيف عدوّاً آخر للجانب

المعارض ، وسنسقطه من المعارضة لقواته وقواتنا ، وبهذه الطريقة سيكون عبورنا أسهل إلى شبه جزيرة العرب ، وسنرسو دون معارضة .

٢٦- ربما يحدث ويتوصل المطالبون بخلافة الإمام إلى اتفاق فيما بينهم ، ويعيّنون واحداً ليحكم ، وربما رغب هذا الرجل في السلام ، أو حتى لا يقسم القوات التي يحتاجها للاحتفاظ بالعرش ، ربما أرضى أو رغب في أن يرضي الفارسي ، وربما وافق الفارسي متخلياً عنا ، وقائلاً إنه أبرم التحالف فقط ضد الإمام الراحل الذي صدرت عنه الإساءة في حقه .

بعد أن توفّي الإمام ، فقد هو موضوع الثأر ، إذ إنه أمر غير معقول أن يعاقِب رجلاً بريئاً ، بسبب جريمة كان الموت أسبق منه في أن يختفي مرتكبها .

إذا رغب الفارسي في الاستفادة من هذا السبب التافه ، ليتخلى عنك أو في عدم الاستمرار في الحرب ، عليك أن تواجه هذا القرار بكل حجة ممكنة ، وأن تذكّره بالمصاريف التي تمّ تكبدها خلال القدوم لمساعدته في تلك الحرب ، بسبب الثقة في كلمته .

إذا نكث جلالته بما وعد به ، فلن يخفق فقط في المحافظة على وعده ، بل في أن يلقى التعويض عن الإساءة التي تعرض لها من العربي ، ووسط الرؤوس المتوجهة لا يعتمد أي شيء على شخص واحد ؛ بل على التاج ، وبما أن هذا لا يموت أبداً ، فإن الحجر الكريم المثبت فيه عندما يتلطخ لن يستعيد بريقه السابق أبداً ، إلا إذا تمّ تنظيفه بإعطاء التعويض الآخر .

حتى في حال قال الملك أنه حصل على هذا التعويض ، لأن الإمام الجديد أعطاه إياه ، فلن يكون له أبداً البريق ذاته ، وإنما سيكون باهتاً بدرجة أكبر إذا تخلى عنا ، وسيذكر التاريخ -وهو ذاكرة العالم- أن "الشاه" حسين منح السلام للإمام ، لأنه قدّم له تعويضاً ، ولكنه سيشهد أيضاً على أنه تخلى عن صديقه ملك "البرتغال" العظيم الذي كان له تحالف معه ، والذي تصرّف بشهامة فور سماعه بالإساءة التي حدثت في "كنغ" وعرض إرسال جيوشه لمعاقبة العدوّ .

من جهة أخرى ، وإذا لم يكن الفارسي قد حصل على التعويض من الإمام الجديد ولن يقبل به ، ولكنه منحنا الشروط التي سعينا لها بسبب تعطّشه للفتح ، ففي هذه الحال يجب عليك أن تستخدم الحجج التي يمكن أن يقدمها لك كعذر لقبول التعويض .

لكي أوضح لك في جملة واحدة ما يتعيّن عليك فعله في كل شيء ، والغرض من مهمتك ، إنها معاهدة السلام مع شبه جزيرة العرب ، سواء طلبها من ملك فارس سفير أرسله الإمام ، أو من خلال جنرالات فارسيين أو ...

(ينتهي نص الصفحة الإنجليزية ١٣ هنا ، ويبدأ بعده نص الصفحة الإنجليزية ١٧) .

٣٤- بالنسبة للفقرة السابعة ، يجب أن تطلب منه ألا يأمر فقط بألا يبيع الأجانب الذين يزاولون التجارة في بلاده البارود والذخيرة للعرب ، حسب وعده ، بل يجب عليهم عدم إبرام أي عقد مع العرب ، أو الذهاب إلى ميناء مسقط ، لأنهم إذا ذهبوا إلى هناك ، فمن غير المرجح ألا يبيعوا له البارود وقذائف المدافع .

٣٥- وبالنسبة للفقرة التاسعة ، إذا لم يكن لدى فارس رجال على استعداد للعبور إلى شبه جزيرة العرب ، فعليك أن تجعله يوضح في هذه الفقرة عدد الجنود الذين يقترح خوض هذه الحرب بهم ، وينبغي على الفارسي توضيح العدد والمكان والتشكيل في هذه الفقرة .

إنني أقترح ، أنه على الرغم من أن هذا الملك ربما كان له كثير من الرجال في البحر إلا أن أحداً منهم لا يناسب هذا المشروع ، إلا العرب الذين هم رعايا الشيخ قيس ، وأما "البلوش" وبعض الـ "Gazeis baixos" ، فيجب أن يخوضوا هذه الحرب ، ويجب أن تكون بيانات جميع هذه الأشياء حسب الطلب من أجل اتخاذ الإجراء الملائم ، لأنني سأعرف عندئذ كيفية تحديد الوقت المحدّد الذي يجب أن يبحر فيه الأسطول .

الموعد الذي يجب أن يصل فيه إلى المضيق ، ونوع السفن الضرورية أكثر من غيرها ، والسبب وراء عدم حضوري لتلك البحار شخصياً هو الشك ؛ إذ من غير المعقول بالنسبة لي أن أذهب بينما هناك شكّ حول العثور على رجال مستعدين للحملة ، والقيام برحلة دون هدف مضمون ، الأمر الذي يعرض للخطر الكثير من الأمور التي قد تطرأ في الهند .

٣٦- في الفقرة الحادية عشرة ، إذا تم تحقيق السلام ، عليك أن ترى ما إذا كنت تستطيع أن تجعل الفارسي يستمر في دفع الألفي (تومان) (timoes) التي كان يدفعها لنا للحرب ، بالإضافة إلى نصف حصة الجمارك ، وأن توضح له أنه حتى في حال إبرام السلام ، ومن أجل ضمان عدم إقدام العرب الغادرين على تغييره والالتزام به ، فمن

الضروري لأسطولنا أن يتجه إلى تلك البحار في كلّ سنة ، وهو ما لا يستطيع أن يفعله دون مساعدة من معوناته .

هي نفقات موجهة لمصلحة الملك ، بسبب المبالغ الطائلة التي ستتلقاها إدارة جماركه بتحريرنا البحار له ، وعليك أن ترى ما إذا كنت تستطيع جعل الفارسيّ يضمن هذه الفقرة ، أنه ما دامت الحرب مستمرة ، وبعد انتهائها سيعطينا الألفي (تومان) (timoes) ، إمّا عرفاناً منه لمساعدتنا إياه ، أو مقابل ذهابنا إلى هناك في كلّ سنة بأسطولنا ، ويتم دفع هذا المبلغ إضافة لحصة النصف الخاصة بنا من جمارك "كنغ" .

٣٧- من أجل أن يؤكّد الشروط التي توصل إليها معنا في العام الماضي بالإقرارات التي نطلب منه تقديمها ، يجب عليك أن ترى إذا ما كنت تستطيع الحصول على وثيقة تأكيد ، وأن تقنعه بأن هذه ليست مطلوبة لأننا لا نثق بكلمته ، أو لأنني أمرتك بأن تفعل ذلك ، وإنما من أجلك أنت ، لأنك تريد أن تعود إليّ بدليل على أنك حققت إنجازاً في هذا الأمر .

إن الشروط التي تمّ التوصل إليها في العام الماضي بشأن المعاهدة بين عاهلين عظيمين ، كمولانا الملك وملك فارس تفاوض بشأنها القائد ، الذي كان سعيد الحظ لأنه مذكور في المعاهدة ، وأنت أيضاً ترغب في أن تذكر باعتبارك قد خدمت هذين العاهلين ، ولن تعجز عن تقديم حجج لتنقل إليه أن هذه المصادقة ليست بسبب الافتقار للثقة بالفارسي من جانبنا .

إنما هي وثيقة تطلبها أنت ، ولكي تحقق هذا ولكي تتفادى كلّ ارتياب ، عليك أن تستخدم كلّ دبلوماسيتك وذكائك ، وأن تدفع

مبلغاً من المال -إن دعا الأمر- إلى أحد المقربين من الملك من أجل تحقيق هذا الهدف .

٣٨- هذه هي النقاط والفقرات التي يجب أن تضاف إذا استمرت الحرب .

في حال مناقشة السلام وإبرامه ، فإن الذي يجب أن نحصل عليه من الفارسي هو أن يكون ضامن معاهدة السلام ، وأن يتعهد بأنه في حال إخفاق العربي في الالتزام بالشروط التي قطعها على نفسه أمامنا ، فسيقطع علاقته مع العربي مرة أخرى ، وسيشن عليه الحرب حسب اتفاقه معنا في الحلف قبل إبرام معاهدة السلام .

٣٩- إن ما يجب على العربي إعطاؤنا إياه هو إما واحدة من قلاع مسقط ، أو موقعا لتحصين وكالة تجارية هناك ، وأن يعطينا نصف إيرادات إدارة جمارك مسقط حيث سيكون هناك مراقب بالطريقة ذاتها التي يوجد من خلالها مراقب في "كنغ" .

يجب على العربي أن يدفع لنا أيضاً قيمة السفن التي استولى عليها في مكة ، والتي كانت عند الحاجز هناك ، ولديها تصاريح مرور ، ويجب أن يدفع لنا أيضاً نفقات الحرب التي خضناها ، والمدافع التي استولى عليها في مسقط ، والتي يتعين عليك تقييمها بأعلى تقدير ممكن .

علاوة على ذلك ، يجب على الإمام أن يزوّد مولانا الملك بجزية في شكل عدد محدّد من الخيول في كلّ سنة ، ويجب أن يبلغ عددها ضعف العدد الذي يعطيه لملك فارس .

بالإضافة إلى ذلك ، يجب عليه أن يتعهّد بأننا في حال خضنا حرباً ضد أي دولة ، سواء كانت أوروبية أو هندية ، فسيدخلها إلى جانبنا بسفنه ورجاله ، وأن يحدد عدد السفن والرجال ، وألا يسمح بإدخال أيّ من تلك الدولة إلى موانئه .

٤٠- على الرغم من أن هذه كلها شروط نريدها من العربي ، إلا أنني لا أريد أن أجعلها استبدادية للغاية ، بحيث لا تستطيع سحب أي شيء ، ولا سيما بالنسبة للأمور المتعلقة بالامتياز ، ولكن يجب عليك الإصرار على أمرين منهما دون تفريط ؛ الوكالة التجارية ، وحصة النصف من الجمارك وجزية الخيول .

٤١- يجب عليك أن تبذل دائماً كلّ جهد ممكن ليتحقق استسلام مسقط ، ويجب أن يكون هذا أول طلب تتقدم به ، وإذا واصلت الإلحاح على هذا الطلب سيذعن العربي للطلبات الأخرى بسهولة أكثر ، وربما يشاء الرب أن نتمكن من استعادة ذلك المعقل من خلال خوف الإمام أو وفاته .

لذلك ؛ عليك ألا تتخلى عن المطالبة بإعادتها لنا ، وألا تتوقف عن المطالبة بها ، إلا إذا اقتنعت تماماً بأنه لن يتنازل عنها ، أو أدركت أن إصرارنا على استعادتها سيسبب هزة في مفاوضات السلام التي لا تزال مفيدة لنا .

٤٢- في الاتفاقيات والمعاهدات التي تبرمها ، سواء مع الفارسي أو مع الإمام ، يجب عليك دائماً أن تولي اهتماماً كبيراً لوضع اسم مولانا الملك قبل أسماء الآخرين وأن تكون الصيغة -على سبيل المثال- "معاهـدة التحـالف بين ملك "البرتغال" العظيم وملك فارس

العظيم" ، وعلى الرغم من أن لدى الفارسي أسبابه ليطالب بضرورة أن يرد اسمه أولاً .

باعتبار أنه هو داخل بلاطه الذي يوافق على الشروط ، ويجب أن يوقّع عليها ، فيجب عليك رغماً عن ذلك أن تبذل أقصى ما في وسعك لكي تضمن بحذق ومهارة ألا تكون للفرس الأسبقية ، ويجب عليك أن تطالب بهذه الأولوية لوضع مولانا الملك حتى يحصل عليها ، ولكن يجب ألا تتصف بعدم المرونة ، وتصر على هذه النقطة ، لأن الملك الفارسي له الحق -ما دامت المعاهدة تصاغ في بلاطه وبوجوده- ولأنه أمر يتعلق بـ"آسيا" وليس له صلة بـ"أوروبا" .

٤٣- ربما يحدث ، إما بسبب عدم التوقيع على الخطاب من قبل مولانا ، أو نتيجة تدخل أجنبي ، أن يرفض الفارسي التوقيع على المصادقة أو المعاهدة ، توضيحاً للفقرات المشار إليها أعلاه ، ولكنه ربما يأمر وزيره أن يفعل هذا باسمه ، كما أمرت بها أنا بموجب الصلاحيات التي منحني إياها صاحب الجلالة حفظه الله .

إذا كنت أستطيع إبرام هذه المعاهدة معهم ، فيمكنه للسبب ذاته أن يرشح وزيراً ليبرمها معنا أيضاً ، وعليك ألا توافق على هذا بأي حال ، وعليك أن تبلغه أن ذلك سيسري إذا تمّ في مدينة ثالثة ، وليس في بلاط جلالته ، حيث يوجد هو شخصياً ، وإذا لم يوقع جميع الشروط بنفسه ، سيفترض فيه أنه لا يرغب في إبرام المعاهدة ، وعلى الرغم من أنني أدرك أن هذه البراعات لن تكون ...

(هنا تنتهي الصفحة الإنجليزية رقم : ١٩ وتبدأ بعدها صفحة جديدة تحمل الرقم ١) .

وفي العام نفسه (١٦٩٦م)

صدرت تعليمات سرّية من "دي بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، "كوندي دو فيلا فيرد" ، نائب الملك في الهند ، إلى "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، قائد أسطول المحيط في مضيق هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٦م ، البرتغاليون بين تأييد اليعاربة أو الفرس : (٦٧)

١- على الرغم من أنني وجّهت إليك أوامر دائمة تتعلق بما يجب عليك عمله خلال رحلتك بالنسبة للحرب وإدارتها ، وكيفية معالجتك للتعامل مع السفير والوزراء والقادة في فارس ، إلا أنني أريد أيضاً إعطاءك هذه التعليمات بشأن ما ينبغي عليك عمله في حال تم الاتفاق على السلام أو إجراء مفاوضات .

ما يجب عليك أن تفعله ؛ لتحقق ما ذكر سابقاً ، أو لتناقش الموضوع الأخير على الأقل ، وهكذا ستعرف على نحو أفضل ما ينبغي عليك

(٦٧) رقم الوثيقة والهامش.

عمله ، وما يجب على السفير أن يفعله في هذا الأمر ، وعلى كلّ واحد منكما أن يطلع الآخر على التعليمات التي أعطيت له ، وأن يحصل على نسخة من الفقرات التي تعتقد أنها الأكثر أهمية .

٢- إذا اقترح العربي إبرام معاهدة سلام عند وصولك إلى المضيق ، يجب عليك أن تجيب بأنك جئت لتساعد حليفنا ملك فارس في الحرب التي ينوي شنّها عليه ، وأنّه ما لم يدفع العربي تعويضاً فلن نبرم معاهدة معه .

يجب عليك أن ترفع تقريراً عن ذلك إلى الفارسي ووزرائه ، وأن تتخذ قراراً وفقاً لردّهم .

إنني أقترح بأن تحاول قبل أن تعطي هذه الإجابة ، أن تعرف الشروط التي يعرضوها علينا ، والتعويض الذي يقصدون تقديمه للفارسي .

إذا كان كلاهما مفيداً ، يجب عليك ألا ترفض هذا العرض ، ولكن عليك فقط إرجاء النقاش إلى أن يشارك الفارسي فيه ، وإذا كان السفير لا يزال معك ، فسيحمله إلى الملك ، وسيبلغك عن الحال الذي وجده عليها ، وبما ينبغي عليك أن تفعله ، وكل ذلك وفقاً للشكل الموضح في تعليماته .

٣- إذا كان العرب يعرضون هذه المعاهدة بعد أن غادر السفير إلى أصفهان ، فيجب عليك إبلاغه على الفور عن طريق رسول يسافر بأسرع ما يمكن ، حتى يتمكّن من إبلاغ الفارسي ، وإفادتك بما يتعين عليك أن تفعله كخطوة تالية .

٤- عموماً ، إذا تقدّم العربي بعرضه بعد تجمع الجيش الفارسي واستعداده للمغادرة ، ففي هذه الحال يجب عليك ألا ترسل رسالة

إلى السفير فقط ، ولكن عليك أن توضح هذا العرض للقادة الفرس ، وعليك أن تفعل ما هو ملائم بناء على نصيحتهم ، ولكنني أعتقد أنه في هذه الحال يجب أن تتوقف الجيوش ؛ لأنه من المحتمل أن يكون العربي قد قدّم هذا العرض من أجل إيقاف اندلاع الحرب وإضاعة الوقت ، حيث إنه ومن خلال قضاء فصل الشتاء ، يتأخّر العبور .

لكن ، وحتى في هذه الحال ، يجب أن تدور مداولات كبيرة في هذا الصدد بشأن نقل الرجال ، على الرغم من عرض العربي ؛ لأنه ما دام النجاح يحدث مصادفة فربما يحدث ، إذا كنا غير محظوظين ، فقد يشعر العربي عندئذ بالازدراء ، وقد يعرضه بدافع الخوف ، ولذلك ؛ وفي هذا الصدد على وجه الخصوص ، يجب عليك أن تتصرف بحذر ، وأن تحصل على أفضل النصائح .

٥- إذا لم يكن جيش الفرس مستعداً ، يجب عليك بالرغم من ذلك أن توافق على مناقشة هذا العرض ، وإعطاء المزيد من الأمل للعرب بأنه سيكون فعالاً ، ولكن عليك أن توضح أيضاً أننا لن نفعل أي شيء دون مشاركة الفارسي .

٦- إذا كانت المعاهدة مع العربي هي الأكثر ملاءمة لنا في ظل الظروف الحالية ، فربما لا يتحدثون إلينا بشأنها خوفاً من قبولنا بها ، ولا بد أن تستخدم المكر لتُلقي ببعض الكلمات لأشخاص تعتقد أنهم جواسيس لهم ، بحيث تقول إن العربي يرتكب خطأ لعدم مطالبته إيانا بمعاهدة سلام ، وأن تستخدم كل الحرص الذي تستطيع استخدامه لتجعلهم يطلبون منا المعاهدة ، وأن يعرضوا علينا شروطاً إيجابية للغاية .

يجب عليك ألا تقتصد ، بل عليك أن تشتري بعض معلومات الاستخبارات لهذا الغرض .

٧- ما يجب أن يعرضه علينا العربي -إضافة لتعويض الفارسي- هو إحدى قلعتي مسقط ، وموقع حصين لوكالة تجارية هناك ، ونصف إيرادات إدارة جمارك مسقط ، حيث يكون هناك مراقب ، ووكيل تجاري بالطريقة ذاتها التي نحصل عليها في "كنغ" .

يجب أن يدفع العربي أيضاً قيمة السفن التي استولى عليها وهي تحمل تراخيص مرور ، وقد وضعوا أيديهم عليها في مكة عند ذلك الحاجز .

يجب أن يدفع لنا تكاليف الحرب التي خضناها ، والمدافع التي استولى عليها في مكة .

علاوة على ذلك ، يجب أن يدفع الإمام لمولانا الملك جزية تتمثل في عدد محدّد من الخيول في كلّ سنة ، ويجب أن يكون عدد الخيول ضعف عدد الخيول التي تعطى لملك فارس .

بالإضافة إلى ذلك ، يجب أن يعد بأننا إذا خضنا حرباً ضد أي دولة - سواء كانت دولة من أوروبا أو الهند - فسيخوضها معنا بجنوده وسفنه ، وأن يعلن عدد الجنود والسفن ، ويجب ألا يسمح لسفن تلك الدولة بدخول موانئه .

من أجل جعل العربي يوافق على هذه الشروط ، يجب عليك أن تبذل كلّ جهد ممكن فيما يتعلق بالمطالبة بتسليم مسقط ، وهو أول شيء يجب عليك المطالبة به ، وإذا أظهرت أنك لن تتنازل عن هذه المطالبة ، سيذعن العربي بسهولة أكبر لجميع المطالب الأخرى .

ربما وهبنا الله حظاً سعيداً ، وربما يسهل الخوف أو وفاة الإمام استعادة المعقل ، ويجب ألا تتوقف عن المطالبة بإعادتها ، دون أن تصاب بخيبة الأمل الكلية من عدم الحصول عليها ، إذا توصلت إلى أن هذا الشرط سيسبب إيقاف المفاوضات بشأن المعاهدة ، وهو أمر لا يعدّ أقل فائدة بالنسبة لنا .

٨- على الرغم من أن جميع هذه النقاط هي تلك التي نريدها من العرب ، ولكنني لا أشرحها لك على نحو محدد للغاية ، بحيث لا تستطيع التنازل عن أي واحدة منها ، ولا سيما في موضوع المال ، ولكن يجب أن تحتفظ باثنتين منهما تأكيداً ، وألا تتخلى عنهما ؛ وهما : الوكالة التجارية ، ونصف إيراد الجمارك وجزية الخيول .

٩- إذا لم يتم وضع معاهدة هذا السلام في بلاط الفارسي ، وأمر وزراءه بإبرامها في "كنغ" أو ميناء آخر مع المندوب الذي يأتي من شبه جزيرة العرب بوجودك ، فيجب في هذه الحال أن يكون هناك ثلاثة ليوقّعوا على المعاهدة ، وتتمتع أنت بالأسبقية على ممثلي شبه جزيرة العرب ، ويجب عليك أن تضمن ابتداء المعاهدة دائماً باسم مولانا الملك على النحو التالي : "معاهدة يمنح بموجبها ملك "البرتغال" العظيم وملك فارس العظيم السلام لإمام مسقط ... إلخ" .

١٠- ربما يحدث أيضاً ويبدي ملك فارس رغبة في أن يحضر سفيرنا مع وزرائه لإنهاء هذا التفاوض ، وفي هذه الحال ، وإذا كنت حاضراً ، يجب أن يوقّع بعدك مباشرة ، مع الأسبقية ذاتها لممثلي الفارسي ، وشبه جزيرة العرب ، وفي هذه الحال يجب عليك أن توقّع عليها قبل

السفير ، ويجب أن يجلس أيضا في وضع مساوٍ لك بما أنكما تشكلان في هذه المناسبة طرفاً واحداً وقوة واحدة .

١١- يجب عليك أن تلتزم بهذه الفقرات ، وتلك التي تتعلق بك ، وتلك الواردة في تعليمات السفير ، ولذلك الغرض سيطلعك على ما هو مذكور في تعليماته ، وعليك أن تطلعه على تعليماتك ، وأن تعدّ نسخاً منها ، حتى لا يكون هناك خطأ في أي من مجموعتَي التعليمات .

١٢- إذا تعيّن عليك السعي للحصول على النصح حول أمور السلام هذه هي أمور سرّية للغاية- يجب عليك أن تستدعي أميرال فقط ، وإذا شعرت بأن عليك الحصول على المزيد من النصح ، أن تدعو قائد البحر والقائد العسكري ، لتتفادى المشاكل التي ستنشأ إذا استدعيت جميع القادة .

وليس هناك ما يمنعك من القيام بهذا إذا رأيته ضرورياً ، ولكن عليك أن تعلم ، وبالنسبة للنصائح السياسية والعسكرية ، إذا كان السفير في الخارج أو إذا كان لا يزال في "كنغ" ، فيجب عليك أن تدعوَه إلى المجلس ، ويكون لصوت السفير الأسبقية على البقية الذين يشكّلون أعضاء المجلس .

١٣- قيل لي إن (عبد الشيخ) أظهر ولاءه دائماً في الأمور الخاصة بنا ، وتستطيع أن تبدأ من خلاله مفاوضات في شبه الجزيرة العربية ، لتجعل القبائل تثور ، وأي شيء آخر تراه مناسباً ، وعليك ألا تدّخر أي جهد لإشراكه في هذه الشؤون ، وأن تثبت له المزايا التي تتحقق له إذا خدمنا وخدم الفارسي على نحو جيد في هذا الأمر ، إذ إننا نستطيع أن

نجعله عظيماً في شبه جزيرة العرب ، ويستطيع الفارسي أيضاً مكافأته في مجالاته .

من خلال المعاملة الجيدة للعرب الذين يذهبون إلى هناك ، وأولئك الذين ستطلق سراحهم ، يمكنك أن تحدث ثورة في شبه جزيرة العرب .

١٤- صدر قرار من مجلس الخزانة ينصّ على أنه يجوز للمراقب أو الوكيل التجاري أن يرافق السفير ، أيهما كان وجوده أقل ضرورة في "كنغ" ، ويجب عليك أن تنتبه كثيراً إلى عدم ارتكاب أي خطأ في هذا الأمر .

١٥- تلقيت معلومات عبر "سورت" بأن الإمام توفّي وأن أبناه وأبناء إخوانه منقسمون فيما بينهم ، وهناك إشاعات عن أنّهم حملوا السلاح ، ليتقرر من يصل إلى العرش .

إذا توصلت إلى أن هذا الخبر صحيح ، يجب عليك ألا تدّخر وسعاً لتأجيج هذا السخط ، وإذا حاول أي من المعارضين الحصول على دعم منا ، وبدا لك أنه من المستحسن تقديم العون له ، في حال فاز بالسلطة ، وأن وعوده تحقق لنا امتيازات ، عليك أن تساعده بكل طريقة ممكنة ، وعليك أن تبلغ السفير بهذه المفاوضات .

إذا كان القادة الفرس هناك ، يجب عليك أيضاً أن توضّح لهم المزايا الكبيرة التي يمكن أن يحصلوا عليها من هذا الأمر ، والآثار السلبية التي تترتب على أعدائنا ، وأن تبالغ في إظهارها .

عندما يتوصل المطالبون بذلك العرش إلى اتفاق ، ويختارون واحداً كإمام ، ويقترح عقد معاهدة ، عليك في هذه الحال اتباع الفقرات الواردة

في تعليماتك وتعليمات السفير -وهي متطابقة- المتعلقة بالوضع عند وفاة الإمام .

١٦- لدي معلومات بأن هناك سفينة قراصنة في المضيق تبحر رافعة العلم الإنجليزي ، وإذا صح هذا ، وتستطيع أن تؤكد هذا ، عليك أن تأسرها ، وأن تحررنا من تلك المتاعب ، وأن توصلها إلى "غومبرون" وتصدر أوامر بسؤال المفوض الإنجليزي عما إذا كانت السفينة خاصة بالشركة أم بملك "إنجلترا" .

إذا ردّ بالإيجاب ، وأكد أنها إنجليزية ، وطلب منك الإفراج عنها ، يمكنك أن تفرج عنها ، وأن تفعل ما بوسعك لتجعله يطلب ذلك ، ويعطيك ورقة يقرّ فيها بهذا ، وعندما يفعل هذا عليك أن تخلي سبيلها .

عليك أن تفعل الشيء ذاته إذا قيل إنها هولندية ، إذ إنهم في "غومبرون" أيضاً ، ولكنهم إذا نفوا أن السفينة تابعة لهم ، عليك باحتجازها ، وأن تضع محتوياتها قيد الحجز ، كما يحدث بالنسبة لأيّ سفينة يتم الاستيلاء عليها خلال الحرب .

١٧- إذا حدث ووصل "جريجوريو فيدالغو" إلى "كنغ" متأخراً عدة أيام ، بعد الوقت الذي ينبغي عليك فيه مغادرة هذه المدينة ، وإذا كان انتظار وصوله لا يؤخرك لأكثر من فترة تتراوح بين أسبوعين وشهر ، عليك أن تنتظره ، وإذا رأيت أنك تستطيع أن تترك الأميرال ليفعل هذا ، عليك أن تفعل ذلك ، شريطة ألا ترى أي خطر في هذا التأخير .

١٨- فور وصولك إلى "كنغ" ، عليك أن ترسل إلى المراقب الحزمة

التي تحملها إلى "بيدرو بونيفاي" في حلب حتى يتمّ إرسالها إليه بأكثر طريقة آمنة .

إذا أرسلت سفينة إلى "كنغ" قبل وصولك ، عليك أن ترسل الحزمة فيها .

"غوا" ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٦م .

"كوندي دي فيلا فيرد" .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

صدرت رسالة من نائب الملك إلى الملك ، بشأن مسقط ، "غوا" "Goa" ، الخامس من شهر فبراير عام ١٦٣٧م ، وذكر فيها إرسال الأسطول البرتغالي إلى مسقط .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

نسخت صورة من التعليمات التي حملها "مارتيم تيكسيرا دي أزيفيدو" "Martim Texiera de Azevido" ، كابتن "ميجور" على ساحل الكناري ، عندما ذهب لقضاء الشتاء في "كانانور" "Cananor" ، "غوا" ، التاسع عشر من شهر مايو عام ١٦٣٧م ، وذكر أن "أنطونيو كارنيرو ساليما" "Antonio Carneiro Salima" الذي أرسله تسبب في اضطرابات ضد ملك "ممباسا" وفي البحار قبالة مسقط .

(صفحة رقم ١٥)

الوثيقة رقم : ٣

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلى الملك ، فيها تقرير عن قلعة مسقط ، "غوا" ، الثالث من شهر نوفمبر عام ١٦٣٧م . **(صفحة رقم ٢٣)**

الوثيقة رقم : ٤

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلى الملك ، بشأن البحث عن متمرد في "ممباسا" بعد أن تسبب في اضطرابات على ساحل شبه الجزيرة العربية وفي مسقط ، "غوا" ، الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م .

(صفحة رقم ٢٦)

الوثيقة رقم : ٥

صدرت رسالة من سفير "دوق هولشتاين" "Duke of Holestein" إلى نائب الملك ، أصفهان ، من السادس عشر إلى السادس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٣٧م ، ويذكر أن تدمير الهولنديين سيجعل التجارة تمر بسلام إلى البرتغال . **(صفحة رقم ٣٠)**

الوثيقة رقم : ٦

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك ، بشأن القلعة ودار الجمارك في مسقط والأسطول في مضيق فارس ، "لشبونه" ، في الثالث والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م . **(صفحة رقم ٣٧)**

الوثيقة رقم : ٧

صدرت رسالة من "مارغاريدا" إلى نائب الملك ، بشأن التحصينات في مسقط ، "لشبونه" ، في الرابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦٣٨م .

(صفحة رقم ٤٠)

الوثيقة رقم : ٨

صدرت رسالة للملك من "بيرو دا سيلفا" ، بشأن تحقيق السلام مع البحرين وقشم ، "غوا" ، في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٣٨م .

(صفحة رقم ٤٦)

الوثيقة رقم : ٩

صدرت رسالة من "بيرو دا سيلفا" إلى الملك ، بشأن البعثة الدينية في إثيوبيا ، "غوا" ، في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٣٨م ، ويذكر فيها أن العرب يطردون الأتراك .

(صفحة رقم ٤٩)

الوثيقة رقم : ١٠

قدمت قائمة بخرائط وأوصاف جميع القلاع والمدن والقرى الصغيرة المملوكة للبرتغاليين في دولة الهند الشرقية ، عام ١٦٣٩م .

(صفحة رقم ٥١)

الوثيقة رقم : ١١

دوّن وصف المدن (مسقط وهرمز) والقلاع المملوكة لصاحب الجلالة

من رأس الرجاء الصالح فصاعداً ، وخطوط العرض التي تقع عندها والأهالي على حدودها ، عام ١٦٣٩م .

(صفحة رقم ٦٩)

الوثيقة رقم : ١٢

دوّن وصف القلاع حول بحر عمان والطريق إلى الهند ، بتاريخ ١٦٣٩م .

(صفحة رقم ٧١)

الوثيقة رقم : ١٣

قدم تقرير عما حدث في الهند الشرقية منذ وفاة نائب الملك "بيرو دا سيلفا" في الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٣٩م إلى شهر ديسمبر عام ١٦٤٠م .

(صفحة رقم ٨٧)

الوثيقة رقم : ١٤

دوّن وصف للقلاع والجزيرة العربية واليمن ، بقلم "أنطونيو دي ماريز كارنيرو" "Antonio de Maris Carneiro" .

(صفحة رقم ٨٩)

الوثيقة رقم : ١٥

صدرت رسالة من نائب الملك إلى الملك ، بشأن مسقط ، "غوا" ، في السابع من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م .

(صفحة رقم ١١٩)

الوثيقة رقم : ١٦

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" "Conde de Aviras" إلى الملك ، بشأن الصراعات بين الشاه والأتراك ، "غوا" ، في السادس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٠م .

(صفحة رقم ١٢٤)

الوثيقة رقم : ١٧

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" إلى الملك ، بشأن السفن التجارية ، في ميناء البصرة ، "غوا" ، في الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦٤١م .

(صفحة رقم ١٢٧)

الوثيقة رقم : ١٨

قدمت مقالات إلى جلالة مولانا الملك "جواو" الرابع "Joao IV" ، الذي يحمل ذلك الاسم بين ملوك البرتغال ، دفاعاً عن سمعة وذكرى "فيرناو دي البوكيرك" "Fernao de Albuquerque" ، عضو مجلسه وحاكم الهند الراحل ، إزاء ما كتبه عنه "دوم غونسالو دو سيسبيدس دي مينيسيس" "Goncalo de Cespedes Meneses" في عرضه التاريخي للملك "فيليب الرابع" "Historia de Felipe IV" ملك "كاستيل" ، بقلم "لويس مارتينهو دي ازيفيدو" "Luis Martinho de Azevido" ، وهو مواطن من هذه المدينة ، الجزء الثاني .

(صفحة رقم ١٣١)

الوثيقة رقم : ١٩

صدرت رسالة من نائب الملك "كونت أفيراس" ، إلى الملك ، بشأن ديون هرمز ، "غوا" ، في التاسع من شهر إبريل ١٦٤٢م .

(صفحة رقم ٢١٥)

الوثيقة رقم : ٢٠

صدرت رسالة من "كونت أفيراس" إلى الملك ، بشأن الأعمال المشينة التي تتعلق بفقدان هرمز ، "غوا" ، في العاشر من شهر فبراير عام ١٦٤٣م .

(صفحة رقم ٢١٩)

الوثيقة رقم : ٢١

صدرت رسالة من "كونت أفيراس" ، نائب ملك الهند ، إلى الملك ، تفيد أن الاضطرابات التي حدثت في السنة الماضية والتي كان سببها العرب العمانيون قد توقفت ، "غوا" ، بتاريخ الرابع من شهر مارس عام ١٦٤٣م .

(صفحة رقم ٢٢١)

الوثيقة رقم : ٢٢

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك ، حول القلاع والحصون بتجهيز الأساطيل وتحصين الحصون ، في الخامس من شهر مارس عام ١٦٤٣م .

(صفحة رقم ٢٢٣)

الوثيقة رقم : ٢٣

صدرت رسالة من نائب الملك في الهند إلى الملك تتعلق برفض الهولنديين الهدنة ، الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٦٤٤م .

(صفحة رقم ٢٣٧)

الوثيقة رقم : ٢٤

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن العلاقات مع ملك قشن ، "لشبونه" ، الرابع من شهر مارس عام ١٦٤٤م .

(صفحة رقم ٢٤٦)

الوثيقة رقم : ٢٥

صدرت رسالة من "جيليانيس دي نورونها" "Jillianes de Noronha" إلى "دوم جواو" الرابع ، بشأن الأسطول المتجه إلى قلعة هرمز ، مسقط ، الثاني من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥م .

(صفحة رقم ٢٤٩)

الوثيقة رقم : ٢٦

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن مجموعة من السفن ، "لشبونه" ، الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٤٦م ، ويذكر فيها بأن السفن تحتاج لتراخيص للعبور إلى البحر الأحمر .

(صفحة رقم ٢٥٣)

الوثيقة رقم : ٢٧

صدرت رسالة من نائب الملك إلى جلالة الملك ، بشأن التحقيق في مغادرة سفن الميناء ، "لشبونه" ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٧م ، ويذكر فيها أن التراخيص من السلطات البرتغالية على السفن المتجهة إلى البحر الأحمر حتى ولو كانت سفناً مغولية .

(صفحة رقم ٢٥٥)

الوثيقة رقم : ٢٨

صدر تقرير عن الدورة الأولى لانعقاد المجلس ، مسقط ، الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، بشأن التفاوض بالسلام مع سعيد بن خليفة من طرف اليعاربة .

(صفحة رقم ٢٥٩)

الوثيقة رقم : ٢٩

صدر تقرير عن الدورة الثانية لانعقاد المجلس ، مسقط ، الثاني عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، بخصوص القلاع البرتغالية والتي يطالب سعيد بن خليفة بهدمها .

(صفحة رقم ٢٦٧)

الوثيقة رقم : ٣٠

كتبت نسخة من خطاب "كارلوس دا فونسيكا" "Carlos da Vonsica" قائد قلعة قريات ، بشأن الأوضاع في القلعة ، قريات ، الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٢٧٣)

الوثيقة رقم : ٣١

كتبت نسخة من رسالة "كارلوس دا فونسيكا" القائد في قريات ، بشأن التحصينات والدفاع عن قريات ، قريات ، الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٢٧٦)

الوثيقة رقم : ٣٢

صدر تقرير عن الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في مسقط ، في العشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٤٨م ، حول المطالب التي طلبها سعيد بن خليفة من طرف اليعاربة .

(صفحة رقم ٢٨٠)

الوثيقة رقم : ٣٣

صدرت رسالة من "فالنتيم كوريا" إلى جلالة الملك ، بشأن تحصين القلعة في مسقط ، التاسع عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٢٨٥)

الوثيقة رقم : ٣٤

قدمت نسخة من شهادة القائد "براس كالديرا دي ماتوس" ، بشأن مساعدة قلعة مسقط ، مسقط ، في العشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٢٩٧)

الوثيقة رقم : ٣٥

صدرت رسالة من "د . جيليانس دي نورونها" إلى نائب الملك ، بشأن معاهدة مع العرب العمانيين ، مسقط ، السابع من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٢٩٩)

الوثيقة رقم : ٣٦

قدمت نسخة من الشهادة التي حررها قائد القوات العسكرية "براس كالديرا دي ماتوس" في مضيقي هرمز والبحر الأحمر لمساعدة قلعة مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٣٠٥)

الوثيقة رقم : ٣٧

قدمت نسخة من شهادة "د . غونسالو دي ليما" ، بشأن توقيع الاتفاقية مع العرب ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٣٠٧)

الوثيقة رقم : ٣٨

قدمت نسخة من رسالة العريف "أنطونيو غودينهو دي كوادروس" "Antonio Goudinho de Quadros" ، بشأن المضايقات التي يتعرض لها ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٣٠٩)

الوثيقة رقم : ٣٩

حـــررت شـــروط المعاهدة التي تم توقيعها بين الشيخ إمام ناصر بن مرشد بن مالك وبين القائد العام في مسقط "د . جيليانيس دي نورونها" ، مسقط ، الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٣١٢)

الوثيقة رقم : ٤٠

صدر خطاب من "جيليانيس دي نورونها" إلى نائب الملك ، بشأن حالته الصحية ، ويشعر أنه مدمر في مسقط ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٤٨م .

(صفحة رقم ٣١٧)

الوثيقة رقم : ٤١

سجلت قائمة بأصناف المساعدات التي أرسلت بواسطة اللورد نائب الملك "د . فيليب ماسكرينهارس" إلى قلعة مسقط ، "غوا" ، العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م .

(صفحة رقم ٣٢١)

الوثيقة رقم : ٤٢

سجلت قائمة بالإمدادات التي أرسلت من "شول" و"باسين" بأمر اللورد نائب الملك "د .فيليب دي ماسكرينهارس" إلى قلعة مسقط ، "غوا" ، العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٤٩م .

(صفحة رقم ٣٢٥)

الوثيقة رقم : ٤٣

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك ، بشأن القوات في مسقط ضد أهداف الإمام ، "لشبونه" ، الخامس من شهر مارس عام ١٦٥٠م .

(صفحة رقم ٣٢٧)

الوثيقة رقم : ٤٤

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك في الهند ، بشأن الاتفاقية مع العرب ، "لشبونه" ، السادس عشر من شهر مارس عام ١٦٥٠م .

(صفحة رقم ٣٢٩)

الوثيقة رقم : ٤٥

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى نائب الملك في الهند ، بشأن شيوخ مسقط ، "لشبونه" ، في الحادي والثلاثين من شهر مارس عام ١٦٥٠م .

(صفحة رقم ٣٣١)

الوثيقة رقم : ٤٦

صدرت رسالة من نائب الملك إلى جلالة الملك ، بشأن مضيق هرمز ، "غوا" ، في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٥٠م .

(صفحة رقم ٣٣٣)

الوثيقة رقم : ٤٧

إمبراطورية وملكية فارس في بحوث ورؤى مختلف الكتّاب الجغرافيين .

(صفحة رقم ٣٣٥)

الوثيقة رقم : ٤٨

صدرت رسالة من "براس كالديرا دي ماتوس" إلى "دوم جواو الرابع" ، بشأن قلعة مسقط حيث أرسلت أربع سفن لإسعاف مسقط ، التي كانت في حالة حرب مع العرب العمانيين ، بتاريخ الخامس عشر من شهر نوفمبر ١٦٥٢م .

(صفحة رقم ٣٦١)

الوثيقة رقم : ٤٩

صدرت رسالة من "دوارتي دا كوستا هوميم" "Duarte Da Costa Homem" إلى نائب الملك ، بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٥٣م ، وعرض فيها انتفاضة العمانيين ضد الحكم في مسقط . (لهذه الوثيقة قصة ، نذكرها في نهاية الوثيقة) .

(صفحة رقم ٣٦٧)

الوثيقة رقم : ٥٠

صدر تقرير عن الأسطول البرتغالي ومعركة "كنغ" ، "لشبونه" ، بتاريخ عام ١٦٧٠م .

(صفحة رقم ٣٧٨)

الوثيقة رقم : ٥١

حُرّرت وثائق متعلقة بشهادة من نائب الملك "لويس دي ميندوسا" إلى الأب "مانويل دي جيسوس" ، بشأن معركة "كنغ" ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٧٤م .

(صفحة رقم ٤٢٥)

الوثيقة رقم : ٥٢

صدر "فرمان" تم إرساله بواسطة "شاه" سليمان ملك فارس إلى "د . رودريغو دا كوستا" "D . Roderiguo da Costa" القائد العام لأسطول السفن الحربية فى مضيق هرمز ، والبحر الأحمر ، كنغ ، بتاريخ العشرين من شهر يوليو عام ١٦٨٠م ، بشأن إيقاف التجار والسفن التجارية .

(صفحة رقم ٤٣١)

الوثيقة رقم : ٥٣

أبرمت اتفاقية بين القائد العام "د . رودريغو دا كوستا" مع ميرزا راضي رئيس حسابات مملكة فارس ، بواسطة الأمر الذي أحضره من الملك عن طريق "مانويل مينديز هنريكو" المراقب الأعلى لحسابات دولة الهند ، وبشأن دفع الرسوم في"كنغ" ، "كنغ" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٨٠م .

(صفحة رقم ٤٣٤)

الوثيقة رقم : ٥٤

دوّن الدخل السنوي ومصروفات الحصون والمناطق في الهند ،

والدخل السنوي من المحطة التجارية في "كنغ" المتضمن في العقد الذي تم عمله مؤخراً مع ملك فارس ، بتاريخ عام ١٦٨٨م . **(صفحة رقم ٤٣٩)**

الوثيقة رقم : ٥٥

صدرت رسالة من الحاكم "دوم رودريغو دا كوستا" إلى "غونسالو سيموس" مدير ميناء "كنغ" ، بتاريخ السادس من شهر فبراير عام ١٦٩٠م ، ويذكر فيها معاهدة التفاوض مع إمام مسقط . **(صفحة رقم ٤٤٣)**

الوثيقة رقم : ٥٦

التفاوض بين البرتغاليين وخليل باشا حاكم البصرة ، اتفق على تنــازل بين جــنرال خليج "هـــرمز" "أنطونيو ماشادو دي بريتو" "Antonio Machado de Breito" مع خليل "باشا" حاكم البصرة بتفويض من جلالته سيدي الأكثر صفاء وقوة وعظمة "دوم بيدرو الثاني" ملك "البرتغال" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يونيو عام ١٦٩٠م . **(صفحة رقم ٤٤٩)**

الوثيقة رقم : ٥٧

سُجِّل تقرير عن الرحلة التي قام بها "أنطونيو ماشادو دي بريتو" جنرال المضيق في بحار الهند في السنة الحالية ١٦٩١م ، ويذكر فيه أن العرب العمانيين قادمون لغزو الحصون الشمالية التابعة للبرتغاليين . **(صفحة رقم ٤٥٧)**

الوثيقة رقم : ٥٨

صـــدرت رسالـــة من "دوم بـــدرو أنطونـيو دي نورونهـــا" "D . Pedro Antonio de Noronha" نائب الملك في الهند و"كونت فيلا فيردي" إلى دوم "بدرو الثاني" ، "غوا" ، بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م ، يذكر فيها الوكالة التجارية البرتغالية في البصرة .

(صفحة رقم ٤٧٧)

الوثيقة رقم : ٥٩

صدرت رسالة من نائب الملك في الهند إلى الملك بشأن زعيم "الأتراك" ، "غوا" ، بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م .

(صفحة رقم ٤٧٩)

الوثيقة رقم : ٦٠

صدر رد للملك من نائب الملك بشأن استسلام البصرة ، "غوا" ، بتاريخ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٣م . **(صفحة رقم ٤٨١)**

الوثيقة رقم : ٦١

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك ، تم إرسالها عن طريق "غونسالو أنترا مارينهو" "Goncalo Antra Marinho" بخصوص الأوضاع في البصرة ، بتاريخ الفاتح من شهر مارس عام ١٦٩٥م . **(صفحة رقم ٤٨٣)**

الوثيقة رقم : ٦٢

صدرت رسالة من ملك "البرتغال" إلى "دي بيدرو أنطونيو" بشأن فقدان الوكالة التجارية البرتغالية في البصرة ، "لشبونه" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٩٥م .

(صفحة رقم ٤٨٦)

الوثيقة رقم : ٦٣

صدرت رسالة من نائب الملك في الهند إلى الملك بشأن الشيخ مانع في شبه جزيرة العرب ، والذي استولى على البصرة ، "غوا" ، بتاريخ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٥م .

(صفحة رقم ٤٨٨)

الوثيقة رقم : ٦٤

صدرت رسالة من "دوم بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، نائب الملك في الهند ، "كونت دي فيلا فيردي" إلى "دوم بيدرو الثاني" ، ويذكر فيها الاتفاق مع الفرس لاحتلال مسقط ، "غوا" ، بتاريخ أول يناير عام ١٦٩٦م .

(صفحة رقم ٤٩١)

الوثيقة رقم : ٦٥

صدرت رسالة تحتوي على حكم قانوني من "دوم بيدرو أنطونيو دو نورونها" نائب الملك في الهند "كونت فيلا فيرد" ، إلى "دوم بيدرو" الثاني ، بشأن حكم قانوني والتحالف مع ملك فارس ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٩٦م .

(صفحة رقم ٤٩٧)

الوثيقة رقم : ٦٦

صدرت تعليمات من "دي بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، "كوند دو فيلا فيرد" ، نائب الملك في الهند إلى "جريجوريو بيريرا فيدالغو" بشأن السفير إلى فارس ، ليهنئه على اعتلائه العرش والمصادقة على المعاهدة ، "غوا" ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٦م . **(صفحة رقم ٥٠٠)**

الوثيقة رقم : ٦٧

صدرت تعليمات سرّية من "دي بيدرو أنطونيو دو نورونها" ، "كوندي دو فيلا فيرد" ، نائب الملك في الهند ، إلى "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، قائد أسطول المحيط في مضيق هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٦م ، البرتغاليون بين تأييد اليعاربة أو الفرس . **(صفحة رقم ٥١١)**

هوامش المجلد العشرين

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Livros das Moncoes, No. 37 f 433,

- Arquivo de Goa (AG), Livro 38 f 27.

2- TT, Livros das Moncoes, No. 40 ff 337-338v.

3- TT, Livros das Moncoes, No. 42 f 2v-3r.

4- TT, Livros das Moncoes, No. 42 f 2.

5- TT, Livros das Moncoes, No. 42 ff 247r-248v.

6- TT, Livros das Moncoes, No. 44 f 352.

7- TT, Livros das Moncoes, No. 45 ff 43r-44r.

8- TT, Livros das Moncoes, No. 35 ff 35v-36r.

9- TT, Livros das Moncoes, No. 44 f 218.

10- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), HG, 18845/6 V, pp. 10-19.

11- Biblioteca Pública de Évora (BPE), cod III-2-17, fol 22v.

12- Descricoes da Fortaleza de Sofala e das mais da India, Antonio De Mariz Carneiro, 1639,

- BNL, Ilum 149.

13- BNL, Fondo Geral, General Series of Manuscripts (FG), 7640 f 181v.

14- Descricoes da Fortaleza de Sofala e das mais da India, Antonio De Mariz Carneiro, 1639,

- BNL, Ilum 149.

15- TT, Livros das Moncoes, No. 47 f 19.

16- TT, Livros das Moncoes, No. 48 ff 21v-22r.

17- TT, Livros das Moncoes, No. 48 ff 47v-48v.

18- Apologeticos discursos offerecidos a Magestade del Rei Dom Joam... quarto do nome... Em defensa da fama, e boa memoria de Fernão d›Alburquerque [sic]... contra o que delle escreveo D. Gonçalo de Cespedes na Chronica del Rei D. Phelippe quarto de Castella / por Luis Marinho d›Azevedo... - Em Lisboa : por Manoel da Sylva, Luís Marinho de Zevedo, 1641, pp. 57-109.

19- TT, Livros das Moncoes, No. 48 f 103.

20- TT, Livros das Moncoes, No. 51 f 171.

21- TT, Livros das Moncoes, No. 48 ff 150v.

22- TT, Livros das Moncoes, No. 60 f 378.

23- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/139, 1643-1646, Doc. 116.

24- TT, Livros das Moncoes, No. 48 ff 302v, No. 7.

25- Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-IX-6121 f 236.

26- TT, Livros das Moncoes, No. 57 f 117.

27- TT, Livros das Moncoes, No. 57 f 394.

28- TT, Livros das Moncoes, No. 59 ff 68-69r.

29- TT, Livros das Moncoes, No. 59 ff 70-71v.

30- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 60.

31- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 92 r-v.

32- TT, Livros das Moncoes, No. 59 ff 72r-73r.

33- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 78-80v.

34- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 110.

35- TT, Livros das Moncoes, No. 59 ff 74r-75v.

36- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 100.

37- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 98.

38- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 94 r-v.

39- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 88r-v.

40- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 66r-67r.

41- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 101.

42- TT, Livros das Moncoes, No. 59 f 102.

43- TT, Livros das Moncoes, No. 61 f 46.

44- TT, Livros das Moncoes, No. 61 f 57 r-v.

45- TT, Livros das Moncoes, No. 61 f 107.

46- TT, Livros das Moncoes, No. 60 f 281.

47- BNL, Res 1374 P, pp. 379-396.

48- BA, 51-IX-6113 ff 233r-v.

49- Assentos do Consilho de Estado volume 3 (published in Bastora, Published in P.S. Pisscurlencar, Goa 1953-1957), pp.551-554, sup.48 (18-11-1653).

50- The Library of the University of Coimbra, Coimbra, 1670, Relacao da Viagem e Successos da Armada do Esttreito de Ormuz e Batalha do Congo.

51- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Livraria 73111 ff 256r-260r.

52- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, 1965, vol. IV, pp. 217-218.

53- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 216-217,

- Arquivo de Goa (AG), Livro 1 de Pazes f 254.

54- ANTT, Lisboa, Miscelanias da Graca, Tomo III E pp. 270-271.

55- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 230-233,

- AG, Livro 5 dos Reis vizinhos f 86v.

56- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 234-245,

- AG, Livro das Moncoes No. 57.

57- BNL, Colecção Pombalina (Biblioteca Nacional de Lisboa), Lisbon (POMB) 490 ff 251r-254r.

58- BNL, FG, 6827 f 12v.

59- Biblioteca da Academia das Ciências de Lisboa, Lisbon (BAC), MS Azul 512 f 9r.

60- AG, Livro das Moncoes No. 57.

61- AG, Livro das Moncoes No. 59.

62- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 241-242,

- AG, Livro das Moncoes No. 59.

63- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 242-243,

- AG, Livro das Moncoes No. 59.

64- BAC, Azul 513 f 106 r-v.

65- BAC, Azul 513 f 107r.

66- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 246-283,

- AG, Livro dos Regimentos fo 6v.

67- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, vol. IV, pp. 283-288,

- AG, Livro dos Regimentos fo 5.

ISBN 978-9948-720-08-9
9 789948 720089
www.alqasimipublications.com